روائع

الفكر الإسلامي



العمل الدعوي

وسائله وأساليبه وانشطته

المجلد الثاني

تأليف: الدكتور عبدالله قاسم الوشلي

روائع الفكر الإسلامي

https://t.me/FekrIslamic

العمل الدعوي

وسائله وأساليبه وأنشطته

المجلد الثاني



الوسائل الدعوية في تاريخ الرسالات والعهد النبوي

المفهوم، العرض، الضوابط، الفوائد والثمار

إعداد

الدكتور / عبد الله قاسم الوشلي

أستاذ الفقه المقارن بجامعة صنعاء



العمل الدعوي

وسائله وأساليبه وأنشطته

المجلد الثاني

إعداد

الدكتور / عبد الله قاسم الوشلي

أستاذ الفقه المقارن بجامعة صنعاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الهدف العام:

استيعاب وسائل وأساليب وأنشطة العمل الدعوي لمختلف الأحوال الدعوية.

الأهداف الجزئية:

١ - التعرف على مفهوم الوسيلة والأسلوب والنشاط وحكم القيام بها، وضوابطها.

المفردات: الوسيلة لغة واصطلاحا، الأسلوب لغة واصطلاحا، النشاط لغة واصطلاحا، حكم الوسيلة والأسلوب والنشاط، ضوابط الوسيلة والأسلوب والنشاط.

٢ – التعرف على وسائل وأساليب وأنشطة الخطاب الدعوي القولي.

المفردات: وسيلة النداء، وسيلة الدعوة بلغة القوم، وسيلة البلاغ المبين، وسيلة التلاوة،، وسيلة الأذان، وسيلة الذكرى والتذكير، وسيلة الموعظة. وسيلة الصدع بالحق. وسيلة النصح والنصيحة. وسيلة الترغيب والترهيب، وسيلة عرض العبر والعظات (الآيات الكونية). وسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسيلة المجادلة والمحاجة والحوار. وسيلة القصص، وسيلة الدعوة بضرب الأمثلة. وسيلة الحكمة. وسيلة البصيرة. وسيلة التحدي بالمعجزات وخرق العادات.

٣ – التعرف على الوسائل والأساليب والأنشطة الدعوية العملية التزكوية:

المفردات: وسيلة التواصل الفردي، وسيلة التواصل الجماعي، وسيلة التواصل، الجماهيري، وسيلة التزكية، وسيلة تربية الفرد والجماعة والمجتمع، وسيلة المجاهدة، وسيلة الأسوة الحسنة (القدوة) وسيلة التعليم، وسيلة الإنفاق، وسيلة التعاون، وسيلة العمل الخيري، وسيلة السفر والرحلات والسياحة، وسيلة الهجرة، وسيلة إعداد العدة والاستعداد، وسيلة القتال، وسيلة السلطان، وسيلة التغيير.

المقدمة:

الحمد لله الذي ربط المقاصد بوسائلها، والأهداف بأسبابها والتأثير بأساليبها، والسرعة في النجاح بأنشطتها، وأمر العباد بتحصيل ذلك وفق شرعه وعلى مقتضى تنزيله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله خير من استعمل الوسائل في دعوته وقال: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»[2]. وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: أخي الداعية هذا هو القسم الثاني الذي وعدتك به في موضوع العمل الدعوي القسم الأول الذي سبق أن تمت فيه الكتابة في أربعة أجزاء تناولت فيها أربعة موضوعات تحت عنوان العمل الدعوي في الشرائح والميادين والواجهات، وقد خصصت هذا القسم للوسائل والأساليب والأنشطة في العمل الدعوي في عهد الرسالات والنبوة الخاتمة.

والعمل الدعوي له أهدافه ومقاصده التي لا تغيب عن داعية، لكن هذه الأهداف والمقاصد لا تتحقق إلا بإعمال الوسائل التي أمر الله بالقيام بها، وجعلها من

---

(١) سورة النحل: الآية (١٥٠).

(٢) مسند احمد: ٢٧ / ٧ ٣١، والترمذي : ٢٦٥٨.

سننه في هذه الحياة للنجاح- بعد مشيئته تعالى- ونجاح الدعوات كذلك منوط بهذه السنة.

لذلك أَمَرَ الله تعالى عباده الدعاة المؤمنين المتقين وفي مقدمتهم الرسل بإعمال الوسائلِ واتِّخاذِ الأسبابِ الموصلةِ إلى مقاصد الدعوة، فقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[1]، وقال: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ**﴾[2].

وعلينا أن نعلم أنَّ جميعَ ما في الكونِ من أشياء لا تنفكُّ عن ثلاثةِ أمور:

١- مقاصد؛ وهي الأمور التي يُهْدَفُ إليها من وراء الأفعال.

٢- ووسائل؛ وهي الأمور التي يُتَوَصَّلُ بها إلى المقاصد.

٣- وتوابع؛ وهي الأساليب والأنشطة المكملة للوسائل المتممة لها..

والدعوة إلى الله والعمل لدينه من ضمن هذه الأشياء المتضمنة لهذه الأمور فهي: مقاصد، ووسائل، وتوابع هي الأساليب والأنشطة، فكان لابد من الحديث عن الوسائل الدعوية وأساليب القيام بها، والأنشطة التي تستدعيها، لإتقان العمل وتحسينه بعد أن تم تناولها في القسم الأول (المفهوم والمصطلحات والأعمال الدعوية في الشرائح الاجتماعية، والميادين والواجهات المجتمعية: المفهوم والعرض التأصيلي

(١) سورة المائدة: الآية (٣٥).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٦٠).

والضوابط والفوائد والثمار)، في الأجزاء الأربعة السابقة باعتبارها جزء من هذا البحث خصصناه بهذا القسم.

ويحسن بين يدي هذا البحث في هذه المقدمة للقسم الثاني تناول مفهوم الوسائل والأساليب والأنشطة في مجال العمل الدعوي، وبيان حكمها، وضرورة القيام بها في العمل الدعوي بوجه عام، والضوابط العامة، وفوائد وثمار ذلك، ثم الشروع بعد ذلك في التفاصيل حسب ترتيب الخطة.

١- مفهوم الوسائل في العمل الدعوي:

أ- الوسائل لغة:

جمع وسيلة، وتجمع على وسيل. يقال: وسَّلَ فلانٌ إلى ربِّه وسيلَةً، وتوسَّلَ إليه بوسيلة، أي تقرّب إليه بعمل. فالوسيلةُ إذا: ما يُتقرّبُ به إلى الغير. وهي: السبب الموصل إلى المقصود، أو المعين على ذلك. وهي متضمنة لمعنى الرغبة، قال تعالى: ﴿وَابْتَغُواْ إِلَيْهِ الْوَسِيْلَةَ﴾[١]، كما أنها تأتي بمعنى: الدَّرَجة. والوَسِيلة: القُرْبة[٢].هذا هو أهم المدلول اللغوي لمعنى الوسيلة التي تجمع على وسائل.

ب- الوسيلة في الاصطلاح:

أما في اصطلاح الدعاة فهي: الأداة، أو السبب، أو الطريقة التي يستعان بها على تبليغ الدعوة.

---

(١) سورة المائدة: الآية (٣٥).

(٢) انظر: [لسان العرب ، مادة وسل ٧٢٤/١١].

ويعرفها البعض بأنها: الأمورُ الحسيّةُ والمعنويّةُ التي يُتوصَّل بها إلى تبليغِ الإسلامِ إلى المدعوين. أو ما يتوصل به الداعية إلى الله إلى دعوة المدعوين .

والوسيلة نوعان: مادية: تتكون من المادة: كالحديد، والورق، والتراب، وغيرها، مثل مكبر الصوت، والمنبر، والشريط، وما شابه ذلك.

وعملية (فعل) وهي طريقة متبعة مخصوصة بالبيان والتعليم والبلاغ وغير ذلك: كالدرس، والمحاورة، والمناظرة، والدورة العلمية، وما شابه ذلك(١).

وهي تشترك مع الأسلوب في هذا المعنى. في جانب التحسين. غير أن إفرادها هاهنا، يُبين المقصود، ويُوضح المسلك الدعوي.

٢- مفهوم الأساليب في العمل الدعوي:

أ- **الأساليب في اللغة**: الأساليب جمع أسلوب: الطريق. يقول ابن منظور: كل طريق ممتد فهو أسلوب، فالأسلوب: الطريق والوجه والمذهب، والأسلوب الطريق تأخذ منه، والأسلوب الفن، يقال أخذ فلان في أساليب من القول، أي في أفانين منه(٢).

ب – **الأساليب في الاصطلاح**: نظراً لعموم المعنى اللغوي للأسلوب، فمن الصعب تحديد مصطلح عام يشمل جميع الفنون والتخصصات، خاصة في العمل الدعوي. وبما أن ما يتعلق بموضوع هذه الدراسة هو جانب الدعوة إلى الله تعالى؛

(١) انظر منهج الدعوة:٢٠٦/١.

(٢) انظر: [لسان العرب: ابن منظور ٤٧٣/١].

سيكون التعريف خاصاً بالأسلوب الدعوي، ومع تعدد التعاريف أختار منها هذا التعريف: «مجموعة الطرق أو الكيفيات أو الفنون القولية والعملية التي يسلكها الداعية للوسائل في سبيل تبليغ دعوته، للعبور إلى قلب المدعو للتأثير عليه وإقناعه بما يدعو إليه، ليصل بذلك نحو الأهداف الدعوية التي يصبو إلى تحقيقها. قال الله تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾[1]، وعلى هذا ينسجم معنى الأسلوب الاصطلاحي مع معناه اللغوي . والأسلوب الحسن هو أحد العوامل الحساسة- بل من أهمها- التي توفر على الداعية الوقت و الجهد، وتصل به إلى الغاية المطلوبة بأقل التكاليف وأبرها .

٣- مفهوم الأنشطة في العمل الدعوي:

أ - النشاط لغة:

النَّشاطُ ضدّ الكَسَلِ يكون ذلك في الإِنسان والدابة، ونَشِط الإِنسان يَنْشَط نَشاطاً فهو نَشِيط طيّب النفْس للعمل، والنعت ناشِطٌ. وتَنَشَّط لأَمر كذا، وفي حديث عُبادَة «بايَعْتُ رسول اللهّ صلّى اللهّ عليه وسلّم على المَنْشَطِ والمَكْره»، والمَنْشَطُ مَفْعَل من النَّشاط وهو الأَمر الذي تنْشَط له وتَخِفُّ إِليه وتُؤْثر فعله، وفي الحديث:

(١) سورة الزمر: الآية (٢٣).

«تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل»[1]. الذي لا يبعد في تعريفاته عن المفهوم اللغوي اللهم ما يضاف إليه من بعض القيود والتقسيمات التي يقتضيها المجال الذي يقام فيه النشاط.

ب – النشاط اصطلاحا:

ومن هذا المدلول اللغوي يتضح المفهوم الاصطلاحي العام بأنه: عدم التّغافل عمّا لا ينبغي التّغافل عنه أو عدم التّثاقل عمّا لا ينبغي التّثاقل عنه.

ج – النشاط الدعوي:

يعرف النشاط دعويا بأنه: برامج عملية متنوعة مؤثرة تستهوي المستهدف بالعمل الدعوي وتجذبه إليها فينطلق في القيام بها بسرعة وإيثار، ونفس راضية، بغية تحقيق الهدف الدعوي على وجه حسن.

٤- حكم الوسائل والأساليب والأنشطة في العمل الدعوي:

هناك قاعدة مشهورة بين أهل العلم (الأصل في الأشياء الإباحة) والوسائل والأساليب والأنشطة الدعوية أشياء، فكيف بها وهي أشياءٌ الكثير منها منصوص على الأمر بها والدعوة إلى القيام بها في القرآن والسنة، وأخرى شملتها الأدلة الأصولية وقواعدها، بل يكاد الأمر بالقيام بها عند كل تكليف دعوي أنيط بالمسلم، إذ أنه لا يمكن أن يؤدى أي تكليف إلا بوسيلة، ولا تتحقق جودة أداء التكليف إلا

(١) انظر لسان العرب:٧/٤١٣.

إذ صاحب الوسيلة الأسلوب الحسن، ولا يكون كامل الأجر والثواب إلا إذا أداه المكلف بفاعلية ونشاط حقق به المقصود والهدف الدعوي.

والوسائل والأساليب والأنشطة الدعوية كما أنها مشمولة في هاتين القاعدتين: (الأصل في الأشياء الإباحة)، و(جلب المصلحة ودرأ المفسدة)، فإن الأدلة قبل ذلك في الكتاب والسنة صريحة فيها، من ذلك على سبيل المثال قوله تعالى في باب وسائل وأساليب وأنشطة الجهاد: ﴿ **وَأَعِدّواْ لَهُمْ مّا اسْتَطَعْتُمْ مّن قُوّةٍ وَمِن رّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾(١)، فعدة الحرب المتنوعة والتدرب عليها وحسن استخدامها والتفاعل معها بقوة تعدّ من الوسائل، والأساليب الجهادية، وإطلاق الأمر، وعدم تقييده بوصف، يدل على الإباحة المطلقة، ما لم يرد دليل يستثني، أو يحرم، ولو لم تكن الوسائل والأساليب، في هذا الحكم، لما جاز صنع سلاح والتدرب عليه إلا بدليل شرعي خاص به. وكفى بهذا دليلاً على ذلك.

وقوله ﷺ «الخيل لثلاثة؛ لرجل أجر، ولرجل ستر، ولرجل وزر.. » الحديث(٢). ولا شك؛ أن الخيل ليست طريقة - حسب التعريف السابق - ولا غاية، بل هي وسيلة من الوسائل، وقد علق الحديث حكمها بنية صاحبها وغايته، مما يدل على أن الأصل فيها الإباحة، وأن حكم الوسائل حكم غاياتها، كما قعده الفقهاء،

(١) سورة الأنفال: الآية (٦٠).

(٢) صحيح البخاري:١٧٥/٩.

وبناء على ذلك فإنا لا نجد أي تحديد للوسائل والأساليب والأنشطة الدعوية، وإنما ضبطت بضوابط سيأتي الحديث عنها قريبا، فمن أتى إلى وسيلة أو أسلوب أو نشاط دعوي وقال: هذا محرم؛ لأنها لم توجد في القرآن ولا عند الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لم يصب؛ وقد جدت وسائل جعلها السلف من لوازم الطريق، واستخدموها واستغلوها فيما يرضي الله عز وجل: كالكتابة للعلم فإنها أتت متأخرة، وبعضهم كان يخالف في كتابة العلم، وتدوين الدواوين، وتجنيد الجنود، وترجمة الكتب، وبناء القناطر، وفتح الطرق، وتوسيع الجوامع كما في العهد الأموي، إلى غير ذلك مما جد ولم يكن في القرآن ولا في عهد رسول الله ﷺ، ولكن أجازه العلماء لأن فيه مصلحة؛ والمصلحة حدها: أن تكون حلالاً في شرع الله، وكثير من الوسائل مباحة، ولو استغلت استغلالاً جميلاً لكان فيها نصرة للإسلام وتوسيع لدائرته في الأرض. فكيف وقد علم أن الإسلام حث على استخدام الوسائل والأساليب، مع أن الأصل في الوسائل والأساليب الإباحة، فإن الإسلام حث على استخدامها، ورغب فيها، بل أمر أحياناً ببعضها، وجعل لصاحبها بها أجراً، وحذر من التهاون فيما فيه حاجة، أو مصلحة. ويكفي دليلاً في هذا الجانب، إنزال الكتب على الأنبياء، وأمر العباد بحفظها، ونشرها بين الناس، وشهرة هذا الأمر، يغني عن ذكر أدلته.

ومع ذلك: فأن أول آيات نزلت، ذكرت وسيلة من أعظم وسائل الدعوة إلى الله، وهي: القلم، قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ**﴾[1]،

---

(١) سورة العلق: الآيتان (٣-٤).

وأقسم الله عز وجل بالحبر والقلم والكتابة، فقال: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[1]، وهذه كلها وسائل دعوية عظيمة.

وقال تعالى: ﴿وَعَلَىَ كُلّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلّ فَجّ عَميقٍ﴾[2].

والضامر: هو الدابة المجهزة للسفر[3]. ففي هذا؛ إشارة واضحة إلى تجهيز الوسيلة، والاهتمام بها.

بل جعل عليها أجراً، كما سبق بيانه في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: « قيدوا العلم بالكتاب» [4]، وفي رواية: «بالكتابة». وقال: «من علم الرمي ثم تركه، فليس منا، أو قد عصى» [5]. إلى غير ذلك؛ من أقوال النبي وأفعاله التي تحث على استخدام الوسائل.

الوسائل والأساليب عند الأنبياء:

وتجدر الإشارة في موكب سرد الاستدلالات على مشروعية الوسائل والأساليب الدعوية وأنشطتها التنويه إلى الاستخدام العملي للوسائل والأساليب الدعوية عند الأنبياء حيث لم يكتف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالحث على العمل بالوسائل والأساليب الدعوية بل قاموا بأنفسهم بالقيام بذلك في الميادين

---

(١) سورة القلم: الآية (١).

(٢) سورة الحج: الآية (٢٧).

(٣) اللسان، الوسيط مادة : (ضمر) .

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٧٠٠)، والقضاعي في مسند الشهاب (٦٣٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢/١): رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٥) ٣٨٩ رواه مسلم (١٩١٩) .

الدعوي بكافة أنواعها، وعلى مختلف أشكالها في دعواتهم، وفي عباداتهم. ومن ذلك؛ المعجزات المادية: كعصى موسى، وناقة صالح، وقصر أو صرح سليمان، وإحضار عرش بلقيس. وسفينة نوح، والقُدّوم لأداء شعيرة من شعائر الدين، - وهو الختان - . فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «اختتن إبراهيم عليه السلام، وهو ابن ثمانين سنة بالقَدوم»[1].

وأما رسول الله محمد -صلى الله عليه وسلم- فالأحاديث عنه في هذا أكثر، والأخبار أطيب. وهي التي سنتناولها بالتفصيل فيما سيأتي.

وفي ضوء هذا التقديم يمكن القول: أن: الوسائل والأساليب والأنشطة الدَّعويَّةُ تقسم إلى أربعة أقسام:

الأول: وسائلُ وأساليب وأنشطة دعويَّةٌ معتبرةٌ شرعاً: وهي الوسائلُ والأساليب والأنشطة الدَّعويَّةُ التي ورد نصٌّ شرعيٌّ خاصٌّ باعتبارها؛ كخطبةِ الجمعة، والتعليمِ في المساجد، والوعظ، والذكرى، والنصيحة، والبصيرة، والحكمة إلى غير ذلك. فهذه الوسائلُ والأساليب والأنشطة الدَّعويَّةُ حث عليه الرسول -صلى الله عليه وسلم- وقام بها والأَمَّةُ من بعده.

ثانيا: وسائل وأساليب وأنشطة دلت عليها الأدلة الفرعية واقتضتها المصلحة: كالكتابة للمصحف، والتدوين للحديث، والمدارس، والجمعيات الخيرية المهتمة

---

(١) ٩٠ رواه البخاري (٦٢٩٨،٣٣٥٦)، ومسلم (٢٣٧٠)، والقدوم. بتخفيف الدال وتشديدها. آلة للنجار يقطع بها الخشب، راجع النهاية مادة(ق د م).

بالدعوة، والوسائل الإعلامية المعاصرة المهتمة بالدعوة والتعليم والقرآن وخدمة الإسلام ونحو ذلك.

ثالثا: وسائل وأساليب وأنشطة دعويَّةٌ ملغاةٌ شرعاً: وهي الوسائلُ والأساليب والأنشطة الدَّعويَّةُ التي ورد نصٌّ شرعيٌّ خاصٌّ بإلغائها؛ كالكذبِ في الدَّعوة، والكلام في أعراض الناس بحجة التعريف بالعاصي حتى لا يقتدى به، والنكث في العقود والعهود ونحو ذلك.

رابعا: وسائلُ وأساليب وأنشطة دعويَّةٌ مسكوت عنها: وهي الوسائلُ والأساليب والأنشطة الدَّعويَّةُ التي لم يرد نصٌّ شرعيٌّ خاصٌّ باعتبارها أو إلغائها وهي أكثر الوسائل والأساليب والأنشطة الدَّعويَّة التي يستعملها الدُّعاة في عصرنا. وهي التي تتناولها قاعدة «الأصل في الأشياء الإباحة»، وقد تعددت الوسائل والأساليب والأنشطة الدَّعويَّةُ في هذا الزمن، وكثرتْ وتنوعتْ حتَّى أصبح تصنيفُها وحصرها مما يصعب لكثرتها .

وهذا التنوعُ في الوسائلِ والأساليب والأنشطة جعلها محطَّ اهتمام العقلاء، وأصبح التعامل معها انتفاعاً ودفعاً وتحذيراً أمراً لا مناص منه ولا محيد عنه، لذا كان لزاماً على الداعيةِ إلى الله تعالى أن يتعرف عليها، وينتفع بما يمكنه الانتفاعُ به منها، ويدفعَ ما يمكنه دفعه، وهذا الموقف منه دليل وعي وإدراكٍ وفطنة. قال الله تعالى: ﴿**يَآأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَابْتَغُواْ إِلَيْهِ الْوَسِيْلَةَ**﴾[1].

---

(١) سورة المائدة: الآية (٣٥).

والدُّعاةُ إلى الله تعالى أولى النَّاسِ انتفاعاً بالوسائلِ والأساليب والأنشطة الدَّعويّة، لكونهم أعلمَ النّاسِ بضرورةِ التمشي مع سننِ الله تعالى الكونيّة، حيث جعل اللهُ تعالى الهدايةَ -أعني هدايةَ الدَّلالة- متوقفةً على تبليغِ الدُّعاةِ لدينه، والتبليغُ لا يكون إلاّ من خلالِ الوسائل والأساليب والأنشطة، وما لا يتم الواجبُ إلاّ به فهو واجب والله الموفق.

٥- ضوابط الوسائل والأساليب والأنشطة الدعوية:

إن لوسائل الدعوة إلى الله تعالى وأساليبها وأنشطتها ضوابط يلزم العاملين في حقل الدعوة التقيد بها حتى لا ينحرف العمل الدعوي عن نصوص وقواعد الشرع، ولا يُتجاوز في استعمالها، فتصبح محرمة، ولا يخرج بها عن المقاصد والأهداف التي وضعت للعمل الدعوي المراد تحقيقها . من هذه الضوابط:

الضابط الأول: الانضباط بأحكام الشرع: أي يشترط أن تكون الوسائل والأساليب والأنشطة الدعوية مأخوذة من نصوص الكتاب والسنة، أو مستنبطة منهما عن طريق المصادر الشرعية الأخرى مثل: الاجتهاد، القياس، الاستحسان، المصالح المرسلة، أو داخلة في القواعد العامة السابق ذكرها أو مسكوت عنها. ومعنى ذلك ألا يستخدم الداعية الوسائل والأساليب والأنشطة المحذورة شرعا بنصوص صحيحة صريحة .

الضابط الثاني: ألا يؤدي استعمالها من أجل مصلحة إلى الوقوع في مفسدة أعظم: أي بحيث لا تترتب مفسدة على استخدام الوسيلة أو الأسلوب أو النشاط

أكثر من المصلحة التي كان يجب أن تحققها، لأنه قد تكون الوسيلة أو الأسلوب أو النشاط ممتازا، ولكن استخدامها يترتب عليه مفسدة، فعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1]، فالوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها. كما يقول السعدي رحمه الله، وقل كذلك في الأساليب والأنشطة.

الضابط الثالث: مراعاة الأولويات: يجب على الداعية أن يراعي الأولويات في استخدامه الوسيلة والأسلوب والنشاط، ومراتب الوسائل والأساليب والأنشطة تابعة لمراتب مصالحها، فالوسيلة والأسلوب والنشاط إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل والأساليب والأنشطة، والوسيلة والأسلوب والنشاط إلى أرذل المقاصد هي أرذل الوسائل والأساليب والأنشطة، ثم تترتب الوسائل والأساليب والأنشطة بترتيب المصالح والمفاسد، فمن وفَّقه الله للوقوف على ترتيب المصالح عرف فاضلها من مفضولها ومقدمها ومؤخرها .

الضابط الرابع: التدرج في استخدام الوسائل والأساليب والأنشطة، وهو التقدم شيئاً والصعود درجة درجة، ومعناه: أن يتدرج الداعي بدعوته شيئاً فشيئاً، كما قال تعالى: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾[2].

وقد استخدم رسول الله في الوسائل والأساليب والأنشطة الدعوية، التدرج فمن البيان العام للدعوة، إلى الهجرة، إلى السرايا، إلى الغزوات، إلى الكتب، والرسل،

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٠٨).

(٢) سورة الإسراء: الآية (١٠٦).

إلى الوفود، إلى البعوث، إلى انطلاق الجهاد في ربوع الدنيا .

الضابط الخامس: ألاَّ تكون الوسيلة أو الأسلوب شعار الكفار، مثل البوق والناقوس لليهود والنصارى، وذلك لنهي رسول الله: « ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى - الحديث»[١]، وقوله: «من تشبه بقوم فهو منهم»[٢]، وقوله: «ليس منا من عمل بسنة غيرنا»[٣]، وهذا الضابط في الوسائل والأساليب والأنشطة الدعوية لنا فيه أسوة بالنبي في قصة بداية الأذان على سبيل المثال، حيث إنه وسيلة لإظهار شعار الإسلام وكلمة التوحيد، والإعلام بدخول وقت الصلاة ومكانها، والدعوة إلى الجماعة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون، فيتحينون الصلوات، وليس ينادي بها أحد، فتكلموا يوماً في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقاً مثل قرن اليهود، فقال عمر: أَوَلا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله: «يا بلال، قم فنادي بالصلاة»[٤]، فالرسول لم يأخذ بوسيلة من شعار الكفار للإعلام بشعيرة من أعظم شعائر الإسلام وهي الصلاة، لأن في ذلك تشبهاً بهم، والإسلام جاء ليتميز عن الأديان الأخرى في العقائد والعبادات .

الضابط السادس: الأصل جواز استعمال الوسائل، والأساليب، والأنشطة، وعدم منعها، إلا إذا ورد نهي عنها، أو ترتب على استعمالها مفسدة.

---

(١) جامع الترمذي:٣٣٥/٤.

(٢) سنن أبي داوود: ٤٤١/٤٢.

(٣) المعجم الكبير للطبراني :٩/ ٣٥٦ .

(٤) صحيح البخاري: ١/ ١٥٧.

الضابط السابع: يتأكد استعمال الوسيلة عند ورود نص يحث عليها، أو عندما يُفوّت بتركها مصلحة، أو يجلب مفسدة، فحينئذ لا ينبغي التخلف عنها. كإعداد القوة للقتال، ووجود فضائية للدعوة، فأما الأول: فقد ورد فيه النص، وأما الثاني: فتتحقق بإدارتها باعتبار الضوابط التي نتحدث عنها مصالح، ولا يترتب على ذلك أدنى مفسدة .

الضابط الثامن: أن لا يُتجاوز في الوسيلة والأسلوب والنشاط مهمتها، حتى لا تصبح الوسيلة أو الأسلوب، أو النشاط، غاية في ذاتها، إذ غايتها إعانة الناس. فالمنارة في المسجد- مثلاً - وسيلة، مهمتها توسيع رقعة الأذان، وكيفية بنائها بطريقة مؤثرة أسلوب، وممارسة الأذان بطريقة شيقة وترانيم جاذبة ومؤثرة نشاط، ويمكن أن تكون وسيلة للدلالة على المسجد، فلا يجوز بناءها بحجم كبير، وزخرفتها زخرفة بالغة تخرج بذلك عن كونها وسيلة لرفع الأذان، أو للدلالة على المسجد، فتصبح غاية في نفسها، يتباهى بها أصحابها.

الضابط التاسع: جواز استعمال الوسيلة التي حرمت سداً للذريعة، عند تحقق المصلحة، وعلى قدر الحاجة، وأن لا يترتب عليها المفسدة التي حرمت لأجلها.

فمثلاً: النظر إلى النساء محرم سداً لباب ذريعة الفاحشة، ومع ذلك فقد أباح الشرع النظر إلى المخطوبة، لتحقق مصلحة راجحة، ولانتفاء تحصيل مفسدة الفاحشة. قال ابن تيمية: النهي إذا كان لسد الذريعة، أبيح للمصلحة الراجحة.

فعلى الداعية أن يتجنب في دعوته أي وسيلة أو أسلوب أو نشاط يعد شعاراً من خصائص الكفار مهما كان نوعها، هذا في الأمور العقدية وشعائر العبادات.

أما ما عدى ذلك من العادات وغيرها فما وافق الشرع أخذ به، وما خالفه تركه، ولا نحتاج إلى نصٍّ خاصٍّ بها والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها.؛ كالمخيماتِ، والمعارضِ، والدوراتِ العلميّةِ، والمحاضراتِ، والأناشيد والأشرطةِ، والإذاعة. والكاسيتكات والفلاشات والوسائل الإلكترونية وغيرها.

الضابط العاشر: عدم التقصير في استخدام الوسائل والأساليب المباحة والمتنوعة، والنافعة، طاعة لله ولرسوله، وخدمة لدينه، ونشراً لدعوته.

الضابط الحادي عشر: أن تكون الوسيلة مناسبة لزمانه، ومكانه، وللمدعوين.

من المهم للداعية؛ أن تكون الوسيلة مما يتناسب وزمانه، ويتواءم ومكانه، ويتواكب وثقافة المدعوين، فلا يستخدم وسيلة فوق مداركهم، ولا دونها ولا مالا يناسب بيئتهم.

الضابط الثاني عشر: أن تكون بسيطة واقعية، غير متكلف فيها، وإلا انقلبت إلى غاية. كما ينبغي أن لا يغادر ذهن الداعية: أن الوسيلة هي وسيلة، وليست غاية.. وأنها لأداء دور لا تتعداه، لا أن تصل إلى منهج الدعوة، أو تؤثر في مضامين التبليغ، أو تشغله عن الدعوة. لذلك لا ينبغي التكلف بها، حتى لا تشغل عن المقصود، وأن تكون بسيطة التركيب، ومن واقع البيئة، فقد استعمل رسول الله -ﷺ- الرمل والحصى، والجدي، والخشب، كل هذه وسائل من بيئته لم يتكلف في صنعها.. ولم يقصر في استخدامها، فمثلاً لا تزخرف اللوحات الدعوية، ويتفنن في خطها إلى

درجة لا تكاد تقرأ. وكذلك؛ التمثيليات المشروعة، فإن المقصود منها توضيح المقصود الديني، وزيادة ترسيخه في الأذهان[1].

والخلاصة: أن الوسائل والأساليب والأنشطة الدعوية ليست توقيفية بالكلية، ولا اجتهادية على الإطلاق، وإنما فيها ما هو توقيفي وهو المنصوص في الكتاب والسنة، ومنها ما هو اجتهادي، ولكنه مضبوط بضوابط الشرع .

بعد هذا العرض الموجز عن التعريفات والبيان عن الضوابط والحكم المقتضي لها في هذه المقدمة نعود إلى خطة البحث والتي رتبناها في مقدمة وفصلين:

المقدمة: مفهوم الوسيلة والأسلوب والنشاط وحكم القيام بها. وضوابطها وخطة البحث.

الفصل الأول: الوسائل والأساليب والأنشطة القولية وما في حكمها وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: وسائل وأساليب الخطاب الدعوي وأنشطتها. وفيه سبعة مطالب.

المطلب الأول: وسيلة النداء وأسلوبه وأنشطته.

المطلب الثاني: وسيلة الدعوة بلغة القوم وأساليبها وأنشطتها

المطلب الثالث: وسيلة البلاغ المبين وأسلوبه ونشاطه.

المطلب الرابع: وسيلة التلاوة، وأسلوبها وأنشطتها.

---

(١) فضائل الصحابة (٤٦٤)، وفي العلل ومعرفة الرجال (١٩٨٠)، والسنن الكبرى للبيهقي(٦/٣٤٩-٣٥٠).

المطلب الخامس: وسيلة الأذان وأسلوبه ونشاطه.

المطلب السادس: وسيلة الذكرى والتذكير، وأسلوبه، وأنشطته.

المطلب السابع: وسيلة الموعظة وأسلوبها ونشاطها .

المبحث الثاني: وسائل وأساليب وأنشطة خطاب إظهار قوة الحق وفيه خمسة مطالب.

المطلب الأول: وسيلة الصدع بالحق، وأسلوبه وأنشطته.

المطلب الثاني: وسيلة النصح والنصيحة، وأسلوبه وأنشطته.

المطلب الثالث: وسيلة الترغيب والترهيب وأساليبه وأنشطته.

المطلب الرابع: وسيلة عرض العبر والعظات (الآيات الكونية) وأسلوبه ونشاطه.

المطلب الخامس: وسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأساليبه وأنشطته.

المبحث الثالث: وسائل وأساليب وأنشطة إقامة الحجة وإظهار البينات وفيه ستة مطالب

المطلب الأول: وسيلة المجادلة والمحاجة والحوار وأسلوبه ونشاطه.

المطلب الثاني: وسيلة القصص وأسلوبه ونشاطه.

المطلب الثالث: وسيلة ضرب الأمثلة وأسلوبها ونشاطها.

المطلب الرابع: وسيلة الحكمة وأسلوبها ونشاطها.

المطلب الخامس: وسيلة البصيرة وأسلوبها وأنشطتها.

المطلب الثالث: وسيلة العمل الخيري وأساليبه وأنشطته.

المطلب الرابع: وسيلة السفر والهجرة وأساليبها وأنشطتها.

المبحث الرابع: وسائل وأساليب وأنشطة القوة والإلزام بالحق وفيه أربعة مطالب

االمطلب الأول: وسيلة إعداد العدة والاستعداد وأساليبها وأنشطتها.

المطلب الثاني: وسيلة القتال وأساليبه وأنشطته.

المطلب الثالث: وسيلة السلطان وأساليبه وأنشطته.

المطلب الرابع: وسيلة التغيير وأساليبه وأنشطته.

الخاتمة: نتائج البحث

هذه هي خطة البحث وهذا أوان الشروع في الكتابة، أسأل الله العون والتوفيق والسداد.



الفصل الأول

الوسائل والأساليب والأنشطة القولية وما في حكمها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وسائل وأساليب الخطاب العام الدعوي وأنشطته وفيه سبعة مطالب.

المبحث الثاني: وسائل وأساليب وأنشطة خطاب إظهار قوة الحق وفيه تمهيد وستة مطالب.

المبحث الثالث: وسائل وأساليب وأنشطة إقامة الحجة وإظهار البينات وفيه ستة مطالب



وسائل وأساليب الخطاب العام الدعوي وأنشطته

وفيه تمهيد وسبعة مطالب:

المطلب الأول: وسيلة وأسلوب وأنشطة النداء

المطلب الثاني: وسيلة الدعوة بلغة القوم وأساليبها

المطلب الثالث: وسيلة البلاغ وأسلوبه ونشاطه

المطلب الرابع: وسيلة التلاوة، وأسلوبه ونشاطها

المطلب الخامس: وسيلة الأذان وأسلوبه ونشاطه

المطلب السادس: وسيلة الذكرى والتذكير،وأسلوبها ونشاطها.

المطلب السابع: وسيلة الموعظة وأسلوبها ونشاطها

تمهيد:

الخطاب الدعوي في تاريخ الرسالات وسيلة وأسلوبا ونشاطا جاء عرضه في القرآن بطرق متعددة وصيغ متنوعة وبأسلوب القرآن المعجز، وبيان الرسول المتقن الذي لا يحتاج بعده إلى بيان، مشتملا هذا العرض على القول تارة، والعمل والتطبيق تارة أخرى، جسد هذا العرض دعوات الرسل في أقوامهم الخاصة، ودعوة الرسول محمد الخاتم العامة، هذا الخطاب الدعوي هو الذي ستركز عليه هذه الدراسة في هذا الفصل، حيث سيقصر الكلام على الخطاب القولي: وسائله، وأساليبه، وأنشطته، متناولا في الوسيلة الخطابية: المفهوم، والعرض، والضابط، والثمار والفوائد.

وفي هذا التمهيد أتناول مفهوم الخطاب الدعوي القرآني القولي الموجه إلى الناس كافة ولمختلف أصنافهم ومعتقداتهم وأفكارهم من دهري ومشرك وأهل كتاب ومنافقين ومؤمن وعاصي ومطيع إلى غير ذلك، وكيف استوعبهم بوسائل الخطاب القولي وأساليبه، فنجد القرآن قد خاطب هذه الأصناف كلها كلاً حسب إيمانه، وكلاً بما يناسب تفكيره ومعتقده.

فخاطب الدهريين: بإثبات وجود الخالق، فقال تعالى: ﴿**أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيىءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُون**﴾[1]، وحاجَّ إبراهيمُ عليه السلام الدهريَّ بقوله: ﴿**فَإِنّ اللّهَ يَأْتِي بِالشّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظّالِمِينَ**﴾[2].

---

(١) سورة الطور: الآية (٣٥).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٥٨).

وخاطب القرآن المشركين بما يناسبهم في عقائدهم. فقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[3].

وخاطب أهل الكتاب بما يناسبهم، ومعتقداتهم، وما يقرون به من توحيد الربوبية، وإيمانهم ببعض الرسل، والكتب، فقال لهم سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[4]، فانظر كيف أمرهم باتباع ما يعتقدون صحته، ولم يأمرهم مباشرة في هذه الآية باتباع القرآن، لأن اتباعهم للتوراة الصحيحة سيجعلهم يؤمنون بالقرآن.

وخاطب العُصاة المسلمين بما يتناسب وإيمانهم، وتسليمهم لأمر ربهم، فتارة يُخاطبهم بما في قلوبهم من إيمان فيقول: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُواْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾[5] الآية. ويقول: ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ

(١) سورة العنكبوت: الآية (٦١).

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٩٤).

(٣) سورة النحل: الآيتان (٢٠-٢١).

(٤) سورة آل عمران: الآية (٦٤).

(٥) سورة الحديد: الآية (١٦).

بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[1]، وتارة يُخاطبهم بالترهيب كقوله تعالى: ﴿يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرّبَا إِن كُنْتُمْ مّؤْمِنِينَ * فَإِن لّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ..﴾[2] الآية. وقوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ اللّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُمْ مّؤْمِنِينَ﴾[3]، ولما حرَّم الله الخمر، ختم ذلك بقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مّنتَهُونَ﴾[4].

وخاطبهم بالترغيب بقوله سبحانه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىَ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رّحْمَةِ اللّهِ إِنّ اللّهَ يَغْفِرُ الذّنُوبَ جَمِيعاً إِنّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرّحِيمُ﴾[5]، وتارة يجمع سبحانه بين الترغيب والترهيب في نص واحد. كما في قوله: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا* يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا* إِلا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾[6].

كما خاطب عموم الناس بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى...﴾[7]، ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ...﴾[8].

---

(١) سورة الطلاق: الآية (٢).
(٢) سورة البقرة: الآية (٢٧٨).
(٣) سورة النور: الآية (١٧).
(٤) سورة المائدة: الآية (٩١).
(٥) سورة الزمر: الآية (٥٣).
(٦) سورة الحجر: الآيتان (٤٩-٥٠).
(٧) سورة الحجرات: الآية (١٣).
(٨) سورة الأعراف: الآية (٣١).

وقد اتصف هذا الخطاب بوضوح الدلالة: قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[1]، وبقوة الحجة: قال تعالى: ﴿ قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾[2]، الشامل لجميع عناصر الرسالة بالتبليغ: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾[3]، قال القرطبي: قال ابن عباس: المعنى بلّغ جميع ما أنزل إليك من ربك، فإن كتمت شيئاً منه فما بلغت رسالته، وهذا تأديب للنبي ﷺ، وتأديب حملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئاً من أمر شريعته[4]، وشمول البلاغ جميع المخاطبين: قال تعالى: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ.. ﴾[5]. قال ابن كثير: يقول تعالى هذا القرآن بلاغ للناس كقوله: ﴿ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ... ﴾[6]، أي هو بلاغ لجميع الخلق من إنس وجن بمختلف صيغ القول وأنواعه وتعبيراته بأساليب متعددة ومتنوعة راقية وأنشطة متقنة تحقق الإقناع للمهتدي وتجلي الحقائق لأولي الألباب، وتقيم الحجة على المكابر المعاند.

وهذا الخطاب الشمولي لدعوة الإسلام هو الذي جعل الخطاب الدعوي متميزا، فهو حقيقة تعبيرٌ عن الإسلام في شَتَّى جوانبه الحيويَّة؛ لذلك كانت سِماتُهُ

---

(١) سورة الشعراء: الآية (١٩٥).

(٢) سورة إبراهيم: الآية (١٠).

(٣) سورة المائدة: الآية (٦٧).

(٤) [تفسير القرطبي: ٦/٢٤٢]

(٥) سورة إبراهيم: الآية (٥٢).

(٦) سورة الأنعام: الآية (١٩).

مُعَبِّرَةً تعبيراً دقيقاً عن الإسلام عِلماً وعملاً، وهو محيطٌ إحاطةً كاملةً بالمجتمع حوله.

وحتى يكون الخطاب الدَّعويّ مؤثرا ومقنعا ومقيما للحجة فلا بد من وجود حذق عند القائمين به ببعض اللُّغات لمخاطبة النّاس بألسنتهم، فالأنبياء ـ عليهم السَّلام ـ أُرْسِلوا إلى أقوامِهم بألسنتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1]، كما كانوا مُختصِّين بأحوال أممهم حتى يستطيعوا أن يحققوا فيهم الصلاح والإصلاح وقد جاءت بعض الآيات مشيرة إلى أن بعض الرسل كان له هذا الاختصاص:

فنبي الله لوط -عليه السلام-؛ جاء ذا اختصاص اجتماعي للأخلاق والسُّلوك قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[2].

ونبي الله موسى- عليه السلام -؛ جاء ذا اختصاص سياسي قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[3].

(١) سورة إبراهيم: الآية (٤).

(٢) سورة الأعراف: الآيات (٨٠-٨٢).

(٣) سورة الأعراف: الآيات (١٠٣-١٠٥).

ونبي الله شُعيب – عليه السلام – ؛ جاء ذا اختصاص اقتصادي قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

وهكذا كان بقية الرسل لهم اختصاص إلى أن جاء نبينا محمَّدٌ ﷺ وخاطب النَّاس بالرّسالة الخاتمة الشَّاملة الجامعة لِكُلِّ معاني الحياة، فكانت بلسماً شافياً لكل أمراض المجتمع وعِلله، ومُنقِذاً للأُمَّة من براثن الشِّرك والضَّلال إلى حياض الإسلام المُتْرَعة بالخير العميم، والمُفعمة بأمري الدُّنيا والآخرة.

جاءت الرسالة الخاتمة مُستخدمةً الوسائل والأساليب المختلفة من حوار، وجدال؛ وقصّة تحكي تاريخ الأمم الغابرة بقصد الدُّروس والعِبَر والاستفادة من التَّجارب؛ والكشف عن مخازي المتربِّصين بالإسلام مستخدمةً المصطلحات التي أضافت لِلُّغة مفردات مكَّنتها من التَّعبير عن الجوانب المختلفة بواقعيّةٍ تامَّة بعيداً عن الوعود الكاذبة والبرامج السّرابيّة، التي لا تجد لها في الواقع أثراً.

فالخطاب الإسلاميّ يعرض الإسلام في مواعين مناسبة، ويُقْنِعُ النَّاسَ بحيثيات كل موقف حتى يلج الناس إلى الدِّين بقناعة وحُرِّيَّة تامة، وبتعبير لا تنقصه الصَّراحة والوضوح، حتى في أدَقِّ الأمور مثل العقيدة، قال تعالى: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ**

(١) سورة الأعراف: الآية (٨٥).

بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، وفوق هذا وذاك جاء الخطاب الإسلاميّ بمرجعيّات أساسيّة وضّحت الثَّوابت؛ وأفسحت المجال لتفريخ العقل، لتتحقَّق الكُسوب المستفادة من اجتهادات البشر في تفاصيل الحياة ودقائقها .

(١) سورة البقرة: الآية (٢٥٦).

المطلب الأول

وسيلة وأسلوب وأنشطة (النداء) في الخطاب الدعوي

١- مفهوم النداء في العمل الدعوي وتقسيماته:

للنداء مكانة بارزة في اللغة، فله دوره في الحياة البشرية، ووظيفته في التواصل بين الناس إما للحوار بينهم وإما لأغراض أخرى تفهم من السياق .

وافتتاح الكلام بالنداء دليل على الاعتناء بما سيلقى على المخاطب، وكأنه يعد نفسه ويهيئها لتلقي ما يقال له، فهو أهم وسيلة للتخاطب بين الناس، لذلك كان التركيز على هذه الوسيلة الدعوية القرآنية والابتداء بها.

أ- تعريف النداء لغة:

النداء بالضَّمِّ والكسر رفع الصوت وظهوره. وإِيَّاه قَصَدَ بقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ**﴾[1]، إذا المدلول اللغوي يعني: رفع الصوت وظهوره والصياح به، وكذلك يعني الطلب وتوجيه الدعوة بأي بلفظ كان.

ب- معنى النداء اصطلاحا: طلب المتكلم إقبال المخاطب إليه بالحرف «يا» أو إحدى أخواتها «أ- أَيْ - آ - آي - أَيَا - هَيَا - وَا - سواء كان الإقبال حقيقيا، أو مجازيا يقصد به طلب الاستجابة؛ كنداء الله سبحانه وتعالى. أو طلب المتكلم إقبال المخاطب بواسطة أحد حروف النداء ملفوظاً كان حرف النداء أو ملحوظاً[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٧١).

(٢) شرح ابن عقيل ٣/ ٨١٦.

ج- النداء في القرآن وسيلة للعمل الدعوي:

ونداءات القرآن بلغت ما يقرب من مائة وسبعين نداءً، تكفي لسعادة الإنسانية، وهذه النداءات الإلهية تدل على كمال العناية من الله تعالى بالناس وبعباده المؤمنين، وما تركت بابًا من أبواب الخير إلا ودعت إليه، وما تركت بابًا من أبواب الشر إلا وحذرت عنه، وإن نداء الله القوي لعباده المؤمنين جدير بأن يهز القلوب، وانتباههم إلى الاستماع إليه، وتدبر ما فيه وما يلقيه. ولبيان هذا مفصلا نجد أن النداء بـ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) قد ذكر في القرآن الكريم تسعون (٩٠) مرة، والنداء بـ (يا قوم) ذكر سبع وأربعون (٤٧) مرة، والنداء بـ (يا أيها الناس) ذكر عشرون (٢٠) مرة، والنداء بـ (يا بني آدم) خمس (٥) مرات، وكذلك النداء بـ (يا عبادي).

د- خطاب القرآن للنبي بالنداء يؤكد وسيلته الدعوية:

جاء خطاب القرآن للنبي بالنداء في القرآن سبعة عشر مرة، اثنا عشر مرة منها يعقبها أمر بتبليغ الرسالة وما يتعلق بها ،كالحذر من المعوقات مع ذكر أركان هذه الرسالة وصفات المرسل بها، والبيعة عليها. ومرتان يعقبها نهي، ومرة يعقبه استفهام، ولهذا قيل أن النداء في القرآن لا يكاد ينفك عن الأمر أو ما جرى مجراه من الطلب والنهى، لذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله تعالى نداء ينفك عن أمر أو نهى. قال الزمخشري رحمه الله: كل نداء في كتاب الله تعالى يعقبه فهم في الدين، إما من ناحية الأوامر والنواهي التي عقدت بها سعادة الدارين، وإما مواعظ وزواجر

وقصص لهذا المعنى كل ذلك راجع إلى الدين الذي خلق لأجله، وقامت السموات والأرض به، فكان حق هذه أن تدرك بهذه الصيغة البليغة[1].

وهذا هو النداء الذي سنتناوله بالحديث باعتباره الوسيلة الدعوية القولية الهامة المعتمدة في الخطاب الدعوي التي ركز عليها القرآن في مجال الدعوة، ونوع الأساليب لها في الاستخدام الدعوي، وعززها بالأنشطة في المقامات التي يتطلب لها.

٢ـ عرض مفهوم وسيلة وأسلوب ونشاط العمل الدعوي:

النداء وسيلة قرآنية في مجال الخطاب الدعوي القولي، بل يكاد يكون الوسيلة الأم في هذا المجال، يلحظ ذلك في اعتماد النداء وسيلة دعوية قولية ومخاطبته جل وعلا العباد بها، والأمر منه جل وعلا للرسل والعباد بأن يتخاطبوا دعويا مباشرة بها، وفي أمر الله الرسل والدعاة بأن يخاطبوا الناس بالدعوة بياء النداء، وفي مخاطبة الناس فيما بينهم عموما وفي أمر الدعوة وأعمال الإسلام على وجه الخصوص، بل شمل ذلك عامة المكلفين غير الإنسان كالجن فهي وسيلة الدعوة عندهم كما هي عند الإنسان، بل وغير المكلفين كالحيوان والجمادات. وفي هذا العرض من الأمثلة الدالة على مشروعية هذه الوسيلة وأهميتها:

أـ مخاطبة الله تعالى بالنداء لأنبيائه وللرسل عامة:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾[2].

(١) الكشاف ١٢٢/١.

(٢) سورة المؤمنون: الآية (٥١).

١ – نداء الله كل رسول على حدة: خاطب القرآن كل رسول على حدة بوسيلة النداء يشمل ذلك الخطاب الأمر لهم، أو نهيهم، أو للإخبار، أو الأمر بالتمسك بالدعوة، وتبليغها لأقوامهم والأمر بها، إلى غير ذلك. نذكر نماذج من ذلك:

*** لآدم عليه السلام:** قال تعالى: ﴿**قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ**﴾[١].

*** لنوح عليه السلام:** قال تعالى: ﴿**قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾[٢].

*** لإبراهيم عليه السلام:** ﴿**يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ**﴾[٣].

***– ليحيى عليه السلام:** ﴿**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً**﴾[٤].

*** لداود عليه السلام:** ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾[٥].

---

(١) سورة البقرة: الآية (٣٣).

(٢) سورة هود: الآية (٤٦).

(٣) سورة هود: الآية (٧٦).

(٤) سورة مريم: الآية (١٢).

(٥) سورة ص: الآية (٢٦).

* لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾[1].

* لعيسى عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[2].

٣ - لمحمد ﷺ وفي ذلك آيات كثيرة تخاطبه بلفظ الرسول تارة وبلفظ النبي تارة وهو الأكثر وبألفاظ أخرى كالمزمل والمدثر، وأكثر هذا النداء فيه الأمر له بالدعوة والتبليغ نستعرض بعضا منها لما فيها من دلالات وأدلة دعوية ولأن الخطاب للنبي هو خطاب للأمة إلا ما جاء الدليل بتخصيصه:

١ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾[3].

٢- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[4].

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٤).

(٢) سورة المائدة: الآية (١١٠).

(٣) سورة الأحزاب: الآية (٤٥).

(٤) سورة التحريم: الآية (٩).

٣ – ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[١].

٤ – ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾[٢].

٥ – ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[٣].

٢– نداء الله للمؤمنين: وهذا كثير في القرآن الكريم بلفظ (يا أيها الذين آمنوا) في القرآن تسع وثمانون مرة الأولى في سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ْوَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤]، والأخيرة في سورة التحريم وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يوم لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٥]، في ثمانية وثمانين موضعاً من القرآن، وكل هذه الآيات مشتملة على أوامر ونواهي وأحكام وتعاليم وتوجيهات يخاطب بها المؤمنين .عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن

(١) سورة المائدة: الآية (٦٧).
(٢) سورة المزمل: الآية (١-٥).
(٣) سورة المدثر: الآية (١-٧).
(٤) سورة البقرة: الآية (١٠٤).
(٥) سورة التحريم: الآية (٨).

رجلا أتاه فقال: إعهد إلي، فقال: إذا سمعت الله يقول: ﴿**يا أيا الذين آمنوا** ﴾، فأرعها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه » .

٣- نداء الله لعامة الناس: بلفظ (يا أيها الناس) عشرون مرة أولها: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[1]، وآخرها﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[2]، في خمس سور. والمتأمل في هذه الآيات جميعا يجد أنها تخاطب جميع الناس، مؤمنهم وكافرهم، صالحهم وفاسقهم، تدعوهم إلى التأمل فيما ينفعهم في آخرتهم، وتذكرهم بربوبية الله لهم، وفقرهم إليه سبحانه، كي يكون ذلك دافعا إلى عبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين له، وكان الخطاب ب(يا أيها الناس)لأن المقصود من هذا الخطاب جميع الخلق، ولم يكن محصورا بفئة معينة، وهذا على خلاف النداء بـ (يا أيها الذين آمنوا). وكل هذه الآيات مشتملة على أوامر ونواهي عقدية وتحذيرات وتعاليم وتوجيهات يخاطب بها كل الناس.

٤- نداء الله للجن والإنس: وهذا النداء يوجه إليهم باعتبارهم مكلفين قال تعالى: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**

(١) سورة البقرة: الآية (٢١).

(٢) سورة الحجرات: الآية (١٣).

﴿وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ﴾[1]، فهو خطاب بوسيلة النداء موجه إلى الجن والإنس معا لدعوتهم إلى الالتزام بالإيمان والتقوى، ويحذرهم من القنوط من رحمته ويعدهم بالمغفرة وعدم الخوف والحزن إن استجابوا. وكل ذلك من أعمال الدعوة إلى الله عز وجل.

٥- الأمر للرسول ﷺ وأتباعه بأن يمارسوا وسيلة النداء في تبليغهم ودعوتهم:

وقد نوع الأمر لهم بتنوع المدعوين من أهل كتاب إلى كفار ومشركين عموما، إلى تخصيص بملة أو قوم وهذه دلائل ذلك:

أ - الأمر بدعوة أهل الكتاب بوسيلة النداء

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾[2].

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[3]، وغير ذلك من الآيات.

ب - الأمر بدعوة عموم الكفار والمشركين بوسيلة النداء:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝٤ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ

(١) سورة الأنعام: الآية (١٣٠).

(٢) سورة آل عمران: الآية (٩٨).

(٣) سورة المائدة: الآية (٧٧).

وَلِيَ دِينِ ﴾[1].

ج- الأمر بدعوة عموم العباد بوسيلة النداء:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[3]، قال بن عاشور بعد كلام للربط بين هذه الآية وسابقتها: فكان أمره لرسوله -ﷺ- بأن يناديهم بهذه الدعوة تنفيسا عليه، وتفتيحا لباب الأوبة إليه. [4].

د- الأمر بدعوة الأقوام والملل بوسيلة النداء: قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدِّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[6].

ه- الأمر بدعوة الناس جميعا بوسيلة النداء:

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ

---

(١) سورة الكافرون: الآيات (١-٦).
(٢) سورة الزمر: الآية (١٠).
(٣) سورة الزمر: الآية (٥٣).
(٤) التحرير والتنوير: ١١١/٢٤.
(٥) سورة الأنعام: الآية (١٣٥).
(٦) سورة الجمعة: الآية (٦).

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[2].

٦- تطبيق الأنبياء والرسل لوسيلة النداء في دعوتهم لأقوامهم:

أ- من نوح عليه السلام: قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[4].

ب- من هود عليه السلام: قال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾[6].

ج- من صالح عليه السلام: قال تعالى: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[7].

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٥٨).

(٢) سورة الحج: الآية (٤٩).

(٣) سورة الأعراف: الآية (٥٩).

(٤) سورة نوح: الآية (٢).

(٥) سورة الأعراف: الآية (٦٥).

(٦) سورة هود: الآية (٥٢).

(٧) سورة الأعراف: الآية (٧٣).

د- **من شعيب عليه السلام**: قال تعالى: ﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ** ﴾[1].

ه - **من إبراهيم عليه السلام**: قال تعالى: ﴿ **وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾[2].

و- **من موسى عليه السلام**: قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ **وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ** ﴾[4].

ز- **من هارون عليه السلام**: قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي** ﴾[5].

ح - **من عيسى عليه السلام**: قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾[6].

---

(١) سورة هود: الآية (٨٤).
(٢) سورة البقرة: الآية (١٣٢).
(٣) سورة الأعراف: الآية (١٠٤).
(٤) سورة يونس: الآية (٨).
(٥) سورة طه: الآية (٩٠).
(٦) سورة الصف: الآية (٦).

ي- **من محمد** ﷺ قال تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ** ﴾[1].

قال تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ** ﴾[2].

قال تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[3].

هذه جملة من الآيات تتحدث عن تطبيقات الرسل لوسيلة النداء في دعواتهم وتبليغهم مما يدل على أن هذه الوسيلة لا يستغني عن ممارستها أحد من العاملين لهذا الدين وإنما المطلوب أن يصحبها الأسلوب الحسن والنشاط الموضح المبين كما كان عليه هؤلاء الأنبياء الرسل عليهم الصلاة والسلام

- تطبيقات الجن لوسيلة النداء في دعوتهم إلى الله:

قال تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿**يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٦٥).
(٢) سورة آل عمران: الآية (٧٠).
(٣) سورة آل عمران: الآية (٧١).
(٤) سورة الأحقاف: الآية (٣٠).
(٥) سورة الأحقاف: الآية (٣١).

٧- أساليب وسيلة النداء في القرآن الكريم:

أساليب وسيلة النداء الدعوية في القرآن الكريم كثيرة إذ أنه ما من موضع في القرآن ذكر فيه النداء إلا وتضمن أسلوبا دعويا رائعا ذا مغزى لتحقيق هدف دعوي ينبغي للدعاة ألا يهملوه في خطابهم الدعوي، ومن أبرز هذه الأساليب القرآنية:

أ- تكرير القرآن للنداء ب(يا أيها)

قال الزمخشري: « كرر النداء في القرآن بـ (ياأيها) دون غيره؛ لأن فيه أوجهًا من التأكيد، وأسبابًا من المبالغة؛ منها: ما في (يا) من التأكيد، والتنبيه، وما في (ها) من التنبيه، وما في التدرُّج من الإبهام في (أيّ) إلى التوضيح. والمقام يناسبه المبالغة، والتأكيد ».

ب - التنويع في النداء بحسب الحال ومقامه:

وهو أسلوب يقتضيه الخطاب الدعوي القولي للتأثير على المخاطب إيجابا أو سلبا حسب هدف الخطاب الدعوي، ويتنوع بتنوع المرتبة والمقام، ولذا فالنداء في القرآن على ستة مراتب: نداء مدح، ونداء ذم، ونداء تنبيه، ونداء إضافة، ونداء نسبة، ونداء تسمية. فأما نداء المدح فمثل قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا»، «يا أيها الرسل»، ونداء الذم مثل قوله تعالى: « يا أيها الذين كفروا »، ونداء التنبيه مثل قوله تعالى « يا أيها الإنسان » « يا أيها الناس »، ونداء الإضافة مثل قوله تعالى « يا عبادي» ، ونداء النسبة مثل قوله تعالى « يا بني آدم » ، ونداء التسمية مثل قوله تعالى « يا داود » « يا إبراهيم» والنداء السابع نداء التعنيف مثل قوله تعالى: « يا أهل

الكتاب»[1]. وما أحوج الدعاة إلى تنويع خطابهم بوسيلة النداء الدعوي بحسب أحوال الناس ومقاماتهم حتى يكون لخطابهم أثر على من يخاطبونهم بالاستجابة أو إقامة الحجة.

ج- مصاحبة النداء في القرآن للأمر أو النهي أو الاستفهام:

النداء في القرآن غالبا ما يعقبه الأمر أو النهي أو الاستفهام، وكأنه يعد النفس ويهيئها لتلقي تلك الأساليب وما تتضمنه من المعاني، لأن النداء يوقظ النفس ويلفت الذهن وينبه المشاعر فإذا جاء بعده الأمر أو النهي أو الاستفهام صادف نفسا مهيأة يقظة مستعدة للقبول والامتثال، كما أنه دليل على اهتمام المتكلم وعنايته بهذا الطلب وحرصه الأكيد على تنفيذه وأدائه . لذا فقد كثر في القرآن الكريم مصاحبة النداء لهذه الأساليب، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[4].

واستعمال الداعية في خطابه الدعوي ما يتحقق به الفهم للدين من الصيغ الدعوية البليغة في الخطاب خاصة في النداء يكون له نتائجه المرجوة لذلك يقول الزمخشري: « كل نداء في كتاب الله تعالى يعقبه فهم في الدين، إما من ناحية الأوامر

(١) بحر العلوم:٥٩/١.

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٠٢).

(٣) سورة المنافقون: الآية (٩).

(٤) سورة الصف: الآية (١٠).

والنواهي التي عقدت بها سعادة الدارين، وإما مواعظ وزواجر وقصص لهذا المعنى، كل ذلك راجع إلى الدين الذي خلق الخلق لأجله، وقامت السماوات والأرض به، فكان حق هذه أن تدرك بهذه الصيغة البليغة »[1].

٨- النشاط:

النشاط جاء في السنة من الأحوال والأعمال ما يمكن أن نطلق عليه نشاطا بالمصطلح المعاصر لترسيخ المعاني التي مورست من أجلها الوسيلة فمما جاء عن الرسول -ﷺ- نذكره على سبيل المثال لنشاط وسيلة النداء:

أ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهَّ -ﷺ- خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا» قَالُوا يَوْمٌ حَرَامٌ قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا] قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا» قَالُوا شَهْرٌ حَرَامٌ قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا» فَأَعَادَهَا مِرَارًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ»[2].

من طبيعة النشاط أن يشترك فيه مجموع المستهدفين وهو حقيقة ما حصل حيث كل الواقفين يوم النحر شاركوا الرسول فيه بحضورهم وسماعهم لخطاب النداء ومشاركتهم في ممارسة الوسيلة المتمثل في الإجابة على الأسئلة، ثم استقبالهم لنتيجة هدف النشاط المتمثل في حرمة الدماء والأموال والأعراض، والإشهاد على سلامة النشاط وأحقيته المتمثل في البلاغ به.

---

(١) هو بهذا اللفظ في البرهان في علوم القران ٢ \ ٣٢٤، وانظر. الكشاف١ \ ٢٢٦

(٢) رواه البخاري.

٣ - ضوابط وآداب الخطاب الدعوي بوسيلة النداء وأساليبه:

للخطاب الدعوي بالمناداة ضوابط وآداب نبهنا إليها القرآن ينبغي للعاملين في حقل الدعوة التعرف عليها والانضباط بها في عملهم الدعوي:

أ- أن يكون القول المنادى به حسنا يجعل المخاطب يصغي إليه، ويحدث فيه الاهتمام بما يراد منه ويجتنب الخطاب المنفر والنداء المحتقر، فإنه مما يتنافى مع القبول للدعوة قال تعالى: ﴿ **وقلْ لعبادي يقولوا التي هيَ أحسن إنّ الشيطانَ ينزغُ بينهم إنّ الشيطان كانَ للإنسانِ عَدواً مُبيناً** ﴾[1]، وقال: ﴿ **وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً** ﴾[2]، والحُسْن: «عبارة عن كلّ مُبهج مرغوب فيه» .

ب - أن يكون الخطاب المشتمل على النداء فيه تودد واستعطاف واستجلاب لعواطف المدعوين لقبول الدعوة فخطاب الرسل لأقوامهم متضمن لذلك مثل قوله (يا قوم) وكونه لا يريد لهم إلا الخير ولا يريد منهم في مقابل ذلك شيء ﴿ **وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ** ﴾، ومن خطاب إبراهيم في القرآن . (يا أبتي) ولقمان (يا بني) وهكذا. وهي نداءات تودد وحب.

ج- أن لا يكون الخطاب بالنداء فيه غلظة وعبارات نابية بل فيه رقة ورحمة، فالقرآن الكريم يبيّن لنا أنّ أدب الرسول ﷺ في كلامه وخطابه وندائه، كان سبباً في تجميع القلوب وتوحيد الصفوف. قال تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ**

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٥٣).

(٢) سورة البقرة: الآية (٨٣).

كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[١]، والفظّ: الغليظ، والمراد به هنا غليظ الكلام، لقوله بعد ذلك: ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾؛ أي لو كنتَ سيئَ الكلام قاسيَ القلب عليهم، لا نفضوا عنك وتركوك، ولكنّ الله جمعهم عليك وألانَ جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم« فالآية الكريمة تشير إلى الرحمة التي ألقاها الله في قلب رسوله، الرحيم، ولم يخاطبهم بالقسوة والشدّة بل باللين والرحمة، ولذلك اجتمعت القلوب حول دعوته، وتوحّدت تحت قيادته.

د- ينبغي أن يكون الخطاب المنادى به المدعو حكيما متضمنا الحسن والجمال قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[٢]، فالخطاب الموعوظ به يكون حسَناً ما دام صاحبه ملتزماً أدب الكلام، متجنباً في ندائه الدعوي ما يُؤذي من الألفاظ النابية، والعبارات السيئة. مع الحفاظ التام على الحقيقة، والبعد عن الرياء والمداهنة.

ه – أن يكون نداء المدعو في الخطاب الدعوي متضمنا اللين والاحترام والتوقير ولو كان المدعو من الطغاة المتألهين وهذا ما أرشد إليه القرآن الكريم من خلال الدعوة إلى استخدام القول اللين، وهو القول المتسم بالرفق، الذي يتجنب فيه صاحبه الغلظة والفظاظة، وقسوة العبارة، ولا سيَّما في مواجهة عِلية القوم وذوي

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٥٩).

(٢) سورة النحل: الآية (١٢٥).

المكانة فيهم، فلا يحقرهم، ولا يُسفّه من شأنهم، وبهذا الأسلوب يمتلك زمام قلوبهم، ويضع فيها ما يريد من آراء وأفكار. ﴿**اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾[1]، فموسى وهارون -عليهما السلام- صَفيّا الله من خلقه، وفرعون هو من هو في الطغيان والجبروت؛ فهو القائل: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾[2]، والقائل: ﴿**مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي**﴾[3]، ومع ذلك يأمر الله موسى وأخاه أن يقولا له (قولاً ليناً). وبين الله لنا في النص علّة ذلك، وهي ﴿**لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾. فإن القول اللين والكلمة الطيبة مظنة التأثير على السامع حتى يستجيب فيتذكر قلبه ويخشى الله.

وقد التزم موسى عليه السلام بهذا التوجيه الرباني، ويحدثنا القرآن الكريم عن خطاب موسى لفرعون، فيقول: ﴿**وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[4]، وأوّل ما يلفت نظرنا في هذا الخطاب أنَّ موسى عليه السلام نادى فرعون بأحبِّ الأسماء إليه، فقال: يا فرعون. وهو الاسم الذي يُشعر فرعون بالقوة والعظمة وعدم الانتقاص من مكانته، وفي ذلك مداراة له، ومراعاة لنفسيته. ونرى هذا الأسلوب بعينه ماثلاً في منهج نبينا محمد -ﷺ-، فقد كان يخاطب

---

(١) سورة طه: الآيات (٤٢-٤٤).

(٢) سورة النازعات: الآية (٢٤).

(٣) سورة القصص: الآية (٣٨).

(٤) سورة الأعراف: الآيتان (١٠٤، ١٠٥).

الزعماء بمثل قوله: «إلى هرقل عظيم الروم»[1] وليس في ذلك تنازل عن المبادئ، ولكنه الأدب في الخطاب، والذوق في التعامل مع الآخرين. إلا أن الرفق واللين كما يقول الرازي: إنما يجوز إذا لم يُفضِ إلى إهمال حق من حقوق الله، فأما إذا أدى إلى ذلك، لم يجزْ. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[2].

المطلب الثاني

وسيلة اللغة في العمل الدعوي وأساليبها وأنشطتها

١-مفهوم اللغة في العمل الدعوي:

أ- تعريف (اللغة) لغة:

اللُّغَةُ: بالضَّمِّ ،تجمع على لُغاتٌ مشتقة من لغا يلغو: إذا تكلم؛ فمعناها الكلام[3]؛ وقالَ ابنُ سِيدَه: اللُّغَةُ اللِّسْنُ، (اللِّسان): بالكسْرِ (المِقْوَلُ) أَي آلَةُ القَوْلِ يُذَكَّرُ ويُؤَنَّثُ، ومنه أَلْسِنَةٌ حِدادٌ،- وهو العضو المعروف في الفم وهو آلة النطق؛ ومنه قَوْلُه تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[4]، أَي بلُغَةِ قوْمِه؛ والجَمْعُ أَلْسِنَةٌ؛ ومنه قوْلُه تعالى: ﴿واختِلافُ أَلْسِنَتِكُم﴾[5]، أَي لُغاتِكُم؛

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب رقم ٦، حديث رقم ٧، ٧/١.

(٢) سورة التوبة: الآية (٧٣).

(٣) فقه اللغة:٩/١.

(٤) سورة ابراهيم: الآية (٤).

(٥) سورة الروم: الآية (٢٢).

والخلاصة أن اللسان هو اللغة، بدلالة القرآن، والسنة، والمعنى اللغوي، فهي تعني: اللفظ، واللسان والكلام والمقول، واللهج. والصوت، والنغم .

ب- اللغة في الاصطلاح:

أما في الاصطلاح فعرفت بتعريفات عديدة، أشهرها ما ذكره أبو الفتح ابن جني في كتابه (الخصائص)حيث قال: حد اللغة: أصوات يعبِّر بها كل قومٍ عن أغراضهم[1]. وهذا التعريف الذي تناقله علماء العربية على اختلاف تخصصاتهم يضارع أحدث التعريفات العلمية للغة؛ حيث ترى تلك التعريفات أن اللغة: أصوات منطوقة، وأن وظيفتها التعبير عن الأغراض، وأنها تعيش بين قوم يتفاهمون بها، وأن لكل قوم لغة.

فهذه- تقريباً- هي الأركان التي يدور عليها تعريف اللغة عند جميع من عرفها.. [2].

٢- عرض مفهوم وسيلة اللغة وأساليبها وأنشطتها في العمل الدعوي:

جعل الله وسيلة التخاطب بين الناس اللسان، وطريقة معرفة ما لدى الآخر عما يعبر به عما في نفسه ومكنون سره اللغات واللهجات، فهي أداة نقل الأفكار والمفهومات، ووسيلة الدعوة إلى الله وتبليغها وبيان تعاليمها وأحكامها، كما أنها وسيلة تبادل المعلومات، وإشاعة الحضارات وتعميمها. وقد اقتضت سنة الله في

---

(١) الخصائص ١/٨.

(٢) فقه اللغة:٩.

الخلق وسبقت إلى ذلك إرادته، أن لكل قوم لساناً، يتخاطبون به فيما بينهم فيعرف المخاطب ما يريد منه الآخر، فعلمهم ذلك، وسن لهم طريقة المعرفة لها: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**﴾[1]، وهذه اللُّغة التي هي كلام البشر المنطوق أو المكتوب، هي نظام الاتصال الأكثر شيوعًا بين البشر؛ لأنها تتيح للناس التحدث بعضهم مع بعض والتعبير نطقًا أو كتابة، عن أفكارهم وآرائهم. وقد ورد في كتاب الله الكريم ما يفيد أن فيها البيان الذي علمه الله الإنسان، قال عز وجل: ﴿**الرَّحْمَنُ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾[2]، ولذلك توجد اللغة أينما وجد المجتمع البشري. وتعتمد معظم أشكال النشاط البشري على تعاون اثنين أو أكثر من الأشخاص، وهي الوسيلة الهامة لتبليغ دين الله ونشر دعوة الإسلام في الأمم من أول وجد الإنسان المكلف على هذه الأرض .

ومن رحمته بعباده وهو يريد منهم التزام الهدى، والاستجابة للنداء، والإيمان بما أرسل به الرسل، وإقامة الخلافة في الأرض على مقتضى ما استخلفهم عليه، وتحقق العمارة على الوجه الذي يرضاه، أن أرسل إليهم رسلاً يتكلمون بكل لسان،

(١) سورة البقرة: الآيات (٣١-٣٣).

(٢) سورة الرحمن: الآية (١-٤).

ليتحقق على أيديهم البيان، وتقام الحجة ويدحض البطلان: قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[1]، وفي السنة جاء بمدلول لفظ اللغة، ومعناه، في مسند أحمد عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يبعث اللهُ نبيّاً إلا بلُغَةِ قومه»[2]، وهذا الحديث تفسير لمعنى اللسان الوارد لفظه في القرآن .

واللغات كلها في مقام واحد ومنزلة واحدة إلا لغة القرآن – لغة العرب – التي تميزت على ما سواها من اللغات، لكونها لغة كتاب الله، واختص بها خاتم رسله وأنبيائه محمد ﷺ، واللغة التي ارتبط بها كثير من أحكام دين الله الخاتم، لذلك كان لها هذه الميزة والتقدم، وأودع الله فيها من الخصائص ما لم يكن لغيرها، فكانت اللغة الوحيدة التي فرض على أهل الإسلام تعلمها، وأوجب على ذويها تعليمها، فأصبحت بحق أم اللغات ومقدمها، فهي لغة الأولوية وسواها لغة الأقوام والأمم، وتبادل المصالح ارتبط بتداولها، ودرأ المفاسد معقود بنواصيها، والاستفادة من حضارة الشعوب متعلق بها، ولا ضرر على لغة الدين من تعلمها وتعليمها والتخاطب بها، ولا خطر على الشعوب في تداولها، وهي سنة الله الجارية على بني آدم الذي علمه الأسماء كلها، وإحدى النعم المسدلة على عباده التي جعلها محلاً للامتنان، فكان اختلاف الألسن وتباين اللغات وحصول التفاهم بها ومعرفة ما لدى الآخر آية من آيات الله: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ**

---

(١) سورة ابراهيم: الآية (٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٥/٥)، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٧٣٥٧) ثم الألباني في صحيح الجامع (٥١٩٧).

﴿أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾[1]، قال ابن كثير: يعني اللغات، فهؤلاء بلفظ العرب، وهؤلاء تتر لهم لغة أخرى، وهؤلاء كرج، وهؤلاء روم، وهؤلاء إفرنج، وهؤلاء بربر، وهؤلاء تكرور، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله من اختلاف لغات بني آدم)[2].

إلا أن اللغة العربية كما يقول الأستاذ أنور الجندي: (من بين ثلاثة آلاف لغة تستعمل اليوم في العالم حسب آخر تقديرات الباحثين تبدوا اللغة العربية – لغتنا الأم – نتاجاً متميزاً وشيئاً مختلفاً من العسير أن تخضع في دراستها للقوانين التي وضعت لدراسة اللغات).

فاختيار الله عز وجل للعربية لغة لكتابه العزيز، ومُنزلِه الأخير يبرز فضلها ومكانتها ومقامها بين سائر اللغات، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3]، وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾[4]، وقال: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[5]، إلى غير ذلك من الآيات، وبذلك أصبحت اللغة العربية بالنسبة للمسلمين هي لغتهم الأم المتبوعة وسواها لغة تابعة لا تستخدم إلا لأهليها وذويها وعند الحاجة، وفي ذلك يقول الإمام الشافعي رحمه الله في الرسالة:

---

(١) سورة الروم: الآية (٢٢).

(٢) الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي ، تفسير القرآن العظيم : ٥٣٠/٣ . طبعة دار عالم الكتب للطباعة والنشر ، الرياض سنة ١٩٩٧م.

(٣) سورة الزخرف: الآية (٣).

(٤) سورة مريم: الآية (٩٧).

(٥) سورة فصلت: الآية (٣).

(إذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض، فلا بد أن يكون بعضهم تبعاً لبعض، وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على التابع، وأولى الناس بالفضل في اللسان، من لسانه لسان النبي ﷺ ولا يجوز - والله تعالى أعلم - أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد، بل كل لسان تبع للسانه، وكل أهل دين قبله فعليهم إتباع دينه.

والقرآن الكريم والبيان النبوي عرضا لنا نماذج لممارسة اللغة في سبيل تبليغ الدعوة ونشرها وإيصال التعاليم والأحكام إلى المدعوين وتربيتهم عليها معبرتان عن ذلك باللسان والأسماء نعرض ذلك على النحو الآتي:

- **آدم عليه السلام:**

علمه الله آدم جميع اللغات المشمولة بالأسماء وأمر بعرضها على الملائكة وبتعليمها لذريته: قال تعالى: ﴿ **عَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ** ﴾[١].

فالأسماء هنا العبارات، والأسماء التي أطلع عليها آدم عليه السلام ليدعو بها هي مسميات جميع الأشياء، جليلها وحقيرها، كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما،

(١) سورة البقرة: الآيات (٣١-٣٣).

وعكرمة، وقتادة، ومجاهد، وابن جبير، رحمهم الله وهذا هو الذي يفيده لفظ: ﴿**كلها**﴾ من الآية إذ هو اسم موضوع للإحاطة والعموم، قال ابن خويز منداد: في هذه الآية دليل على أن اللغة مأخوذة توقيفاً، وأن الله تعالى علمها آدم عليه السلام جملة وتفصيلاً"[1].

والرسل أرسلوا إلى أقوامهم بلغاتهم: التي يتخاطبون بها ويفهمونها ليتحقق بذلك البيان وإقامة الحجة، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[2]، هذا من لطفه تعالى بخلقه: أنه يرسل إليهم رسلا منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم، روى الإمام أحمد بسنده: قال مجاهد: عن أبي ذر قال: قال رسول الله -ﷺ-: «لم يبعث الله، عز وجل، نبيا إلا بلغة قومه»[3]، وقد كانت هذه سنة الله في خلقه: أنه ما بعث نبيا في أمة إلا أن يكون بلغتهم، فاختص كل نبي بإبلاغ رسالته إلى أمته دون غيرهم، واختص محمد بن عبد الله رسول الله بعموم الرسالة إلى سائر الناس، كما ثبت في الصحيحين عن جابر قال: قال رسول الله -ﷺ-: «أعطيت خمسًا لم يُعطَهُن أحد من الأنبياء قبلي: - وذكر منها- وكان النبي يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس عامة»[4].

---

(١) تفسير القرطبي: ٢٨٢/١.

(٢) سورة ابراهيم: الآية (٤).

(٣) المسند (١٥٨/٥) ومجاهد لم يسمع من أبي ذر.

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٣٥) وصحيح مسلم برقم (٥٢١).

أهمية اللغة بلسان فصيح للعمل الدعوي:

ولأهمية اللغة للدعوة موسى عليه السلام: يطلب من ربه حل عقدة لسانه حتى يبلغ الرسالة بوضوح وبيان ويتحقق الفقه لما يقول: قال تعالى: ﴿ **اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى** ﴾[1].

قال ابن عباس -رضي الله عنه-: شكا موسى إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتيل، وعقدة لسانه، فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام، وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له ردءًا ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه، فآتاه سؤله، فحل عقدة من لسانه[2]. فاللغة المدعو بها لابد أن تكون واضحة للمدعو، مفهومة لديه، ولسان الناطق بها يكون فصيحا.

وموسى عليه السلام يطلب من ربه إشراك أخيه معه في الرسالة لفصاحة لسانه (لغته). قال تعالى: ﴿ **وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ** ﴾[3].

---

(١) سورة طه: الآية (٢٤-٣٥).

(٢) تفسير بن كثير: ٢٨٣/٥.

(٣) سورة القصص: الآية (٣٤).

والأولوية في لغة الدعوة اللغة العربية، إذ هي لغة الهداية والبشارة والنذارة والتخاطب الدعوي، لذلك نزل القرآن بها وجعله ميسرا على لسان الرسول:

١ - قال تعالى: ﴿ **فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا** ﴾[(١)].

قال ابن عاشور: وَبِذَلِكَ عُلِمَ أَنَّ التَّيْسِيرَ تَسْهِيلُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ. وَهَذَا إِدْمَاجٌ لِلثَّنَاءِ عَلَى الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ مُيَسَّرٌ لِلْقِرَاءَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ** ﴾[(٢)]، وَاللِّسَانُ: اللُّغَةُ، أَيْ بِلُغَتِكَ، وَهِيَ الْعَرَبِيَّةُ، كَقَوْلِهِ: ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** ﴾[(٣)]، فَإِنَّ نُزُولَ الْقُرْآنِ بِأَفْضَلِ اللُّغَاتِ وَأَفْصَحِهَا هُوَ مِنْ أَسْبَابِ فَضْلِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ وَتَسْهِيلِ حِفْظِهِ مَا لَمْ يُسَهَّلْ مِثْلُهُ لِغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ.وَمَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ جَاءَ مُوَضَّحًا فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ[(٤)] . من ذلك: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ** ﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿ **وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى** ﴾[(٦)].

---

(١) سورة مريم: الآية (٩٧).

(٢) سورة القمر: الآية (٣٢).

(٣) سورة الشعراء: الآيات (١٩٢-١٩٥).

(٤) أضواء البيان: ٥/ ٥١٨.

(٥) سورة الشورى: الآية (٧).

(٦) سورة الأحقاف: الآية (١٢).

ذلك هو العرض القرآني للغات في بيان دورها في العمل الدعوي على لسان الرسل عليهم السلام من آدم إلى محمد بن عبد الله خاتم الرسل ومنزلة اللغة العربية بين سائر اللغات التي يطلق عليها عند العرب لغة العجم، وهم الذين لا ينطقون اللسان العربي. واللغات نوعان: **أحدهما**: لغة أثرت فيها اللغة العربية من حيث النطق، والكتابة، بحروف اللغة العربية، مع بقاء معانيها ومدلولاتها بحسب المدلول العجمي، وذلك مثل اللغات التي دخل الإسلام بلدانها، وتحولت حروفها المكتوبة بها إلى حروف عربية، وبها كتبت العلوم الإسلامية بلغة أهلها، مثل: التركية، والفارسية، والأردية، والجاوية، وغيرها من المجموعات اللغوية التي تحمل ثقافة الإسلام وحضارته ودونتها، وحفظتها، وتتداولها وتتخاطب بها أمم إسلامية غير عربية، وهذا النوع من اللغات وإن كان يطلق عليها لغات أعجمية، إلا أنها كانت بتأثير اللغة العربية عليها بالحروف وبكثير من الألفاظ والجمل وترجمة العلوم الإسلامية العربية إليها وكتبت بها علوم الإسلام، فقد أعطاها هذا التأثير شيئاً من الاحترام والتقدير في نفوس المسلمين، والرضا عنها، واعتبارها من لغات المسلمين .

النوع الثاني: لغات باينت اللغة العربية – لغة الإسلام – حرفاً، ولفظاً، ومعنىً، وتداولتها الأمم غير الإسلامية، وكان التأثير للسان العربي عليها قليل من حيث احتفاظها بحروفها وألفاظها، ومدلولاتها . وهي لغة المستعمر التي حملت حضارة مباينة لحضارة الإسلام مثل اللغات اللاتينية: الإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والألمانية، والروسية، واليابانية، وغيرها من اللغات المتفرعة عنها،

وأصبحت لغة حية مفروضة عالمياً من قبل المستعمر، وقد فرضت نفسها باعتبارها لغة الثقافة والعلم المعاصر، ولغة التكنولوجيا المفروضة على الأمم في المجال الثقافي والسياسي، والاقتصادي، والعسكري، وغير ذلك.

فهذه اللغة بتنوعها تكون لقوم لغة أم، باعتبارها لغة الوطن والخطاب، والتعلم، والمعاملات.

وقد تكون لغة أخرى بجانب كونها لغة أماً، فهي غازية أو وافدة على بلد ما، أو شعب ما بما اكتسبته من مقومات أتاح لها هذا الغزو أو الوفادة كالاستعمار، أو كونها لغة ثقافة أو تجارة، أو صناعة أو تعليم، أو سياسة أو نحو ذلك كما هو الحال في كثير من اللغات اللاتينية: كالإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والألمانية، والروسية، والصينية، واليابانية، وغيرها.

وهذه اللغة تعد بالنسبة للمسلم هي لغته التي لا يطلب منه شرعاً تركها وعدم التخاطب بها، والتعامل معها، بدليل عدم طلب الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين من كل من أسلم التخلي عن لغته، ولا الشعوب التي فتحها الإسلام أن يتخلوا عن لغتهم التي كانوا يتخاطبون بها، ولا أن يتعلموها: كالعبرية الفارسية، والرومية، والحبشية التي كانت في عهد الرسول والخلفاء الراشدين، والتركية، واللغات التي دخل بلدانها الإسلام كاللغات الهندية والإفريقية والآسيوية، وغيرها، وإنما كل ما طلبه منهم وأوجبه على المسلمين الذين ليست لغتهم العربية أن يتعلموا اللغة العربية بجانب لغتهم الأصلية، أو على الأقل أن يتعلموا من العربية ما

يساعدهم على أداء الفرائض والواجبات المناطة بهم، والتي لا يتم أداؤها إلا باللغة العربية قولاً، ومخاطبة، كالقرآن، والسنة، وأحكام الشريعة، وغير ذلك . فتعدد اللغات واختلافها من خلق الله عز وجل، ومحل منته على عباده، وآية من آياته لقوله جل وعلا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾(١)، وما من رسول إلا ويرسل بلغة قومه، وهذا يؤكد تقرير كل أهل لغة على لغتهم قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾(٢).

ونستأنس لهذا القول بقوله ﷺ: «أرسل كل نبي إلى أمته بلسانها وأرسلني الله إلى كل أحمر وأسود من خلقه». وفي شرح الشفاء للخفاجي: أنه ﷺ علمه الله جميع اللغات(٣).

وفي هذا دلالة على أنه ينبغي للداعية للإسلام في غير البلاد العربية: أن يتعلم لغات أولئك القوم حتى يستطيع مخاطبتهم بالإسلام وإقامة الحجة عليهم بالبيان عبر لغاتهم بل نجد في السنة ممارسة من الرسول لبعض هذه اللغات في تكلمه ومخاطبته لبعض أصحابه ولمن أسلموا من أصحاب هذه اللغات في بعض المعاملات.

وعنون الإمام البخاري في صحيحه بقوله: (باب من تكلم بالفارسية والرطانة) ويريد بالرطانة لغة العجم، وقد أورد تحت هذا العنوان آيتين مستدلاً بهما على جواز ذلك، وثلاثة أحاديث فيها كلام لرسول الله ﷺ بغير اللغة العربية.

---

(١) سورة الروم: الآية (٢٢).

(٢) سورة ابراهيم: الآية (٤).

(٣) العلامة علي القاري. شرح الشفاء، وانظر شرح الشفاء للملا علي القاري، دار السعادة وطبعه بسنده طبع أولمنشدر سنة (١٣٠٩هـ)

فأما الآيتان فقوله تعالى: ﴿ **وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ** ﴾، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ** ﴾.

وأما **الأحاديث**: فحديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- وفيه: « ... فصاح النبي ﷺ فقال: «يا أهل الخندق، إن جابراً قد صنع سوراً فحي هلا بكم»[1]، قال الإسماعيلي السور كلمة بالفارسية من أتى دعوة[2].

والحديث الثاني: حديث أم خالد بنت سعيد قالت: « أتيت النبي ﷺ مع أبي وعليّ قميص أصفر، قال رسول الله ﷺ: « سَنَه سَنَه. قال عبدالله يعني ابن المبارك وهي بالحبشية: حسنة ... الحديث»[3].

والحديث الثالث: أن الحسن بن علي رضي الله عنهما أخذ تمرة من تمر الصدقة، فقال له النبي ﷺ بالفارسية: « كخ، كخ، أما تعرف أنا لا نأكل الصدقة»[4]. وكخ كلمة زجر للصبي عما يريد فعله.

وتكلم مع سلمان بالفارسية، فعن عكرمة . قال: « سئل ابن عباس رضي الله عنهما هل تكلم رسول الله ﷺ بالفارسية قال نعم، دخل عليه سلمان فقال: درسته وسادته» قال محمد بن أميل: أظنه مرحباً وأهلاً، وحسنه[5].

بل نجد في دلالة النصوص أهمية هذه اللغات للداعية أولمن يرسل إلى أقوام لغتهم غير عربية، ففي طبقات بن سعد أن رسول الله ﷺ بعث ستة نفر في يوم واحد

(١) صحيح البخاري رقم : ٣٠٧١ . مرجع سابق.

(٢) صحيح البخاري :٢٠٢٢/١.

(٣) صحيح البخاري رقم : ٣٠٧٥ . مرجع سابق.

(٤) صحيح البخاري:١٥٧/١.

(٥) صبح الأعشى صفحة: (١٦٥).

إلى الملوك، وأصبح كل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم، وكان ذلك في المحرم سنة سبع[1]. وكان من هؤلاء النفر الستة من أرسل إلى النجاشي، وكسرى، وقيصر، والمقوقس. وهم يتكلمون بغير لسان العربية . ففي هذه الآثار والنصوص التاريخية دلالة صريحة وواضحة على جواز التكلم والمخاطبة للآخرين بغير اللغة العربية، وأهمية معرفة الداعية الإسلامي للغة الأقوام والأمم التي لغتها غير عربية حتى يكون خطابه الدعوي لهم مفهوما واضحا وبينا.

وأن تعلم المسلم - وخاصة الداعية- أي لغة يحتاج إليها في أمر دينه أو دنياه مندوب إليه وقد يكون واجبا، خاصة عندما تكون الحاجة إلى ذلك قائمة، وأصحاب تلك اللغات عندهم علم يُؤخذ، أو حكمة تفسر، فلا سبيل إلى الانتفاع بما عند الغير إذا جهلت لغته، و«الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها أخذ بها»[2]. فلا بد من ترجمة بين الداعية وبين أرباب اللغات الأخرى حتى يمكنه تبليغ الدعوة إليهم، وتلقي الإجابة منهم – وقد كان عنده ﷺ من أصحابه من يعرف الفارسية، والرومية، والحبشية، ويكفيه هم الترجمة منها وإليها، ولكن لم يكن عنده من يعرف اللغة السريانية التي يكتب بها يهود، فأمر بذلك كاتب وحيه الأنصاري زيد بن ثابت -رضي الله عنه- ليتقنها قراءة وكتابة، ويستغني بها عن الوسطاء من اليهود في ذلك[3].

روى خارجة بن زيد بن ثابت عن زيد بن ثابت رضي الله عنهما: « أن النبيﷺ

(١) العلامة محمد بن سعد . طبقات بن سعد : ٢٥٨/١ . طبعة دار صادر بيروت.

(٢) جامع الترمذي: ١٥٩/١٠، من عارضة الأحوذي. وسنن ابن ماجة: ١٣٩٥/٢ رقم:٤١٦٩ ، دار إحياء الكتب العربية. والحديث كما قال الترمذي غريب. مراجع سابقة.

(٣) القرضاوي. الرسول والعلم : ٤٢ .

أمره أن يتعلم كتاب اليهود حتى كتب للنبي ﷺ كتبه وأقرأُ له إذا كتبوا إليه» رواه البخاري معلقاً[(١)].

وفي سنن أبي داود وجامع الترمذي عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: « إنها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد، فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية، أو قال السريانية فقلت: نعم، فتعلمتها في سبع عشرة ليلة » وقال الترمذي حسن صحيح[(٢)] .

وإذا استعرضنا تاريخ الأمة الإسلامية، وبالأخص تاريخ خلفائها وملوكها، نجد أنهم ما استطاعوا أن يستفيدوا مما عند الآخرين من الأمم المتحضرة في أمور الدنيا إلا بعد أن أذنوا أو أمروا بترجمة ما عند الأمم الأعجمية، كالفرس، والروم، والهند، وغيرهم، من علوم مدونة في مكتباتهم بلغاتهم إلى اللغة العربية، وهذا يدل على أنه كان عندهم من المترجمين العدد الكثير. وقد عرض لنا شيخ الاسلام بن تيمية نماذج من فوائد التعلم والترجمة لهذه اللغات للإسلام ودعوته ونشر تعاليمه وفي محاجة أهل الكتاب بلغتهم، وكشف ما يقع منهم من تحريف في كتب الله عز وجل بلغتهم، والحاجة إلى ذلك، لأنه: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) [(٣)] .

---

(١) صحيح البخاري رقم : ٧١٩٥ . مرجع سابق.

(٢) سنن أبي داود في كتاب المصاحف ، وجامع الترمذي في كتاب الأدب : ١٨٢/١٠ من عارضة الأحوذي . مرجعان سابقان .

(٣) أنظر ابن تيمية. الفتاوى: ١٠٥/٤. مرجع سابق . و الكتاني. التراتيب الإدارية : ٢٠٤/١، ومسند أحمد: ٤٩٠/٣٥ رقم: ٢١٦١٨ . مرجعان سابقان .

٣ - ضوابط وآداب استعمال وسيلة اللغات في العمل الدعوي:

للقيام بالدعوة إلى الله بلغات غير اللغة العربية ضوابط وآداب يحسن بالداعية أن يراعيها عند قيامه بالدعوة هي:

أ- أن يكون القصد لاستعمال اللغة في الدعوة ابتغاء وجه الله في تحقيق البلاغ بها وتحقيق الإفهام والبيان كما هو توجيه القرآن في الآيات التي سبق ذكرها.

ب- أن يكون اللسان العربي لغة القرآن غير محقق لتوصيل الدعوة وإبلاغها في المدعوين أصحاب لغة أخرى يتخاطبون بها، أما حيث يوجد من يفهم اللغة العربية فالأولى أن تكون الدعوة وسائر الأعمال الدعوية بها.

ج- أن لا يدخل إلى نفس الداعية إعجاب وتعظيم للغة التي يريد القيام بالدعوة بها ويفضلها على لغة القرآن، بل عليه أن يعتبر قيامه بهذه اللغة في العمل الدعوي هي المصلحة الدعوية المقتضية لذلك.

د- أن يعد القيام بالعمل الدعوي بغير لغة القرآن والسنة النبوية ضرورة متى أمكن الاستغناء عنها وأمكن تحقيق البلاغ بلغة القرآن ترك ذلك.

ه- فيما يجب القيام به بلغة القرآن والسنة من العبادات يلزم الداعية أن يلتزم به في خطابه الدعوي وتعليمه باللسان العربي.

٤ - فوائد وثمار استعمال وسيلة اللغات في العمل الدعوي:

إن لمعرفة العاملين للإسلام والداعين إليه للغات غير لغة القرآن العربية، وممارستهم لها في من لا يتكلم العربية فوائد وثمار تعود على العمل الدعوي وهي كثيرة نذكر منها الآتي :

١- إيصال البلاغ بدين الله إلى العالم كله، والتمكن من الرد على الشبهات، والرد على الأحبار والرهبان والمستشرقين والعلمانيين الذين ينالون من الإسلام والمسلمين في بلدان المتكلمين بهذه اللغات،

٢ - الرد على وسائل الإعلام المختلفة وإيجاد الحلول للمشاكل التي تطل علينا من كل مكان في البلدان المعادية لدعوة الإسلام.

٣- سد ثغرات القصور والتقصير الحاصل في العمل الدعوي وتبليغ الدعوة الإسلامية في بلدان المتكلمين بغير لغة القرآن -اللغة العربية.

٤ - تحقيق المصالح المتبادلة بين البلدان الدنيوية والدعوية، إذ أن كل قوم تربط بينهم مصالح لا بد لهم من التعاون، ولا يتم التعاون إلا بالتفاهم والتفاهم بالمشافهة والكتابة، وأداتها اللغة، فعلى القوم المترابطين بالمصلحة أن يفهموا بعضهم لغة بعض وخطه. وبقدر ما تكثر لغة الأقوام يلزم تعلمها، لأن العلة هي الحاجة.

٥- إبراز تسامح الإسلام واحترامه لمحترمات الأمم في دينهم وقوميتهم وكسب ثقة هذه الأمم بالإسلام رجاء الاستجابة له ودخولهم فيه.

٦- المعرفة للغة القوم تعرفك على عادات القوم وأعرافهم وأخلاقهم ومواقع أهوائهم ورغباتهم، مما يجعلك مبصرا في دعوتك وقادرا على مخاطبتهم بما يعقلون ويفهمون .

٧- معرفة لغة القوم يساعد على الوقوف على ما عندهم من المذاهب والتقاليد الدينية، والعلوم والفنون الدنيوية . ما يتعلق منها بالدعوة ويصلح أن يكون شبهة . ومن جهل هذا القدر ؛ كان عاجزًا عن إزالة الشبهات . وحل عقد المشكلات . ومن فاته هذا الشرط وما قبله لا يقدر أن يخاطب الناس على قدر العقول والأحلام . كما كان شأن سادة الدعاة إلى الله عليهم الصلاة والسلام .

المطلب الثالث

وسيلة البلاغ المبين وأسلوبه ونشاطه

١- مفهوم البلاغ المبين في العمل الدعوي:

أ- البلاغ لغة:

البَلاغُ كسَحابٍ: الكِفَايَةُ، وهُوَ: ما يُتَبَلَّغُ بهِ ويُتَوَصَّلُ إلى الشَيءِ المَطْلُوبِ، ومنْهُ قوْلُه تعالى: ﴿**إنَّ في هذا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِينَ**﴾[1]، أي: كِفَايَةً. ورجل بليغ: حسن الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه. والتبليغ مصدر قولهم: بلّغ يبلّغ تبليغا، وهو مأخوذ من مادّة (ب ل غ) الّتي تدلّ على «الوصول إلى الشّيء»، ومن ذلك: بلغت المكان إذا وصلت إليه[2]..

إذا البلاغ لغة يعني: الكفاية، والوصول إلى الشيء أو القرب منه. وحسن الكلام وفصاحته، وهذه المعاني كلها هي التي يتطلبها العمل الدعوي.

ب- البلاغ اصطلاحا:

البلاغ اصطلاحا لا يخرج عن المعنى اللغوي إلا في بعض التفاصيل، ولذا يعرفه الراغب الأصبهاني بقوله: بأنه الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى مكانا كان أو زمانا أو أمرا من الأمور المقدّرة، وربّما يعبّر به عن المشارفة على الانتهاء[3].

والتبليغ من معاني البلاغ الذي هو من الصّفات الّتي يجب اعتقادها للرّسل

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (١٠٦).

(٢) انظر مقاييس اللغة ١/ ٣٠٢. والصحاح (٤/ ١٣١٦).ولسان العرب مادة لغو.وتاج العروس:٤٤٨/٢٣.

(٣) انظر: المفردات للراغب (٦٠).

الكرام عليهم الصّلاة والسّلام، وقد عرّفه العلماء فقالوا: التّبليغ: أن يبلّغ الرّسول كلّ ما أمر بتبليغه فلا يخفي منه شيئا، ولا يكتمه بحال من الأحوال وألّا تحمله رهبة على أن يكتم بعضا ممّا أوحي إليه وأمر بإبلاغه للنّاس[1] .

د- المبين لغة: بانَ الحقُّ يَبِينُ بَياناً فهو بائنٌ وأَبانَ يُبِينُ إبانة فهو مُبِينٌ ومنه قوله تعالى: ﴿ **حم والكتاب المُبين** ﴾[2]، أَي والكتاب البَيِّن، أو الذي أَبانَ طُرُقَ الهدى من طرق الضلالة، وأَبان كلَّ ما تحتاج إليه الأُمّة، والبَيانُ: الفصاحة واللَّسَن، وهو إظهار المقصود بأَبلغ لفظٍ. وكلامٌ بيِّن فَصيح[3].

هـ - المبين اصطلاحا: هو بمعنى البيان، والبيان اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضّمير حتّى يفضي السّامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أيّ جنس كان الدّليل؛ لأنّ مدار الأمر والغاية الّتي يجري إليها القائل والسّامع إنّما هو الفهم والإفهام فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع[4].

و- معنى البلاغ المبين المركب من الكلمتين:

البلاغ المبين هو: الذي يحصل به توضيح الأمور المطلوب بيانها. أو هو الَّذِي يُبِين عن معناه لمن أَبْلَغَهُ، ويفهمه من أُرْسِلَ إليه[5].

---

(١) عقيدة المؤمن، لأبي بكر الجزائري (٢٧٢).

(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

(٣) انظر لسان العرب:٦٢/١٢.

(٤) البيان والتبين للجاحظ (١/ ٧٦).

(٥) انظر: السعدي عند تفسير الآية ١٧ من سورة ياسين والطبري عند تفسير الآية ٣٥ من سورة النحل. وراجع . إن شئت . تفسير الطبري للآية ٣٥ من سورة النحل.

ويتضح من خلال هذه التعريفات أن البلاغ يعني التبليغ والمبين يعني البيان والتبيين، والعلاقة بين التّبيين والتّبليغ واضحة تماما، ذلك أنّ التّبليغ لا بدّ أن يكون واضحا بيّنا لا لبس فيه ولا غموض، ومن أراد أن يبلّغ شيئا فعليه أن يبلّغه بلغة القوم المبلّغين به، مصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿ **وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾[1]، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يخاطب أبناء القبائل بلغاتهم، ويترتّب على هذا أن يكون الدّاعية عارفا بلغة القوم الّذين يدعوهم وأن يستخدم هذه اللّغة على نحو لا غموض فيه ولا التباس[2].

٢- عرض مفهوم وسيلة البلاغ المبين وأسلوبه وأنشطته (التأصيل):

البلاغ المبين وسيلة دعوية هامة باعتبارها الوسيلة التي كلف بها الرسل لتبليغ دعوة الله ونشرها في العالمين أولاها القرآن الكريم اهتماما كبيرا، يتمثل هذا الاهتمام في كثرة الآيات التي وردت في القرآن الكريم، وكثرة الصيغ التي وردت بها، وتنوع الخطاب فيها، وتعدد الجهات المخاطبة بها، باللفظ الصريح للبلاغ وبالمعنى، وبأساليب مشوقة ومؤثرة، وأنشطة موضحة ومبينة، من ذلك:

أ – الآيات المبينة أن وظيفة الرسل البلاغ المبين باعتبارها الوسيلة التي تتحقق بها الحجة على المُبَلَّغين: من قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ**

(١) سورة ابراهيم: الآية (٤).

(٢) انظر: نضرة النعيم:: ٣/٨٧٧.

الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾[2].

ب- الآيات التي بينت أن جميع الرسل قاموا بتبليغ رسالات الله إلى الناس بالبلاغ المبين ببراهينه وحججه وبها تفهمه العقول: قال تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً* الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾[3]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً ﴾[4].

ج- الآيات التي أخبرتنا بأن كل رسول على حدة بلغ رسالة الله بالبلاغ المبين في قومه امتثالا لأمر الله. قال تعالى عن نوح -عليه السلام-: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾[5].

وعن هود -عليه السلام-: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾[1].

---

(١) سورة النحل: الآية (٣٥).

(٢) سورة النور: الآية (٥٤).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان (٣٨-٣٩).

(٤) سورة الجن: الآيتان (٢٧-٢٨).

(٥) سورة الأعراف: الآيتان (٦١-٦٢).

(١) سورة الأعراف: الآيات (٦٧-٦٨).

وعن صالح -عليه السلام-: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[1]، وعن شعيب -عليه السلام-: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾[2].

د - الآيات التي تبين عدم أخذ الأجر على البلاغ وأن الأجر عليه من الله رب العالمين: قال تعالى عن نوح -عليه السلام-: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[3]، وعن نبي الله هود -عليه السلام- قال: ﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ﴾[4]، وعن نبي الله صالح -عليه السلام-قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[5]، وعن نبي الله لوط -عليه السلام- قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[6]، وعن نبي الله شعيب -عليه السلام- قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٧٩).
(٢) سورة الأعراف: الآية (٩٣).
(٣) سورة يونس: الآيتان (٧١-٧٢).
(٤) سورة هود: الآية (٢٩).
(٥) سورة الشعراء: الآيات (١٤٢-١٤٥).
(٦) سورة الشعراء(١٦١-١٦٤).

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

وعن نبينا محمد -ﷺ-: قال تعالى: **﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**[2]، وقال تعالى: **﴿قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾**[3].

والآيات فصلت كثيرا في حق نبينا محمد الخاتم -ﷺ- حيث فيها الأمر له بالبلاغ المبين، والأمر له أمر لأمته قال تعالى: **﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾**[4].

وأن مهمة الرسول -ﷺ- هي البلاغ المبين وأنه نفذ ذلك طاعة لله قال تعالى: **﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ﴾**[5]، وقال تعالى: **﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَما لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ﴾**[1]، وقـــال تعالى:

---

(١) سورة الشعراء: الآيات (١٧٧-١٨٠).

(٢) سورة سبأ: الآية (٤٧).

(٣) سورة ص: الآيات (٨٦-٨٨).

(٤) سورة المائدة: الآية (٦٧).

(٥) سورة آل عمران: الآية (٢٠).

(١) سورة النور: الآية (٥٤).

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[1].

وجعل المنزل عليه القرآن الكريم بلاغا للناس مبين قال تعالى: ﴿هذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ﴾[2].

والبلاغ الذى أمر الله به رسوله -ﷺ-عام وشامل لكل ما تحتاج إليه البشرية فى عاجلها وآجلها، ودنياها وأخراها، سواء كان ذلك بوحى القرآن، أو وحى السنة، فشمل ذلك إبلاغ القرآن، وإبلاغ السنة، إذ كل ذلك مما أنزله الله عليه من أمر الدين، كما أفاد ذلك عموم الاسم الموصول (ما) فى الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[3].

تطبيقه -ﷺ- البلاغ:

أما تطبيقه -ﷺ- البلاغ بالقرآن فقد قام بذلك استجابة لقوله تعالى: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾[4]، أى: لتبلغه الناس وتتلوه على مهل لتكون ألفاظه ومعانيه أثبت فى نفوس السامعين[1]. فقام بذلك حق القيام، فكانت له به عناية خاصة في تعليمه وإذاعته ونشره، فهو يقرؤه لهم على مكث لو عده

(١) سورة التغابن: الآية (١٢).

(٢) سورة ابراهيم: الآية (٥٢).

(٣) سورة المائدة: الآية (٦٧).

(٤) سورة الإسراء: الآية (١٠٦).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١٢٥/٥، والتحرير والتنوير ٢٣١/١٥ .

العاد لأحصاه، ترتيلاً كما أمر الله، ويسمعهم إياه في الخطب، والصلاة، وفى الدروس والموعظة والدعوة والإرشاد، وفى الفتوى والقضاء، ويدارسهم إياه فيسمع منهم ويسمعون منه، ومن لم يكن حاضراً لديه كأهل البلاد المختلفة، أرسل إليهم بعثات القراء ليعلموهم إياه ويفقهونهم به، كما هو معلوم من رسالته وسيرته وسننه[1] وقبل ذلك كله كان لا يكاد ينفك عنه الوحي حتى يقرأه على الناس ويدعو كتبة الوحي فيكتبوه ثم يحفظ فى بيته ليكون وثيقة لحفظه، وحفظ أصحابه كما هو مبين فى مظانه من كتب السنة والسيرة المشرفتين[2].

بل تطبيقه ﷺ البلاغ بالسنة الشريفة التي هي البيان ما كان أقل شأناً من إبلاغ القرآن، بل كان مسايراً له في كل أطوار البلاغ على حد سواء، لأن السنة هي: من الوحي الذي أنزل على النبي ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾[3]، وقال عز وجل: ﴿ **وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ** ﴾[4]، فلهذا كان النبي ﷺ يعنى بإبلاغ السنة كما يعنى بإبلاغ القرآن، بل إن إبلاغه السنة كان أوسع دائرة من حيث إنه لا يمضى عليه حال من الأحوال، إلا وهو محتاج إلى أن يبين ما يستجد فيه من حكم أو موعظة

---

(١) ينظر: مناهل العرفان فى علوم القرآن لمحمد الزر قاني ٢٤٠/١، والبرهان للزركشي ٢٣٣/١ .

(٢) ينظر: صحيح البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ٦٢٧/٨ وباب كاتب النبي صلى الله عليه وسلم ٦٣٨/٨، والبرهان فى علوم القرآن للزر كشي ٢٣٣/١ - ٢٤١، والإتقان فى علوم القرآن للسيوطي ١٦٠/١ - ١٧٦ نص رقم ٧٤٥ وما بعدها، ومناهل العرفان فى علوم القرآن لمحمد الزر قاني٢٤٠/١ - ٣٣٧ .

(٣) سورة النجم: الآيتان (٣-٤).

(٤) سورة النساء: الآية (١١٣).

أو قصة أو مثل، إذ القرآن يعنى بجوامع الأمور، وأصول التشريع، وقواعد الأحكام، ويتولى رسول الله -ﷺ- بيان دقائق الأخبار وتفاصيل الأحوال في كل الأحيان والأحوال، بل غالبه مجمل أوكل الله بيانه إلى نبيه محمد -ﷺ- بقوله: ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[1]، فسنته -ﷺ- التي بلغت مئات الآلاف من الأحاديث، والمدونة فى دواوين السنة، لم تترك صغيرة ولا كبيرة من أمر الدين إلا وتناولتها بالتفصيل والبيان، حتى بلغ من بيانه -ﷺ-، أن أخبر أصحابه بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة. فعن عمرو بن أخطب الأنصاري -رضي الله عنه- قال: «صلى رسول الله -ﷺ- يوماً الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان، وبما هو كائن إلى يوم القيامة، قال: فأعلمنا أحفظنا»[2]ومن هذا الحديث تعلم مدى تبليغه -ﷺ- للسنة، حيث كان ذلك البيان كله في مجلس واحد، فما بالك ببقية المجالس فى سائر الأيام؟!.

ثم إنه -ﷺ- لم يكتف بذلك، بل كلف كل من يسمع عنه شيئاً أن يبلغه إلى من وراءه، ليعم بلاغه الأمة في كل زمان ومكان، ليعملوا بما بلغهم من سنته في كل ما كلف به من أمور الدين والدنيا، فقال -ﷺ-: « بلغوا عنى ولو آية »[1] ورغبهم عليه

---

(١) سورة النحل: الآية (٤٤).

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الفتن، باب إخبار النبى -ﷺ- فيما يكون إلى قيام الساعة ٢٤٣/٩ رقم ٢٨٩٢ .

(١) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ٥٧٢/٦ رقم ٣٤٦١ من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنه.

الصلاة والسلام فى ذلك وشجعهم عليه بقوله: «نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه»[1].

وهكذا أدى رسول الله-ﷺ-، واجب التبليغ تارة بالعبارة، وتارة بالكتابة، وتارة بالحث على إبلاغ من لم يبلغه، لا يألو جهداً، ولا يدخر وسعاً في إيصال رسالة الله التي حملها إلى كل من يستطيع إيصالها إليه، تنفيذاً لواجب البلاغ الذى تحمله بمقتضى رسالته، وتنفيذاً لأوامر الله تعالى في ذلك، كقوله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾[2]، فبلغ البلاغ المبين منذ أن بعثه الله تعالى إلى أن أتاه اليقين، وقد شهد له بالعصمة في هذا البلاغ القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وإجماع الأمة.

سلف الأمة يقومون بالبلاغ المبين في الدعوة والعلم:

ولا شك أن الصحابة الذين بين لهم الرسول هذا البيان قد تحملوها، ولما تحملوها لم يسكتوا عندها بل بلغوها وبينوها لتلامذتهم؛ وذلك لأن النبي -ﷺ- كلفهم بأن يبلغوها، فقد ثبت عنه -ﷺ- أنه قال: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ»[3]، فلما سمعوا ذلك منه عرفوا أنه سوف ينتقل إلى الرفيق الأعلى، وأنهم سيقومون بعده بحمل هذه الشريعة وبحمل نصوصها وحمل معانيها وحمل كيفياتها، فما سكتوا، بل بلغوا ذلك وأخبروا من بعدهم بما علموه وبما حفظوه.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة المائدة: الآية (٦٧).

(٣) صحيح البخاري:١/ ٢٦ رقم:٦٧.

حكم البلاغ المبين بالدعوة والعلم:

جعل اللهّ تعالى مهمة البلاغ المبين واجبة التنفيذ، خاصة في هذه الأمة، وشدد في حكمها على أهل العلم منهم، قال القرطبيّ- رحمه اللهّ تعالى- استدلّ العلماء على وجوب تبليغ العلم الحقّ بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالْهُدى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾[1]، وتحقيق الآية هو أنّ العالم إذا قصد كتمان العلم عصى، وإذا لم يقصده لم يلزمه التّبليغ إذا عرف أنّه مع غيره، وأمّا من سئل فقد وجب عليه التّبليغ لهذه الآية، ولقوله -ﷺ-: «من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه اللهّ يوم القيامة بلجام من نار»[2]. أمّا ما يتعلّق ب (غير البيّنات والهدى) فإنّه يجوز كتمه وعدم تبليغه، لا سيّما إن كان مع ذلك خوف، وقد ترك أبو هريرة ذلك حين قال: «حفظت عن رسول اللهّ -ﷺ- وعاءين، فأمّا أحدهما فبثثته، وأمّا الاخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم»[3].قال البخاريّ: وهذا الّذي لم يبثّه أبو هريرة وخاف على نفسه فيه الفتنة أو القتل إنّما هو ممّا يتعلّق بأمر الفتن والنّصّ على أعيان المرتدّين والمنافقين، ونحو هذا ممّا لا يتعلّق بالبيّنات والهدى»[1].

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٥٩).

(٢) تفسير القرطبي (١/ ١٨٥)، والحديث في سنن ابن ماجة، المقدمة (٩٨)، رقم الحديث (٢٦٦).

(٣) انظر الحديث في الفتح (١/ ٢٦١).

(١) تفسير القرطبي (١/ ١٨٦).

٣ - ضوابط البلاغ المبين في العمل الدعوي:

لكي يكون البلاغ المبين محققا لأهدفه يراعي فيه الضوابط العامة الآتية:

١ - الحرص على الوضوح والبيان بحيث يكون القول واضحاً بيناً لا غموض فيه ولا إبهام، مفهوماً عند السامع، لأن الغرض من الكلام إيصال المعاني المطلوبة إلى من يكلمه الداعي فيجب أن يكون الكلام واضحاً غاية الوضوح.

٢ - أن يستخدم المبلغ لغة القوم الذين يقوم فيهم بالبلاغ ولهذا أرسل الله رسله بألسنة أقوامهم حتى يفهموا ما يدعونهم إليه ويستطيعون بيانه إليهم قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾(١).

٣ - خلو الكلام المبلغ به من الألفاظ المستحدثة التي تحتمل حقاً وباطلاً وخطأً وصواباً. وعلى الداعي ان يحرص على استعمال الألفاظ الشرعية المستعملة في القرآن والسنة وعند علماء المسلمين، لأن هذه الألفاظ تكون محددة المعنى واضحة المفهوم خالية من أي معنى باطل قد يعلق في ذهن المدعو. وقد أشار القرآن الكريم إلى ضرورة هذا الضابط في الكلام قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا** ﴾(١)، لأن في كلمة (راعنا) في لسان اليهود معنى باطلاً كانوا يقصدونه عند مخاطبتهم رسول الله -ﷺ- بهذه الكلمة فأمر الله المسلمين أن يتركوها ويستعملوا

---

(١) سورة ابراهيم: الآية (٤).

(١) سورة البقرة: الآية (١٠٤).

كلمة انظرنا بدلاً منها حتى لا يتحجج اليهود فيستعملوا كلمة راعنا يريدون بها الشتيمة والتنقيص.

٤ - التأني في الكلام المبلغ به فلا يسرع فيه، بل يتمهل حتى يستوعب السامع كلامه ويفهمه، جاء في الحديث الذي رواه البخاري «ان النبي ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه»[١].

٥ - عدم التقصير في البلاغ والحذر من الكتمان فيه: قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾[٢].

يقول القرطبي رحمه الله: (وهذا تأديب للنبي ﷺ وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئاً من شريعته).

٦- توفر عنصر الوعي لدى المبلغ: قال ﷺ «نضر اللهّ امرءاً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها، فرّب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» [٣] الحديث استفاد الخطابي من هذا الحديث كراهة اختصار الحديث لمن ليس بالمتناهي بالفقه، وعلى هذا فإن الوعي يكون بحفظ النص وأدائه كما قيل، ويكون للفقيه بمحافظته على المعاني المستفادة.

---

(١) انظر أصول الدعوة:٣٢/٢ والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ج ١/ ٤٨ حديث رقم: ٩٥.

(٢) سورة المائدة: الآية (٦٦).

(٣) مسند أحمد:٤٣٧/١..

٧- ومن مقتضيات البلاغ المبين البلاغة: وتتضح البلاغة المقصودة في قوله – تعالى-: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾[1]، ويقصد بها أن يكون الكلام حسن المعاني واضحا في ألفاظه مع تجنب وحشي الكلام وغريبه ولا يقصد بالبلاغة التكلف والتشدق والتفيهق)، فعلى المبلغ أن يبتعد عن التفاصح والتعاظم والتكلف في نطقه جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال «هلك المتنطعون قالها ثلاثاً»[2]. والتنطع في الكلام التفاصح فيه والتعمق فيه، وفي حديث آخر: «إن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»[3].

٨ – أن يبتعد المبلغ عن روح الاستعلاء على المبلغ واحتقاره وتحديه وإظهار فضله عليه، وإنما عليه أن يكلمه بروح الناصح الشفيق المخلص المتواضع الذي يدل غيره على ما ينفعه ويعرفه به، وعلى الداعي أن يكلمه كمبلغ له معاني رسالة الله، لا أن يكلمه كمبلغ له فضله وعلمه.

٩ – وعلى المبلغ أن يتلطف بالقول، فيستعمل في كلامه وخطابه ما يثير رغبة المبلغ إلى السماع ويقمع فيه نوازع الجهل والنفور. وفي القرآن الكريم كثير من الآيات التي تشير إلى هذا التلطف المفيد، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لأبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾[1]، و ذكر ابن هشام

(١) سورة النساء: الآية (٦٣).

(٢) رواه مسلم رقم (٢٦٧٠) في العلم ، باب هلك المتنطعون ، وأبو داود رقم (٤٦٠٨) في السنة ، باب في لزوم السنة.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠١٨قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب.

(١) سورة مريم: الآية (٤٢).

في سيرته أن النبي ﷺ أتى إلى بطن من بطون كلب في منازلهم يقال لهم (بنو عبد الله) فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه حتى أنه كان يقول لهم «يا بني عبد الله إن الله عز وجل قد أحسن اسم أبيكم»[1]، والتلطف في القول لا يعني المداهنة والنفاق ولا إخفاء الحق أو تحسين الباطل أو الرضى به، وإنما هو تشويق للمدعو لقبول الحق وإعانته على ذلك.

١١- أن لا يخوض في البلاغ فيما لا ينبني عليه عمل: يقول الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى-: (كل مسألة لا ينبني عليها عمل، فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي، والدليل على ذلك: استقراء الشريعة فإنّا رأينا الشارع يعرض عمّا لا يفيد عملاً مكلفا به، ففي القرآن الكريم: ﴿**قُلْ هَذِهِ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾[2]، فوقع الجواب بما يتعلق به العمل، ومن هنا نهى ﷺ «عن قيل وقال وكثرة السؤال»[3]؛ لأنه مظنة السؤال عما لا يفيد، وقد كان مالك بن أنس يكره الكلام فيما ليس تحته عمل[4].

١٢ – على المبلغ تحديد الهدف من تبليغه بدقة، والبدء بالمهم فالأهم، وأن يعرف كيف يبدأ وما هو مضمون دعوته وأن يعرف رسالته بدقة[1].

---

(١) السيرة النبوية:٢٧١/٢.

(٢) سورة البقرة: الآية (١٨٩).

(٣) رواه البخاري ١٣ / ٢٢٩ في الاعتصام ، باب ما يكره من كثرة السؤال ، ومسلم رقم (٥٩٣) في الأقضية ، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة .

(٤) تهذيب الموافقات للجيزاني طبعة مكتبة ابن الجوزي.٤٠

(١) السابق

٤ – فوائد البلاغ المبين (التبليغ) وثماره في العمل الدعوي:

١ – التّبليغ هو أساس نشر الإسلام في شتّى بقاع الأرض.

٢ – التّبليغ يكسب المبلّغ نضرة بدعاء الرّسول -ﷺ- للمبلّغين.

٣ – التّبليغ يجعل الغائب بمنزلة الشّاهد فيتساوى بذلك من شهد ومن لم يشهد.

٤– في تبليغ الله عن الشّهداء ما يحفز الهمم على الاستشهاد ويطمئن قلوب أهليهم أنّهم في الجنّة.

٥ – التّبليغ يقطع حجّة الكفّار الّذين لم يدخلوا في الإسلام كبرا وعنادا.

٦ – التّبليغ وسيلة الملائكة السّيّاحين الّذين ينقلون سلام الأمّة إلى المصطفى -ﷺ-.

٧ – في التّبليغ ما يقطع حجّة المعاندين ويبشّر المتّقين.

٨ – في التّبليغ ما ينشر معرفة النّاس بكتاب الله وسنّة رسوله -ﷺ-.

٩ – التّبليغ يعود بالنّفع على المبلّغ وبالأجر على المبلّغ.

١٠ – في تبليغ الله عزّ وجلّ عن الشّهداء ما ثبّت فؤاد النّبيّ -ﷺ- حيث أخبره المولى بأنه رضي عنهم ورضوا عنه.

من فوائد (التبيين)

١ – التّبيين يعين المبلّغ على أداء رسالته.

٢ – التّبيين يقطع حجّة المعاندين الّذين يحتجّون بغموض ما يدعون إليه.

٣ – التّبيين مثل التّبليغ من وظيفة الرّسل الكرام وأتباعهم من الدّعاة والعلماء.

٤ – التّبيين من الوسائل النّاجعة لإنجاح الدّعوة والوصول بها إلى تحقيق هدفها المنشود [١].

---

(١) نضرة النعيم: ٣/٨٩٩.

المطلب الرابع

وسيلة التلاوة وأساليبها وأنشطتها

١- مفهوم وسيلة التلاوة الدعوية:

أ- التلاوة لغة:

التلاوة مصدر تلا يَتْلُو تلاوَةً: أي قَرأ. والمُتَلّي: المُرَدِّدُ للتِّلاوَةِ . وتلاه: أي رَوَاه[1].

وتَلَوْت القرآن تِلاوةً قرأْته وعم به بعضهم كل كلام، ومنه قوله عز وجل ﴿**فالتَّالِياتِ ذِكْراً**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يَتْلونه حقّ تِلاوَتِه**﴾[3]، معناه يَتّبعونه حقّ اتّباعه ويعملون به حق عمله .

ب- التلاوة اصطلاحا:

التّلاوة عند القرّاء: قراءة القرآن الكريم متتابعا كالأوراد والأسباع. أو قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ مُتَتَابِعًا كَالأْجْزَاءِ وَالأْسْدَاسِ . قال الراغب: والتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة، تارة بالقراءة، وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي، وترغيب وترهيب. أو ما يتوهم فيه ذلك، وهو أخصّ من القراءة، فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة،

---

(١) المحيط في اللغة:٤٦٠/٩ ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس:٣٥١/١ ولسان العرب ومعجم الفروق اللغوية العسكرية:٩٨/١.

(٢) سورة الصافات: الآية (٣).

(٣) سورة البقرة: الآية (١٢١).

﴿وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا﴾[1]، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِم﴾[2]، [3] ويفهم من عرض هذه الآيات أنّ التّلاوة اصطلاحا خاصّة بالقرآن الكريم مع الاتّباع وليست القراءة في غيره كذلك[4].

ج- التلاوة في اصطلاح العمل الدعوي:

فهي تلاوة القرآن – قراءته – على المكلفين لهدايتهم به، واستقامتهم على تعاليمه، أو لإقامة الحجة عليهم. والإعذار إليهم. وهذا هو التلاوة – القراءة – الدعوية التي ركز عليها القرآن كثيرا واعتبرها من أهم الوسائل الدعوية وكانت محل تطبيق لها من رسول الله -ﷺ- وصحابته الكرام ومن تبعهم بإحسان كما سنبينه.

٢- عرض مفهوم وسيلة التلاوة الدعوية وأسلوبها ونشاطها في العمل الدعوي:

أمر الله بالتلاوة للقرآن دعوة، ورغب فيها كوسيلة دعوية لمختلف أصناف المدعوين الكفار: الملحدين، الدهريين، المشركين، أهل الكتاب، والمستجيبن لدعوة الإسلام، المؤمنين المتقين، العصاة، وغيرهم بصيغ متنوعة تتناسب وحال أصناف المدعوين، بما يحقق الهداية لمن أراد الله هدايته، وإقامة الحجة لمن أبى، وتقوية إيمان وتقوى أهل الإيمان، وتبصير وتشويق للعصاة للعودة إلى الله، وهذا هو العرض

(١) سورة الأنفال: الآية (٣١).

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٥١).

(٣) المفردات في غريب القرآن ، ص : ١٦٨.

(٤) القاموس الفقهي:/٤٩١.

القرآني والنبوي لهذه الوسيلة الهامة بأساليبها المشوقة المؤثرة، وأنشطتها الموضحة المبينة، سنعرضها من خلال بعض الآيات والأحاديث التي ذكرت فيها التلاوة بمعنى القراءة كوسيلة دعوية تبليغية تعليمية في مختلف العصور والأحوال والفئات من ذلك:

أ- طلب إبراهيم عليه السلام من الله بعث نبي يتلو الآيات: قال تعالى: ﴿رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(1).

ب - والتلاوة على الرسول محمد ما أنزل عليه: قال تعالى: ﴿تِلْكَ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(2)، وقال تعالى: ﴿ذلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآياتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾(3).

ج- الرسول محمد -ﷺ- أرسل بتلاوة الآيات دعوة وتربية وتعليما وتفقيها:

قال تعالى: ﴿كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾(1)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾(2)،

---

(1) سورة البقرة: الآية (١٢٩).

(2) سورة البقرة: الآية (٢٥٢).

(3) سورة آل عمران: الآية (٥٨).

(1) سورة البقرة: الآية (١٥١).

(2) سورة آل عمران: الآية (١٦٤).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[1].

د- أمر الله للرسول بتلاوة القرآن دعوة وتبليغا: قال تعالى: ﴿وَاتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَها وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[3].

د- آيات متوجهة بالدعوة والبلاغ وإقامة الحجة تلاوة أو قراءة إلى الكفار:

قال تعالى: ﴿وإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْراكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاماً وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾[2].

---

(١) سورة الجمعة: الآية (٢).

(٢) سورة الكهف: الآية (٢٨).

(٣) سورة النمل: الآيتان (٩١-٩٢).

(١) سورة يونس: الآيتان (١٥-١٦).

(٢) سورة مريم: الآية (٧٤).

وقال تعالى: ﴿وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(1).

ه- حتى الجن خص ذكرهم بآيات تتلى عليهم دعوة وتبليغا: قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قالُوا يا قَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30) يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ (31) وَمَنْ لا يُجِبْ داعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءُ أُولئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾(2)، وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾(1).

ه- أيات تخاطب أهل الإيمان بالتلاوة والقراءة للاعتصام بالله والثبات على الإيمان: قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِينَ (100) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلى عَلَيْكُمْ آياتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(2)، وقال تعالى:

---

(1) سورة الحج: الآية (72).

(2) سورة الأحقاق: الآيات (29-32).

(1) سورة الجن: الأيتان (1-2).

(2) سورة آل عمران: الآيتان (100-101).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يا أُولِي الْأَلْبابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللَّهِ مُبَيِّناتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً﴾[2].

حتى أهل الكتاب المؤمنين يتلون القرآن أو يتلى عليهم للهداية: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللَّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَأُولئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[2].

---

(١) سورة فاطر: الآيتان (٢٩-٣٠).

(٢) سورة الطلاق: الآيتان (١٠-١١).

(٣) سورة البقرة: الآية (١٢١).

(١) سورة آل عمران: الآيتان (١١٣-١١٤).

(٢) سورة القصص: الآيات (٥١-٥٤).

٥- ومن الآيات المتلوة لبيان الأحكام والتعاليم:قال تعالى: ﴿ **قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(١٥١) وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[1].

هذه جملة من الآيات عرضناها لنؤصل بها الدعوة إلى الله بوسيلة التلاوة والقراءة للقرآن الكريم على كل المكلفين باختلاف نحلهم وتوجهاتهم من كفار وأهل كتاب ومنافقين وعصاة ومؤمنين وغيرهم بل هي الأصل في الدعوة والعمل لهذا الدين إذ لا هداية إلا به والدعوة به أكثر تأثيرا وأبلغ أثرا، قال تعالى: ﴿ **وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً** ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ **هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ** ﴾[2].

فالدعوة بالقرآن أنجح وأعظم أثرا لوصفه بالهداية، قال علي رضي الله عنه: «ومن ابتغى الهدى بغيره أضله الله» رواه الترمذي، فهو كلام الله وخير الكلام كلام الله، وقد كان -ﷺ- يخطب بسورة «ق» وقد قال تعالى لنبيه: « وإن أحد من المشركين

---

(١) سورة الأنعام: الآيتان (١٥١-١٥٢).

(١) سورة الفرقان: الآية (٥٢).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٨٥).

استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله...» وقد أمر الرسول -ﷺ- أمته بالدعوة بالقرآن كما في حديث البخاري عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»[1]، فالدعوة الناجحة هي الدعوة بالقرآن لأن القرآن هو زاد الداعي ووسيلته للإنذار والهداية؛ لقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾[2]، ولقوله: **﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾**[3].

وهذه نماذج من سيرة الرسول -ﷺ- عن عمل الرسول بهذه الوسيلة وبأساليب متنوعة، كما قام بأنشطة متنوعة للبلاغ، وأنه دعا قوما وتلا عليهم القرآن:

١- ما رواه جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- عن دعوة الرسول -ﷺ- الوافدين عليه من يثرب(المدينة) فقال: «كان رسولُ الله -ﷺ- يعرض نفسه بالموقف، فيقول: ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشاً منعوني أن أُبَلِّغَ كلام ربي»[1].

٢- «قَدِمَ سُوَيْدُ بْنُ صَامِتٍ أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ مَكّةَ حَاجّا أَوْ مُعْتَمِرًا فَتَصَدّى لَهُ رَسُولُ اللهِّ -ﷺ- حِينَ سَمِعَ بِهِ فَدَعَاهُ إلَى اللهِّ وَإِلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَهُ سُوَيْدٌ: فَلَعَلّ الّذِي مَعَك مِثْلُ الّذِي مَعِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِّ -ﷺ- وَمَا الّذِي مَعَك »؟ قَالَ مَجَلّةُ لُقْمَانَ يَعْنِي حِكْمَةَ لُقْمَانَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِّ -ﷺ- اعْرِضْهَا عَلَي فَعَرَضَهَا عَلَيْهِ

(١) صحيح البخاري: ٢٠٧/٤رقم: ٣٤٦١.

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٤٥).

(٣) سورة العنكبوت: الآية (٥١).

(١) رواه أبو داود رقم (٤٧٣٤) في السنة ، باب في القرآن ، والترمذي رقم (٢٩٢٦) في ثواب القرآن ، باب عرض النبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ القرآن ، وإسناده صحيح ، وقال الترمذي : هذا حديث صحيح غريب.

فَقَالَ لَهُ إنّ هَذَا الْكَلَامَ حَسَنٌ وَاَلّذِي مَعِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، قُرْآنٌ أَنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيّ هُوَ هُدَى وَنُورٌ . فَتَلَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهّ -ﷺ- الْقُرْآنَ وَدَعَاهُ إلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ وَقَالَ إنّ هَذَا لَقَوْلٌ حَسَنٌ . ثُمّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ عَلَى قَوْمِهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَتَلَتْهُ الْخَزْرَجُ، فَإِنْ كَانَ رِجَالٌ مِنْ قَوْمِهِ لَيَقُولُونَ إنّا لَنَرَاهُ قَدْ قُتِلَ وَهُوَ مُسْلِمٌ . وَكَانَ قَتْلُهُ قَبْلَ يَوْمِ بُعَاثٍ »[1].

٣- عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيَدٍ، قَالَ لَمّا قَدِمَ أَبُو الْحَيْسَرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ مَكّةَ وَمَعَهُ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فِيهِمْ إيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ، يَلْتَمِسُونَ الْحِلْفَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى قَوْمِهِمْ مِنْ الْخَزْرَجِ، سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللهّ -ﷺ- فَأَتَاهُمْ فَجَلَسَ إلَيْهِمْ فَقَالَ لَهُمْ « هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ مِمّا جِئْتُمْ لَهُ »؟ فَقَالُوا لَهُ وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ أَنَا رَسُولُ اللهّ بَعَثَنِي إلَى الْعِبَادِ أَدْعُوهُمْ إلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللهّ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْزَلَ عَلَيّ الْكِتَابَ . قَالَ ثُمّ ذَكَرَ لَهُمْ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ »[1].

٤- قال ابن إسحاق ثم قدم على رسول الله -ﷺ- وهو بمكة عشرون رجلا أو قريبا من ذلك من النصارى يقال إنهم من أهل نجران حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسألة رسول الله -ﷺ- عما أرادوا دعاهم إلى الله وتلا عليهم

(١) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن. السيرة الصحيحة (١ / ٥٩١).

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤١/٢) بإسناد حسن. (٢) نفس المصدر(٤١/٢، ٤٢).

القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره»[1].

ولو تأملنا في حوار النبي مع المدعوين وماذا كان يقول لهم، لوجدنا أنه في كثير من المواقف يكتفي بتلاوة آيات من القرآن الكريم ويحدث هذا أثرا عظيما في النفوس، لقد كانت قراءة النبي، لآية من القرآن تشد الكافر والمنافق والمشرك و تبين له الحق، ولا يقول أحد إن هذا خاص بالنبي، بل هو ممكن لكل من سلك سبيله واقتدى به، وهو بهذا مستجيب لربه سبحانه وتعالى الذي أمره بذلك إذ يقول: ﴿ **فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ** ﴾[2]، وبقوله سبحانه: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ** ﴾[3]، وقوله: ﴿ **وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ** ﴾[1]، فلم لا يكون حوارنا، وتكون خطبنا ومواعظنا، وحديثنا الدعوي ينطلق ويدور في فلك آيات القرآن الكريم نبدأ بالاستشهاد بها في كل ما نريد إيصاله إلى المدعوين من تربية وتعليم وغير ذلك.

---

(١) السيرة النبوية - ابن هشام - ١/ ٢٦٣.

(٢) سورة ق: الآية (٤٥).

(٣) سورة التوبة: الآية (٦).

(١) سورة النمل: الآية (٩٢).

٣- ضوابط وآداب العمل الدعوي بتلاوة القرآن:

لتلاوة القرآن وقراءته لتبليغ الدعوة وتعليم أحكامه والتربية عليها والدعوة إلى العمل بها ضوابط وآداب ينبغي مراعاتها عند القيام بذلك وهي كثيرة نذكر منها لآتي:

١ – أن يستفتح الداعية تلاوته بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم .. وذلك أن قارئ القرآن إنما يلتقى بالله عن طريق كلمات الله التي يتلوها، وإذ كان هذا شأنه، فقد كان من المناسب في هذا اللقاء الكريم أن يخلى نفسه من وساوس الشيطان، ومن كل داعية إليه، وفي حديث عبد الله بن عباس قال: أول ما نزل جبريل على محمد -ﷺ- قال: «يا محمد استعذ» قال: «استعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» ثم قال: «قل بسم الله الرحمن الرحيم» ثم قال ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ قال عبد الله: وهي أول سورة أنزلها الله على محمد -ﷺ- بلسان جبريل[1].ولقد كان رسول الله -ﷺ- يفعل ذلك في دعوته بتلاوة القرآن: فعن الطفيل بن عمرو الدوسي لما أتى النبي -ﷺ- فعرض عليه الاسلام فقال له إني رجل شاعر فاسمع ما أقول فقال له النبي -ﷺ- هات فانشده فقال له رسول الله -ﷺ- وأنا أقول فاسمع ثم قرأ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قل هو الله أحد الله الصمد﴾ إلى آخرها ثم قرأ ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ ودعاه إلى الإسلام فأسلم وعاد إلى قومه فأتاهم في ليلة

(١) تفسير بن كثير:٣٣/١ وقال: وهذا الأثر غريب وإنما ذكرناه ليعرف فإن في إسناده ضعفاً وانقطاعاً والله أعلم.

مطيرة[1].

٢- أن لا يستعجل في تلاوته بل يتمهل فيها ويرتلها ترتيلا بحيث يسمعها المدعو ويعقلها ويفهم المراد منها، ويحرك بها قلبه حتى لو استدعى الأمر التكرار كرر قال عز وجل: ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا**﴾[2]، وقوله: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ**﴾[3]، قال ابن عباس: ﴿ فَرَقْنَاهُ ﴾ فصلناه . وعن ابن مسعود أنه قال: لا تنثروه نثر الرمل ولا تهذّوه هذّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة. رواه البغوي[4].

٣- التلاوة الدعوية يجوز إجراءها على أي حال تكون عليه عدا الأحوال المنهي عن التلاوة فيها، وهي معروفة معلومة، لأن رسول الله ﷺ كان يقرأ القرآن قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا ومتوضئًا ومحدثًا، ولم يكن يمنعه من قراءته إلا الجنابة.

٤- لا تكون التلاوة إلا بالعربية لأن قراءة القرآن بغير العربية، تذهب بإعجازه المقصود منه. ويطلب من المتلو عليهم الاستماع إلى القراءة وترك اللغط والحديث أثناءها، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[1].

---

(١) الخصائص الكبرى:١/٢٢٣.

(٢) سورة المزمل: الآية (٤).

(٣) سورة الإسراء: الآية (١٠٦).

(٤) تفسير بن كثير:٨/٢٥٠.

(١) سورة الأعراف: الآية (٢٠٤).

٥- يحسن تحسين الصوت بالقراءة لقوله -ﷺ-«زينوا القرآن بأصواتكم»[١] رواه ابن ماجه، وروى مسلم عن ابى موسى الاشعري أن رسول الله -ﷺ- قال له يا أبا موسى لو رأيتنى وأنا أستمع لقراءتك البارحة لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود فقال أما والله لو أعلم أنك تستمع قراءتى لحبرتها لك تحبيرا[٢]. وقال الزهري عن أبى سلمة كان عمر إذا رآى أبا موسى قال ذكرنا ربنا يا أبا موسى فيقرأ عنده[٣].

٦- يلزم المتلو عليهم إن كانوا مسلمين الاستماع لقراءة القرآن وترك اللغط والحديث، وأن يقبل عليه بقلب خاشع، ويتفكر في معانيه، ويتدبر في آياته، ويتعظ بما فيه من حكم ومواعظ، وأن يحسن الاستماع والإنصات لما يتلى من قرآن حتى يفرغ القارئ من قراءته، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمون** ﴾[١]. قال عبد الجبار بن أحمد في فوائد القرآن له: إن المشركين كانوا يكثرون اللغط والشغب تفننا وعنادا، على ما حكاه الله عنهم: « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ». فأمر الله المسلمين حالة أداء الوحي أن يكونوا على خلاف هذه الحالة وأن يستمعوا، ومدح الجن على ذلك فقال: ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ** ﴾[٢]،[٣].

---

(١) سنن ابن ماجة:٤٢٦/١ قال الشيخ الألباني : صحيح.

(٢) صحيح مسلم:٥٤٦/١.

(٣) صحيح بن حبان:١٦٨/١٦ قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

(١) سورة الأعراف: الآية (٢٠٤).

(٢) سورة الأحقاف: الآية (٢٩).

(٣) تفسير القرطبي:٣٥٤/٧.

٧- وينبغي للداعية بتلاوة القرآن أن يكون على نظافة تامة وهيئة حسنة وأن يستاك عند التلاوة فقد ورد « أن افواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك » وأن يجلس مستقبل القبلة بسكينة ووقار، وأن تكون القراءة في مكان لائق إن توفر، والمسجد أفضل لأنه مكان العبادة. وأن يتأدب عند تلاوة القرآن الكريم، فلا يضحك، ولا يعبث ولا ينظر إلى ما يلهي بل يتدبر ويتذكر كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[1].

٤- فوائد تلاوة وقراءة القرآن في العمل الدعوي:

١- القرآن عصمة لمن اعتصم به وحرز من النّار لمن عمل بما جاء به.

٢- من تلا القرآن وأراد به رضا مولاه كان من المفلحين

٣- تلاوة القرآن تهدي المؤمن إلى صراط مستقيم وتشفي صدور قوم مؤمنين.

٤- القرآن هو حبل اللهّ المتين فمن تمسّك به وتلاه حقّ تلاوته فاز بنعيم الدّنيا والآخرة.

٥- الّذين يستمعون القرآن من عباده المؤمنين فيتّبعون أحسنه أولئك على هدى من ربّهم وكلّ كلام ربّنا حسن لمن تلاه.

٦- والاستماع إلى القرآن والإصغاء إليه بأدب وتعظيم فيه مهابط الرّحمة وعميمها.

(١) سورة ص: الآية (٢٩).

٧- سبب من أسباب انشراح الصّدر.

٨- فيه الشّفاء من أدواء الجسم والنّفس.

٩- فوائد القرآن كثيرة لا تحصى.

١٠- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله موضحاً فوائد قراءة القرآن: قراءة القرآن علي الوجه المأمور به تورث القلب الإيمان العظيم، وتزيده يقينا، وطمأنينة، وشفاء، قال تعالى: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيد الظالمين إَلاَّ خَسَارًا** ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾[2].

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٨٢).

(١) سورة البقرة: الآية (٢).

(٢) سورة التوبة: الآية (١٢٤).

المطلب الخامس

وسيلة الأذان وأسلوبه ونشاطه

١- مفهوم الأذان في العمل الدعوي:

أ- الأذان لغة:

الأذان في اللغة مطلق الإعلان، وهو: الاعلام أيضا وفي الكتاب العزيز: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾[1]، أي إعلام. وأذان الصلاة معروف ويقال فيه الأذان والأذين والإيذان، والأذين هو المؤذن المعلم بأوقات الصلاة، وأصل هذا من الأُذن كأنه يلقي في آذان الناس بصوته ما إذا سمعوه علموا أنهم قد ندبوا إلى الصلاة. والخلاصة أن الأذان في اللغة: نداء يقصد به إعلام المنادى بما يراد منه، ومنه الأذان للصلاة.

ب- الأذان اصطلاحا:

ذكر العلماء للأذان عدة تعاريف اصطلاحيه لكنها في جملتها متقاربة وإن اختلفت الألفاظ، أجمعها: هو التعبُّد لله بذكرٍ مخصوص؛ بعد دخول وقت الصَّلاة؛ للإعلام به وهذا أولى من قولنا: الإعلامُ بوقتِ الصَّلاة؛ لأنَّ الأذان عبادة فينبغي التنويه عنها في التَّعريف، ولأنَّ الأذان لا يتقيَّد بأوَّل الوقت؛ ولهذا إذا شُرِع الإبراد في صلاة الظُّهر شُرِعَ تأخير الأذان أيضاً[2].

---

(١) سورة التوبة: الآية (٣).

(٢) الشرح الممتع.

٢- عرض مفهوم وسيلة الأذان وأسلوبه ونشاطه في العمل الدعوي (التأصيل):

التعريف الاصطلاحي ركز على أذان الصلاة، لأن الصلاة المؤقتة هي السبب في مشروعية الأذان، لكن ألفاظ الأذان والمؤذن ومناداته بالأذان في اليوم خمس مرات، ومشروعية التأذين بنفس الألفاظ التي يؤذن بها، والأمر بالسماع له مع الإصغاء وعدم الانشغال بأي شيء والدعاء بعده، كل ذلك يشير أن الأذان والقيام به أعم من هذا التخصيص، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. فالجانب الدعوي يشمله الأذان، بل يكون من أهم أهدافه ومقاصده، فلا يرى كلمات أحق بالإبلاغ بها والسماع لها وأَوْلَى بالتأمل من كلمات الأذان، ولا يرى داعيًا إلى الرشد أنجح من المؤذن.

ولم تكن وسيلة الآذان في العمل الدعوي مقصورة على أذان الصلاة، بل تدخل وسيلته في أكثر من عمل دعوي لكن بغير ألفاظه الخاصة بالصلاة، وهذا ماسنبينه في هذا العرض القرآني الدال على أن وسيلة الأذان كإعلام مورس في أكثر من ميدان دعوي، حيث جاءت لفظة الأذان في القرآن بمعنى الإعلام والإعلان كما جاءت بلفظ النداء وفي سياق دعوي في أكثر من آية، ولذا هذه اللفظة اعتبرت وسيلة دعوية لكثير من أعمال الإسلام، وكأذان بالألفاظ المخصوصة أيضا عد من أفضل الوسائل لأفضل عمل دعوي إسلامي. فمن الأول ما ذكر في القرآن والسنة:

١ - قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً**

رَحِيماً ﴾[1]، فقوله﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾: إذن الله: إعلامه بالشيء وأمره به. قال الطبري وقوله:(فَبِإِذْنِ اللَّهِ) يقول: فبأمر الله قطعتم ما قطعتم، وتركتم ما تركتم، وليغيظ بذلك أعداءه، ولم يكن فسادًا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وذكر منهم: يزيد بن رومان[2].

٢- قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاء وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾[3]، قال الشنقيطي: قَوْلُهُ ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أَيْ: أَعْرَضُوا وَصَدُّوا عَمَّا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ فَقُلْ ﴿ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ أَيْ: أَعْلَمْتُكُمْ أَنِّي حَرْبٌ لَكُمْ كَمَا أَنَّكُمْ حَرْبٌ لِي، بَرِيءٌ مِنْكُمْ كَمَا أَنْتُمْ بَرَاءٌ مِنِّي . ثم قال: قَوْلِهِ: ﴿ آذَنْتُكُمْ ﴾ الْأَذَانُ: الْإِعْلَامُ . وَمِنْهُ الْأَذَانُ لِلصَّلَاةِ. وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ ﴾[4]، أَيْ: إِعْلَامٌ مِنْهُ، قَوْلُهُ: ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾[5]، أَيِ: اعْلَمُوا [6].

٣- قوله تعالى: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1]، إعلام منه تعالى. وفي

---

(١) سورة النساء: الآية (٦٤).

(٢) تفسر الطبري:٢٣ /٢٧٢.

(٣) سورة الأنبياء: الآيتان (١٠٧-١٠٩).

(٤) سورة التوبة: الآية (٣).

(٥) سورة البقرة: الآية (٢٧٩).

(٦) أضواء البيان:٤/٢٥١-٢٥٢.

(١) سورة التوبة: الآية (٢-٣).

حديث البخاري عن أبي هريرة قال: بعثني أبو بكر -رضي الله عنه- في تلك الحَجَّة في المُؤذِّنين، بعثهم يوم النحر، يُؤذِّنون بمنى: ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. قال حميد: ثم أردف النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- بعلي بن أبي طالب، فأمره أن يُؤَذِّن ببراءة. قال أبو هريرة: فأذَّنَ معنا عليٌّ في أهل منى يوم النحر ببراءة وألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان»[1].

٤- قولة تعالى: ﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ**﴾[2]، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له:(أَذِّنْ فِي النَّاسِ بالحَجّ) قال: ربّ ومَا يبلغ صوتي؟ قال: أذّن وعليّ البلاغ فنادى إبراهيم: أيها الناس كُتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق فحجوا- قال: فسمعه ما بين السماء والأرض، أفلا ترى الناس يجيئون من أقصى الأرض يلبون[3].

٥- ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[4].

قال الشنقيطي: إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَيْ: قَامَ الْمُنَادِي بِهَا، وَهُوَ الْمُؤَذِّنُ يَقُولُ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ .ثم قال وهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، وَهَذَا السِّيَاقُ يُشْبِهُ فِي مَدْلُولِهِ وَصُورَتِهِ

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦٥٥).

(٢) سورة الحج: الأيتان (٢٧-٢٨).

(٣) تفسير الطبري:١٨/٦٠٥-٦٠٦.

(٤) سورة الجمعة: الآية (٩).

قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾(١)، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾(٢)، فَفِي كُلٍّ مِنْهُمَا نِدَاءٌ، وَأَذَانُ الْحَجِّ صَلَاةٌ وَسَعْيٌ وَإِتْيَانٌ وَذِكْرٌ للهِ، ثُمَّ انْتِشَارٌ وَإِفَاضَةٌ مِمَّا يَرْبُطُ الْجُمُعَةَ بِالْحَجِّ فِي الشَّكْلِ وَإِنِ اخْتَلَفَ الْحَجْمُ، وَفِي الْكَيْفِ وَإِنْ تَفَاوَتَتِ التَّفَاصِيلُ(٣) .

٧- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾(٤)، وَالْمُرَادُ بِالنِّدَاءِ هُوَ الْأَذَانُ، هذا بعض ما جاء من أيات دالة على الأذان لأعمال دعوية والكل متضمن عمل دعوة .

أما أذان الصلاة المعهود بألفاظه الجهيرة المُدَوِّية في الآفاق تذكير بالله وحقوقه، وتذكير بالعمل الذي خُلِقْنَا من أجله، إنها مناشدة لأبناء آدم أن يعرفوا الصراط المستقيم ويثبُتوا عليه، وأن يَحذَروا السُّبُلَ المُعْوَجَّة ويَنْأَوْا عنها.

قال القرطبي وغيره: الأذان على قلة ألفاظه مشتمل على مسائل العقيدة؛ لأنه بدأ بالأكبرية وهي تتضمن وجود الله تعالى وكماله، ثم ثنى بالتوحيد ونفي الشريك،

---

(١) سورة الحج: الآية (٢٧).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٩٨).

(٣) أضواء البيان:١٢٢/٨.

(٤) سورة المائدة: الآيتان (٥٧-٥٨).

ثم بإثبات الرسالة، ثم دعا إلى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة لأنها لا تعرف إلا من جهة الرسول، ثم دعا إلى الفلاح وهو البقاء الدائم وفيه الإشارة إلى المعاد، ثم أعاد ما أعاد توكيدا.

ويحصل من الأذان الإعلام بدخول الوقت والدعاء إلى الجماعة وإظهار شعائر الإسلام، والحكمة في اختيار القول له دون الفعل، وسهولة القول وتيسره لكل أحد في كل زمان ومكان.

هذه الكلمات نزلت من السماء ولم تَخْرُج من الأرض، استمَعَ إليها نَفَر من الصحابة في رُؤًى متقاربة، وأحد الملائكة الكرام يَهْتِف بها، في أعقاب مؤتمرٍ تَبَاحَثَ فيه الصحابة مع الرسول ﷺ حول أَمْثَل الطرق للدعوة إلى الصلاة!.

إن كلمات الأذان بحمد الله (تعالى) تتردد في كل بلد مسلم، وترتفع كل يوم خمس مرات من آلاف المآذن والمساجد المنتشرة في المدن والقرى، بحيث يمكن القول:

إن عدد المرات التي يسمع فيها المسلم الأذان في حياته يفوق أي كلمات أخرى تتكرر على سمعه. وهذا هو قمة العمل الدعوي لتبليغ دين الله.

وقد شُرِع الأذان في السنة الأولى بعد الهجرة، بينما فرضت الصلاة قبلها بعدة شهور في ليلة الإسراء والمعراج، وكانت الأدوات المرشحة لدعوة الناس بها إلى الصلوات هي: النفخ في البوق كما عند اليهود، والضرب على الناقوس كما عند النصارى، وإشعال النار كما عند المجوس، فأبدل الله هذه الأمة بذلك كله: كلمات

الأذان، مع أن القصد إلى مخالفتهم واضح في تشريع الأذان؛ لأنه شعار من شعائر الدين، لكن القصد إلى المخالفة والتميز لا يمنع من إثبات قصد آخر، هو: تركيز معاني الإسلام وحقائقه الكبرى في كلمات هذا الأذان ليؤدي مهمة مزدوجة، الدعوة إلى شعيرة الصلاة والدعوة إلى دين الإسلام عامة، ويجتمع للمسلمين في أداتهم ما لم يجتمع لمن قبلهم في سبيل نشر دينهم. بل ليس كل من يسمع الأذان بالضرورة من المصلين، بل ليس كل من يسمع الأذان مسلم، فلا شك أن للأذان رسالة إلى هؤلاء.

وللدور الدعوي للأذان وأهميته بجانب الإعلام بالصلاة فقد كان المسلمون إذا فتحوا بلداً بنوا به المساجد، ورفعوا فيها الأذان، وأقاموا فيها الصلاة، وجلسوا بها للتعليم، وصار سماع الأذان في قرية علامة على إسلام أهلها؛ فإذا سمعه المسلمون كفّوا عنها، وميزوها عن غيرها من القرى الكافرة .

وكان لصيحة (الله أكبر) ـ وهي من كلمات الأذان ـ هيبتها عبر التاريخ الإسلامي، فقد كانت تزلزل قلوب الأعداء، وتلقي الرعب في قلوب الكفار، فهي كلمة الثبات وكلمة النصر، فإذا غزا المسلمون قالوا: الله أكبر، وإذا فتح الله عليهم ونصرهم أذنوا فقالوا: «الله أكبر»، وبقي الأذان والمئذنة رمزين في صراع المسلمين وأعدائهم ،وكانت أحقاد اليهود والنصارى والمشركين تتجه أول ما تتجه إلى المآذن والمؤذنين ،وكلنا يتابع ما فعله الصرب في البوسنة، وما يفعله الصهاينة في فلسطين، والهندوس في الهند، والروس في الشيشان، وما يفعله غيرهم في بلاد مختلفة من العالم

كفرنسا، والدرمك، وإسبانيا، وغيرها، مما يبين أن الأذان والمئذنة رمز لأمة، وشعار لدين، فهما مستهدفان كما يستهدف اللواء في المعارك والحروب[1].

٣- ضوابط وآداب الأذان المحققة لأهدافه في العمل الدعوي:

إن من التأدب مع الله – عز وجل – أن نعظم شعائره قال–سبحانه–: ﴿ **ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[2]، فكيف وهي ألفاظ للدعوة إليه جل وعلا وإلى تعظيمه، فتعظيم شعائر الله هي من تأثير التقوى التي في القلب، وإن الأذان من شعائر الإسلام التي يُعظَّمُ فيها الله–تعالى– ويدعى بها إليه، فالتأدب عنده والالتزام بضوابطه هو من تعظيم شعائر الله،. **من هذه الآداب والضوابط** :

١ – **إن الأذان كلمات مختارة ومرتبة بعناية يجب الالتزام بها**،ولا تستبدل بغيرها وهذا الاختيار والترتيب مقصود لأمر يتجاوز مجرد الإعلام بدخول وقت الصلاة.

٢– **النهي عن خلط أي كلمات أخرى** به سواء في أوله أو في آخره حتى تتميز كلماته عن غيرها من الكلام الذي قد يزيده الناس، وقد حفظت كلمات الأذان بالتواتر على مر العصور، تبدأ بكلمة (الله أكبر)، وتنتهي بـ (لا إله إلا الله).

٣ – اختيار المؤذن الأندى صوتاً، فإن النبي ﷺ قال للصحابي الذي رأى في منامه من يعلمه الأذان: «قم فلقنه بلالاً فإنه أندى صوتاً منك»[1]، والصوت الندي

---

(١) انظر مجلة البيان، العدد (٩٥)، رجب ١٤١٦،ديسمبر ١٩٩٥ من مقال للدكتور. محمد عز الدين توفيق بتصرف

(٢) سورة الحج: الآية (٣٢).

(١) رواه الترمذي وأحمد وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة ، وقال الترمذي: حسن صحيح. وانظر: صحيح سنن أبي داود ، جـ١ /٩٨ ، ٤٦٩ ، وصحيح ابن ماجه ، ١. /١١٨ ،٧٠٦.

هو: الصوت القوي الواضح الجميل الذي تجتمع في صاحبه الموهبة والدربة، فإذا كان الصوت منفّراً أثر في هذه الغاية وأضعفها.

٤ - **الترغيب في المؤذن الذي لا يأخذ على أذانه أجراً** وتفضيله على الذي يأخذ؛ ليمتزج إخلاص قلبه مع كلمات لسانه، ولذلك أثره في نفس السامع.

٥- إن من الأدب في حق الأذان **أن يكون المؤذن على طهارة**، ولهذا فقد اتفق الفقهاء على أنَّ الطهارة من الحدثين الأصغر والأكبر مطلوبة للأذان والإقامة، وتتأكَّدُ في الإقامة أكثر لاتصالها بالصلاة[١]. فقد جاء من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا يُؤَذِّنُ إِلَّا مُتَوضِّئٌ»[٢].

٦- **أن يكون المؤذن حسن الهيئة**: حيث يكون نظيف البدن نظيف الثوب حسن السمت، قال الخرشي وهو مالكي: ويستحب للمؤذن والمقيم حسن الهيئة فلا يفعلان في ثياب من شعر .

٧- **استقبال القبلة**: اتفق الفقهاءُ على أنه يُسَنُّ للمؤذِّن استقبالُ القبلة حالَ الأذان والإقامة، ويُكره له استدبارُها إلّا للإسماع، قال ابنُ المنذرِ[١] « وأجمعُوا على أنَّ مِنَ السُّنَّةِ أنْ تستقبلَ القبلة بالأذان»[٢]. والدليل ما جاء عن عبد الله بن زيد - رجل من الأنصار- وقال فيه: فاستقبل القبلة قال:« الله أكبر الله أكبر..» الحديث[٣]

---

(١) نهاية المحتاج(٣٠٨/١).

(٢) رواه الترمذي(٢٠٠)،، كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء في كراهية الأذان بغير وضوء

(١) الإجماع لابن المنذر ص٧.

(٢) المجموع(١١٤/٣).

(٣) رواه أبو داود (٢٥٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

فالأذان دعاء إلى جهة القبلة، فاقتضى أن يكون من سنته التوجه إليها[1].

٨- **الأذانُ مِنْ عَلَى مَكَانٍ كالمنارة،** أو سطح المسجد ونحوهما[2]. وفي حديث عروة بن الزبير رضي الله عنهما عن امرأة من بني النجار قالت: « كان بيتي من أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذن عليه الفجر...» [3]. ومن كماله أن يجهر به المؤذن، ويمد الصوت بألفاظه حتى يصل إلى أطول مسافة وأكبر عدد من الناس. ومما تشمله السنة مكبر الصوت حيث يؤدي المقصود خاصة إذا وضع في أعلى مرتفع ويكون أبلغ في مدى الإعلام، لذا فيبقى الاستحباب في عصرنا للأداة المكبرة مع استعمال المؤذن لها. والله أعلم

٩- **وضع الأصبعين في الأذنين حال الأذان:** لحديث سعد القرظي-رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمر بلالاً أن يجعل إصبعيه في أذنيه، وقال:« إنه أرفع لصوتك»[1]. وقد ذكره البخاري تعليقا: «والمقصود من ذلك المدى في إيصال الأذان إلى المقصودين به.

١٠- **الترسل في الأذان:** وهو التمهّل والتؤدة والتحقيق في ألفاظ الأذان من غير عجلة، ويكون بسكتة بين كل جملتين تسع الإجابة، وذلك من غير تمطيط ولا مدٍّ مفرط[2]. لحديث جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لبلال:« يا بلال إذا

---

(١) الحاوي الكبير(٢/٤١).

(٢) بدائع الصنائع(١/١٤٦).

(٣) رواه أبو داود(٥١٩). وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح(٢/١٢٢).

(١) رواه ابن ماجه (٧١٠).

(٢) بدائع الصنائع(١/١٤٩).

أذنت فترسل في أذانك، وإذا أقمت فاحدر...» [1]. ومن المعقول أن الأذان إعلام للغائبين فكان الترسل فيه أبلغ في الإعلام.

١١- **الالتفات في الحيعلتين:** المقصود بالحيعلتين هي قول المؤذن:« حي على الصلاة، حي على الفلاح»، لحديث أبي جحيفة- رضي الله عنه- قال:«... وأذن بلال فجعلت أتتبع فاه هاهنا وهاهنا، يقول يميناً وشمالاً يقول: حي على الصلاة حي على الفلاح...» [2].

١٢- **ومن ضوابطه أن يكون باللغة العربية،** فلا يصح بغيرها إن أذن لجماعة، لوروده بلسان عربي كالقرآن.

١٣- **الترتيب والموالاة بين ألفاظ الأذان والإقامة:** اتباعاً للسنة كما روى مسلم وغيره، ولأن ترك الموالاة بين كلمات الأذان يخل بالإعلام، فلا يصح الأذان إلا مرتباً، كما لا يصح بغير المتوالي ويعاد غير المرتب وغير المتوالي

١٤- **أن يكون المؤذن مسلماً عاقلاً (مميزاً)**فلا يصح أذان الكافر، والمجنون والصبي غير المميز والمغمى عليه والسكران؛ لأنهم ليسوا أهلاً للعبادة. ولا للدعوة إليها.

(١) رواه الترمذي(١٩٥).قال الترمذي حديث جابر لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) رواه مسلم.

٤- فوائد وثمار الأذان للعمل الدعوي:

للأذان ثمار وفوائد كثيرة من أهمها:

١- معرفة أوقات الصلوات في أولها فيستعد المسلم لحضور الصلاة في أول وقتها فينال العمل الأفضل كما في حديث «أي الأعمال أفضل قال الصلاة على أول وقتها».

٢ – يتعلم الداعية والعامل للدين كيف يتحين الوقت المناسب لممارسة العمل الدعوي والمصارحة به وإعلانه.

٣- فوائد الأذان في الفجر أن فيه أذانين الأذان الأول فيه دعوة للنائمين أن يستيقذوا قبيل طلوع الفجر للعبادة والدعاء، والثاني عند دخول الوقت إشعارا بدخوله ودعوة الناس إلى الصلاة وأدائها، وفيه يقول المؤذن الصلاة خير من النوم، فعلى المؤذّن أن يحرص عليها ويقولها حتى ولو كان الناس في المسجد فإنّ فيها فوائد قد تغيب عن البال ومنها تذكير للناس بهذه الحقيقة: أنّ «الصلاة خير من النّوم» لهذا اليوم ولما بعد هذا اليوم.

٤- يتذكر المسلم بسماع الأذان شعائر الإسلام التي في مقدمتها الشهادتان، ويحصل على إجابته للمؤذن وهو يردد خلفه، وقراءته للدعاء الذي أرشد إليه الرسول الأجر الجزيل.

٥- بقيامه بأداء الأذان ولو في الفلاة يتأثر به كل من سمعه من الإنس والجن من المؤمنين، فيرددون معه ويتذكرون صلاتهم المفروضة فينهضون إليها ويسعون إلى إدراك جماعتها. وفوق ذلك يشهد له بذلك كل من سمعه لقولـــه عليه السلام « لا

يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة »[1].

٦- بترديد كلمات الأذان المشتملة على كلمة التوحيد وشعيرة الصلاة والدعوة إلى كل ما فيه فلاح في اليوم خمس مرات يتحقق النشر لها دعويا ويتذكرها المؤمن فينهض للدعوة إليها.

٧- بالأذان يذكر المؤمن فينهض للعبادة، ويسمع العاصي المقصر، فلعله يتوب وتقام الحجة على غير المسلم إذا لم يدخل في الإسلام.

٨ - إن توقف اللسان عن الاستمرار في الكلام الذي كان يقوله وانصرافه إلى متابعة كلمات الأذان من غير أن يسابق المؤذن بها، ومن غير أن يتأخر عنه، دليل آخر يؤكد أن الأذان للإعلام بدخول الوقت.

٩- في الأذان تذكير بحقائق معينة المسلم والكافر بحاجة إلى التذكير بها. **لذلك** إذا فرغ المؤذن من أذانه يسن للسامع أن يقول بعد الصلاة على رسول الله: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته» كما في حديث جابر بن عبد الله[1].

وإذا تأملنا هذا الدعاء الذي يقال بعد الأذان، نجده تلخيصاً لدعوة الإسلام، ثم إعلاماً بدخول وقت الصلاة، والمؤذن هو الداعي بها كل يوم خمس مرات يبلغها للمسلم وغير المسلم، فالمسلم يتفاعل بسماعها فيسارع إلى الاستجابة لهذه الدعوة ويمارس العبادة الخالصة لله، وغير المسلم إما يتأثر بهذا النداء فيقتنع ويدخل في دين الله، وإما تقام عليه الحجة بهذه الدعوة.

---

(١) أَخْرَجَه الْبُخَارِيُّ.

(١) رواه البخاري ٢ / ٧٧ و ٧٨ في الأذان ، باب الدعاء عند النداء ، وأبو داود رقم (٥٢٩) في الصلاة، والترمذي رقم (٢١١) في الصلاة ، باب ما يقول الرجل إذا أذن المؤذن من الدعاء ، والنسائي ٢ / ٢٧ في الأذان ، باب الدعاء عند الأذان .

المطلب السادس

وسيلة الذكرى والتذكير، وأسلوبها، وأنشطتها.

١- مفهوم الذكرى والتذكير في العمل الدعوي:

أ- الذكرى لغة:

الذِّكْرُ و الذِّكْرى والذُّكْرةُ ضد النسيان، والذِّكْرَى: اسمٌ للتَّذْكِيرِ، أَي أُقِيم مُقَامَه، كما في قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، والتّذكرة ما يتذكّر به الشّيء، وهو أعمّ من الدّلالة والأمارة قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾[١]، والنّاس وعظهم ومنه ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾[٢]، [٣] والتذكير الوعظ.

اذا الذكرى في اللغة تعني: ضد النسيان، والتذكير، والعبرة لمن ذكر والتذكر والاتعاظ. وهي معاني ذات صلة بمعنى التذكير الدعوي.

ب- التذكير اصطلاحا:

التذكير اصطلاحا: محاولة القوة العقلية لاسترجاع ما فات بالنسيان[٤].أو كما يعرفه به بن باديس: أن تقول لغيرك قولاً يذكر به ما كان به جاهلًا، أو عنه ناسياً، أو

---

(١) سورة الذاريات: الآية (٥٥).

(١) سورة المدثر: الآية (٤٩).

(٢) سورة الغاشية: الآية (٢١).

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٣٥٨)، لسان العرب (٤/ ٣٠٨)، ومفردات الراغب (١٧٩).

(٤) التوقيف على مهمات التعريف:١٦٨/١.

غافلًا. وقد يقوم الفعل والسمت والهدي مقام القول، فيسمى تذكيراً مجازاً وتوسعاً. ويجمع للثلاثة قولك: عباد الله الصالحون يذكرون الخلق بالخالق، بأقوالهم وأعمالهم وسمتهم[1].

ج- التذكير والذكرى والذكر في العمل الدعوي:

لم يرد التّذكير والذكرى مصطلحا دعويا في الكتب الّتي تهتمّ بإيراد المعاني الاصطلاحيّة وكذلك المراجع الدعوية، بيد أنّه يمكن استنباط تعريف له من خلال تعريفهم للذّكر من ناحية ومن خلال كتب اللّغة والتّفسير من ناحية أخرى فنقول:

التّذكير: أن تجعل غيرك يستحضر ما تذكّره به بغرض الاتّعاظ والخروج من ميدان الغفلة والنّسيان إلى مجال المشاهدة والحضور.

أو هو: أن تجعل المخاطب على ذكر ممّا تظنّ أنّه غافل عنه إمّا حقيقة وإمّا على سبيل التّغافل فيخرج بذلك من دائرة الغفلة والنّسيان إلى مجال الذّكرى الّتى تنفع المؤمنين .

وهذا النوع من التذكير حاجة الخلق إليه أعظم ما يحتاجون إليه وأشرف وألزم. فإن سعادتهم الحقيقية في هذه الحياة بإنارة عقولهم، وزكاة نفوسهم واستقامة سلوكهم. وفي الحياة الأخرى بنعيم الجنان، وحلول الرضوان- إنما هي بإيمانهم بربهم، وشكرهم له.

---

(١) تفسير بن باديس:٢٦/١.

٣- عرض وسيلة وأسلوب ونشاط الذكر والذكرى والتذكير في العمل الدعوي.

ورد الذكر والذكرى والتّذكّر والتذكير في القرآن الكريم في مواضع عديدة بعدة صيغ وأساليب دعوية تذكيرية وعظية خبرية إعلامية إلى غير ذلك من وسائل البلاغ والتعليم والتزكية، اقترن بعضها بالاستفهام الإنكاريّ كما في قوله سبحانه: ﴿**أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ**﴾[١]، واقترن بعضها بلفظ «لعلّ» الّتي تفيد الحثّ على التّذكر ببيان الأسباب الدّاعية إليه، وجاءت آيات أخرى تمدح المتذكّرين وتجعل الذّكرى من صفات أولى الألباب.

وقد سجّلت آيات أخرى على الإنسان قلّة تذكّره أو عدم تذكّره مع وجود الدّاعي لذلك من تلاوة آي القرآن أو جعل اللّيل والنّهار خلفة أو إطالة العمر وتذكير الآخرين له ودعوتهم له للاستجابة ونحو ذلك.

وفي هذه الوسيلة الدعوية الذكر والذكرى والتذكير التي وردت في القرآن الكريم بهذا اللفظ المتعدد، نستعرض بعض ما ورد فيها مع التصنيف لها بما يتناسب مع سياق الموضوع للاستدلال على ما نحن بسياقه.

وعلم الله حاجة عباده إلى التذكير، فاصطفى منهم رجالًا أنعم عليهم بكمال الفطرة، ووقاية العصمة، وأرسلهم لتذكير العباد: ﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾[١]، ﴿**وَمَا**

(١) سورة الأنعام: الآية (٨٠). وسورة السجدة: الآية (٤).

(١) سورة النساء: الآية (١٦٥).

أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[1]، فالأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام- أولو هذا المقام الجليل: مقام التذكير، ثم من بعدهم ورثتهم من العلماء العاملين والمأمورون بالقيام بها وقاموا بها كوسيلة دعوية مؤثرة. وهذه بعض الآيات التي تنص على ما ذكرنا:

في كون الأنبياء أهل الذكر والذكرى والتذكير قال تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

وفي أمره جل وعلا لهم بالقيام بالتذكير به: فعن نوح عليه السلام: قال تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

وعن هود عليه السلام قال تعالى: ﴿قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفاهَةٌ وَلكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ ناصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

وعن موسى وهارون عليهما السلام قال تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآياتِي وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي﴿٤٢﴾ اذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى ﴿٤٣﴾ فَقُولا

---

(١) سورة الشعراء: الآيتان (٢٠٨-٢٠٩).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٧).

(١) سورة الأعراف: الآيتان (٦٢-٦٣).

(٢) سورة الأعراف: الآيات (٦٧-٦٩).

لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ شَكُورٍ ﴾[2].

والرسول محمد الخاتم ﷺ نزل عليه الذكر وأمر بالذكرى والتذكير: حيث كان النبي ﷺ على سنة إخوانه الأنبياء والمرسلين- عليهم الصلاة والسلام- في نزول الذكر عليه والقيام بتذكير العباد به، ممتثلا أمر ربه تعالى بقوله: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ﴾[1]، إذ السيطرة على القلوب؛ والإيمان – وهي من أعمال القلب- لا تكون بالإكراه، وإنما بذكر الحجج والأدلة، وهذه هي سنة المرسلين في الدعوة إلى الله، كما قصها علينا القرآن الكريم في كثير من السور والآيات. والآيات التي ورد فيها نزول الذكر والأمر للرسول بالذكرى والتذكير بها كثيرة: قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكافِرِينَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[4].

---

(١) سورة طه: الآيات (٤١-٤٤).

(٢) سورة ابراهيم: الآية (٥).

(١) سورة الغاشية: الآيتان (٢١-٢٢).

(٢) سورة النحل: الآيتان (٤٣-٤٤).

(٣) سورة يس: الآيتان (٦٩-٧٠).

(٤) سورة الذاريات: الآيات (٥٤-٥٥).

وما يصدر من الرسول ويبلغ به من الحق هو ذكر وذكرى يُتذكر به: قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَجاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وقال: ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرى لِلْعالَمِينَ﴾[2].

والقرآن المنزل على الرسول ذكر وذكرى وتذكرة للمؤمنين: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿كِتابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، جعله الله ميسرا للذكرى والتذكير به: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[3].

وينتفع به المذكر و المُذكَّر به ويخسر به المعرض عن الذكرى والتذكير به: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[5].

وما يتذكر بالذكر والذكرى إلا أولو الألباب- أصحاب العقول- المتقون الخاشعون: قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿هذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا

---

(١) سورة هود: الآية (١٢٠).

(٢) سورة الأنعام: الآية (٩٠).

(١) سورة العنكبوت: الآية (٥١).

(٢) سورة الأعراف: الآية (٢).

(٣) سورة القمر: الآيات (١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠).

(٤) سورة الزمر: الآية (٢٧).

(٥) سورة الدخان: الآية (٥٩).

(٦) سورة الحاقة: الآية (٤٨).

بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿إِنَّما يُؤْمِنُ بِآياتِنَا الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِها خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1].

وهؤلاء المتذكرون بآيات الله هم المنتفعون بالذكرى قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمًّا وَعُمْيانا ﴾[2].

والذين لا ينتفعون بالذكرى ولا يتذكرون هم الغافلون، قال تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾[4].

وتوعد الله المعرضين عن الذكر – القرآن – المذكر به وبين عاقبتهم في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى﴾[5]، وقال: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذاباً صَعَداً﴾[6].

---

(١) سورة إبراهيم: الآية (٥٢).

(٢) سورة ص: الآية (٢٩).

(٣) سورة الأعلى: الآيات (٨-١٠).

(١) سورة السجدة: الآية (١٥).

(٢) سورة الفرقان: الآية (٧٣).

(٣) سورة الحجر: الآية (٦-٩).

(٤) سورة السجدة: الآية (٢٢).

(٥) سورة طه: الآية (١٢٤).

(٦) سورة الجن: الآية (١٧).

***من تطبيقات الرسول في الذكرى والتذكير في العمل الدعوي(النشاط):**

كان -ﷺ- يذكر أصحابه بقوله وعمله وهديه وسمته، ذلك كله منه على وفق هداية القرآن وحكمه. قالت عائشة الصديقة رضوان الله عليها، لما سئلت عن خلقه قالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ». فكان تذكيره كله بآيات القرآن: يتلوها، ويبينها بالبيان القولي والبيان العملي، ممتثلاً في ذلك كله أمر ربه تعالى بقوله: ﴿**فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ**﴾[1]، وذكر -ﷺ- امتثالا للأمر بالحال الذي حكاه أبو ذرّ-رضي الله عنه- قال: لقد تركنا محمّد -ﷺ- وما يحرّك طائر جناحيه في السّماء إلّا أذكرنا منه علما) [2].

ونذكر في هذا الموضوع نماذج تطبيقيه من تذكيره -ﷺ- من ذلك مع استعمال الرسول من الوسائل ما يسمى في عرف التعليم المعاصر نشاطا:

١ - كان رسول الله مع مجموعة من أصحابه عليه الصلاة والسلام، فمروا على شاة، أو سخلة ميتة، أو تيس أسك –أي مقطوع الأذنين– قال: «أرأيتم هذا؟ قالوا: نعم. قال: لماذا ألقاها أهلها أو أصحابها؟ قالوا: لأنها لا قيمة لها، قال: إن الدنيا أهون عند الله من هذه عند أهلها» فلأجل هذه المناسبة، قال هذه الكلمة عليه الصلاة والسلام، استغلالاً للموقف، ومحاولة للتذكير في وقت نفعه: ﴿**إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى**﴾[3].

---

(١) سورة ق: الآية (٤٥).

(٢) أحمد (٥/ ١٥٣، ١٦٢)، والهيثمي في المجمع (٨/ ٢٦٣)، وقال: رواه أحمد والطبراني وزاد فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «ما بقي شيء يقرب من الجنة يباعد من النار إلا وقد بين لكم» ورجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقري وهو ثقة، وفي إسناد أحمد من لم يسم.

(٣) سورة الأعلى: الآية (٩).

٢- عَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ قَالَ: (وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولُ الله -ﷺ-) قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ، قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِّ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِّ -ﷺ- يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِّ -ﷺ-عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِّ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِّ -ﷺ- قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللهِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ -ﷺ-: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِّ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ -ﷺ-: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»[1].

٣- ضوابط وآداب الذكرى والتذكير في العمل الدعوي:

تتحقق كثير من أهداف الإسلام ومقاصده متى كان القيام به على النحو الذى مارسه الرسول -ﷺ- وصحابته الكرام والتزم فيه بالآداب والضوابط الآتية:

١- ينبغي للمذكر أن يكون مخلصا في قيامه بهذا الواجب قاصدا به وجه الله والدار الآخرة ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ** ﴾[2].

---

(١) صحيح مسلم: ٢١٠٦/٤رقم ٢٧٥٠.

(٢) سورة البينة: الآية (٥).

٢- أي يكون عنده من العلم والفقه وأخبار السلف الصالح وسيرهم ما يعينه ويساعده في القيام بمهمة الذكرى والتذكير على وجه صحيح مفيد. «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» .

٣- أن يكون حريصا على التأسي في ذلك برسول الله والرسل الأكرمين ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾[1]، ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾[2].

٣- ينبغي أن يكون فصيحا بليغا في كلامه حيث يوصل الذكرى إلى عقول وقلوب المتذكرين، ولا يتكلم مع الناس إلا بقدر فهمهم واستيعابهم وتأثرهم.

٤- أن يكون ذا سمت حسن وهيئة حسنة وسيرة مستحسنة.

٥- أن يكون تذكيره مقتصدا لا يُذكِّر إلا غبًّا، ولا يتكلم وفي من يذكّره ملال، ويحسن أن يقطع الحديث ولايزال فيهم رغبة.

٦- أن يكون مجلسه في مكان ظاهر حيث يراه الجميع، ويحسن أن يكون المكان مناسبا مهيئا كالمسجد أوفي مكان هيء لذلك.

٧- أن يبدأ الكلام بحمد الله والصلاة على رسول الله -ﷺ-، ويختم بها، ويدعو للمؤمنين عموما وللحاضرين خصوصا، ولا يخص في الترغيب والترهيب فقط بل يشوب كلامه من هذا ومن ذلك.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية (٢).

(٢) سورة الأنعام: الآية (٩٠).

٨ - أن يكون ميسرا لا معسرا، ويعم بالخطاب ولا يخص طائفة دون طائفة، وأن لا يشافه بذم قوم أو الإنكار على شخص بل يعرض مثل أن يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا.

٩- ينبغي للمذكر أن يزور في نفسه صفة المسلم في أعماله، وحفظ لسانه وأخلاقه وأحواله القلبية، ومداومته على الأذكار، ثم ليتحقق فيهم تلك الصفة بكمالها بالتدريج على حسب فهمهم .

١٠- أن يكون محتوى تذكيره أساسا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في ضوء فهم الصحابة والتابعين والسلف الصالح وغيرهم من صالح المؤمنين الذين رزقهم الله فقها وفهما صحيحا في الدين.

١١- أن يكون تذكيره متضمنا الترغيب والترهيب والتمثيل بالأمثال الواضحة والقصص المرققة والنكات النافعة فهذا طريق التذكير.

١٢- إن كان في مجلس التذكير أهل لغات شتى والمذكر يقدر أن يتكلم على ألسنتهم فليفعل ذلك . وليجتنب دقة الكلام وإجماله.

١٣- اختيار المواقف للتذكير يقول الله عز وجل: ﴿ **فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى** ﴾[١]، فالمذكر ينبغي أن يتخير في التذكير تحرى الأوقات، والظروف، والأماكن، والأحوال المناسبة التي يدخل فيها إلى الناس، ولهذا النبي ﷺ كان يتخول

(١) سورة الأعلى: الآية (٩).

أصحابه بالموعظة. أي: يتلمس، سواء كان بتخول الظروف، أو باستغلال المناسبات.

١٤- استعمال البصيرة في التذكير لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾[1].

١٥- مراعاة الحكمة في التذكير لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[2].

٤- فوائد الذكرى والتذكير في العمل الدعوي:

١- في القيام بالتّذكير والذكرى تنفيذ لأمر اللهّ- عزّ وجلّ-.

٢- ما تضمنته هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، فَإِنَّهَا تَضَمَّنَتْ وَاحِدَةً مِنْ فوائد التَّذْكِيرِ وَهِيَ: رَجَاءُ انْتِفَاعِ الْمُذَكَّرِ بِهِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ هُنَا: وَذَكِّرْ، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ: فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ .

٣- خُرُوجُ الْمُذَكِّرِ مِنْ عُهْدَةِ التَّكْلِيفِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَقَدْ جَمَعَ اللهُّ هَاتَيْنِ الفائدتين فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[2].

---

(١) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

(٢) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(١) سورة الذاريات: الآية (٥٥).

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٦٤).

٤- النِّيَابَةُ عَنِ الرُّسُلِ فِي إِقَامَةِ حُجَّةِ اللهَّ عَلَى خَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ؛ لِأَنَّ اللهَّ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾[1].

وَقَدْ بَيَّنَ هَذِهِ الْحُجَّةَ فِي آخِرِ «طه» فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ**﴾[2]، وَأَشَارَ لَهَا فِي الْقَصَصِ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[3].

٥- يصل المسلم بربّه.

٦- ينبّهه إلى غفلاته ويبعده عن زلّاته.

٧- يدخل تحت باب التّعاون على البرّ والتّقوى.

٨- التّذكير ينتفع به المؤمن، بل هو دليل على كمال هذا الإيمان.

٩- التّذكير حقّ واجب على كلّ مسلم تجاه إخوانه المسلمين بقدر استطاعته ومؤهّلاته.

١٠- فيه صلاح المجتمع وسعادة الدّارين.

---

(١) سورة النساء: الآية (١٦٥).

(٢) سورة طه: الآية (١٣٤).

(٣) سورة القصص: الآية (٤٧).

المطلب السابع

وسيلة الموعظة وأسلوبها ونشاطها

١- مفهوم الوعظ في العمل الدعوي: .

أ- الوعظ لغة:

(وعظ) الوَعْظ والعِظةُ والمَوْعِظةُ النُّصْح والتذْكير بالعَواقِب. وفي الحديث «لأَجْعلنك عِظة»[١] أَي مَوْعظة وعِبرة لغيرك، وفي التنزيل: ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾[٢]، وقد وَعَظه وَعْظاً وعِظة واتَّعَظَ هو قَبِل الموعظة حين يُذكر الخبر ونحوه، والاتِّعَاظُ: قَبُولُ المَوْعِظَةِ. يُقَالُ: السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بغَيْرِه والشَّقِيُّ مَنْ به اتَّعِظَ[٣].

إذا الوعظ في اللغة يعني: النصح، والتذكير بما يلين القلب، والاتِّعَاظُ: قَبُولُ المَوْعِظَةِ.

ب- الوعظ اصطلاحا:

لا يبعد الوعظ في معناه الاصطلاحي عن معناه اللغوي على كثرة تعريفاته، وهي في جملتها تعنى كما يقول بن سيده: هو تذكيرك للإنسان بما يُلَيِّن قلبَه من ثواب وعِقاب.

---

(١) رواه البخاري ١١ / ٢٣ في الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، ومسلم رقم (٢١٥٣) في الآداب، باب الاستئذان ، وأبو داود رقم (٥١٨٠) و (٥١٨١) و (٥١٨٢) و (٥١٨٣) و (٥١٨٤) في الأدب ، باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان ، والترمذي رقم (٢٦٩١) في الاستئذان والآداب ، باب ما جاء في الاستئذان ثلاثاً .

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٧٥).

(٣) صحيح مسلم:٤ /٢٠٣٧ موقوفا على ابن مسعود ورفعه في سنن بن ماجة:١٨/١

ج- الوعظ في العمل الدعوي:

لم أقف على تعريف خاص عن الوعظ في العمل الدعوي في ما كتب عن الدعوة، مع أن الوعظ في العمل الدعوي له أهدافه ومقاصده وطرقه وأساليبه التي يقتضي شمول التعريف لها، لذلك سنحاول في ضوء ما كتب عن الوعظ أن نخرج بالتعريف الآتي:

هو وسيلة وأسلوب حسن يهدف إلى النصح والتذكير، يقوم به الداعية تجاه المدعوين قولا بليغا أو عملا مستقيما، لاستمالة قلوبهم واستنهاض هممهم، وإطلاق تصرفاتهم في تحقيق الأوامر واجتناب النواهي، والإقبال على أنواع الطاعات برغبة، مستعملا في نصحه وتذكيره الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والتذكير بأيام الله بحسب الاقتضاء، مراعيا الحال والمقام والموعوظ. وفي الحديث «وعلى رأْس الصّراط واعظُ اللّه في قلب كل مسلم»[1] يعني حُجَجه التي تَنْهاه عن الدُّخول فيما منعه اللهّ منه وحرَّمه عليه.

ومن هذا التعريف الدعوي للوعظ تعرف الموعظة الحسنة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[1]، بأنها: الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، والقول الحق الذي يلين القلوب، ويؤثر في النفوس، ويكبح جماح النفوس المتمردة، ويزيد النفوس المهذبة إيمانا وهداية[2].

---

(١) مسند أحمد: ١٨٢/٢٩ صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل الحسن بن سوار، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح.

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٢) انظر. فتاوى ابن تيمية ١٩ / ١٦٤، ومفتاح دار السعادة لابن القيم ١ / ١٩٥، والتفسير القيم لابن القيم ص٣٤٤، وهداية المرشدين لعلي محفوظ ص٧١ .

٢- عرض مفهوم وسيلة وأسلوب ونشاط الوعظ والموعظة في العمل الدعوي:

الوعظ وسيلة هامة وأسلوب حسن اعتمده القرآن الكريم، وذكر لنا عدة آيات لأحوال عدة ذكر فيها الوعظ والموعظة وبصيغ متنوعة، فيها الأمر والنهي والخبر والترغيب والوعد والوعيد إلى غير ذلك من الصيغ التي يقتضيها الوعظ، كما عرض جانبا من وعظ الأنبياء والرسل لأقوامهم والأمر لنبينا محمد بالوعظ والسير على نهج من سبقه، وشهادة القرآن له بالقيام بذلك، وما ذاك إلا لأهمية هذه الوسيلة وضرورة القيام بها من العاملين للإسلام الدعاة إلى الله عز وجل نستعرضها في هذا العنوان مع إجراء التقسيم والتصنيف الذي تشير إليه الآيات:

- **الكتب المنزلة على الأنبياء والرسل السابقين من أعظم المواعظ:**

قال تعالى: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَجاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[١]، فالله يذكر به رسله.

فهذا نوح عليه السلام يقول له ربه: ﴿**قالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ**﴾[٢].

(١) سورة هود: الآية (١٢٠).

(٢) سورة هود: الآية (٤٦).

والمنزل على موسى عليه السلام فيه وعظ، وأمر بوعظ قومه به: قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنا لَهُ فِي الْأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْها بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها سَأُرِيكُمْ دارَ الْفاسِقِينَ﴾(١).

ونزول عقوبة الله على بني إسرائيل المنتهكين حرمة السبت فيه جعل الله فيها موعظة للمتقين:

١-قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْناها نَكالًا لِما بَيْنَ يَدَيْها وَما خَلْفَها وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

عيسى عليه السلام والإنجيل المنزلة على عيسى عليه السلام فيها موعظة:

﴿وَقَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ وَآتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾(١).

ولقمان قام بالوعظ كوسيلة لهداية ابنه كما بينه القرآن:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٢).

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٤٥).

(٢) سورة البقرة: الآية (٦٥-٦٦).

(١) سورة المائدة: الآية (٤٦).

(٢) سورة لقمان: الآية (١٣).

وجعل الله في سننه مواعظ وهداية: قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

وفعل أوامر الله وتطبيقها مواعظ،قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ ما فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3].

وشريعة الله وأحكامه أعظم موعظة، قال تعالى: ﴿وَإِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِراراً لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلا تَتَّخِذُوا آياتِ اللَّهِ هُزُواً وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَما أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ إِذا تَراضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكُمْ أَزْكى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1].

(١) سورة آل عمران: الآيتان (١٣٧-١٣٨).

(٢) سورة النساء: الآية (٦٦).

(٣) سورة النحل: الآية (٩٠).

(١) سورة البقرة: الآيتان (٢٣١-٢٣٢).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهى فَلَهُ ما سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عادَ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَإِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(٣).

والقرآن الكريم خاتم الكتب المنزلة والشامل لها هدى وموعظة:

قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(١). وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ آياتٍ مُبَيِّناتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

وأمر الرسول ﷺ الخاتم بالقيام بوسيلة الوعظ في دعوته وتبليغه:

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٧٥).
(٢) سورة النساء: الآية (٥٨).
(٣) سورة المجادلة: الآية (٣).
(١) سورة يونس: الآية (٥٧).
(٢) سورة النور: الآية (٣٤).

بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1]، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى وَفُرادى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ﴾[2].

تطبيقات الرسول الخاتم ﷺ في الوعظ:

مقتضى أمر الله عز وجل لرسول الله ﷺ أن يقوم في أمته بالموعظة الحسنة، كما قام بها من سبقه من إخوانه المرسلين الذين أمر رسول الله ﷺ بالاقتداء بهداهم في قوله: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[3]، فقام بالوعظ فيهم في أحوال مختلفة ولأصناف من الناس وبأساليب حسنة مصحوبا بعضها بوسائل نشاط كما أمر على أجمل أداء، كما شهد له بذلك أصحابه الكرام، فعن عبد اللهّ بن مسعود رضي الله عنه قال: كان النّبيّ ﷺ يتخوّلنا بالموعظة في الأيّام كراهة السّآمة علينا) [1]. وقول أسماء بنت عميس رضي الله عنها ردا على عمر رضي الله عنه في أمر الهجرة «كلّا واللهّ كنتم مع رسول اللهّ ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم»[2]، وهذه نماذج من تطبيقات الرسول لهذه الوسيلة بأساليبها الحسنة واستعمال النشاط التربوي في ذلك:

١ – عن أبي مسعود الأنصاريّ رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول اللهّ ﷺ فقال: إنّي لأتأخّر عن صلاة الصّبح من أجل فلان. ممّا يطيل بنا. فما رأيت النّبيّ ﷺ غضب

---

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٢) سورة سبأ: الآية (٤٦).

(٣) سورة الأنعام: الآية (٩٠).

(١) البخاري- الفتح ١ (٦٨) واللفظ له. ومسلم (٢٨٢١) .

(٢) البخاري- الفتح ٦ (٣١٣٦). ومسلم (٢٥٠٣) واللفظ له.

في موعظة قطّ أشدّ ممّا غضب يومئذ. فقال: «يا أيّها النّاس! إنّ منكم منفّرين. فأيّكم أمّ النّاس فليوجز فإنّ من ورائه الكبير والضّعيف وذا الحاجة»[١].

٢- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم قال: «شهدت مع رسول الله -ﷺ- الصّلاة يوم العيد. فبدأ بالصّلاة قبل الخطبة. بغير أذان ولا إقامة. ثمّ قام متوكّئا على بلال، فأمر بتقوى الله. وحثّ على طاعته، ووعظ النّاس. وذكّرهم. ثمّ مضى، حتّى أتى النّساء. فوعظهنّ وذكّرهنّ. فقال: «تصدّقن فإنّ أكثركنّ حطب جهنّم». فقامت امرأة من سطة النّساء[٢] سفعاء الخدّين[٣]. فقالت: لم؟ يا رسول الله. قال: «لأنّكنّ تكثرن الشّكاة[١] وتكفرن العشير[٢] قال: فجعلن يتصدّقن من حليّهنّ. يلقين في ثوب بلال من أقرطتهنّ وخواتمهنّ» [٣].

٣- عن العرباض بن سارية -رضي الله عنه- قال: وعظنا رسول الله -ﷺ- يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. فقال رجل: إنّ هذه موعظة مودّع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسّمع والطّاعة، وإن عبد حبشيّ، فإنّه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا، وإيّاكم ومحدثات الأمور فإنّها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين عضّوا عليها بالنّواجذ»[٤].

---

(١) البخاري- الفتح ٢ (٧٠٢). ومسلم (٤٦٦) واللفظ له.

(٢) من سطة النساء: أي من خيارهن. والوسط العدل والخيار.

(٣) سفعاء الخدين: السفعة: سواد مشرب بحمرة.

(١) الشكاة: الشكوى.

(٢) تكفرن العشير أي يجحدن الإحسان لضعف عقولهن وقلة معرفتهن.

(٣) البخاري- الفتح ٢ (٩٧٨). ومسلم (٨٨٥) واللفظ له.

(٤) الترمذي (٢٦٧٦) واللفظ له وقال: حديث حسن صحيح. وأبو داود (٤٦٠٧). وابن ماجة في المقدمة (٤٢).

٤- ومن النشاط الوعظي هذا المثل الذي ضربه الرسول -ﷺ-فعن النواس بن سمعان -رضي الله عنه-عن رسول الله -ﷺ-، قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تتفرجوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن فتحته تلجه والصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة: محارم الله، ذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم»(١).

ومن خلال هذه النصوص يظهر أن هذه الوسيلة بأساليبها وأنشطتها ذات أهمية قصوى في ميدان العمل الدعوي خاصة عندما يكون عند بعض المدعوين شيء من الجفاء والإعراض والصدود، مع معرفتهم بالحق وعلمهم به، فهذا يدعى بالموعظة الحسنة. وكذلك عندما تغلب الشهوات على النفوس من شهوة البطن، أو شهوة الفرج، وغيرها، وإن كانت شهوة البطن وشهوة الفرج أصل كل شهوة، وبسببها تجد العصاة أكثر من المطيعين، والمنحرفين أكثر من المستقيمين، لاستحكام الشهوات من نفوسهم، وإطباقها على عقولهم وقلوبهم؛ فهذا الجنس من الناس يستخدم معه أسلوب الوعظ العام والخاص، من ذكر نصوص الترغيب والترهيب، على حسب المقام والحال، ومن التذكير بأيام الله، وما جرى للظالمين والعصاة

---

(١) رواه أحمد (٤ /١٨٢) ، وانظر صحيح الجامع ، ح ٤٨٨٧.

والفاسقين، ويرغبون في الحق، ويبين لهم محاسنه وفضائله، حتى يتركوا ما ألفوه من باطل، فانتزاع ما ألفه الناس من باطل ليس بالأمر الهين، بل دونه مفاوز وعقبات، لا يجتازها إلا من وفقه الله تعالى[1]؛ ولذلك أمر الله تعالى نبيه -ﷺ- بالعظة، فقال تعالى: ﴿ **وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا** ﴾[2]، وهذا مسلك الأنبياء قبله، يقول تعالى عن نبيه هود عليه الصلاة والسلام وقومه يردون عليه موعظته: ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ** ﴾[3]، والقرآن أغلبه عظة، ففيه الترغيب والترهيب، وذكر الجنة والنار، وقصص الأولين وما حصل عليهم من المثلات، والتوعد للظالمين، بأن لهم أمثالها. فلنعتمد هذه الوسيلة مراعين في ذلك ضوابطها وآدابها في الميدان الدعوي..

٣- ضوابط وآداب الوعظ والموعظة في العمل الدعوي:

للقيام بالوعظ وأداء الموعظة ضوابط وآداب ينبغي للواعظ أن يراعيها ويلتزم بها حتى يتحقق الهدف والمقصد من وعظه وهي كثيرة من أهمها:

١-**الإخلاص**: وهو أساس للأعمال كلها وروحها وقطب رحاها الذِّي تدور عليه قبولاً وردًّا، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ** ﴾[1].

---

(١) انظر: التفسير القيم ص (٣٤٤) ، ولسان العرب (١٥ / ٣٤٥) ، وتفسير السعدي (٤ / ٢٥٤).

(٢) سورة النساء: الآية (٦٣).

(٣) سورة الشعراء: الآية (١٣٦).

(١) سورة البينة: الآية (٥).

٢-**الاعتماد في الوعظ والموعظة على القرآن الكريم** فإنه كله عظة وموعظة، وكذلك سنة رسول الله المبينة للقرآن وفيها الموعظة ورسول الله خير واعظ، فهما أصل كل موعظة .

٣- **الاعتماد في السنة على الصحيح والمقبول منها وفيها غنية عن الضعيف الواهي** وعليه التحري لذلك من كتب السنة المعتمدة، ورجالها المشهورين ففي حديث مسلم: « كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع»[1].

٤- **أن لا يمل الناس بالموعظة ولكن يتعهدهم بها:** فالنفس تمل وتسأم فيضعف أثر التذكير فيها ؛ وربما كرهته فلم يُنتفع به حينئذ ؛ لذا كان النبي ﷺ لخبرته بالنفوس يتعهد أصحابه بالنصح والتذكير، أياماً وأياماً، ولا يُكثِر عليهم؛ لئلاّ يملوا، وكذا كان صحابته الذين تربوا على يديه يمتثلون ذلك، بل ويوصون به: فعن عكرمة عن ابن عباس قال: (حدّث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أبيت فثلاث مرات، ولا تُمّل الناس هذا القرآن، ولا أُلْفينّك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم، فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم، ولكن أنصت، فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه ..) الحديث[1].

٥- **الحذر من المبالغة، والتهويل، وتقنيط الناس:** اجتهاداً في محبة الخير للناس والخوف عليهم، يقوم الواعظ أحياناً بتضخيم جزاء السيئة، وعقوبة المعصية، فيزيد

---

(١) مسلم ، ح ٥ ، وعند أبي داود ح ٤٩٩٢ : (كفى بالمرء إثماً)

(١) رواه البخاري ، ح ٦٣٣٧ / ح ٣٥٦٧ .

على الوارد فيها أحياناً، ويهول ويعظم أخرى، حتى يخيل لسامعه أن عذاب الله نازل به لا محالة، وأنه لا توبة له، وأن عمله الصالح لن ينفعه، وأنه لا حيلة له . وقد يحدث العكس أحياناً عند بعض الوعاظ، فيُهَوّنون من المعصية ويقللون من شأنها !! والمنهج الشرعي الوسط: قال الله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ﴾[1]، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[1]، وقالت عائشة - رضي الله عنها - لعبيد بن عمير: «إياك وإملال الناس وتقنيطهم»[2].

٦- أن تكون **الموعظة بليغة** وأن يكون الأداء مؤثرا بلا تكلف: ففي الموعظة جاء في حديث العرباض -رضي الله عنه-: «وعظنا رسول اللّه -صلى الله عليه وسلم- موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب...» [3]. وفي عدم التكلف قال الله عز وجل لنبيه: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[4].

٧- **أن لا ينتهج في وعظه الثرثرة والتشدق والإطناب لغير حاجة،** بل تكلفاً وخروجاً عن الحق، عن جابر-رضي الله عنه-أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن من أحبكم إليّ وأقربكم مجلساً مني يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم

(١) سورة الحجر: الآيتان (٤٩-٥٠).

(١) سورة الحجر: الآية (٥٧).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، للخطيب البغدادي ، ج٢ / ١٢٨.

(٣) صحيح سنن الترمذي ، ح ١٢٥٧.

(٤) سورة ص: الآية (٨٦).

إليّ، وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون، والمتشدقون والمتفيهقون» الحديث[1].

٨- **اهتبال الفرص المناسبة للموعظة واستغلال المناسبات والأحداث**: كان -ﷺ- يستغل المناسبة أو الحدث ولو كان يسيراً قد لا يوقف عنده، ولا يؤبه به وينطلق من خلاله مربياً واعظاً، والشواهد كثيرة، منها: قوله لما دخلت العشر: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه العشر »[2]. وقوله يوم النحر: «أي شهر هذا؟ ... فأي بلد هذا؟ ... فأي يوم هذا) . ثم قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ؛ كحرمة يومكم هذا ؛ في بلدكم هذا، في شهركم هذا »[1].

٩- **أن تكون الموعظة تحقق الهيمنة بالتأثير الوعظي على المخاطبين**: عن ابن عمر أن رسول الله -ﷺ- قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[2]، ورسول الله -ﷺ- يقول هكذا بيده، ويحركها، يقبل بها ويدبر، يمجد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم، فرجف برسول الله -ﷺ- المنبر حتى قلنا: ليخرّن به »[3].

---

(١) صحيح سنن الترمذي ، ح ١٦٤٢ .

(٢) رواه الترمذي ، ح ٧٥٧ .

(١) رواه مسلم ، ح ٦٧٩ .

(٢) سورة الزمر: الآية (٦٧).

(٣) وصحح أحمد شاكر إسناده ، ح ٥٤١٤ .

١٠- **الوعظ في موضعه الصحيح**، فيعطى كل باب حقه الشرعي، في وقته الشرعي دون إفراط أو تفريط .

١١- **تأثر الواعظ بموعظته وتحمسه لها وحرصه على إيصالها إلى القلوب** لا إلى الآذان فقط. وهذا يظهر في نبرات صوته، وتغير ملامح وجهه، وتكرار بعض الكلمات، عن جابر -رضي الله عنه- قال: «كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا خطب وذكر الساعة اشتدَّ غضبه وعلا صوته واحمرَّت عيناه كأنه منذر جيش يقول صبَّحكم ومسَّاكم»[1].

١٢- **أن يكون الواعظ سليم القلب** خاليا من الأمراض التي تعتري القلوب محبًّا للخير ناصحًا للخلق، همه في وعظه أن يتأثر السامع ليتوب إلى الله وينيب لا ليثني على الواعظ ويمدحه ويشكره. قال الله تعالى عن نوح – عليه السلام – في بيان نصحه لقومه: ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[1]، وقال سبحانه عن صالح عليه السلام: ﴿**فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ**﴾[2].

١٣- **اختيار الموضوع المناسب**: إن اختيار الموضوع المناسب من أهم عناصر الموعظة بحيث يكون ذلك الموضوع مناسبًا للوقت والحالة والموعوظين. فعلى سبيل المثال فالموعظة في حال المصائب والأزمات تختلف عن الموعظة حال الأفراح

---

(١) صحيح مسلم:

(١) سورة الأعراف: الآية (٦٢).

(٢) سورة الأعراف: الآية (٧٩).

والمسرَّات. وموعظة الشباب تختلف عن موعظة كبار السن، وموعظة ولاة الأمر وأصحاب السلطة تختلف عن موعظة عامة الناس. وهكذا.

١٤- **التحضير الجيد للموعظة:** وذلك بمراجعة النصوص وضبطها وحفظها، فالآيات لا مساومة عليها، بل يجب ضبطها حفظًا وتلاوةً. والآحاديث فليحذر من قول النبي ﷺ: «مَن كذب عليِّ متعمدًا فليتبوَّأ مقعده من النار»[1].

١٥- **وضع عناصر للموعظة:** ينبغي للواعظ أن يعدَّ للموعظة إعدادًا جيِّدًا، ويرتبها بعناصر محددة بحيث ينتظم الكلام ويلتزم بالوقت المحدد فلا يملُّ ولا يُخِلُّ ويحسن به إذا كانت الموعظة خطبة أو كلمة ملقاة أن تكون عناوينها الرئيسة مشتملة على: المقدمة، والعرض، والخاتمة. وكل عنوان له عناصره المعروفة[1].

٥- من فوائد (الوعظ)

١- طريق موصل إلى الجنّة.

٢- ينير العقول ويصلح القلوب.

٣- حصول المحبّة والألفة بين المسلمين.

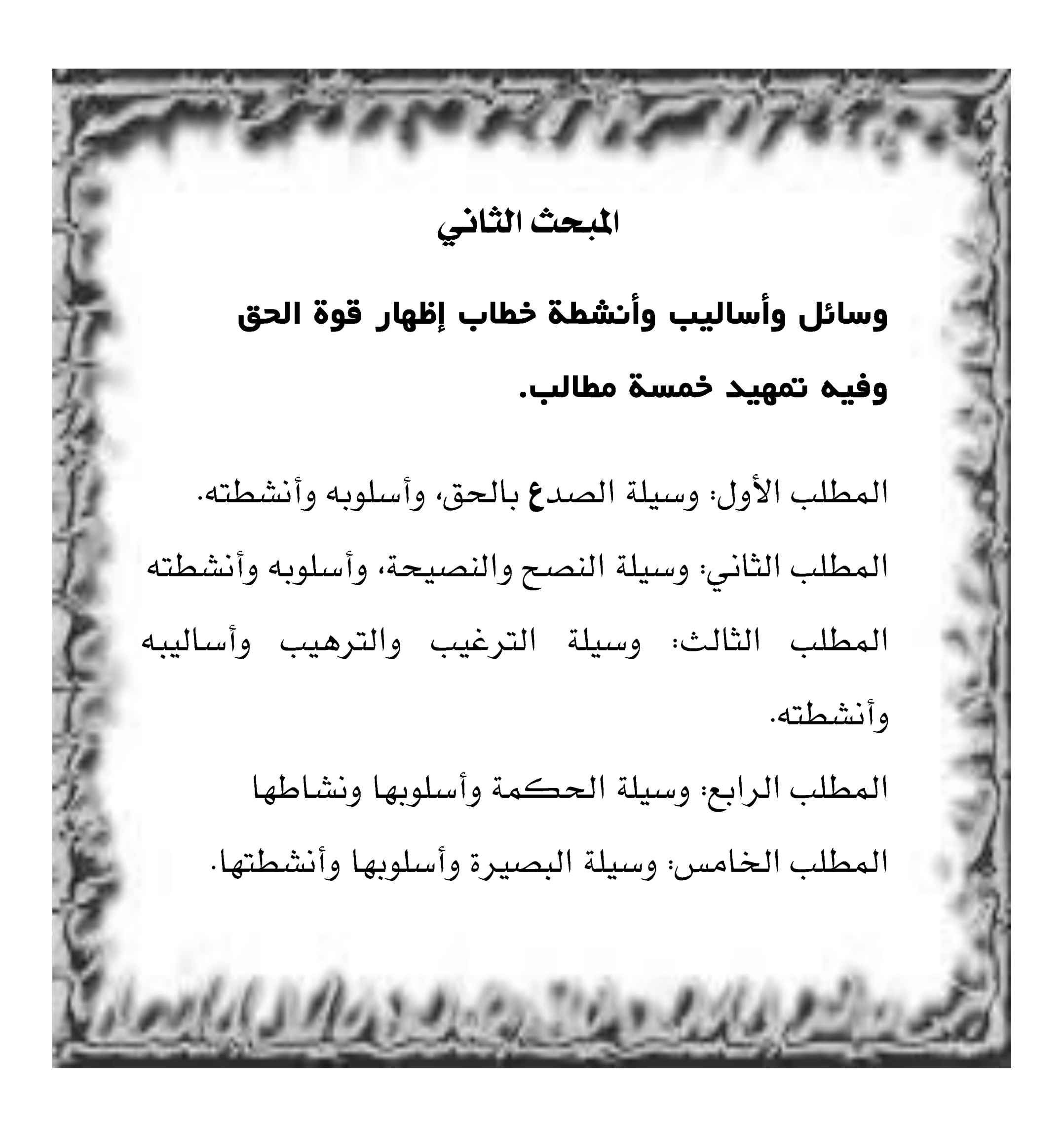
٤- يثمر السّعادة في الدّارين.

٥- يحفظ الإنسان من كيد الشّيطان.

---

(١) متفق عليه.

(١) آداب الموعظة الحسنة:١:٢.



المبحث الثاني

وسائل وأساليب وأنشطة خطاب إظهار قوة الحق

وفيه تمهيد خمسة مطالب.

المطلب الأول: وسيلة الصدع بالحق، وأسلوبه وأنشطته.

المطلب الثاني: وسيلة النصح والنصيحة، وأسلوبه وأنشطته

المطلب الثالث: وسيلة الترغيب والترهيب وأساليبه وأنشطته.

المطلب الرابع: وسيلة الحكمة وأسلوبها ونشاطها

المطلب الخامس: وسيلة البصيرة وأسلوبها وأنشطتها.

المطلب الأول

وسيلة الصدع بالحق وأسلوبه وأنشطته

١- مفهوم الصدع بالحق في العمل الدعوي:

أ- الصدع لغة:

صدع بالقول يصدع صدعاً أصاب به موضعه وجاهَرَ به، ،. وصدعت الشئ: أظهرته وبينته. وصَدَعَ بالحق تكلم به جهاراً، وفي التنزيل [فاصدع بما تؤمر] قال مجاهد اجْهَرْ بالقرآن. وقال أَبو إِسحق أَظْهِرْ ما تُؤْمَرُ به ولا تَخفْ أَحداً.

وخلاصة ما جاء في قواميس اللغة عن لفظة الصدع في ما نحن بصدده في الآتي: إصابة الموضع، والإظهار والبيان، والتكلم جهارا، والتفريق بين الحق والباطل، والقصد إلى المأمور، والحكم، والفصل في الأمر، والجرأة في الكلام [(١)]. وهي معاني ومدلولات لدعوة الحق بصوت معلن وقوي.

ب - الصدع بالحق اصطلاحا:

أما التعريف الاصطلاحي فإنه لا يتجاوز هذه المعاني اللغوية لذلك يعرف الصدع بالحق اصطلاحا هو التكلم به جهاراً على رؤوس الأشهاد. [(٢)]

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري:٣٧٧/٤و المحكم والمحيط الأعظم:١/ ١٥١و اللسان:١٩٤/٨لتاج العروس:٢١/ ٣٢٢ المصباح المنير: ١/ ٣٣٥ المعجم الوسيط. 667 القاموس:٩٥١/١ التعاريف:٤٥٣/١ الصحاح للجوهري:٤/ ٣٧٦ ..

(٢) انظر الرازي ، مختار الصحاح ، ص ١٨١ .

٢- عرض مفهوم وسيلة وأسلوب ونشاط الصدع بالحق في العمل الدعوي:

يقول سيد قطب: إن الصدع بحقيقة هذه العقيدة؛ والجهر بكل مقوّماتها وكل مقتضياتها ضرورة في الحركة بهذه الدعوة؛ فالصدع القوي النافذ هو الذي يهز الفطرة الغافية؛ ويوقظ المشاعر المتبلدة؛ ويقيم الحجة على الناس ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾، أما التدسس الناعم بهذه العقيدة؛ وجعلها عضين يعرض الداعية منها جانبا ويكتم جانبا، لأن هذا الجانب يثير الطواغيت أو يصد الجماهير! فهذا ليس من طبيعة الحركة الصحيحة بهذه العقيدة القوية . والصدع بحقيقة هذه الحقيقة لا يعني الغلظة المنفرة، والخشونة وقلة الذوق والجلافة! كما أن الدعوة بالحسنى لا تعني التدسس الناعم، وكتمان جانب من حقائق هذه العقيدة وإبداء جانب، وجعل القرآن عضين . . لا هذه ولا تلك . . إنما هو البيان الكامل لكل حقائق هذه العقيدة؛ في وضوح جلي، وفي حكمة كذلك في الخطاب ولطف ومودة ولين وتيسير.... إلى أن قال: والإسلام هو الإسلام، ووظيفته هي نقل الناس من الجاهلية إلى الإسلام » . وهذه الحقيقة الأساسية الكبيرة هي التي يجب أن يصدع بها أصحاب الدعوة الإسلامية، ولا يخفوا منها شيئا؛ وأن يصروا عليها مهما لاقوا من بطش الطواغيت وتململ الجماهير: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ. سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ . وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾[1].

---

(١) في ظلال القرآن:٤/٤٥١. الحجر: ٩٧.

ومع أهمية هذه الوسيلة وخطورتها لم أجد في القرآن الكريم آية بلفظ الصدع غير آية واحدة في سورة الحجر تدعو إلى الصدع بأمر الله الحق هي قوله تعالى: ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۝٩٥ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾[١]، وكفى بها أية وأعظم في الدلالة على أهمية هذه الوسيلة. وجاءت آيات أربع في سياقات مختلفة في أربعة مواضع من القرآن في أربع سور يؤخذ منها معنى الصدع ومدلولاته بحسب تصريفاته اللغوية، وهي ذات علاقة بالحق المأمور الرسول ﷺ بالصدع به، منها ماله متعلق بالدنيا ومنه ماله متعلق بالآخرة، وهي:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ** ﴾[٢].

والثانية: في معرض ذكر نعيم الآخرة للمؤمنين الصادعين بالحق من هذه الأمة وهو خمر الجنة وصفته في قوله تعالى: ﴿ **يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۝١٨ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ** ﴾[٣]، فقوله: ﴿ **لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزفُونَ** ﴾ أي: لا تصدع رؤوسهم ولا تنزف عقولهم، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة[٤].

---

(١) سورة الحجر: الآيات (٩٤-٩٦).

(٢) سورة الروم: الآية (٤٣).

(٣) سورة الواقعة: الآيات (١٧-١٩).

(٤) كما في تفسير بن كثير:٧/٥٢٠.

والثالثة: في بيان عظمة القرآن المنزل الذي أمر الرسول ﷺ بالصدع به قال تعالى: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[1]، وفي هذا موعظة للمؤمنين ليتدبروا القرآن ويخشعوا عند تلاوته وسماعه[2].

والرابعة: في سورة الطارق قوله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ**﴾[3]، فالقرآن الكريم- المنزل على الرسول محمد والمطلوب منه الصدع به- قول فصل وحكم عدل في كل مختلف فيه من الحق والباطل فما أخبر به وحكم فيه من أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها هو الحق الذي لا مرية فيه والصدق الذي لا كذب معه، وما هو بالهزل أي ليس القرآن باللعب الباطل بل هو الحق من الله الذي لا باطل معه بل هو الجد كل الجد.

لكن سيكون لنا بيان وتفصيل في قوله تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾[4]، لأنها موضوع التأصيل للموضوع الذي نحن بصدده، وبيان كيف كان تطبيق الرسول لأمر ربه في هذا ليكون أسوة للعاملين للإسلام في عصرنا.

---

(١) سورة الحشر: الآية (٢١).

(٢) تفسير الجزائري:٣١٨/٥.

(٣) سورة طارق: الآيات (١١-١٣).

(٤) سورة الحجر: الآيات (٩٤-٩٦).

قال ابن عاشور: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ أَوِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْبَعْثَةِ وَرَسُولُ اللهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مُخْتَفٍ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ. رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: مَا زَالَ النَّبِي ﷺ مُسْتَخْفِيًا حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فَخَرَجَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ. يَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ كَانَ يَدْعُو النَّاسَ خُفْيَةً وَكَانَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النَّاسِ إِذَا أَرَادَ الصَّلَاةَ يَذْهَبُ إِلَى بَعْضِ الشِّعَابِ يَسْتَخْفِي بِصَلَاتِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَحِقَهُمُ الْمُشْرِكُونَ يَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ وَيَعِيبُونَ صَلَاتَهُمْ، فَحَدَثَ تَضَارُبٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَدْمَى فِيهِ سَعْدٌ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَبَعْدَ تِلْكَ الْوَقْعَةِ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ دَارَ الْأَرْقَمِ عِنْدَ الصَّفَا فَكَانُوا يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ بِهَا وَاسْتَمَرُّوا كَذَلِكَ ثَلَاثَ سِنِينَ أَوْ تَزِيدُ، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ الْآيَةَ وَبِنُزُولِهَا تَرَكَ الرَّسُولُ ﷺ الِاخْتِفَاءَ بِدَارِ الْأَرْقَمِ وَأَعْلَنَ بِالدَّعْوَةِ لِلْإِسْلَامِ جَهْرًا[1].

وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ كما يقول الشنقيطي: أَمَرَ اللهُ فِيهَا نَبِيَّهُ ﷺ بِتَبْلِيغِ مَا أُمِرَ بِهِ عَلَنًا فِي غَيْرِ خَفَاءٍ وَلَا مُوَارَبَةٍ. وَأَوْضَحَ هَذَا الْمَعْنَى فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، كَقَوْلِهِ: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾**[2].

(١) التحرير والتنوير: ١٤/٨٨.

(٢) سورة المائدة: الآية (٦٧).

وَقَدْ شَهِدَ لَهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ امْتَثَلَ ذَلِكَ الْأَمْرَ فَبَلَّغَ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[1]، وَقَوْلِهِ: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴾[2]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ[3].

وكيف كانت البداية والتطبيق من الرسول -ﷺ-؟ يروي لنا ذلك ابن إسحاق فيقول: ثُمّ دَخَلَ النّاسُ فِي الْإِسْلَامِ أَرْسَالًا مِنْ الرّجَالِ وَالنّسَاءِ حَتّى فَشَا ذِكْرُ الْإِسْلَامِ بِمَكّةَ وَتُحُدّثَ بِهِ . وكان الذي ينتهي اليه عداوة رسول الله -ﷺ- ويجتمع اليه فيها أبو جهل حسدا وبغيا لما خص به رسوله -ﷺ- من كرامته، ثم ان الله تعالى أمر رسوله -ﷺ- أن يصدع بما جاء به وأن ينادي الناس بأمره وأن يدعو الى الله تعالى، وكان ربما أخفى الشيء واستسر به الى أن أمر بإظهاره ثلاث سنين من مبعثه، ثم قال الله تعالى:﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ وقال ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ وقال ﴿ وقل إني أنا النذير المبين ﴾ ثم قال حدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل واستكتمني اسمه عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله -ﷺ- ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[4]، قال رسول الله -ﷺ- عرفت أني لئن بادأت بها قومي رأيت منهم ما أكره، فصمت عليها، فجاءني جبريل فقال: يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرك ربك تعالى عذبك

---

(١) سورة المائدة: الآية (٣).

(٢) سورة الذاريات: الآية (٥٤).

(٣) أضواء البيان:٢/٣١٩.

(٤) سورة الشعراء: الآيتان (٢١٤-٢١٥).

ربك، قال علي: فدعاني رسول الله ﷺ فقال: يا علي إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فعرفت أني إن بادءتهم بذلك رأيت منهم ما أكره فصمت على ذلك، حتى جاءني جبريل فقال: يا محمد ان لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك، فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام وأعد لنا عس لبن ثم اجمع بني عبد المطلب، ففعلت فاجتمعوا له وهم يومئذ أربعون رجلا أو ينقصون فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب الكافر الخبيث، فقدمت اليهم تلك الجفنة فأخذ منها رسول الله ﷺ حذية فشقها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها ثم قال كلوا باسم الله فأكل القوم حتى تملئوا عنه فما رئي الا آثار أصابعهم واللسان، وان كان الرجل منهم ليأكل مثلها، ثم قال رسول الله ﷺ: اسقهم يا علي، فجئت بذلك القعب فشربوا حتى نهلوا جميعا وأيم الله وإن كان الرجل منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله أن يكلمهم بدره أبو لهب الى الكلام فقال: لهذا جمعتنا سحركم صاحبكم، فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ يا علي عد لنا بمثل ما صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرني الى ما سمعت قبل أن أكلم القوم، ففعلت، ثم جمعهم له فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه، ثم سقيتهم فشربوا من ذلك القعب حتى نهلوا عنه، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ويشرب مثله، ثم قال رسول الله ﷺ يا بني عبد المطلب والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل ما جئتكم به، قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة[1].

---

(١) سيرة ابن أسحاق:٢/١٢٦-١٢٧.

من بعد هذا الموقف التطبيقي لتنفيذ الأمر حرص الرسول -ﷺ- على الاجتماع بالناس وتبليغهم دعوة الإسلام، وكان يتحرى مواضع اجتماع القبائل وخاصة في موسم الحج وفترات عقد أسواق العرب، حيث كان يلتقي بذوي الشأن من رؤساء القبائل وغيرهم، وكان يطالب الرؤساء بحمايته دون أن يكره أحدا على قبول دعوته[1].

وخاطب -ﷺ-الناس في سوق ذى المجاز بقوله: «أيّها النّاس قولوا لا إله إلّا اللهّ تفلحوا»[2]، وكان الناس يزدحمون عليه غير أنهم لم يتجاوبوا مع دعوته، ومع ذلك فقد كان -ﷺ- يواصل الدعوة فلا يسكت، بل يكرر مقولته.

وهكذا استمر رسول الله -ﷺ- مجاهرا بالدعوة صادعا بها حتى لحق بالرفيق الأعلى وأبق للأمة الاقتداء به والقيام بواجب الصدع بها باعتباره الحق.

وعلا هذا السبيل صار خلفاؤه الراشدون والصحابة الكرام ومن تابعه بإحسان من المؤمنين الصادقين على مدار العصور وستبقى هذه الوسيلة محل التزام وتطبيق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. والله المستعان.

٣- ضوابط وآداب الصدع بالحق في العمل الدعوي:

هي التي ستأتي في المطلب التالي وكذلك الفوائد والثمار.

(١) عروة- المغازي ص/ ١١٧، البيهقي- الدلائل ٢/ ٤١٤.

(٢) حديث صحيح. أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٢)، والطبراني في "الكبير" (٤٣٨٩)، وأخرجه الحاكم (١/ ١٥)، وصححه على شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي. وأورده ابن كثير في التفسير، وصححه الألباني في التعليقات الحسان رقم (٦٥٢٨).

المطلب الثاني

وسيلة النصح والنصيحة، وأسلوبه وأنشطته

النصح والنصيحة وسيلة دعوية قرآنية هامة ذات أساليب متنوعة لا يتحقق أي عمل دعوي دون أن يكون عمل الداعية منطو عليها، وشامل لها، لذا سيكون لنا وقفة متأنية مع هذه الوسيلة وأساليبها وأنشطتها من خلال القرآن وعمل الأنبياء والمرسلين والبيان النبوي الذي أدخلها في كل شيء ولنبدأ بما سرنا عليه من منهجية في هذا البحث.

١- مفهوم النصح والنصيحة في العمل الدعوي:

أ- النصح والنصيحة لغة:

(النُّصْح) نقيض الغِشّ قال الله تعالى: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾[(١)] والاسم (النصيحة). والنُّصْحُ والنَّصِيحةُ والمُنَاصَحةُ: إرادةُ الخَيْرِ للغَيرِ وإِرْشادُه له[(٢)]. قال ابن الأَثير: فليس يمكن أَن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناها غيرها، وفي شَرْح الفصيح للَّبْلِيّ: النّصيحة: الإِرشادُ إِلى ما فيه صَلاحُ المنصوحِ له، ولا يكون إِلاّ قَولاً، فإِن استُعْمِل في غَير القَول كان مجازاً . والنُّصْح: بَذْلُ الاجتهادِ في المَشُورةِ، وهو النَّصيحَة أَيضاً، عن صاحِب الجَامع . هذا زبدةُ كلامهم في النّصيحة[(٣)].

(١) المحكم والمحيط الأعظم:٤٦٥/١.

(٢) تاج العروس:١٧٥/٧..

(٣) تاج العروس:١٧٥/٧ وانظر: الصحاح للجوهري: ٤٣٤/٤(٢) لسان العرب (٧/ ٤٤٣٨). وانظر الصحاح (١/ ٤١٠، ٤١١). والمصباح المنير(٢/ ٢٧٦)، مقاييس اللغة (٥/ ٤٣٥)، المفردات للراغب (٤٩٤).

والخلاصة: أن أهم ما جاء في قواميس اللغة عن معنى لفظة النصح والنصيحة: أن النصح :نقيض الغش، وإرادة الخير للغير وإرشاده إلى ما فيه صلاحه، وبذل الاجتهاد في المشورة.

ب- النصح والنصيحة في الاصطلاح:

أما في الاصطلاح: فقد جاءت فيه عدة تعريفات وهي في مجملها لا تبعد عن المعنى اللغوي الذي يرمي إلى(إرادة الخير للمنصوح له)، وأجمعها تعريف ابن رجب أنه: كلمة جامعة تتضمّن قيام النّاصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلا[(١)].

ج- النصح والنصيحة في الدعوة:

والنصيحة الخالصة هي التي منطلقها الدين ونصرة الدين ففي الحديث: «إنّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ للهِّ ولِكِتَابِهِ ولِرَسُولِهِ ولأَئِمَةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ»[(٢)] ومعنى النصيحة لله صحة الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النية في عبادته، ودعوة الآخرين إلى التحقق بذلك. والنصيحة لكتاب الله هو التصديق به، والعمل بما فيه، والدعوة إلى تعاليمه وأحكامه.

والنصيحة لرسوله التصديق بنبوّته ورسالته، والانقياد لما أَمر به ونهى عنه، والدعوة إلى الاستمساك بسنته.

ونصيحة الأَئمة أَن يطيعهم في الحق ويقول لهم كلمة الحق إِذا حادوا عنه أو جاروا. ونصيحة عامّة المسلمين إِرشادهم إِلى المصالح ونصرة دينه.

---

(١) جامع العلوم والحكم (٧٦).

(٢) أخرجه (حم م د ن) عن تميم الداري (ت ن) عن أبي هريرة (حم) عن ابن عباس .كما في الفتح الكبير:٢٧٩/١.

وأوّل النّصح أن ينصح الإنسان نفسه، فمن غشّها فقلّما ينصح غيره.

وحقّ على من استنصح أن يبذل غاية النّصح وإن كان ذلك في شيء يضرّه، ويتحرى فيه قول اللهّ تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَداءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلى أَنْفُسِكُمْ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**وَإِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كانَ ذا قُرْبى**﴾[2]، وقال ابن عبّاس- رضي اللهّ عنهما-: لا يزال الرّجل يزداد فى صحّة رأيه ما نصح لمستشيره، فإذا غشّه سلبه الله نصحه ورأيه، ولا يلتفتنّ إلى من قال: إذا نصحت الرّجل فلم يقبل منك فتقرّب إلى اللهّ بغشّه، فذلك قول ألقاه الشّيطان على لسانه، اللّهمّ إلّا أن يريد بغشّه السّكوت عنه، فقد قيل: كثرة النّصيحة تورث الظّنّة، ومعرفة النّاصح من الغاشّ صعبة جدّا، فالإنسان- لمكره- يصعب الاطّلاع على سرّه إذ هو قد يبدي خلاف ما يخفي، وليس كالحيوانات الّتي يمكن الاطّلاع على طبائعها[3].

٢- عرض مفهوم النصح والنصيحة وبيان الرسول ﷺ لذلك في العمل الدعوي:

النصح والنصيحة وسيلة دعوية دعا إليها القرآن ورغب إليها العباد وأمرهم بها وبين أنها مهمة الرسل ووظيفتهم، وقاموا بها على أحسن وجه بأساليب متنوعة، وتطبيقات مبينة وموضحة بنشاط وحيوية وفعالية، وفي هذا العرض القرآني والبيان النبوي ما فيه تبصير للعاملين لهذا الدين في أمر وسيلة النصيحة:

(١) سورة النساء: الآية (١٣٥).

(٢) سورة الأنعام: الآية (١٥٢).

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة: (٢٩٥- ٢٩٦).

أ- ذكر القرآن في بيان أن النصح كان شاملا في تبليغ الرسل ودعواتهم:

نوح عليه السلام: قال الله تعالى عنه: ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ**﴾[1]، قال ابن كثير: وهذا شأن الرسول، أن يكون بليغا فصيحا ناصحا بالله، لا يدركهم أحد من خلق الله في هذه الصفات.

وهود عليه السلام قال الله عنه: ﴿**قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفاهَةٌ وَلكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ ناصِحٌ أَمِينٌ**﴾[2].

وصالح عليه السلام قال تعالى عنه: ﴿**فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ**﴾[3].

شعيب عليه السلام قال تعالى عنه ﴿**فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فكَيْفَ آسى عَلى قَوْمٍ كافِرِينَ**﴾[4].

ب- وبين القرآن أن النصح ليس مقصورا على الرسل بل أتباعهم ملتزمون به:

قال تعالى: ﴿**وَقالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١١) وَحَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ ناصِحُونَ**﴾[5]، وقال تعالى: ﴿**وَجاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعى قالَ يا مُوسى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ**﴾[6].

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٦٢).

(٢) سورة الأعراف: الآيتان (٦٧-٦٨).

(٣) سورة الأعراف: الآية (٧٩).

(٤) سورة الأعراف: الآية (٩٣).

(٥) سورة القصص: الآيتان (١١-١٢).

(٦) سورة القصص: الآية (٢٠).

د – الناصحون المخلصون يتقبل الله منهم ما قدموا من الأعمال:

قال تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الضُّعَفاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[1]، قال سفيان الثوري، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبي ثمامة، رضي الله عنه، قال: قال الحواريون: يا روح الله، أخبرنا عن الناصح لله؟ قال: الذي يُؤثِر حق الله على حق الناس، وإذا حدث له أمران أو بدا له أمر الدنيا وأمر الآخرة بدأ بالذي للآخرة ثم تفرغ للذي للدنيا[2]. هذا بعض ما جاء في القرآن عن وسيلة النصح والنصيحة لكن في بيان الرسول ﷺ مزيد إيضاح.

إن اعتماد النصح والنصيحة وسيلة دعوية هامة كانت مرعية في دعوات الأنبياء السابقين ومحل تقرير لها من قبل الرسل على أممهم في القيام به فيهم كما مر معنا في العرض القرآني. فكل نبي من الأنبياء نصح لأمته ولم يقبضه الله تبارك وتعالى إلا بعد أن بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح لأمته خير نصيحة.

ونبينا محمد صار على هذا النهج والهدي الذي أمر الرسول ﷺ على سلوكه اقتداء بمن سبقه من الأنبياء والرسل: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾[3].

---

(١) سورة التوبة: الآية (٩١).

(٢) تفسير بن كثير:١٩٨/٤.

(٣) سورة الأنعام: الآية (٩٠).

جاء في صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم عرفة، وهم أوفر ما كانوا وأكثر جمعا: «أيها الناس، إنكم مسئولون عني، فما أنتم قائلون؟«قالوا: نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت، فجعل يرفع إصبعه إلى السماء وينكتُها عليهم ويقول: «اللهم اشهد، اللهم اشهد» [1].

ولأهمية وسيلة النصح والنصيحة أدخلها الرسول ﷺ ضمن البيعة على الإسلام وجعلها شرطا على من يبايعه يقول الصحابي الجليل جرير بن عبد اللهّ-رضي الله عنه-: «بايعت النّبيّ ﷺعلى إقام الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، والنّصح لكلّ مسلم» [2]، وفي رواية أخرى قال: إِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺقُلْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلاَمِ فَشَرَطَ عَلَيَّ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا[3].

ولقوة صلة هذه الوسيلة بالدين والدعوة إليه أطلق الرسول ﷺ هذه الكلمة «الدين النصيحة» التي رويت بعدة ألفاظ مؤكدة مثل التكرار ثلاث مرات[4]، ولفظ: إن الدين النصيحة»، مكررا ثلاث مرات[5]و«إنما الدين النصيحة»، مكررا ثلاث مرات[6]إلى غير ذلك .

---

(١) تفسير بن كثير: ٤٣٢/٣ والحديث في صحيح مسلم برقم (١٢١٨) من حديث جابر، رضي الله عنه..

(٢) البخاري- الفتح ٣ (١٤٠١).، ومسلم (٥٦).

(٣) صحيح البخاري:٢٢/١ رقم٥٨.

(٤) جامع الترمذي:٣٨٨/٣.

(٥) سنن أبي داوود:٤٤١/٤.

(٦) مسند أحمد:١٤١/٢٨.

وإجابة الرسول -ﷺ- السائل لمن تؤدى؟ وكيف؟ وكانت إجابته تدل على أن هذه الوسيلة عامة تمارس بشكل عام وفي كل الحقوق والالتزامات عن تميم الدّاريّ-رضي الله عنه- قال: قال رسول اللهّ -ﷺ-: «الدّين النّصيحة». قلنا: لمن؟. قال: «للهّ، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمّة المسلمين، وعامّتهم،»[1]، إن نبينا -ﷺ-لم يمت حتى نصح لهذه الأمة، وكذلك كلف من أتى بعده بأن يكون ناصحاً لهذه الأمة، وهو في هذا الحديث شمل الدين كله وعممه أحسن عموم.

وفي هذا الحديث بيان أن النصيحة أعظم ركن في الإسلام؛ لأن كل مسلم مكلف بها. حتى في الشئون الخاصة، وعند الطلب، وفى المشورة وغيرها، وجعلها حقا من حقوق المسلم، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنّه قال: قال رسول اللهّ -ﷺ-: «حقّ المسلم على المسلم ستّ». قيل: ما هنّ يا رسول اللهّ؟. قال: «إذا لقيته فسلّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد اللهّ فسمّته. وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتّبعه»[2]، وفي رواية: (وينصح له إذا غاب أو شهد»)[3] . وعن يزيد بن حكيم -رضي الله عنه- قال: قال رسول اللهّ -ﷺ-: «دعوا النّاس يرزق اللهّ بعضهم من بعض، وإذا استشار أحدكم أخاه فلينصحه»)[4] وخير الكسب الذي يدخل فيه

(١) مسلم (٥٥).

(٢) مسلم (٢١٦٢)، وقوله: إذا مات فاتبعه: أي اتبع جنازته

(٣) الترمذي (٢٧٣٧) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن صحيح. وذكره الشيخ الألباني في صحيح النسائي (٢/ ٤١٧٠) برقم (١٨٣٠) ..

(٤) الإصابة (٦/ ٣٣٩): أخرجه أبو داود الطيالسي (ص ١٨٥)، وجامع المسانيد (١٢/ ٤٢٥) برقم (٩٨٦١).

النصح، عن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: قال رسول اللهّ -صلى الله عليه وسلم-: «خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح»[1].

وإذا كان النصح والنصيحة واجبة بوجه عام على كل مسلم فإنها تكون آكد وأشد في حق من يتولى أمرا من أمور المسلمين، عن معقل بن يسار-رضي الله عنه- قال: قال رسول اللهّ -صلى الله عليه وسلم-: «ما من عبد يسترعيه اللهّ رعيّة فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنّة» [2] قال ابن محيريز: من جلس على الوسائد وجب عليه النصيحة.

وكذلك في حق الأفراد تجاه من يتولى أمرهم: ففي حديث جبير بن مطعم -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: وفيه «ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب مؤمن: إخلاص العمل للهّ، والنّصيحة لولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإنّ دعوتهم تحيط من ورائهم»[3]. وقال النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم من حديث أبي هريرة (إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم). [4] قال الْفُضَيْلَ: « لَمْ يُدْرَكْ عِنْدَنَا مَنْ أُدْرِكَ بِكَثْرَةِ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ، وَإِنَّمَا أُدْرِكَ بِسَخَاءِ الْأَنْفُسِ، وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ، وَالنُّصْحِ لِلْأُمَّةِ « وَقَدْ رُوِيَ بَعْضُ مَعْنَاهُ فِي حَدِيثٍ مُرْسَلٍ، عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-» [1].

---

(١) أحمد (٢/ ٣٣٤) حديث (٨٤٣٣) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. وقال ذكره السيوطي في الجامع الصغيروأشار إلى حسنه وذكره الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣٢) حديث (٣٢٧٨) وقال: حسن.

(٢) أبو داود (١٩٠٥). وابن ماجه (٣٠٧٤). وأصله في صحيح مسلم (١٢١٨).

(٣) الترمذي (٢٦٥٨)، وأحمد (٤/ ٨٠)، وابن ماجة (٣٠٥٦) واللفظ له وقال في الزوائد: إسناده فيه محمد بن اسحاق وهو مدلس، وقد عنعنه. والمتن على حاله صحيح، وذكره الألباني في صحيح الجامع (٦٦٤٢). واللفظ لابن ماجة. وقال ابن رجب: إسناده جيد، جامع العلوم والحكم (٧٣).

(٤) مسند أحمد:١٤/٤٠٠.

(١) شعب الإيمان:٣١٦/١٣ شعب الإيمان:٢٧٩/٢

والقيام بالنصح العبادة المحببة إلى الله عز وجل: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: قَالَ اللهُ: «أَحَبُّ مَا تَعَبَّدَنِي بِهِ عَبْدِي إِلَيَّ: النُّصْحُ لِي»[1].

وقال أبو العباس بن عطاء: الموعظة للعوام و التذكرة للخواص و النصيحة للإخوان فرض افترضه الله على عقلاء المؤمنين و لولا ذلك لبطلت السنة ولتعطلت الشريعة[2].

فالنصيحة إذاً أمر لازم ولا قيام لأهل الإسلام إلا بها. ولو أن المؤمنين فيما بينهم لم يتنا صحوا لا بد وأن ينقص إيمانهم؛ لأن الرجل يرى العيب في أخيه ولا يدله على الخير ولا ينبهه إلى مكمن الخطر، وكل عيب ينقص بالإيمان كما أن كل خير يزداد به، فتصور لو أن المسلمين أجمعوا ألا يتنا صحوا فيما بينهم كيف يكون الحال حينئذ؟ إنها أمة تضرب في أطناب الضلالة إذا أجمعوا على ذلك، ومعاذ الله أن تجمع الأمة على أمر يخالف كتاب ربها وسنة نبيها.

وفي معنى النصح والنصيحة في العمل الدعوي: الوصية في الحق التي وصى الله بها عباده في قوله تعالى: ﴿ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3]، إشارة إلى قوله سبحانه في هذه الآيات الثلاث الجامعة: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ

(١) مسند أحمد:٣٦ /٥٢٦.

(٢) شعب الإيمان:٢/٢٧٩.

(٣) سورة الأنعام: الآية (١٥١).

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١].

قال القرطبيّ: هذه الآية أمر من اللهّ تعالى لنبيّه بأن يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرّم اللهّ، وهكذا يجب على من بعده من العلماء أن يبلّغوا النّاس ويبيّنوا لهم ما حرّم عليهم ممّا أحلّ، وقوله ذلِكُمْ إشارة إلى هذه المحرّمات(والمأمورات)، والوصيّة هي الأمر المؤكّد المقدور[٢]، وقد وصف بها (أي الوصيّة) ما فرضه اللهّ عزّ وجلّ على عباده في كلّ الشّرائع كما يقول ابن عبّاس رضي اللهّ عنهما- في هذه الآية الكريمة والآيتين بعدها (الآيات ١٥١- ١٥٣ من سورة الأنعام) [٣]، فهذه هي الآيات المحكمات الّتي أجمعت عليها شرائع الخلق ولم تنسخ قطّ في ملّة من الملل[٤].

وقد أقسم الله سبحانه على السلامة من الخسارة من تواصوا فيما بينهم بقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[٥]، قال الطّبريّ في معناها أي أوصى بعضهم بعضا بلزوم العمل بما أنزل في كتابه من أمره واجتناب ما نهى عنه فيه، والحقّ كتاب اللهّ تعالى، أمّا التّواصي بالصّبر فمعناه: أوصى بعضهم بعضا بالصّبر على العمل بطاعة اللهّ[١]. ولذلك يؤخذ من ما قاله العلماء من تفسير هذه الآية معنى التواصي

---

(١) سورة الأنعام: الآيات (١٥١-١٥٣).

(٢) تفسير القرطبي ٧/ ١٣٤.

(٣) انظر هذه الآيات في الشاهد القرآني رقم (١٤).

(٤) تفسير البحر المحيط ٤/ ٢٥٠.

(٥) سورة العصر: الآية (٣).

(١) تفسير الطبري ج ٣٠ (مجلد ١٢) ص ١٨٨.

الذي في معنى النصح: أن يوصي بعض النّاس بعضا بالعمل بكتاب اللهّ وبطاعته وبالانتهاء عمّا نهى اللهّ عنه.

٣ - ضوابط وآداب النصح والنصيحة في العمل الدعوي:

إن للنصح والنصيحة في العمل الدعوي فوائد وثمار لا تتحقق إلا في ضوء الالتزام بالضوابط والآداب التي ذكرها أهل العلم مستنبطين لها من نصوص القرآن والسنة، يجدر بالداعية إلى الله بل كل مسلم مطلوب منه القيام بالنصح والنصيحة أن يلتزم بها حتى يتحقق الهدف المنشود من ذلك وهي على النحو الآتي:

١- أن تكون النصيحة قائمة على أساس من العلم والبصيرة في ما يريد النصح فيه فلا ينبغي أن يتقدم بنصح في أمر لا يعلمه، ولا يعرف فيه حكم الله، وليس له اطلاع فيه على هدي رسول الله -ﷺ-، فإن النصيحة أمر بمعروف، ونهي عن منكر، وإنها دعوة إلى الله لابد فيها من علم وفهم وإدراك.

٢- أن يكون الناصح قدوة فيما ينصح فيه وعاملا به: وهذا ما يحقق أثرا بالغا في النصيحة، فإن القدوة الحسنة لها أثرها في النفوس، فإن وافق الفعل القول كان ذلك أبلغ في الفهم والمعرفة وفي القبول والإقبال على هذه النصيحة، وفي ضابط القدوة جاء على لسان نبي من أنبياء الله عز وجل وهو شعيب عليه السلام: ﴿ **وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ** ﴾[1].

(١) سورة هود: الآية (٨٨).

٣- إظهار الحرص على المنصوح والشفقة عليه وبيان قصدك من النصيحة منفعة المنصوح وإضمار الحب له، فإن ذلك من أعظم الأسباب التي تغزو بها النصيحة القلوب والعقول، وتحقق في المنصوح الثمار المرجوة، ولعلنا نستحضر هنا الوصف العظيم الذي وصف به نبينا العظيم ﷺ: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾(١).

٤- التجرد في النصيحة: أي التجرد عن المصلحة والمنفعة، فتقول له إنما أنصحك لوجه الله لا أريد منك جزاءً ولا أنتظر منك شكوراً، ولا أرقب منك أن ترد لي المعروف مادة أو شيئاً من ذلك، وذلك لسان حال الرسل والأنبياء كلهم فيما قص القرآن من خبرهم: ﴿**فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ**﴾(٢).

٥- التلطف في النصح قولاً وفعلاً لكي تؤتي النصيحة ثمارها: لابد للناصح أن يكون خطابه في النصيحة لطيفا ومرغبا وجاذبا، ومعاملته مع المنصوح لطيفا ومتوددا، فانظر إلى نصيحة لقمان لابنه ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ**﴾(٣)، وكلمة: (يا بني) هي أسلوب تلطف وتودد، وترغيب وتحفظ، وهو أب يمكن أن يكون آمراً وزاجراً ولا شيء غير ذلك، لكنه عندما أراد أن تكون موعظته بليغة ونافعة، ونصيحته مؤثرة وبالغة حينئذ قال: (يا بني).

---

(١) سورة التوبة: الآية (١٢٨).

(٢) سورة يونس: الآية (٧٢).

(٣) سورة لقمان: الآية (١٣).

وإذا رأينا أبا الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام يخاطب أباه وقد كان زعيم الكفر في وقته: ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا**﴾[1]، هذا المعنى (يا أبت) لم ينقص حقه، ولم ينس قدره، ولم يخف عليه أن مثل هذا المدخل قد يكون له أثره.

٦- الاختيار المناسب للأسلوب بحسب الظروف المتغيرة: ومن ذلك اختيار الأوقات المناسبة، وهذا أمر عزيز في النصيحة، فكم من نصيحة نقذفها في وجه صاحبها وهو في أوج غضبه، أو وهو في شدة أزمته أو كربه فلا يكاد يسمع شيئاً.

وهذا مثل لذلك: اختصم في عهد النبي -ﷺ- اثنان، فعلت أصواتهما، حتى احمر وجه أحدهما وظهرت أوداجه في رقبته، فقال النبي -ﷺ- من بعد: (إني أعلم كلمة لو قالها هذا لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فسعى بها رجل)يعني: سمعها رجل من النبي -ﷺ- فذهب بها إلى الرجل وقال له: يقول الرسول -ﷺ- كذا (فمن شدة غضب الرجل وفورته قال: اذهب عني فإني لست بمجنون).

٧ – المراوحة والمزاوجة بين الإسرار والإعلان: فنصيحة الفرد غالباً ما يكون الأفضل فيها، والأتم أن تكون في السر بينك وبينه، وأما نصيحة العموم إذا فشا أمر، فالخطيب يريد أن يذكر، والعالم يريد أن ينبه، والناصح يريد أن يحذر، ولا بأس بذلك، ولكنه وإن كان معلناً فينبغي أن يكون للعموم، ليس فيه تحديد، فقد كان رسول الله -ﷺ- يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ثم ينبه[1]..

---

(١) سورة مريم: الآية (٤٢).

(١) من خطبة للشيخ عمر بادحدح.

- **فوائد وثمار (النصيحة والتواصي) في العمل الدعوي:**

النصيحة والتواصي بالحق عندما تؤدى على وجه صحيح، والتزام بالضوابط والآداب، تحقق أهدافها في المنصوح ويتحقق بها فوائد وثمارا دنيوية وأخروية كثيرة

(١) النّصيحة لبّ الدّين وجوهر الإيمان.

(٢) دليل حبّ الخير للآخرين، وبغض الشّرّ لهم.

(٣) تكثير الأصحاب؛ إذ إنّه يؤمن منه الجانب، وتقليل الحسّاد؛ إذ إنّه لا يحبّ لغيره الشّرّ والفساد.

(٤) صلاح المجتمع؛ إذ تشاع فيه الفضيلة، وتستر فيه الرّذيلة.

(٥) إحلال الرّحمة والوداد مكان القسوة والشّقاق.

(٦) الاشتغال بالنّفس لاستكمال الفضائل من تمام النّصح.

(٧) بيان خطأ المخطئ في المسألة والمسائل- وإن كرهه- من النّصيحة الواجبة لا من الغيبة المحرّمة.

(٨) من قام بها على وجهها يستحقّ الإكرام لا اللّوم والتّقريع.

(٩) في التّواصي بالحقّ وبالصّبر ونحوهما ما يكفل حياة مستقرّة للمجتمع الإسلاميّ.

(١٠) في الأخذ بوصيّة الله- عزّ وجلّ- ووصيّة رسوله ﷺ- صلاح حال الفرد والمجتمع معا.

(١١) للوصيّة الصّادقة تأثير بالغ في النّفس وهي دافع قويّ لتنفيذ الموصى به.

(١٢) الوصيّة وسيلة من وسائل التّقوى والتّذكّر والتّعقّل[١].

---

(١) انظر الشاهد القرآني رقم (١٤).

المطلب الثالث

وسيلة الترغيب والترهيب وأساليبها وأنشطتها

١- مفهوم الترغيب والترهيب في العمل الدعوي :

أ- الترغيب لغة:

الرغبة مصد رغب قال في اللسان: (رغب) الرَّغْبُ والرُّغْبُ والرَّغَبُ والرَّغْبَة والرَّغَبُوتُ والرُّغْبَى والرَّغْبَاءُ: الضَّراعة والمسأَلة، وفي حديث الدعاءِ رَغْبَةً ورَهْبَةً إِلَيْكَ. ومن الرغبة يشتق الترغيب إذ أنه مصدر قولهم: رغّبه في الشّيء أي أوجد فيه الرّغبة إليه[1].

ب- الترهيب لغة:

الرهبة مصدر(رهب) يقال: رَهِبَ الشيءَ رَهْباً ورَهَباً ورَهْبةً خافَه. وتَرَهَّبَ غيرَه إِذا تَوَعَّدَه. والرَّهْباءُ اسم من الرَّهَبِ تقول الرَّهْباءُ من اللهّ والرَّغْباءُ إِليه، وفي حديث الدُّعاءِ رَغْبةً ورَهْبةً إِليك. وأَرْهَبَه ورَهَّبَه واستَرْهَبَه أَخافَه وفَزَّعه واسْتَرْهَبَه اسْتَدْعَى رَهْبَتَه حتى رَهِبَه الناسُ وبذلك فسر قوله عز وجل: ﴿واسْتَرْهَبُوهُم وجاؤُوا بسحْرٍ عظيمٍ﴾ أَي أَرْهَبُوهم.. [1]

والخلاصة أن الرهبة تعني لغة: الخوف، الوعيد، الفزع، الخشية لله، الزهد عن الدنيا وهي التي يتناولها الترهيب في مدلوله بل هو أوسع من ذلك كما سنعرفه مما يأتي.

---

(١) نضرة النعيم:٢١٢٧/٦.

(١) انظر: لسان العرب:٣٢٦/١-٣٣٨ وتاج العروس: ٥٣٧/٢- ٥٣٨ بتصرف.

ج- الترغيب والترهيب اصطلاحا:

بعد البحث الشديد لم أقف في كتب المعاجم و التعريفات على تعريف اصطلاحي للفظتي الترغيب والترهيب، رغم شيوع الكلام عنهما وكثرة كتب الترغيب والترهيب والذكر لهما بكثرة في كتب التفاسير وفي عناوين كتب الحديث وشروحها وغيرها من المصنفات، ولعل التعريف اللغوي وشيوعه وكثرة تداوله أغنى عن التعريف الاصطلاحي عنها، وكما قيل المعرّف لا يعرف، اللهم إلا ما وقفت عليه في كتاب المنتقى شرح الموطأ وهو يتحدث عن معنى الترغيب في الجهاد بقوله: مَعْنَى التَّرْغِيبِ فِي الْجِهَادِ: الْإِعْلَامُ بِعَظِيمِ ثَوَابِهِ وَجَزِيلِ أَجْرِهِ لِيُرَغِّبَ النَّاسَ فِيه.

أو ما ذكره صاحب معجم لغة الفقهاء: الترغيب بالشئ: الاغراء به وغرس الحرص عليه في النفس.. [1] ولم يتناول بيان الترهيب.

ولكن من مجمل مدلول اللغة وحسب كلام أهل العلم عن الترغيب والترهيب يعني: أن الترغيب يكون بتذكير المكلفين المخاطبين من هذه الأمة بنعم الله عليهم وعلى مَن قبلهم ممن آمن بالرسل. والترهيب بتذكير المكلفين المخاطبين من هذه الأمة ببأسِ الله وانتقامه ممن كذب بالرسل فيما سلف من الأيام، وذلك ليرغبوا في الوعد فيصدقوا، ويحذروا من الوعيد والوقوع في المخالفات والمعاصي فيتركوها.

د- الترغيب والترهيب في العمل الدعوي:

هو كما يقول الدكتور عبد الكريم زيدان: نقصد بالترغيب كل ما يشوق المدعو الى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه. ونقصد بالترهيب كـــل ما يخيف

(١) معجم لغة الفقهاء: ١٢٨/١.

ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله.

والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الاسلوب، أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة الى الله تعالى، بوسيلة القول في الخطاب، وعدم اهماله من قبل الداعي المسلم.

وسند هذا الأسلوب واتخاذه أسلوباً في الإقناع والتأثير في مجال الدعوة مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾[1]، فالوعظ: «أمر ونهي بترغيب وترهيب»[2].

والموعظة الحسنة: «هي المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل»[3] أما الصنف الذي توجه إليه فإنها توجه إلى من عنده هوى يصده عن الحق[4] أو نوع غفلة وتأخر في التزامه[1].

والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وان يكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة.

وهذا هو نهج رسل الله الكرام كما بينه القرآن الكريم وجاءت به السنة النبوية المطهرة كما سيأتي.

---

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٢) مجموع الفتاوى ١٩ / ١٦٤.

(٣) مجموع الفتاوى ١٩ / ١٦٤. وانظر معالم التنزيل ٤ / ١٢٤ ، ولباب التأويل ٤ / ١٢٤ ، وتيسير الكريم الرحمن ٤٥٢.

(٤) مجموع الفتاوى ١٩ / ١٦٤. و ١٦ / ٣٣٨.

(١) انظر مفتاح دار السعادة ١ / ١٥٣.

٢- عرض مفهوم وسيلة وأسلوب ونشاط الترغيب والترهيب في العمل الدعوي:

الترغيب والترهيب أسلوب قرآني، ووسيلة دعوية أمر بها الله رسله وأتباعهم، وعرض على ألسنتهم القيام بها في القرآن، كما أن كثيرا من الآيات القرآنية في سياقاتها المتنوعة كثيراً ما يقترن ورودهما معا، قال ابن كثير رحمه الله: «وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن كما قال تعالى في آخر سورة الأنعام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]، وقال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾[3]، والآيات في هذا كثيرة جداً»[4]، وقال رحمه الله: «وقوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾[5]، إلى غير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأكلها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارة بهما لينجع في كل بحسبه، جعلنا الله ممن أطاعه فيما أمر، وترك ما عنه نهى وزجر، وصدقه فيما أخبر، إنه قريب مجيب سميع الدعاء جواد كريم وهاب»[1].

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٦٥).

(٢) سورة الرعد: الآية (٦).

(٣) سورة غافر: الآية (٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢ / ١٨٧.

(٥) سورة الحجر: الآية (٤٩-٥٠).

(١) المرجع السابق ٢ / ٢٠١.

وبما أن العرض يبدأ بالآيات التي سياقها دعوي، ونصت على ترغيب أو ترهيب أو جمعت بينهما في مخاطبة المدعوين باعتبارها وسيلة دعوية وأسلوب دعوي ينبغي للعاملين لهذا الدين أن يلتزموه في قيامهم بذلك. والداعية الموفق هو الذي يستخدم أسلوب الترغيب والترهيب في مكانه المناسب، وألا يجعل أسلوب وعظه الترهيب على الدوام، ولا الترغيب على الدوام، فقد يحتاج إلى الجمع بينهما في مقام واحد، وقد يحتاج إلى الاقتصار على واحد منهما حسب المقام، وهذا يقتضيه الظرف وطبيعة المناسبة.

من الآيات التي تبين مهمة الرسل في الدعوة إليه وأنها متضمنة الترغيب والترهيب

قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[2].

ومن الآيات التي تبين قيام الرسل في دعوتهم بالترغيب أو الترهيب أوبهما معا:

عن نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1]، استعمل الترهيب، وقوله تعالى عن نوح عليه السلام في الترغيب: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٤٨).

(٢) سورة النساء: الآية (١٦٥).

(١) سورة الأعراف: الآية (٥٩).

جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1]، استعمل الترغيب. وكذلك أمر الله نبيه نوح عليه السلام أن يستعمل الترغيب والترهيب معا: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

وعن هود عليه السلام وهو يخاطب قومه، قال تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]، استعمل أسلوب الترغيب.

وعن هود عليه السلام أيضاً وهو يخاطب قومه: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1]، هنا استعمل أسلوب الترهيب..

وعن صالح عليه السلام: قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً

(١) سورة الأعراف: الآية (٦٣).
(٢) سورة نوح: الآيات (١-٤).
(٣) سورة الأعراف: الآية (٦٩).
(١) سورة الشعراء: الآيات (١٣٢-١٣٥).

فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، هذه الآية استعمل فيها الترهيب. وقال: ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[2]، وهذه الآية فيها الترغيب.

وعن شعيب عليه السلام: قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3]، ترغيب. وقال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾[1]، جمع بين الترغيب والترهيب في خطابه الدعوي.

وعن إبراهيم عليه السلام: قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إبراهيم إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٧٣).

(٢) سورة الأعراف: الآية (٧٤).

(٣) سورة الأعراف: الآية (٨٥).

(١) سورة هود: الآيات (٨٤-٨٦).

سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾[1]، استعمل الترهيب.

وعن موسى وهارون عليهما السلام:

أ - **دعوتهما فرعون وقومه**: قال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[2]، استعملا الترغيب والترهيب.

ب- دعوة موسى لقومه: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِه يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم﴾[3]، استعمل الترغيب. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[1]، استعمل الترغيب والترهيب.

---

(١) سورة مريم: الآيات (٤١-٤٥).

(٢) سورة طه: الآيتان (٤٧-٤٨).

(٣) سورة البقرة: الآية (٥٤).

(١) سورة المائدة: الآيتان (٢٠-٢١).

وعن دعوة مؤمن آل فرعون: قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[(١)]، استعمل الترهيب في أعلا مستوياته.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(١)]، استعمل الترغيب في أعلا مستوياته.

وعن دعوة الرسول الخاتم محمد -ﷺ- خاتم الأنبياء وإرساله بوسيلة وأسلوب الترغيب والترهيب:

---

(١) سورة غافر: الآيات (٢٨-٣٣).

(١) سورة غافر: الآيات (٣٨-٤٠).

١- قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[1]، يقول الفخر الرازي: « فيه ترتيب حسن، وذلك من حيث أن النبي -ﷺ- أرسل شاهدًا بقول لا إله إلا الله، ويرغب في ذلك بالبشارة، فإن لم يكف ذلك يرهب بالإنذار »[2] .

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاء لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلا﴾[3]، استعمل الترهيب.

بالوحي المنزل على محمد -ﷺ- متضمن الترغيب والترهيب: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾[4]، تضمنت الترغيب.

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ

---

(١) سورة الأحزاب: الآيتان (٤٥-٤٦).

(٢) الفخر الرازي ، التفسير الكبير ٢٥ / ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٣) سورة طه: الآيات (٩٩-١٠١).

(٤) سورة النساء: الآيتان (١٧٤-١٧٥).

وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[1]، تضمنت الترهيب والترغيب معا.

وقال تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2]، استعمل الترغيب والترهيب معا

بل القرآن يرغب ويرهب: قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[3]، الترغيب والترهيب معا.

التحذير والترهيب من مخالفة أمر الله وأمر رسوله، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً﴾[1]، استعمل الترهيب.

٣- قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[2]، استعمل الترغيب والترهيب معا.

---

(١) سورة الكهف: الآيات (٢٩-٣١).

(٢) سورة التوبة: الآية (٣).

(٣) سورة الإسراء: الآيتان (٩-١٠).

(٤) سورة آل عمران: الآية (٣٢).

(١) سورة النساء: الآية (١١٥).

(٢) سورة الأنعام: الآية (١٤٧).

حتى الجن يقومون بالدعوة في جنسهم بوسيلة وأسلوب الترغيب والترهيب، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[1]، استعملوا الترغيب والترهيب معا.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْساً وَلا رَهَقاً ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾[2]، استعملوا الترغيب والترهيب.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا رَشَداً ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلاغاً مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ﴿٢٣﴾ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً﴾[1]، استعمل الترهيب.

(١) سورة الأحقاف: الآيات (٣٠-٣٢).

(٢) سورة الجن: الآيات (١٣-١٥).

(١) سورة الجن: الآيات (١٩-٢٤).

*** من تطبيقات السنة في استعمالات الترغيب والترهيب في العمل الدعوي:**

يكاد يكون ﷺ في معظم تطبيقاته الدعوية وممارسته للتبليغ يستعمل وسيلة وأسلوب الترغيب والترهيب نذكر نماذج من ذلك ما نستدل به في موضوع البحث من ذلك:

١- كان ﷺ يعد المبايعين له بالجنة من ذلك ما قاله عليه الصلاة والسلام لأصحاب بيعة العقبة الأولى «فان وفيتم فلكم الجنة»..

٢- وقوله ﷺ في الحث على تآخي المؤمنين والترغيب فيه: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة »[(١)].

٣- وقوله ﷺ لعلي رضي الله عنه في الحث على الاجتهاد في الدعوة: « ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن تكون لك حمر النعم » [(١)].

٤- ما جاء في التحذير من ترك الجمعة والترهيب من تركها قوله ﷺ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنْ الْغَافِلِينَ»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المظالم ، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ٣ / ٩٨.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب فضل من أسلم على يديه رجل ٣ / ٢٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠/٣)، وأخرجه النسائي في الكبرى (١٥٨٥) عن ابن عباس وأبي هريرة. وللحديث طرق أخرى.

٥- وقوله عليه الصلاة والسلام في التحذير من عدم النصح للرعية والترهيب من ذلك: «ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة»[(١)].

والقرآن والسنة مليئان بالترغيب والترهيب سواء في مستوى الدعوة إلى الدين بعامة، والترغيب في اعتناقه والتزامه، والتحذير من رفضه والتقصير فيه ، أو في مستوى الترغيب في عقائده وأحكامه وأخلاقه ، والترهيب من تركها أو إهمالها أو التقصير فيها؛ مما يؤكد أهمية هذه الوسيلة وهذا الأسلوب ونفعه في الإقناع والتأثير الدعوي المستخدم مع المسلمين وغير المسلمين .

ومع أن الأصل في الترغيب والترهيب يكون بالجزاء في الآخرة، فانه يجوز أن يكون بما يصيب المدعوين في الدنيا من خير في حالة استجابتهم وما يصيبهم من شر في حالة رفضهم، على أن لا يغفل الداعي أبداً عن الترغيب والترهيب بالجزاء في الآخرة. ومن أدلة هذا الجواز على سبيل المثال ما يأتي:

فمن القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾[(١)].

---

(١) متفق عليه.

(١) سورة النور: الآية (٥٥).

ومن السنة النبوية:

ما قاله رسول الله -ﷺ- عندما جاء أشراف قريش عمه أبا طالب ليحدثوه بشأن رسول الله -ﷺ- وطلبوا منه أن يكلمه ليكف عنهم ويكفوا عنه، فبعث إليه أبو طالب فجاءه، فقال: يا ابن أخي هؤلاء اشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك، فقال رسول الله -ﷺ- «يا عم، كلمة واحدة تعطونيها، تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم» فقال أبو جهل: نعم وأبيك وعشر كلمات. فقال رسول الله -ﷺ-: «تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه»[1] .

٣- ضوابط وآداب الترغيب والترهيب في العمل الدعوي:

هناك ضوابط وآداب تتعلق بالقيام بوسيلة الترغيب والترهيب في خطاب العمل الدعوي يجدر بالداعية مراعاتها حين يقوم بذلك من ذلك:

١ - **يحسن بالداعية في العمل الدعوي بهذه الوسيلة**: أَنْ لَا تَبْعَثَهُ الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ عَلَى الِاسْتِرْسَالِ فِي وَعْدٍ أَوْ وَعِيدٍ يَعْجِزُ عَنْهُمَا وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِمَا. فَإِنَّ مَنْ أَطْلَقَ بِهِمَا لِسَانَهُ وَأَرْسَلَ فِيهِمَا عِنَانَهُ، وَلَمْ يَسْتَثْقِلْ مِنْ الْقَوْلِ مَا يَسْتَثْقِلُهُ مِنْ الْعَمَلِ، صَارَ وَعْدُهُ نَكْثًا وَوَعِيدُهُ عَجْزًا .

٢- **التوازن في استعمال هذه الوسيلة** والأسلوب وأن لا يسترسل في جانب ويهمل الجانب الآخر بل يعطي كلا حقه وبحسب ما يقتضيه المقام والمقال، مراعيا في ذلك طبيعة النفس البشرية المجبولة على محبة ما فيه نفعها ومصلحتها

(١) أصول الدعوة ٤٣٧.

والإقبال عليه، وكره ما يضرها ويؤذيها ويفسد عليها أمرها والنفور منه، فالقرآن الكريم يرغب الناس في اتباع الهدى من خلال الوعد بالخير المترتب على ذلك، ويُرهبهم من اتباع الباطل من خلال الوعيد المترتب على ذلك أيضًا. وقد كان ﷺ يُرغِّب في الخير بذكر ثوابِه والتنبيه على مَنافِعِه، ويُرهِّبُ عن الشرِّ بذكرِ عقابِه والتنبيه على مساويه .

٣- **الاعتناء بأسلوب الترهيب** عند دعوة من شط به هواه فانحرف عن جادة الحق لأنه أحرى بأن يوقظه من غفلته ويعيده إلى الجادة إن لم يكن خُتم على قلبه بعد.

٤- **الاعتناء بأسلوب الترغيب** عند من أظهر استعداده للإقبال على الدعوة والانقياد لكلمة التوحيد وذلك تثبيتًا لهذا التوجه وتعهدًا لهذا الميل نحو الحق[1].

٥- ومن أهم ضوابط **استخدام وسيلة الترغيب والترهيب الصحة** فيما يخاطب به كونه حقّاً وصدقاً، فلا يكون الترغيب أو الترهيب بشيء ليس له أصل في الشريعة ، كما في الخيالات والتصورات والأساطير حتى لو كان القصد حسناً[1] .

٦- **الصدق في الوعد** أو الوعيد الذي يمارس ترغيباً أو ترهيباً ، لا بد أن يكون صادقاً، فإذا وعد الداعية المدعو بمكافأة له عند حفظ القرآن الكريم أو المواظبة على الصلاة مع الجماعة أو نحو ذلك ؛ فإن المصداقية المتمثلة بالوفاء بالوعد لازم عليه قطعاً بدلالة النقل والعقل.

---

(١) أساليب التربية والدعوة:١/٤٢-٤٨.

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١٣ / ٩٦ .

٧- **العدل [في مستوى التأثير]**: ليس للإنسان مهما بلغ من حسن النية والرغبة في الخير أن يسيء إلى الآخرين بالترغيب أو الترهيب ، وتتمثل الإساءة في ذلك بأحد أمرين:

الأول: الظلم ومجاوزة الحد الشرعي، وترك العدل الذي هو التوسط والاعتدال مما يحدث أثراً سيئاً في المدعو ، وبخاصة في الترهيب.

الثاني: عدم التوازن بين الترغيب والترهيب بأن يقدم أحدهما في حين ينفع الآخر بدرجة أكبر، أو أن يجعل كلامه ترهيباً وتخويفاً باستمرار فيصاب الإنسان باليأس والقنوط، أو يجعل كلامه ترغيباً وبشارة على الدوام فيتكل الناس على الرجاء ويضعفون عن العمل، قال ابن كثير رحمه الله: «وقوله: ﴿**إن ربك لسريع العقاب**﴾، أي لمن عصاه وخالف شرعه ﴿**وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[1]، أي تاب إليه وأناب وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة لئلا يحصل اليأس فيقرن تعالى بين الترغيب والترهيب كثيراً لتبقى النفوس بين الرجاء والخوف »[1] .

٤- فوائد وثمار الترغيب والترهيب في العمل الدعوي:

١ – من فائدة الترغيب: حث النفوس على العمل المرغب فيه، لرجاء حصول ذلك الثواب. وفائدة ذكره في الترهيب تنفير النفوس عن العمل المرهب عنه للخوف من وقوع ذلك العقاب، ولا يضره إذا اجتنبه ولم يقع العقاب المذكور.

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٦٧).

(١) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٢٦٠ وانظر: الإقناع والتأثير:١/٤٢-٤٩.

٢ - الترغيب في الإسلام وفيما عند الله والدار الآخرة ويقرّب العبد من اللهّ زلفى.

٣ - القيام به يعود أثره النفسي والعاطفي على الداعية والمدعو من حيث جعل عملهما خالصا للهّ.

٤ - ينتفع الداعية بذلك بترك التقصير فيما يعظ به الآخرين فينعكس الأثر عليه فيكثر من العبادة والقربات إلى اللهّ عزّ وجلّ.

٥ - تد فع الداعية لمجاهدة نفسه حتى يكون قدوة صالحة في مجتمعه.

٦ - يطمئنّ إلى الآخرة ويرجو المغفرة.

٧ - يمنحه زهدا فيما في أيدي الناس. ويثق النّاس فيه لزهده فيهم ورغبته في اللهّ وحده.

٨- يجعل العبد المخاطب يتوق إلى ما أعدّه اللهّ للطّائعين فيزداد طاعة وتقوى.

٩- يورث الصّبر على المكاره في الدّنيا رجاء أن يعوّض عنه بالنّعيم المقيم في الآخرة.

١٠- التّرغيب يولّد الأمل، ويبعث على النّشاط والعمل للآخرة.

١١- التّرغيب يحبّب إلى المسلم الطّاعات وينأى به عن المعاصي، ويدفع به إلى مقاومة الشّيطان.

١٢- سلوكه طريق موصّل إلى محبّة اللهّ وجنّته. والسعادة في الدّارين.

١٣- يكون سببا لإشاعة المسالمة بين النّاس.

١٤- يثمر حسن الخلق وطهارة النّفس والعزوف عن التّنافس في الدّنيا.

١٦- يجعل العصاة والمستهترين يقفون على حقيقة ما هم عليه.

١٧- يعجّل بتوبة التّائبين حتّى لا يدركهم الموت وهم عصاة.

١٨- التّرهيب يورث الخوف من عذاب الله عزّ وجلّ ويولّد الرّهبة حتّى تصير طبعا في الإنسان توصّله إلى تقوى الله عزّ وجلّ.

المطلب الرابع

وسيلة الحكمة وأسلوبها ونشاطها

١- مفهوم الحكمة في العمل الدعوي:

أ- الحكمة لغة:

ماة (ح ك م) لها معاني كثيرة في اللغة أذكر منها ما يتعلق بمدلول الحكمة لغة. قال الخليل: «الحكمة مرجعها إلى العدل والعلم والحلم، وحكَّمته وأحكمته»[1] (فاستحكم)؛ صار محكما. وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[2]، أي: بالأمر والنهي والحلال والحرام (ثُمَّ فُصِّلَتْ) أي: بالوعد والوعيد (و) أحكمه (عن الأمر: رجعه). وفي الصحاح: حكمت السفيه وأحكمته: إذا أخذت على يده[3].(وأحكمه)إحكاما: (أتقنه) ومنه قولهم للرجل إذا كان حكيما: قد أحكمته التجارب.

ب- الحكمة اصطلاحا:

الحكمة في الاصطلاح لا تتجاوز هذه المعاني اللغوية إلا في بعض القيود والضوابط ولذلك أختلف العلماء في تعريفها اصطلاحا إلى ما يقرب من عشرين تعريفا نختار منها أجمعها وهو تعريف الإمام النووي رحمه الله وهو تعريف علمي

---

(١) العين: ٦٧/٣.

(٢) سورة هود: الآية (١).

(٣) تاج العروس: ٥١٢/٣١-٥١٤.

اصطلاحي حيث يقول: وأما الحكمة فهي: عبارة عن العلم المتصف بالإحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق والعمل به، والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك [١].

وتعريف ابن عاشور وهو تعريف دعوي فيقول: بأنها اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ كَلَامٍ أَوْ عِلْمٍ يُرَاعَى فِيهِ إِصْلَاحُ حَالِ النَّاسِ وَاعْتِقَادُهُمْ إِصْلَاحًا مُسْتَمِرًّا لَا يَتَغَيَّرُ[٢].

ج – مفهوم الحكمة في العمل الدعوي:

إن الحكمة في المفهوم الدعوي هي المعنى الجامع بين التعريفين السابقين: «الإِصابة في الأقوال والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه بإحكام وإتقان، مراعيا إصلاح حال الناس ومعتقدهم» .

وفي ضوء هذا التعريف فالحكمة في العمل الدعوي لا تقتصر على الكلام اللين، أو الترغيب، أو الحلم، أو الرفق، أو العفو... بل هي إتقان الأمور وإحكامها بأن تنزل جميع الأمور منازلها، فيوضع القول الحكيم والتعليم والتربية في مواضعها، وتوضع الموعظة في موضعها، والمجادلة بالتي هي أحسن في موضعها، ومجادلة الظالم المعاند في موضعها، كما قال عزّ وجلّ: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾[٣]، وُيوضع الزجر، والقوة، والغلظة، والشدة، والسيف في مواضعها، وهذا هو عين الحكمة . وقد قال أحكم الحاكمين لسيد

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ،٢ / ٣٣ .

(٢) التحرير والتنوير:٣٢٧/١٤.

(٣) سورة العنكبوت: الآية (٤٦).

الحكماء والناس أجمعين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[1]، كل ذلك بإحكام وإتقان ومراعاة لأحوال المدعوين، والأزمان، والأماكن في مختلف العصور والبلدان، وبإحسان القصد والرغبة فيما عند الكريم المنان[2] .

ومن أراد البرهان العملي على ذلك فعليه أن ينظر إلى ما كان عليه رسول الله ﷺ، ومعاملته لأصناف الناس، وهو الذي أعطاه الله من الحكمة ما لم يعطِ أحدًا من العالمين [3].

٢-عرض مفهوم وسيلة الحكمة وأسلوبها وأنشطتها في العمل الدعوي (التأصيل):

القرآن الكريم عرض لنا الحكمة كوسيلة دعوية وأسلوب دعوي بصور متعددة وبمعاني متجددة وبأحكام مختلفة، وكثرة ما ورد فيها من آيات يشعر بالاهتمام البالغ بها وبأهلها ومن يمارسونها في حياتهم الدعوية العملية لذا سنعرض الآيات ذات الصلة بموضوعنا للتأصيل الشرعي لما نحن بصدده.

ويكفي الحكمة شرفا كونها صفة الله الحكيم المقرونة بعلمه جاءت في ثلاث وثلاثين آية، وبالعزة في ست وأربعين آية، وبالخبرة في ثلاث آيات، ووصف بها كتابه

---

(١) سورة التوبة: الآية (٧٣). وانظر سورة التحريم: الآية (٩).

(٢) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ١٩ / ١٦٤ ، ومفتاح دار السعادة لابن القيم ١ / ١٩٤ ، والتفسير القيم ص ٣٤٤ ، وتفسير ابن كثير ٣ / ٤١٦ ، وزاد الداعية إلى الله للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، ص١٥.

(٣) انظر: التفسير القيم لابن القيم ص ٣٤٤ ، الهامش .

في خمس آيات، وكون من أنيط بهم الدعوة إلى الله والعمل له بالحكمة هم خيرة خلقه من الرسل والأنبياء والصالحين من عباده أتباع الرسل قال الله تعالى: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا**﴾[1].

. ومن اليقين أنه آتاها أنبياءه ورسله ومن يشاء من عباده وأمرهم بتعليمها وتعليم كتابه الحكيم، وها أنا أعرض بعض ما جاء في ذلك من آيات عن الرسل ومن تعليمات للأخذ بوسيلة الحكمة وأسلوبها وإحياء أنشطتها في العمل لدينه بمختلف مجالاته وميادينه:

فآل إبراهيم عليه السلام محسودون على إيتائهم الحكمة، ونبينا محمد من آل إبراهيم، قال تعالى: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً**﴾[2].

وداود عليه السلام آتاه الله الملك والحكمة وقد مارسها في دعوته: قال تعالى: ﴿**فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ داوُدُ جالُوتَ وَآتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشاءُ وَلَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ**﴾[3]، وقال تعالى:﴿**وَشَدَدْنا مُلْكَهُ وَآتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ**﴾[4].

(١) سورة النساء: الآية (٥٤).
(٢) سورة النساء: الآية (٥٤).
(٣) سورة البقرة: الآية (٢٥١).
(٤) سورة ص: الآية (٢).

قال سيد قطب: فكان ملكه قوياً عزيزاً. وكان يسوسه بالحكمة والحزم جميعاً. وفصل الخطاب قطعه والجزم فيه برأي لا تردد فيه. وذلك مع الحكم ومع القوة غاية الكمال في الحكم والسلطان في عالم الإنسان. [1].

ولقمان الحكيم: أخبر الله أنه آتاه الحكمة ومارسها في الدعوة وبدأها في ابنه: قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾[2]، قال ابن كثير: قوله: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ** ﴾، أي الفهم والعلم والتعبير ﴿ **أَنِ اشْكُرْ للّهِ** ﴾ أي أمرناه أن يشكر الله عز وجل على ما آتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل الذي خصصه به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه[3].

وعيسى عليه السلام أخبر الله أنه علمه الكتاب والحكمة وقام بها في دعوته، قال تعالى: ﴿ **وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالأَنْجِيلَ** ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ** ﴾[5]، وأخبر جل وعلا أن عيسى قام بالبيان بالحكمة، فقال تعالى: ﴿ **وَلَمَّا جاءَ عِيسى بِالْبَيِّناتِ قالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ**

---

(١) في ظلال القرآن:٦/٢٠٨.

(٢) سورة لقمان: الآيتان (١٢-١٣).

(٣) تفسير ابن كثير:٣/٥٣٧.

(٤) سورة آل عمران: الآية (٤٨).

(٥) سورة المائدة: الآية (١١٠).

لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[1]، قال ابن عباس عن الحكمة هنا: علم ما يؤدي إلى الجميل ويكف عن القبيح[2].

جميع الرسل أوتوا الحكمة مقرونة بميثاق الله للإيمان بالرسول الخاتم ونصره:

لقد أخذ الله الميثاق على الرسل بما آتاهم من الكتاب والحكمة أن يؤمنوا بالرسول محمد وينصروه إذا أدركوا زمنه، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾[3].

ودعوة إبراهيم عليه السلام ربه أن يبعث من يعلم عباده الكتاب والحكمة ويقوم بها فيهم وكان هو محمد رسول الله خاتم النبيين، قال تعالى: ﴿ **رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[4]، قال الشنقيطي: لَمْ يُبَيِّنْ هُنَا مَنْ هَذِهِ الْأُمَّةُ الَّتِي أَجَابَ اللهُ بِهَا دُعَاءَ نَبِيِّهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَلَمْ يُبَيِّنْ هُنَا أَيْضًا هَذَا الرَّسُولَ الْمَسْؤُولَ بَعْثُهُ فِيهِمْ مَنْ هُوَ؟ وَلَكِنَّهُ بَيَّنَ فِي سُورَةِ الْجُمُعَةِ أَنَّ تِلْكَ الْأُمَّةَ الْعَرَبُ، وَالرَّسُولَ هُوَ سَيِّدُ الرُّسُلِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴿٢﴾

---

(١) سورة الزخرف: الآية (٦٣).

(٢) انظر تفسير القرطبي:١٠٨/١٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية (٨١).

(٤) سورة البقرة: الآية (١٢٩).

وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾[1]؛ لِأَنَّ الْأُمِّيِّينَ الْعَرَبُ بِالْإِجْمَاعِ، وَالرَّسُولَ الْمَذْكُورَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ -ﷺ- إِجْمَاعًا، وَلَمْ يُبْعَثْ رَسُولٌ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ إِلَّا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ -ﷺ- وَحْدَهُ . وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ هُوَ الرَّسُولُ الَّذِي دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ، وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ عُمُومَ رِسَالَتِهِ -ﷺ- إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ[2] .

واستجاب الله دعوة إبراهيم وامتن على المؤمنين ببعثة من يعلمهم الكتاب والحكمة قال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[3]، وَتَعْلِيمُ الْكِتَابِ هُوَ تَبْيِينُ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ وَأَمَرَهُمْ بِحِفْظِ أَلْفَاظِهِ، لِتَكُونَ مَعَانِيهِ حَاضِرَةً عِنْدَهُمْ. وَالْمُرَادُ بِالْحِكْمَةِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الشَّرِيعَةُ مِنْ تَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ وَتَقْنِينِ الْأَحْكَامِ لِأَنَّ ذَلِكَ كلّه مَانع للأنفس مِنْ سُوءِ الْحَالِ وَاخْتِلَالِ النِّظَامِ، وَذَلِكَ مِنْ مَعْنَى الْحِكْمَةِ[4].

وأخبر الله أنه أنزل على نبينا محمد الكتاب والحكمة وعلمه مالم يعلم فضلا منه ورحمة، واستجاب الله الدعاء، فقال: ﴿**وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**﴾[5].

---

(١) سورة الجمعة: الآيتان (٢-٣).
(٢) أضواء البيان:٤٤/١.
(٣) سورة آل عمران: الآية (١٦٤).
(٤) التحرير والتنوير:١٥٩/٤.
(٥) سورة النساء: الآية (١١٣).

وبين سبحانه أن الرسول محمد -ﷺ- مما أرسل به تعليم الكتاب الحكيم وتعليم الحكمة، قال تعالى: ﴿**كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾[1].

قال ابن عاشور: وَقَوْلُهُ: وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ أَيْ يعلمكم الشَّرِيعَة فالكتاب هُنَا هُوَ الْقُرْآنُ بِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ كِتَابَ تَشْرِيعٍ لَا بِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ مُعْجِزًا وَيُعَلِّمُكُمْ أُصُولَ الْفَضَائِلِ، فَالْحِكْمَةُ هِيَ التَّعَالِيمُ الْمَانِعَةُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْخَطَأِ وَالْفَسَادِ[2].

بل امتن الله على من في بيوت نبيه بتلاوة الآيات والحكمة فيها وأمرهن بتذكر هذه النعمة العظيمة قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْنَ ما يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كانَ لَطِيفاً خَبِيراً**﴾[3].

وهي النعمة المسداة على جميع العباد للاتعاظ، قال تعالى: ﴿**وَلا تَتَّخِذُوا آياتِ اللَّهِ هُزُواً وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَما أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[4]، وَمَعْنَى إِنْزَالِ الْحِكْمَةِ أَنَّهَا كَانَتْ حَاصِلَةً مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ كَمَا ذَكَرْنَا، وَمِنَ الْإِيمَاءِ إِلَى الْعِلَلِ، وَمِمَّا يَحْصُلُ أَثْنَاءَ مُمَارَسَةِ الدِّينِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُنَزَّلٌ مِنَ اللهَّ تَعَالَى بِالْوَحْيِ إِلَى الرَّسُولِ -ﷺ-، وَمَنْ فَسَّرَ الْحِكْمَةَ بِالسَّنَةِ فَقَدْ فَسَّرَهَا بِبَعْضِ دَلَائِلِهَا. وَالْمَوْعِظَةُ وَالْوَعْظُ: النُّصْحُ وَالتَّذْكِيرُ بِمَا يُلِينُ الْقُلُوبَ، وَيُحَذِّرُ الْمَوْعُوظَ[5].

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٥١).

(٢) التحرير والتنوير:٢/٤٩.

(٣) سورة الأحزاب: الآية (٢٣١).

(٤) سورة البقرة: الآية (٢٣١).

(٥) التحرير والتنوير:٢/٤٢٥.

و- الحكمة -التي هي الإصابة في القول- يؤتيها الله من يشاء من عباده وأنها الخير الكثير ولا يتعظ بها إلا أولوا الألباب: قال تعالى: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ**﴾(١).

هذا بعض ما ورد في القرآن الكريم في أمر الحكمة ومفهومها وحكمها وأحكامها في مجال العمل الدعوي من آيات وبيان.

والنبي ﷺ دعا لابن عباس في الحديث المروي عن ابن عبّاس- رضي اللهّ عنهما- قال: ضمّني رسول اللهّ ﷺ وقال: «اللّهمّ علّمه الحكمة»(٢) وتبرز أهميتها أكثر في أن من يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا قال تعالى: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾(٣)، فالحكمة منة، ونعمة عظيمة من الله ـ تعالى ـ يمتن بها على من يشاء من عباده، وهي من الأشياء التي يمكن اكتسابها بالمراس والمران إذا صحب ذلك توفيق الله تعالى.

والحكمة في العمل الدعوي: كما يقول الإمام العيني رحمه الله: « تحتاج إلى علم دقيق بأسرار الحياة، وطبائع النفوس، وأوضاع المجتمع، وقد أمرنا الله -سبحانه وتعالى - بتعلم الحكمة، وكيف لا؟ وقد أرسل رسوله ﷺ بها: ﴿**هُو الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٦٩).

(٢) البخاري- الفتح ١٣ (٧٢٧٠). وفيه (الكتاب) بدل (الحكمة)، وأخرجه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح (٣٨٢٤) واللفظ له، وعند أحمد (١/ ٢١٤، ٢٦٤، ٣١٤، ٣٢٨) وفيه: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، وأصله في الصحيحين، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٦٩).

وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[1]، فالله سبحانه هو الذي أرسل في العرب الذين لا يقرؤون، ولا كتاب عندهم ولا أثر رسالة لديهم، رسولا منهم إلى الناس جميعًا، يقرأ عليهم القرآن، ويطهرهم من العقائد الفاسدة والأخلاق السيئة، ويعلِّمهم القرآن والسنة، إنهم كانوا من قبل بعثته لفي انحراف واضح عن الحق. وأرسله سبحانه إلى قوم آخرين لم يجيئوا بعدُ، وسيجيئون من العرب ومن غيرهم. والله تعالى- وحده- هو العزيز الغالب على كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله.

إذا فالحكمة في الدعوة أمر مطلوب، والداعي إلى الله مأمور بإعمال هذه الوسيلة بأساليبها المتنوعة حين دعوته ومصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿ **قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾[3]، وحينما طبق الصحابة رضوان الله عليهم الحكمة في دعوتهم، وساروا على هدي المصطفى ﷺ- ونهجه دخل الناس في الإسلام أفواجا، وانتشر الإسلام في بقاع الأرض.

---

(١) سورة الجمعة: الآية (٢).

(٢) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٣) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

٣- ضوابط وآداب القيام بوسيلة الحكمة وأساليبها وأنشطتها في العمل الدعوي:

هناك ضوابط للحكمة الدعوية يجدر بالعامل في الدعوة مراعاتها وهو يحرص على التحقق بالحكمة في دعوته ويرجو تحقيق ثمارها من أهمها[١]:

١ الحكمة أن يكون الداعي رفيقا لينا مع المدعوين دون مخاشنة وتعنيف- كما قال ـ تعالى ـ عن نبيه ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[٢]، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٣].

٢ – و من الحكمة أحيانا استخدام الشدة والتأنيب، ذلك لأن الحكمة تعني وضع كل شيء في موضعه، فهي لين في وقت اللين، وشدة في وقت الشدة . يقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام مخاطبا فرعون لما طغى وتكبر: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَـؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا﴾[٤]، ويقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٥].

---

(١) انظر: الحكمة ، العمر، ص ٤٧ - ٦٤ .

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٥٩).

(٣) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٤) سورة الإسراء: الآية (١٠٢).

(٥) سورة التوبة: الآية (٧٣).

قال الشنقيطي: وَاعْلَمْ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللهَّ بِطَرِيقَيْنِ: طَرِيقِ لِينٍ، وَطَرِيقِ قَسْوَةٍ، أَمَّا طَرِيقُ اللِّينِ فَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى اللهَّ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَإِيضَاحُ الْأَدِلَّةِ فِي أَحْسَنِ أُسْلُوبٍ وَأَلْطَفِهِ، فَإِنْ نَجَحَتْ هَذِهِ الطَّرِيقُ فَبِهَا وَنِعْمَتْ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ، وَإِنْ لَمْ تَنْجَحْ تَعَيَّنَتْ طَرِيقُ الْقَسْوَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُّ وَحْدَهُ، وَتُقَامَ حُدُودُهُ، وَتُمْتَثَلَ أَوَامِرُهُ، وَتُجْتَنَبَ نَوَاهِيهِ، وَإِلَى هَذِهِ الْإِشَارَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ** ﴾[١]، فَفِيهِ الْإِشَارَةُ إِلَى إِعْمَالِ السَّيْفِ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ، فَإِنْ لَمْ تَنْفَعِ الْكُتُبُ تَعَيَّنَتِ الْكَتَائِبُ، وَاللهُّ تَعَالَى قَدْ يَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ[٢] .

٣- أن يكون الداعي قدوة في قوله وفعله، يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُون** ﴾[٣].

٤ – ومن أصول الحكمة مراعاة حال المدعوين، إذ ليس من الحكمة استخدام أسلوب واحد في الدعوة مع الكبير والصغير، والرجل والمرأة، والمتعلم والجاهل، والرئيس والمرؤوس، والهادئ والغضوب، بل لا بد من تنويع أسلوب المخاطبة كل بما يناسبه. يقول تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾[٤].

(١) سورة الحديد: الآية (٢٥).

(٢) انظر:أضواء البيان:١/٤٦٣- ٤٦٤.

(٣) سورة الصف: الآيتان (٢-٣).

(٤) سورة ابراهيم: الآية (٤).

٥ - إن الداعي الناجح هو الذي يعطي كل إنسان ما يلزمه من أفكار وتوجيهات، ويحاول أن يقنعه بالأسلوب الذي يناسبه، ويناسب مداركه.

٦ - ومن أحوال الحكمة المجادلة بالتي هي أحسن ومن ضرب الأمثلة، وبيان الحق بالأدلة العقلية والنقلية، وإعطاء الحجج الصادقة، ونقض الحجج الباطلة، مع تحري الوصول إلى الحق، يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[(١)]، وليحذر الداعي أن يتحول قصده من الدعوة إلى إظهار التفوق في النقاش، أو الغلبة في الجدل، ولكن ليكن القصد والغاية الإقناع والوصول إلى الحق.

٧- أن لا يكون للهوى حظ ونصيب فيها بل يكون التجرد لله عز وجل بالإخلاص ولنبيه ﷺ بالمتابعة: فالهوى سبب للضلال عن الحق والحكمة، قال تعالى: ﴿ **وَلا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾[(٢)]، لأنه يعمي عن الحق ويصم.

٨- لا تلتقي الحكمة مع الجهل: لأن الحكمة تحتاج إلى العلم بل هو ركن من أركانها. وقد بين تعالى أن سبب عدم توفيق الكفار للحق والحكمة هو الجهل فقال: ﴿ **قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الجَاهِلُونَ** ﴾[(٣)].

٩- توفر الفهم للنصوص والفقه لها وعدم الجمود على ظواهرها، لأن للتشريع مقاصد وعللا وحكما، فالحكيم من أحكم في فهمه وفقهه وأتقن.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٤٦).

(٢) سورة ص: الآية (٢٦).

(٣) سورة الزمر: الآية (٦٤).

١٠- مما يتنافى مع الحكمة الاستدلال بالأدلة في غير مواضعها: كمن يستدل بقوله - تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[١]، على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع أنها تدل على عكس هذا كما يفهم من قوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ فإن الاهتداء لا يتم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وكمن يستدل بقوله - عز وجل: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[٢]، على ترك الجهاد، مع أن تركه هو التهلكة، كما هو واضح من سبب نزول الآية .

١١- توفر التجربة: ففقدانها سبب لمخالفة كثير من الدعاة للحكمة .

١٠- عدم العجلة، وعدم ضبط النفس . لأن من أركان الحكمة الأناة والتؤدة. والعجلة ضدها.

١١- عدم الخلط في المفاهيم: فإن الحكيم ينطلق من مفاهيم صحيحة، وقواعد ثابتة، مستمدة من الوحي وبمقتضى العلم، ومن صور الخلط في المفاهيم :

١٢- الخلط بين الوسائل والغايات لأن هذا مما يتنافى مع معنى الحكمة ومقاصدها.

١٣- الخلط بين الثوابت والمتغيرات لأن هذا من نواقض الحكمة.

١٤- عدم إتقان قاعدة المصالح والمفاسد: وهذا يؤدي إلى تقديم جلب المصالح على دفع المفاسد، وإلى ارتكاب المفسدة الكبرى لدفع الصغرى، وجلب المصلحة الصغرى وترك الكبرى مع أن الواجب هو العكس تماماً . والحكيم من

(١) سورة المائدة: الآية (١٠٥).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٩٥).

يعرف خير الخيرين، وشر الشرين

١٥- عدم الغفلة عن مكائد الأعداء: بسبب الجهل بفقه الواقع ؛ إذ كيف يمكن للمرء أن يفعل ما ينبغي كما ينبغي، إذا كان لا يدرك ماذا ينبغي؟ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره .

هذه بعض الضوابط والآداب في العمل الدعوي للقيام بالحكمة الدعوية نسأل الله أن يلهمنا الرشد والسداد.

٤- من فوائد وثمار وسيلة (الحكمة) وأساليبها وأنشطتها:

(١) الإصابة في القول والسّداد في الفعل.

(٢) الحكيم يعمل على وفق الشّرع، ويصيب في القول والفعل والتّفكّر ويسير على هدي من اللهّ ونور.

(٣) وأجمل فوائد الحكمة أنّها تدلّ على المعرفة باللهّ عزّ وجلّ مع نفاذ البصيرة وتهذيب النّفس وتحقيق الحقّ للعمل بمقتضاه والبعد عمّا سواه.

(٤) الحكمة دليل كمال العقل.

(٥) يلبس صاحبها تاج الكرامة في الدّنيا والآخرة.

(٦) ينفع اللهّ بصاحبها طلّاب العلم ومريدي الخير.

(٧) يدرأ اللهّ بصاحبها أبوابا كثيرة من الشّرّ.

(٨) أنّها سمة من سمات الأنبياء والصّالحين والعلماء العالمين[١].

---

(١) نضرة النعيم: ١٧٠٥/٥.

المطلب الخامس

وسيلة البصيرة وأسلوبها وأنشطته

١- مفهوم البصيرة في العمل الدعوي:

أ- البصيرة لغة:

(البَصَرُ) العلم وبَصُرْتُ بالشيء علمته، واسْتَبْصَرَ في أمْرِه ودِيْنِه: إذا كانَ ذا بَصِيْرَةٍ وتَحْقِيْقٍ من أمْرِه. واجْعَلْني بَصِيْرَةً عليهم: أي شَهِيداً و(البصيرة) قوة الإدراك والفطنة والثبات في الدين، والعِبْرة، وعَقِيدَةُ القلب، ويقال فراسة ذات بصيرة صادقة، وفعل ذلك عن (بصيرة)، و(التبصر) التأمل و التعرف، و تبصر في رأيه. و(التَّبْصِيرُ) التعريف والإيضاح، والبصائر: البيان قال تعالى: ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾[1]، قال: ويجوز مُبْصَرَةً أَي مُتَبَيِّنَةً تُبْصَرُ وتُرَى و(المَبْصَرَةُ] بالفتح الحُجَّة. و(المبصر) المشرف على الشيء المحافظ عليه[2]، وكل هذه المعاني اللغوية للبصيرة لها صلة بالعمل الدعوي كوسيلة وأسلوب.

ب- البصيرة اصطلاحا:

البصيرة في الاصطلاح لا تخرج عن هذه المعاني اللغوية لذلك يعرفها الجرجاني: بأنها قوة للقلب المنور بنور الله يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها بمثابة

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٠٤).

(٢) انظر: - المحيط في اللغة: ١٣٦/٨و تهذيب اللغة:١٢٦/١٢ ولسان العرب:٦٤/٤ والنهاية في غريب الحديث والأثر (١ / ١٣٢) . والمصباح المنير:٣١/١ والمعجم الفلسفي، ١/ ٢١٢.

البصر للنفس يرى به صور الأشياء وظواهرها وهي التي يسميها الحكماء العاقلة النظرية والقوة القدسية[1].

ج- البصيرة في العمل الدعوي:

قال صاحب نضرة النعيم: البصيرة نور يقذفه اللهّ في قلب يرى به حقيقة ما أخبرت به الرّسل فيتحقّق مع ذلك انتفاعه بما دعت إليه الرّسل وتضرّره بمخالفتهم؛ وهذا معنى قول العارفين «البصيرة» تحقّق الانتفاع بالشّيء والتّضرّر به، والبصيرة ما خلّصك من الحيرة إمّا بإيمان أو بعيان[2] .

ومعنى الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة: أن يكون الداعية إلى الله عالما بما يدعو إليه، وعالما بحال المدعوين وإيصال ما يصلح لهم وينفعهم، وعالما أيضا بطريقة الدعوة إلى الله تعالى ووسائلها وأساليبها وأنشطتها المتبصرة، ملتزما في ذلك كله بالنصوص الشرعية وما عليه سلف الأمة رضوان الله عليهم[3] .

٢-عرض مفهوم وسيلة البصيرة وأسلوبها وأنشطتها في العمل الدعوي (التأصيل)

وسيلة البصيرة الدعوية قاعدة قرآنية مجموعة في ثلاثة مسالك مبينة في هذه الآية: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ

(١) التعريفات للجرجاني:٦٦/١.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٥٠٣- ٥٠٥) بتصرف. نقلا عن نضرة النعيم:٨٢٦/٣.

(٣) البصيرة في الدعوة إلى الله:١٤/١.

أَحْسَنُ ﴾[1]، فهي الدعوة إلى الله: بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن.

وهناك مسلك رابع وهو: الدعوة إلى الله باستخدام اَلقوة عند الحاجة إليها وبعد معرفة القدرة على ذلك، وعدم الوقوع في ما هو أعظم، نستمده من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾[2].

والبصيرة في الدين والدعوة إليه أصل من أصول التمكين واستحقاق النصر، والمقصود به أن تقوم الدعوة وينطلق التغيير من فهمٍ صحيح، وعقيدة صافية، وبصيرة واضحة في الدين، كما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله -ﷺ-، وفهم الصحابة رضي الله عنهم، لأنَّ أي دعوة تعارض هذا الفهم أو تزيد عليه أو تنقص، فإنها قد فرطت في هذا الأصل العظيم من أصول التمكين والنصر.

ويلحق بالفهم الصحيح ما يجب أن يكون عليه أصحاب الدعوة من عمل صحيح، موافق لما كان عليه الرسول -ﷺ-، وذلك في عباداتهم ومعاملاتهم وسلوكهم. وهذا هو ما أراده الرسول -ﷺ-عندما وصف الفرقة الناجية المنصورة بقوله:«ما أنا عليه وأصحابي» [3].

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٤٦).

(٣) جامع الترمذي:٤/٣٢٣.

ومما يلحق بالفهم فهم الواقع الذي يتحرك فيه الدعاة، وطبيعته والبصيرة بأحوال الناس، واستبانة سبيل المجرمين، والوعي بكيدهم ومخططاتهم وإمكاناتهم[1].

وأمر آخر ننبه عليه وهو الوعى وتحققه في الداعية القائد والأتباع الدعاة الممثلة في القاعدة الصلبة وهذا المغزى تشير إليه الآية الكريمة: ﴿**قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِين**﴾[2].

فالبصيرة بالنسبة للقاعدة الصلبة ضرورة لا غنى عنها، لأنها هي التي تقرر مسار العمل الإسلامي، متى نكمن؟ ومتى نتحرك؟ كيف نتحرك؟ ندخل في صدام مع السلطة أم نهادنها؟ أم ندخل في تحالف معها؟ نبدأ ببناء القاعدة أم نتوجه إلى الجماهير؟ وحين نتوجه إلى الجماهير فماذا نقول لهم؟ هل نستغل (القضايا العامة)، قضايا الخبز والبطالة، وارتفاع الأسعار، أم نركز على قضايا التربية وقضايا العقيدة؟ هل نستعرض عضلاتنا أمام أعدائنا أم نعرض عنهم؟ ومن هم أعداؤنا على وجه الدقة؟ هؤلاء المحليون الذين يحاربوننا أم هي الجاهلية العالمية على اتساعها: اليهود والنصارى والمشركون والمنافقون في كل الأرض؟ وعشرات من الأسئلة ومئات لابد فيها من وجود الوعى السياسي والحركي، ووجود البصيرة، لكى نحاول - قدر طاقتنا - أن نرسم خطة سليمة للحركة تحقق أفضل النتائج الممكنة في الظروف المحيطة.

---

(١) انظر: المفصل في عوامل النصر: ١/٩٥٥.

(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

ولنعلم أن البصيرة، منها جزء يكتسب بالتعلم، أي بالتعرف على السنن الربانية من كتاب الله وسنة رسوله، وتدبر التاريخ وأخذ العبرة منه ٠٠ والتعرف على أحوال الأمة الحاضرة والأسباب التي أدت إلى الواقع الذى تعيشه الأمة في واقعها الحاضر والتعرف على مخططات الأعداء، والطرق التي يتخذونها لمقاومة الإسلام ومحاولة القضاء على الحركة الإسلامية. ومنها جزء يكتسب بالخبرة من التجارب التي تمر بها الحركة، والنتائج التي تترتب على كل تحرك٠ ومنها جزء يكتسب بالتربية، عن طريق المشاورة التي تتم بين القائد وأعوانه، والتي يتم فيها تمحيص الآراء وبيان وجهات النظر، التي لا تتم صورياً بين عدد محدد من الرجال، بين ضغط السمع والطاعة، والتهديد بالإخراج من الجماعة للذين يتكرر منهم الاعتراض!

وحين لا توجد هذه البصيرة، أو حين تكون ناقصة، يحدث كثير من التخبط الذى يحدث في واقعنا المعاصر !

تلك بعض المواصفات الضرورية في بناء القاعدة التي نعدها لوسيلة البصيرة، فهل استكملنا ها حقاً ؟[1] .

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية الجواب الشافي للبصيرة الدعوية، نستمده من هذا العرض التأصيلي في بعض الرسل ومن تبعهم بإحسان:

---

(١) انظر: كيف ندعو الناس:١٤٤ بتصرف.

موسى عليه السلام والآيات التسع بصيرة المتضمنة أدلة دعوته التي فيها الحجة والبرهان:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا﴾[1]، قال الإمام الطبري: بصائر: يعني بالبصائر الآيات، أنهنّ بصائر لمن استبصر بهنّ، وهدى لمن اهتدى بهنّ، يعرف بهنّ من رآهنّ أن من جاء بهنّ فمحقّ، وأنهنّ من عند الله لا من عند غيره، إذ كنّ معجزات لا يقدر عليهنّ، ولا على شيء منهنّ سوى ربّ السموات والأرض، وهو جمع بصيرة[2].

والكتاب المنزل على موسى لدعوة بني إسرائيل متضمن بصائر للناس وحجة:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[3]، يقول الطبري: يقول تعالى ذكره (بَصَائِرَ لِلنَّاسِ) يقول: ضياء لبني إسرائيل فيما بهم إليه الحاجة من أمر دينهم[4].

(١) سورة الإسراء: الآيتان (١٠١-١٠٢).

(٢) تفسير الطبري: ٥٦٩/١٧.

(٣) سورة القصص: الآية (٤٣).

(٤) الطبري:٥٨٣/١٩.

الرسول الخاتم محمد -ﷺ- علمه الله وسيلة البصيرة الدعوية وأمر بالقيام بها هو ومن اتبعه:

قال تعالى: ﴿**قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحانَ اللَّهِ وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[١]، قال ابن كثير: يقول [الله] تعالى لعبده ورسوله إلى الثقلين: الإنس والجن، آمرًا له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله، أي طريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بَصِيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكلّ من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله -ﷺ- على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي[٢].

والكتاب المنزل على الرسول الخاتم محمد الذي هو القرآن الموحى به هو بصائر هداية ورحمة:

قال تعالى: ﴿**قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ**﴾[٣]، قال السعدي: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: آيات تبين الحق، وتجعله للقلب بمنزلة الشمس للأبصار، لما اشتملت عليه من فصاحة اللفظ، وبيانه، ووضوحه، ومطابقته للمعاني الجليلة، والحقائق الجميلة، لأنها صادرة من الرب، الذي ربى خلقه، بصنوف نعمه الظاهرة والباطنة، التي من أفضلها وأجلها، تبيين الآيات، وتوضيح المشكلات. ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ بتلك الآيات،

---

(١) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

(٢) تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٢٢.

(٣) سورة الأنعام: الآية (١٠٤).

مواقع العبرة، وعمل بمقتضاها﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ فإن الله هو الغني الحميد. ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ بأن بُصِّر فلم يتبصر، وزُجِر فلم ينزجر، وبين له الحق، فما انقاد له ولا تواضع، فإنما عماه مضرته عليه[1].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[2].

وشريعة الله المنزلة بصائر للناس وأمر الرسل محمد باتباعها وبدعوة الناس إليها وبذلك تحصل الهداية والرحمة:

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[3]، قال السعدي: أي: ﴿ هَذَا ﴾ القرآن الكريم والذكر الحكيم ﴿ بَصَائِرِ لِلنَّاسِ﴾ أي: يحصل به التبصرة في جميع الأمور للناس فيحصل به الانتفاع للمؤمنين، والهدى والرحمة. ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ فيهتدون به إلى الصراط المستقيم في أصول الدين وفروعه، ويحصل به الخير والسرور والسعادة في الدنيا والآخرة، وهي الرحمة. فتزكو به نفوسهم وتزداد به عقولهم ويزيد به إيمانهم ويقينهم، وتقوم به الحجة على من أصر وعاند[1].

---

(١) السعدي:١/٢٦٨.

(٢) سورة الأعراف: الآية (٢٠٣).

(٣) سورة الجاثية: الآيات (١٨-٢٠).

(١) تفسير السعدي:١/٧٧٧.

والعبرة والعظة تكون من أولي الأبصار أصحاب البصائر العاملة:

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِم رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾[1].

والأمر لذوي الأبصار أن يعملوا بصائرهم في الاعتبار بما جرى ليهود بني قريظة:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[2].

ولذلك فالتذكر والإبصار شأن المتقين: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[3].

٣- ضوابط وآداب البصيرة في العمل الدعوي:

في ضوابط وآداب الحكمة السابق ذكرها ضوابط وآداب للبصيرة فليرجع إليها. مع إضافة الآتي:

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٣).

(٢) سورة الحشر: الآية (٢).

(٣) سورة الأعراف: الآية (٢٠١).

الأول: أن يدعو الداعية على بصيرة فيما يدعو إليه في حال أن يكون عالمًا بالحكم الشرعي فيما يدعو إليه ؛ لأنه قد يدعو إلى شيء يظنه واجبًا وهو في شرع الله غير واجب فيلزم عباد الله بما لم يلزمهم الله به، وقد يدعو إلى ترك شيء يظنه محرمًا وهو في دين اللهّ غير محرم، فيحرم على عباد الله ما أحله الله لهم .

الثاني: أن يكون على بصيرة في حال المدعو ومعرفة تامة له، في أحواله: الدينية، والاجتماعية، والاعتقادية، والنفسية، والعلمية، والاقتصادية حتى يقدم له ما يناسبه.

الثالث: أن يكون على بصيرة في كيفية الدعوة بطرقها ووسائلها وأساليبها النافعة المثمرة[1]، وقد رسم الله عز وجل طرق الدعوة ومسالكها في آيات كثيرة منها: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ** ﴾[2].

٤- الفوائد والثمار من إقامة الدعوة بوسيلة البصيرة:

إن البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى في كل ما تقدم من الموضوعات التي طرحت أثناء البحث تثمر الآتي:

أولا: تحقيق الشخصية الصحيحة للداعية إلى الله تعالى، والذي يتحمل أعباء تبليغ الدين، وذلك بما يحمله من علم يؤهله للاستمرار والبقاء .

ثانيًا: الأمان - بإذن الله - على الدعاة من أن تزل أقدامهم، أو يسقطوا أمام شبه المناوئين لهذا الدين، متى ما حملوا لواء العلم، وتبصروا فيه .

---

(١) انظر: زاد الداعية إلى الله للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص٧ .

(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

ثالثا: كسب أكبر قدر ممكن من الناس الذين هداهم الله تعالى وذلك عن طريق قنوات متعددة، ووسائل شرعية متنوعة، يُعملها الدعاة في واقع دعوتهم .

رابعا: إقامة مجتمع رباني قائم على توحيد الله تعالى، وتجريد المتابعة للنبي -ﷺ-، واتباع السلف الصالح، وذلك بفضل الدعوة الصحيحة القائمة على المنهاج النبوي في ترتيب الأولويات، والبدء بالمهمات .

خامسا: الحصول على عدد ليس بالقليل من الدعاة الراسخين، والذين يقودون الأمة إلى بر الأمان ممن لا تستفزهم البدايات، ولا يُحكمون العواطف في قضايا الأمة المصيرية، من خلال ضبطهم لقواعد الدين، وتحكيمهم العلم المؤصل في النوازل والحوادث والمستجدات(١) .

---

(١) البصيرة في الدعوة إلى الله:١٨٦.

المبحث الثالث

وسائل وأساليب وأنشطة إقامة الحجة وإظهار البينات وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: وسيلة المجادلة والحوار والمحاجة وأسلوبها ونشاطها.

المطلب الثاني: وسيلة القصص وأسلوبه ونشاطه.

المطلب الثالث: وسيلة ضرب الأمثلة وأسلوبه ونشاطه

المطلب الرابع: وسيلة عرض العبر والعظات (الآيات الكونية) وأسلوبه ونشاطه.

المطلب الخامس: وسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأساليبه وأنشطته.

المطلب الأول:

وسيلة المجادلة والحوار والمحاجة وأسلوبها ونشاطها في العمل الدعوي

١- مفهوم الجدال والحوار والمحاجة في العمل الدعوي

أ- الجدال لغة:

الجَدَل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها. ويقال جادَلْت الرجل فجَدَلته جَدْلاً أَي غلبته، وجادَله أَي خاصمه، وفي الحديث «ما أُوتَي الجَدَل قومٌ إِلاَّ ضَلُّوا » والجَدَل مقابلة الحجة بالحجة. إذا الجدال لغة يعني: اللدد في الخصومة والقدرة عليها، والغلبة، ومقابلة الحجة بالحجة ومن الجدال المماراة، والحجاج والحوار، والمناظرة. في بعض الوجوه اللغوية كما سيأتي:

ب- الجدال اصطلاحا:

الجدال اصطلاحا لا يبعد معناه ومضمونه عن المعنى اللغوي اللهم إلا في بعض التفاصيل ولذلك نذكر أهم تعريفين تناسب موضوعنا:

قال الراغب: الجدال: هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة.

وقال الفيومي: هو التخاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها، وهو محمود إن كان

للوقوف على الحق، وإلا فمذموم[1].

وهذان التعريفان يظهر فيهما أمران رئيسان:

١- شدة الخصومة واللدد فيها .

٢- قصد الغلبة والإلزام والإفحام في الهدف .

وهو بهذه المعاني يدخل في بعض معانيه المحاجة وهي أدخل في معانيه.

ج ـ الحوار لغة:

الحَوْرُ: الرُّجُوْعُ إلى الشَّيْءِ وعنه. والمُحَاوَرَةُ: المجاوبة. ومراجعة النطق و الكلام في المخاطبة. وحاوره محاورة وحوارا جادله، قال تعالى: ﴿**قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ** ﴾[2]، لذلك كان لا بد في الحوار من وجود متكلم ومخاطب، و لا بد فيه كذلك من تبادل الكلام و مراجعته[3].

د ـ الحوار اصطلاحا:

هو لفظ عام يشمل صوراً عديدة منها المناظرة والمجادلة ويراد به: مراجعة الكلام والحديث بين طرفين ، دون أن يكون بينهما ما يدل بالضرورة على الخصومة. وقد يكون مرادفاً للجدل ، كقوله تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾[1]، وقد يفترقان حين يتحول الحوار إلى لدد في الخصومة ، فهو حينئذ يسمى جدالاً لا حواراً،

(١) تاج العروس:١٩٤/٢٨ والتوقيف على مهمات التعاريف: ٢٣٣/١-٢٣٤.

(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

(٣) انظر: المحيط في اللغة:٢٠١/٢ والمعجم الفلسفي:٤٣٥/١.

(١) سورة المجادلة: الآية (١).

وقد يكون الحوار مرادفاً للمناظرة ، لأن المتناظرين يتراجعان الكلام في قضية ما، بعد النظر فيها بعين البصيرة، إلا أن المناظرة أدلُّ في النظر والتفكر، كما أن الحوار أدل في الكلام ومراجعته[1]. ويفهم من تعريف الحوار والمجادلة أنهما يشتركان في مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين إلا أن المجادلة تأخذ طابع القوة والغلبة والخصومة[2].

ج- المحاجة: حاجَّهُ مُحَاجَّةً وحِجاجا: نازَعه الحُجةَ. والحُجّةُ: ما دوفعَ به الخَصمُ، وحَجَّهُ يَحُجُّهُ حَجا: غَلَبَهُ على حُجّته. وفي الحديث « فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» واحْتَجَّ بالشيء: اتخذه حُجةً[3]. والحُجَّة البُرْهان. وقال الأَزهري الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظَّفَرُ عند الخصومة. وهو رجل مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ. والتَّحاجُّ التَّخاصُم[4].

د - المحاجة اصطلاحا:

يرى البعض أنها تعني المخاصمة والمجادلة، أو كما يعرفها الحرالي: المحاجة تثبيت القصد والرأي لما يصححه[5].

و- الجدال والمحاجة والحوار في العمل الدعوي:

الجدال بمعناه الدعوي: مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلامٍ، وإظهار حجَّةٍ، وإثبات حقٍ، ودفع شبهةٍ، وردُّ الفاسد من القول والرأي [1].

---

(1) موسوعة الرد على المذاهب:١٠٢/٦١.

(2) التربية الإسلامية:١٤/١-١٥.

(3) المحكم والمحيط الأعظم: ٣٧٢/١.

(4) اللسان:٢٢٦/٢

(5) التوقيف على مهمات التعاريف:٦٤٠

(1) (ابن حميد ، د : ت ، ص ٣).

أو الطرق التي يقتدر بها على إظهار الحقائق والاستدلال عليها في مقام الاختلاف بغرض الدعوة إلى الله تعالى .

والجدال في العمل الدعوي أساسه الرفق واللين والخطاب الحسن وكذلك المحاجة لقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]، ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[2].

وهدفه بعد رضى الله إقامة الحجة وإظهار الحق وبيانه. والمرجو منه الهداية والرجوع إلى الحق، قال العلامة السعدي رحمه الله: « ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب إذا كانت عن غير بصيرة من المجادل ، أو بغير قاعدة مرضية ، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن؛ بحسن خلق ولطف ولين كلام ، ودعوة إلى الحق وتحسينه ، ورد الباطل وتهجينه بأقرب طريق موصل لذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق[3].

٢- عرض مفهوم وسائل الجدال والمحاجة والحوار وأساليبها وأنشطتها في العمل الدعوي(التأصيل)

الجدل والمحاجة والحوار بين الدعاة إلى الإسلام وغيرهم مستمر إلى يومنا هذا ، وذلك لعالمية هذا الدين وشمولية رسالته للناس كافة ، إذ تمثل الدعوة مسؤولية عامة وخاصة لا يكاد يعفى منها من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٤٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :٦٣٢.

ﷺ- نبياً ، فهي سبيل رسل الله، وسبيل محمد -ﷺ- وسبيل أتباعه من بعده قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1]، وهذه الآية هي الأصل في الجدال المطلوب في دعوة الإسلام. وفي قوله تعالى: ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[2].

بل الجدال الدعوي إيجابا أو سلبا مرتبط بالإنسان من أول وجوده على أرض التكليف وهي مسألة بدهية؛ لا تحتاج إلى الاستدلال في إثباتها وتأكيدها ، إذ لم تخل أمة من الأمم قديمها وحديثها منه مع رسلها. وفي ذلك الإشارة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾[3].

قال الثعالبي: « الإنسان هنا يراد به الجنس وقد استعمل -ﷺ- الآية على العموم في مروره بعلي ليلا وأمره له بالصلاة بالليل، فقال علي: إنما أنفسنا يا رسول الله بيد الله، أو كما قال، فخرج -ﷺ- وهو يضرب فخذه بيده ويقول:[وكان الإنسان أكثر شيء[1] وقال الزجاج: « كل ما يعقل من الملائكة والجن يجادل، والإنسان أكثر هذه الأشياء جدلا »[2].

---

(١) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٤٦).

(٣) سورة الكهف: الآية (٥٤).

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٢ / ٣٨٧ ، وانظر معالم التنزيل للبغوي: ٣ / ١٦٨ ، والحديث في صحيح البخاري كتاب التهجد ، باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل ١ / ٣٧٩ ، وصحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين ، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ١/ ٥٣٧ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٥ / ١٥٧.

ومما يؤكد ملازمة الإنسان للجدل الدعوي ما جاءت به الرسالات السماوية باعتباره أسلوبا يحتاج إليه مع بعض المدعوين الذين يمكن أن يكون فيهم منكرون للنبوات وما جاءت به من العقائد والشرائع، أو مترددون لديهم نوع ممانعة تزول بالإقناع وإقامة الحجة الصحيحة لهم، وهؤلاء موجودون أينما وجدت رسالة، وكان موقف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكذا الداعون بدعوتهم مواجهتهم بالحق المؤيد من الله تعالى فيما أنزل عليهم من الهدى والنور، والدلائل القطعية التي تفوق احتجاج البشر ومنطقهم[1] . هذا ما يدل عليه هذا العرض القرآني لهذه النماذج.

وأعظم نموذج جدال وحوار ومحاجة نوح عليه السلام وهو يعرض دعوته على قومه كما عرضها القرآن في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٨) وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ (٣٠) وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي**

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٣ / ٦٠ ومعارج القبول لحافظ الحكمي ١ / ٦٤ .

أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْرًا اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قالُوا يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قالَ إِنَّما يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شاءَ وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1].

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿قالُوا يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا﴾، أي خاصمتنا فأكثرت خصومتنا وبالغت فيها... وقرأ ابن عباس « فأكثرت جدلنا » ذكره النحاس. والجدل في الدين محمود، ولهذا جادل نوح والأنبياء قومهم حتى يظهر الحق، فمن قبله أنجح وأفلح، ومن رده خاب وخسر. وأما الجدال لغير الحق حتى يظهر الباطل في صورة الحق فمذموم، وصاحبه في الدارين ملوم[2].

ثم هود عليه السلام ومجادلته ومحاجته وحواره الدعوي لقومه في هذا العرض القرآني: ﴿وَإِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفاهَةٌ وَلكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ ناصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قالُوا أَجِئْتَنا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ ما كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ

(١) سورة هود: الآية (٢٥-٣٤).

(٢) تفسير القرطبي:٢٨/٩.

الصَّادِقِينَ(٧٠) قالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجادِلُونَنِي فِي أَسْماءٍ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ ما نَزَّلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (٧١) فَأَنْجَيْناهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنا دابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَما كانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[1].

قال ابن عاشور: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾، الْآيَةَ، لَمْ يُبَيِّنْ هُنَا شَيْئًا مِنْ هَذَا الْجِدَالِ الْوَاقِعِ بَيْنَ هُودٍ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَبَيْنَ عَادٍ . وَلَكِنَّهُ أَشَارَ إِلَيْهِ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ كَقَوْلِهِ: ﴿قَالُوا يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِي(٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2].

أما إبراهيم عليه السلام فيعرض القرآن: مجادلة ومحاجة قومه له ومحاججته لهم وإفحامهم بها: قال تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا

(١) سورة الأعراف: الآيات (٦٥-٧٢).

(٢) سورة هود: الآيات (٥٣-٥٦). أضواء البيان:٢/٣٤.

آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[1].

قال سيد قطب: ﴿قال: أتحاجوني في الله وقد هدانِ؟﴾ أتجادلونني في الله وقد وجدته يأخذ بيدي، ويفتح بصيرتي، ويهديني إليه، ويعرفني به، لقد أخذ بيدي وقادني فهو موجود - وهذا هو في نفسي دليل الوجود - لقد رأيته في ضميري وفي وعيي، كما رأيته في الكون من حولي . فما جدالكم في أمر أنا أجده في نفسي ولا أطلب عليه الدليل . فهدايته لي إليه هي الدليل؟! إلى أن قال: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه، نرفع درجات من نشاء..﴾ ولقد كانت هذه هي الحجة التي ألهمها الله إبراهيم ليدحض بها حجتهم التي جاءوا بها يجادلونه . ولقد كشف لهم عن وهن ما هم عليه من تصورهم أن هذه الآلهة تملك أن تسيء إليه[2].

• نموذج آخر لمجادلة ومحاجة وحوار إبراهيم عليه السلام لنمروذ دعويا:

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[1]، فقوله تعالى ذكره: «فبهت الذي كفر»، يعني انقطع وبطلت حجته[2].

---

(١) سورة الأنعام: الآيات (٨٠-٨٣).
(٢) في ظلال القرآن: ٣/٩١-٩٢.
(١) سورة البقرة: الآية (٢٥٨).
(٢) تفسير الطبري: ٥/٤٣٢.

وكل أمة جادلت وحاجت وحاورت نبيها فيما يدعوهم إليه:

قال تعالى: ﴿ ما يُجادِلُ فِي آياتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجادَلُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ﴾[1].

قال يحيى بن سلام: جادلوا الأنبياء بالشرك ليبطلوا به الإيمان.« فأخذتهم » أي بالعذاب. « فكيف كان عقاب » أي عاقبة الأمم المكذبة. أي أليس وجدوه حقا[2].

ثم يعرض القرآن الجدال والمحاجة والمحاورة الدعوية ومواصفاتها من قبل نبينا محمد -ﷺ- الرسول الخاتم لكل الفئات والديانات المتمثل في:

أ- الأمر للنبي بالجدال الدعوي للكافرين بالتي هي أحسن.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1]، قال ابن كثير: قوله: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب[2].

ب- مجادلة أهل الكتاب ومحاججتهم دعويا بالحسنى ما داموا مسالمين:

قال تعالى: ﴿ وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلٰهُنا وَإِلٰهُكُمْ واحِدٌ وَنَحْنُ

---

(١) سورة غافر: الآيتان (٤-٥).

(٢) تفسير القرطبي:١٥/٢٩٣.

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٢) تفسير ابن كثير:

لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1]، قال ابن عاشور: وأَهْلَ الْكِتابِ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فِي اصْطِلَاحِ الْقُرْآنِ. وَالْمَقْصُودُ هُنَا الْيَهُودُ فَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا كَثِيرِينَ فِي الْمَدِينَةِ وَالْقُرَى حَوْلَهَا. وَيَشْمَلُ النَّصَارَى إِنْ عَرَضَتْ مُجَادَلَتُهُمْ مِثْلَ مَا عَرَضَ مَعَ نَصَارَى نَجْرَان[2].

ج- نموذج من مجادلة الرسول ﷺ ومحاجته وحواره الدعوي للمشركين:

قال تعالى: ﴿**قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ أن إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطَ كَانُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[1].

د- الإعراض عن مجادلة أهل الباطل المعاندين المكابرين وتوعدهم بعقوبة الله:

قال تعالى: ﴿**وَإِنْ جادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾[2]، قال شيخنا الشنقيطي: أَمَرَ اللهُ – جَلَّ وَعَلَا – نَبِيَّهُ ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّهُ إِنْ جَادَلَهُ الْكُفَّارُ أَيْ: خَاصَمُوهُ بِالْبَاطِلِ وَكَذَّبُوهُ، أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي أُمِرَ بِهِ تَهْدِيدٌ لَهُمْ فَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَمْرَيْنِ :

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٤٦).

(٢) التحرير والتنوير: ٧/٢١.

(١) سورة البقرة: الآيات (١٣٩-١٤١).

(٢) سورة الحج: الآيتان (٦٨-٦٩).

أَحَدُهُمَا: أَمَرَ الرَّسُولَ ﷺ أَنْ يُهَدِّدَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أَيْ: مِنَ الْكُفْرِ، فَمُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ أَشَدَّ الْجَزَاءِ .

الثَّانِي: الْإِعْرَاضُ عَنْهُمْ، وَقَدْ أَشَارَ تَعَالَى لِلْأَمْرَيْنِ اللَّذَيْنِ تَضَمَّنَتْهُمَا هَذِهِ الْآيَةُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ .

هـ- مجادلة أهل الباطل من الكفار وجحد آياته لا حجة لهم في ذلك ولا برهان:

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ ما هُمْ بِبالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[1]، قال الشنقيطي: ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، أَنَّهُ لَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ، أَيْ لَا يُخَاصِمُ فِيهَا مُحَاوِلًا رَدَّهَا، وَإِبْطَالَ مَا جَاءَ فِيهَا إِلَّا الْكُفَّارُ[1] ..

أما الجدال بالباطل فهو يفسد العبادة أو يحرم المجادل ثوابها:

قال تعالى: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدالَ فِي الْحَجِّ وَما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى وَاتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ**﴾[2]، قوله تعالى:﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾، قال ابن مسعود وابن عباس: الجدال أن يماري صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه .

هذا بعض ما عرضناه من القرآن في أمر الجدل والمحاجة والمحاورة الدعوية وأحكامها.

---

(١) سورة غافر: الآية (٥٦).

(١) أضواء البيان:٦/٣٧٣.

(٢) سورة البقرة: الآية (١٩٧).

وأما السنة: فنجد فيها الناحية العملية والتطبيق الفعلي للأمر بها في القرآن، حيث نجد في السنة مجادلته -ﷺ- ومحاججته ومحاورته لأصناف من الناس من المشركين واليهود والنصارى كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وفي قصة وفد نصارى نجران قال ابن القيم بعد أن أوردها قال في فقهها: ومنها جواز مجادلة آهل الكتاب ومناظرتهم بل استحباب ذلك بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم وإقامة الحجة عليهم ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة، فليول ذلك إلى أهله، وليخل بين المطي وحاديها، والقوس وباريها »[1].

أما في تقرير السنة فقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام أقر عمر -رضي الله عنه- في مناظرته لليهود، وعندما رجع عمر ليخبر النبي -ﷺ- وجد أن جبريل قد سبقه بالوحي « فدعاه النبي -ﷺ- فقرأ عليه: ﴿ **قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ** ﴾[1]، قال عمر: والذي بعثك بالحق لقد جئت وما أريد إلا أن أخبرك »[2]. وقد أكد أئمة الإسلام هذه المشروعية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس »[3].

---

(١) زاد المعاد ٣ / ٤٢.

(١) سورة البقرة: الآيتان (٩٧-٩٨).

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ / ١٠١ - ١٠٢ وجامع البيان للطبري ١ / ٤٣٤ ، ٤٣٥ والبداية والنهاية لابن كثير ١ / ١١٧ .

(٣) درء تعارض العقل والنقل ١ / ٣٥٧.

وهذا موجه إلى القادر عليها، أما العاجز فقد قال الشيخ رحمه الله: «وقد ينهون – أي السلف – عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة فيخاف أن يفسده ذلك المضل كما ينهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجاً قوياً من علوج الكفار فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة»[1].

وقد اختلف الصحابة رضوان الله عليهم فيما بينهم وتناظروا وتجادلوا لكن كان على وجه المشاورة والمناصحة[2].

٣- ضوابط وآداب الجدل والمحاجة والحوار في العمل الدعوي:

وسيلة الجدل والمحاجة والحوار في العمل الدعوي ارتبطت بضوابط من شأن الالتزام بها تحقيق أهدافها وهي ضوابط شرعية جاءت بها البعثة النبوية، في مصادرها وقد أحدثت نقلة في الحياة البشرية لتعيدها إلى ما ينبغي أن تكون عليه وفق هدي خالقها وموجدها الأعلم بما يصلحها. وهذه النقلة شملت مناحي الحياة المختلفة بدءاً بالعقائد ومناهج التفكير وانطلاقاً إلى المعاملات والأخلاق والآداب والقيم، ومن ذلك ضبط سلوك الحوار والمناظرة والجدل والمحاجة عند المسلمين عن ما سواه من السلوك ، والذي يمكن أن يتمثل في الآتي:

١ – المجادلة في آيات الله محذورة إلا في حالة دحض شبهات الباطل: قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ**﴿٦٩﴾ **الَّذِينَ كَذَّبُوا**

(١) المرجع السابق ٧ / ١٧١.

(٢) انظر الشريعة للآجري ص ٦٦ ، ودرء تعارض العقل والنقل ٧ / ١٧٠.

بِالْكِتابِ وَبِما أَرْسَلْنا بِهِ رُسُلَنا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾[1].

٢- لا يجوز الجدال في الله- عزّ وجلّ- بغير علم وهو متوعد بعقوبة الله: قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ﴾[2].

٣- أن يكون الجدل والمحاجة والحوار بقصد الوصول إلى الحق، وبأساليب تجمع ولا تفرق وتقرب ولا تبعد، وعندما لا يكون الجدل والمحاجة والحوار نافعاً فيعرض عنه إلى غيره فهو وسيلة لا غاية .

٤- الاعتراف بالاختلاف لكن مع الحذر من أن يبلغ مبلغ التنازع ، ومن ذلك اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم فيما بينهم، بل ومراجعتهم لرسول الله -ﷺ- في بعض المواقف والمسائل والتي كانت على سبيل المشاورة والمناصحة ولم تكن على سبيل الجدل بمعناه المطلق الذي يعني المغالبة والمنازعة والإلزام .

٤- التأسي بالتطبيقات العملية للمجادلات والمحاجات والحوارات والمناظرات الدعوية من قبل السلف من ذلك ما جاء في مراجعنا الإسلامية من مناظرات فيما بين المسلمين أنفسهم، كمحاورة ابن عباس للخوارج، أو مع غيرهم من اليهود والنصارى والمشركين، بل ما شهدناه في عصرنا هذا وبخاصة ممن يحمل

(١) سورة غافر: الآيات (٦٩-٧١).

(٢) سورة الحج: الآيتان (٣-٤).

علماً بالشريعة أكثر من غيره، كل ذلك ظهر فيه أثر الضبط الإسلامي للجدل وتوجيهه تحت التوجيه الرباني (بالتي هي أحسن). وظهرت نتائجه الإيجابية لمصلحة دعوة الإسلام.

٥- تقديم أسلوبي الحكمة والموعظة الحسنة والبدء بهما ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾[١]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « ما دام الرجل قابلا للحكمة والموعظة الحسنة أو لهما جميعاً لم يحتج إلى مجادلة ، فإذا مانع جودل بالتي هي أحسن » . بضوابط الشريعة وليس بأعراف أهل الجدل .

٦- ليس كل من دعا إلى الجدل أو المحاجة أو الحوار أو المناظرة يجاب في كل حال، فلا بد من النظر إلى المصلحة وظهورها أو رجحانها. وذكر الطبري عن هشام قال كان الحسن يقول: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم»[١].

٧- إذا ترجحت مصلحة قيام المجادلة والمحاورة في مقام الدعوة إلى دين الله تعالى فيلزم أن تكون القدرة على المحاورة – المناظرة – متوفرة ممن سيتولى المحاورة أمام صاحب الباطل[٢]، والمتمثلة في: القدرة العلمية في الموضوع المتناظر فيه . والقدرة الذهنية والفطنة في سرعة استحضار الأدلة والردود المناسبة . والقدرة

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(١) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، ت أحمد سعد حمدان ١ / ١٣٣.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٧ / ١٧٣.

التعبيرية التي تحقق جزالة العرض والاستدلال وبلاغته وجزالته. مع إخلاص النية لله تعالى في المجادلة والمحاجة والحوار، والحذر من أن يدخل فيها شيء مخالف أو مضاد أو مفسد للإخلاص.

٨ - العدل مع الخصم في المجلس والهيئة والوقت وإعطاء الفرصة في عرض الأدلة وقبول الحق منه والعودة عن الخطأ ، بل والتأسيس على فرضية أن الحق أو الخطأ يمكن أن يكون في كلام أي من الطرفين، كما قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ** ﴾[(١)]، وذلك على وجه الإنصاف في المجادلة، والحجاج والمحاورة وليس من باب الشك فيها .

٩- رد التنازع والاختلاف إلى حكم الله ورسوله قال تعالى: ﴿ **يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾[(٢)]، وهذا فيما بين المسلمين واضح ، وهو كذلك فيما يقبله المسلم ويوافق عليه مع غير المسلم إذ يكون مرجعه في التصويب والتخطئة والقبول والرد ما يوافق مراد الله تعالى في كتابه وسنة رسوله ﷺ ، وهذه الضوابط والآداب متضمنة في نصوص شرعية كثيرة سبق ذكرها.

---

(١) سورة سبأ: الآية (٢٤).

(٢) سورة النساء: الآية (٥٩).

٤- فوائد وثمار وسيلة الجدل والحوار والمحاجة في العمل الدعوي:

للمجادلة الدعوية والمحاجة والحوار فوائد وثمار جمة نذكر أهمها وهي:

الأولى: ما يقوله الإمام ابن القيم رحمه الله :« لمناظرة المبطل فائدتان :

١ – أن يرد عن باطله ويرجع إلى الحق .

٢ – أن ينكف شره وعداوته ويتبين للناس أن الذي معه باطل [1].

ثانيا: الوصول إلى وضوح الرؤية حول قضية ما من قضايا الإسلام لإيجاد قناعة مشتركة حولها.

ثالثا: استقصاء جوانب الخلاف ما أمكن حول قضايا معينة، وتجلية ما بين المتحاورين من قضايا خلافية مما قد يوفر حالة من الود، ولذلك قيل « إن اختلاف الرأي لا يفسد في الود قضية ».

رابعا: الابتعاد عن الأحكام التجريدية في قضايا الواقع، كما أن الاستقصاء فيها يجنب النظرات الانفعالية أو القناعات المسبقة.

خامسا: التعمق في دراسة أبعاد القضية وخلفياتها مما يؤدي إلى شمول النظرة وسعتها.

سادسا: التدرب على أصول الحوار وتنظيم الاختلاف والتأدب بآدابه.

سابعا: إبطال المناخات المفعمة بالمخاوف ومشاعر العنصرية والكراهية، وتوفير المناخ الملائم لتبادل الوافد النافع من الثقافة والعلم والخبرة.

---

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ٤ / ١٢٧٦.

ثامنا: ضخ الصورة الصحيحة للإسلام في بعض مجاري الإعلام والحيلولة دون انتشار الصورة المشوهة والتي تحول بدورها دون الناس والإسلام.

تاسعا: ينمي أوجه الائتلاف، ويقضي على أسباب الخلاف، ويساعد في إثراء الثقافة وسموها، ويجلي الحقائق ويكشف الأخطاء، وإنما يحلو ذلك تحت مظلة أدبية ذات خلق وفهم ومروءة، بعيدة عن السباب والشتائم كما قال تعالى: ﴿ **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[1]، وقال: ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ** ﴾[2]، والأحسن في الجدال يأتي من خلال:

١- علم صحيح.

٢- أدب مليح.

٣- ونقد رجيح.

عاشرا: نماذج من ثمارونتائج المجادلة الدعوية والمناظرة فيها المتمثلة في الاستجابة أو التأثر الإيجابي في المدعوين المتجادل معهم أو الحاضرين في مجلس المجادلة في تاريخ الدعوة :

أ- أولها وأجلها من أساس القدوة صاحب الرسالة ونبي الله الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ظهر باحتجاجه ومناظراته -ﷺ- على المشركين واليهود والنصارى كما أسلفنا .

---

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٢) سورة الإسراء: الآية (٥٢).

ب – مناظرة ومجادلة ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج إذ رد الله بها خلقاً كثيراً كما هومعلوم في كتب التأريخ.

ج – مناظرات الإمام أحمد « في خلافة المعتصم بعد أن بقي في الحبس أكثر من سنتين وجمعوا له أهل الكلام من البصرة وغيرها من الجهمية والمعتزلة والنجارية مثل أبي عيسى محمد بن عيسى برغوث صاحب حسين النجار وناظرهم ثلاثة أيام وقطعهم في تلك المناظرات »[1].

د- مناظرة عبد العزيز الكناني لبشر المريسي في خلق القرآن إذ كانت من أسباب ارتفاع محنة عظيمة كان قد ذهب بسببها خلق من المسلمين فأزهقت أنفس معصومة وانتهكت حرمات مصونة[2] .

ه- مناظرة جرت بين المسلمين والنصارى أمام أحد ملوك التتار وهو الملك بركة خان فكان من نتائجها أن أسلم الملك ، ويعد أول ملوكهم إسلاماً[3] .

و- في الهند إبان الاحتلال الإنجليزي لما نشطت حركة التنصير وبث الشبهات بين المسلمين وبسبب ذلك عقدت مناظرة كبرى بين الشيخ رحمت الله الهندي والقس فندر واتفقا على أن المهزوم يدخل في دين المنتصر ويترك دينه ، وبدأت المناظرة وفاقت حجج الطرف الإسلامي حجج خصمه ، وأثبت الشيخ رحمت الله في اللقاء الأول التحريف في كتاب النصارى في ثمانية مواضع ، فلم يتابع النصراني هذه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٧ / ٢٥٧.

(٢) انظر المناظرة كاملة في كتاب الحيدة.

(٣) انظر الدعوة إلى الإسلام لتوماس أرنولد ص ٢٥٨ .

المناظرة وغادر مدينة أكبر أباد التي عقدت فيها المناظرة سراً في اليوم الثالث ، فتشجع المسلمون وارتفعت معنوياتهم في مواجهة المنصرين[1] .

ولو ذهبنا نستقرئ المواقف التي رفعت فيها راية الحق مقابل الباطل وراية الإسلام مقابل الكفر في مثل هذه المناظرات والمجادلات الشرعية لطال بنا المقام، ولكن حسبنا الإشارة فيما ذكر .

(١) انظر الحوار الإسلامي المسيحي لبسام داود عجك ص ١٩٣ - ١٩٦.

المطلب الثاني

وسيلة القصص وأسلوبه ونشاطه

١- القصص لغة واصطلاحا في العمل الدعوي:

أ- القصص لغة:

قص أثره، أي تتبعه. قال الله تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[(١)]. والقصة: الامر والحديث. وقد اقتصصت الحديث: رويته على وجهه. وقد قص عليه الخبر قصصا. ويقال في رأْسه قِصّةٌ يعني الجملة من الكلام ونحوُه .

وتَقَصّصَ كلامَه حَفِظَه. والقَصُّ فعل القاصّ إِذا قَصَّ القِصَصَ. والقاصُّ الذي يأْتي بالقِصّة على وجهها كأَنه يَتَتَبّع معانيَها وأَلفاظَها[(٢)].

ب- القصص اصطلاحا:

القصص في الاصطلاح لا يخرج في معناه وتعريفه عن المدلولات اللغوية في الجملة ومع ذلك فقد عرفه البعض بقوله: إخبار عن أحوال الأمم الماضية، والوقائع الحاضرة، والحوادث السابقة. وهذا التعريف وأشباهه مأخوذ من أنواع القصة.

وقصص القرآن الذي يعد الأساس والمنطلق للقيام به في العمل الدعوي: فهو: إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة[(٣)] .

---

(١) سورة الكهف: الآية (٦٤).

(٢) انظر: الصحاح للجوهري:١٨٨/٤.ولسان العرب:٧٣/٧ وتاج العروس: ٩٩/١٨.

(٣) انظر: موسوعة البحوث والمقالات(قصص الأنبياء):١-٧.

ج- القصص في مفهوم العمل الدعوي:

القصص الهادف والمحتوى الصادق والحقيقة الواقعية للقصة الإسلامية تعد وسيلة دعوية هامة ومؤثرة ونافعة لتحقيق أهداف العمل الدعوي خاصة في نشر الفكرة، وتحقيق التربية في المستجيبين للدعوة، وترسيخ القيم والأخلاق فيهم، ودفعهم للتحقق بالإسوة الحسنة والقدوة المستحسنة، وتعد من أكبر وأكثر الوسائل فعالية في ذلك، وقد فعلها الرسول -ﷺ-، وحرص على اعتمادها وسيلة دعوية لها أساليبها، وضمنها الكثير من الأخلاق الإسلامية، إما من أجل توضيحها أمام المسلمين من ناحية، وإما من أجل تعميقها في نفوسهم من ناحية ثانية، وذلك «من خلال جعلها موضوعات تدور حولها أو تتحدث عنها أحداث القصة ومواقفها، وهي قيم ذات جوانب متعددة[(١)].

لاسيما وقد أدرك الرسول -ﷺ- الميل الفطري إلى القصة، وأدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب، فقام بها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم. وقبل ذلك أمر الله عز وجل له بذلك في قوله: ﴿ **فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[(٢)].

---

(١) محمد بن حسن الزير، القصص في الحديث النبوي، الطبعة الثالثة، بدون ناشر، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، ص ٣٨٨.

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٧٦).

٢- عرض مفهوم وسيلة القصص وأسلوبه ونشاطه للعمل الدعوي (التأصيل)

القصة الهادفة المربية سلاح نافع ومفيد في الدعوة الإسلامية في عقيدة التوحيد، وفي إقناع المخالفين عن طريق الجدل والحوار بسمو هذه العقيدة ونبل أهدافها[1].

وعلى سبيل المثال ما جاء عن قصة موسى- عليه السلام- والخضر، التي وردت في القرآن الكريم، وجاءت في السنة مبينة لدقائقها، كما حدّث بها الرسول ﷺ، مستخدما هذه القصة- التي وقعت فعلا- في التربية العقلية للإنسان المسلم، والتربية العملية خاصة في طلب العلم وكيفية تلقيه وآدابه.

وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه.

وهناك قاعدة قرآنية تشعرك بعظمة قصص هذا الكتاب وروعته، وهي أن كل قصة نبي من أنبياء الله تختتم بآية أو مجموعة آيات تبين لك العبرة من القصة. فإذا أردت أن تعرف الرسالة الربانية التي تحملها السورة، فاقرأ آخر سطر من قصة النبي الذي سميت السورة باسمه، قاعدة رائعة تتكرّر بشكل معجزة في القرآن.

---

(١) التهامي نفرة: سيكلوجية القصة في القرآن، رسالة دكتوراه، (الحلقة الثالثة)، ص ٢٣٧.

فالقصص الدعوي المعروض في القرآن هو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء القرآني، المتضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها، وعاقبة المؤمنين والمكذبين. كقصص: نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل، ونحوهم.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك.

وسرد هذه القصص يطول بالبحث، ولكن في هذا العرض أتناول الآيات المتضمنة التأصيل الدال على مشروعية استعمال القصص القرآني في العمل الدعوي بإيراد الآيات التي فيها ترغيب وحث، أو التي فيها أمر باستعمال القصص، أوفيها لفت نظر إلى أهمية القصص القرآني، أو القصص التي سيقت للعمل الدعوي ونبهت على ذلك:

١ – الله يقص على عباده أحسن القصص عن طريق الوحي:

قصص الله في القرآن تتحقق به الهداية ويرفع به الغفلة عن من قص به عليه، قال تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾[1]، قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زمانا فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**لِلَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**﴾[2]، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾ فقالوا: يا رسول الله لو ذكرتنا، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ**﴾[3]، [4].

وَقَصَصُ الْقُرْآنِ أَحْسَنُ مِنْ قَصَصِ غَيْرِهِ مِنْ جِهَةِ حُسْنِ نَظْمِهِ وَإِعْجَازِ أُسْلُوبِهِ وَبِمَا يَتَضَمَّنُهُ مِنَ الْعِبَرِ وَالْحِكَمِ ولما اشتمل عليه من الحق والصدق، فَكُلُّ قَصَصٍ فِي الْقُرْآنِ هُوَ أَحْسَنُ الْقَصَصِ فِي بَابِهِ، وَكُلُّ قِصَّةٍ فِي الْقُرْآنِ هِيَ أَحْسَنُ مِنْ كُلِّ مَا يَقُصُّهُ الْقَاصُّ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ، كيف لا وهو وَارِدٌ مِنَ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ، فَهُوَ يُوحِي مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ أَحْسَنُ نَفْعًا لِلسَّامِعِينَ فِي أَبْدَعِ الْأَلْفَاظِ وَالتَّرَاكِيبِ، فَيَحْصُلُ مِنْهُ غِذَاءُ

---

(١) سورة يوسف: الآيتان (١-٣).

(٢) سورة الزمر: الآية (٢٣).

(٣) سورة الحديد: الآية (١٦).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره:٥٥٣/١٥ وهذا الخبر رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٣٤٥ ، من هذه الطريق نفسها ، وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه" ، ووافقه الذهبي .

الْعَقْلِ وَالرُّوحِ وَابْتِهَاجُ النَّفْسِ وَالذَّوْقِ مِمَّا لَا تَأْتِي بِمِثْلِهِ عُقُولُ الْبَشَرِ[1].

ب- دعوة القرآن لقصص الرسل والأمم لما فيها من العبرة والهداية: قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[2]، قال ابن عاشور: يتناول القرآن الكريم قصص الأنبياء والمرسَلين، ويذكر طرفاً من أخبارهم ومعجز اتهم، وليس الغرضُ من هذا القصص التاريخَ ولا استقراء الوقائع، وانما الغرضُ منه الهداية والعِبرة والعظة[3].

ج- الرسل تقص على أقوامهم دعوة وإنذارا والله يقرر ذلك أممهم يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ**﴾[4]، قال أبو جعفر الطبري: ومعناه: قد أتاكم رسلٌ منكم ينبِّهونكم على خطأ ما كنتم عليه مقيمين بالحجج البالغة، وينذرونكم وعيدَ الله على مقامكم على ما كنتم عليه مقيمين، فلم تقبلوا ذلك، ولم تتذكروا ولم تعتبروا[5].

د- الله يقص على الرسل بعلم وهو سائل الرسل والمرسل إليهم عن ذلك:

(١) التحرير والتنوير:١٢/٢٠٣-٢٠٤ بتصرف.

(٢) سورة يوسف: الآية (١١١).

(٣) التحرير والتنوير:١٣/٧٣.

(٤) سورة الأنعام: الآيتان (١٣٠-١٣١).

(٥) تفسير الطبري: ١٢/١٢١.

قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ* فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾[1].

ه- أمر الله بني آدم الاستجابة لقصص الرسل في دعوتهم وتبليغهم:

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ(٣٥) وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2]، يشير الإمام الرازي في بيان المقصوص عليهم بقوله: وأما قوله ﴿يَقُصُّونَ عَلِيكم ءايَاتِي﴾ فقيل تلك الآيات هي القرآن وقيل الدلائل وقيل الأحكام والشرائع والأولى دخول الكل فيه لأن جميع هذه الأشياء آيات الله تعالى لأن الرسل إذا جاؤا فلا بد وأن يذكروا جميع هذه الأقسام[3].

و- في هذه السورة (سورة الأعراف) ذكر الله نماذج من قصص رسله من آية ٥٩ إلى آية ١٥٥ قصص ستة من الرسل وهم: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى عليهم السلام. والمراد من ذكر هذا القصص هو تنويع أسلوب الدعوة ليشاهد المدعون من كفار قريش صوراً ناطقة، ومشاهد حية لأمم سبقت وكيف كانت بدايتها وبم ختمت نهايتها، وهي لا تختلف إلا يسيراً عما هم يعيشونه

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٦).

(٢) سورة الأعراف: الآية (٣٦).

(٣) تفسير الرازي:٥٨/١٤.

من أحداث الدعوة والصراع الدائر بينهم وبين نبيهم لعلهم يتعظون[1].

ز- آيات القصص الحق التي فيها تنبيه على الجانب الدعوي وتشير إلى القيام به: قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾[2].

ح- الأمر لنبينا محمد بأن يقص القصص دعوة وتبليغا والأمر له أمر للأمة:

قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3].

قال ابن عاشور: وَفَرَّعَ عَلَى ذَلِكَ الْأَمْرَ بِقَوْلِهِ: [فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] أَيِ اقْصُصْ هَذِهِ الْقِصَّةَ وَغَيْرَهَا، وَهَذَا تَذْيِيلٌ لِلْقِصَّةِ الْمُمَثَّلِ بِهَا يَشْمَلُهَا وَغَيْرَهَا مِنَ الْقَصَصِ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ[4].

---

(١) تفسير الجزائري: ١٨٧/٢.

(٢) سورة آل عمران: الآيات (٥٩-٦٣).

(٣) سورة الأعراف: الآيتان (١٧٥-١٧٦).

(٤) التحرير والتنوير: ١٧٩/٩.

ط - الله يقص على نبيه القصص الحق ليبلغها أمته:

١- قال تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ**﴾[3].

هذا بعض ما جاء من الآيات التي ذكر فيه القصص الدالة على أن القصص وسيلة هامة في العمل الدعوي الذي لا ينبغي للعاملين في الحقل الإسلامي أن يتأخروا عن استفادتهم من هذه الوسيلة الهامة في قيامهم بالعمل الدعوي لاسيما وقد اتخذ القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف كما ستعرف: القصة وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله وطريقاً من طرق البيان، والموعظة، والإقناع، والتأثير النفسي العميق، وسبيلاً لإظهار المواقف المتشابهة لمختلف الأمم الكافرة، في مختلف الأزمان، والأقطار، في مواجهة سلطان الدين، وتحديها له، واستعمالها لجميع أساليب المكر، والبطش، والعدوان، لإطفاء نوره، والقضاء على أوليائه وأنصاره .

أما السنة فقد استعمل الرسول القصة وسيلة من وسائل تنمية الأخلاق الإسلامية، وكمثل نموذجي: قصة «الثلاثة الإخوة الذين أووا للمبيت إلى الغار

---

(١) سورة الكهف: الآية (١٣).

(٢) سورة طه: الآيتان (٩٩-١٠٠).

(٣) سورة الأنعام: الآية (٥٩).

فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار»[1]. في هذه القصة تربية خلقية وآداب اجتماعية، فيها احترام الأبوين والعفة والطهارة، وأداء الحق إلى أصحابه ومخافة اللهّ ومهابته، إيمانا حقيقيّا خالصا به. وهناك أمثلة أخرى متعددة نكتفي بهذه الإشارة عنها[2]، وهكذا استخدم الرسول ﷺ القصة، وترسم خطى القرآن في توظيف القصة من أجل نشر الوعي الإسلامي وتعميق مبادئ الإسلام وقيمه في نفوس المسلمين. واستخدم هذه الوسيلة أيضا صحابة رسول اللهّ- رضوان اللهّ عليهم- وجاء استخدام القصة لأغراض شتى ومتنوعة وبأشكال شتى أيضا، كلها تؤدى إلى تعميق القيم أو تأسيسها، كل ذلك نابع من اهتمام القرآن الكريم بالقصص وتركيزه على كونها وسيلة من وسائل الدعوة البلاغية والتربية الجادة وتنمية القيم الخلقية الإسلامية، وذلك باستخراج العبرة من التجربة السابقة، واستخراج المثل وشرح طرق الخير، والتحذير من الكفر والجحود، يقول تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ﴾[3] .

وجملة القول، أن القرآن الكريم والسنة النبوية يشتملان على كثير من القصص الدعوية والتربوية، التي تسهم إسهاما فعالا في تحقيق أهداف الدعوة والتربية

---

(١) انظر الحديث الشريف: صحيح البخاري، كتاب الإجارة، الجزء الثالث، ص ١١٩، ١٢٤.

(٢) يمكن الرجوع إلى: سيد أحمد طهطاوي: القيم التربوية في القصص القرآني، مرجع سابق.

(٣) سورة يوسف: الآية (٣).

الإسلامية، وذلك لأنها تضع المثل أمام المتعلمين، مما يساعد على غرس كثير من القيم التربوية السامية في نفوسهم... [1].

٣- ضوابط وآداب وسيلة القصص في العمل الدعوي:

في هذا العصر كثر في القصاص والوعاظ الاعتماد على الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة التي تُذْكَر بصيغة الجزم، وكذا: الاعتماد على القصص المحكية التي لا زمام لها ولا خطام، كما نجد من يعتمد الوعظ القصصي أسلوباً وحيداً في الدعوة لا ثاني له، أو يُكثر من وَعْظ الناس وحكاية القصص كثرةً تملّهم ...

فلهذه الأمور ونحوها تبرز الحاجة الملحة للتنبيه على بعض الضوابط والآداب التي ترد الأمر إلى نصابه، وتجعل الوعظ القصصي في صورته الشرعية البهيّة المؤثرة النافعة. وفي موضوع الوعظ سبق ذكر الضوابط للوعظ وهي نفسها ضوابط للقصص الوعظي والتذكيري فيكتفى بذكرها هناك ويعود القارئ إليها للاستفادة .

٤- فوائد وثمار وسيلة القصص في العمل الدعوي:

للقصص الدعوي الوعظي خاصة قصص القرآن والسنة النبوية فوائد وثما ر عظيمة في هذا المجال نذكر أهمها:

١- القصص تتضح فيه معالم الخير والشر، ومواقف الحق والباطل، لأنه يعتمد التصوير والتشخيص، بحيث يتحول السامع بما يتصوره من أحداث

(١) عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، القاهرة، ط ١، مكتبة السنة المحمدية، ١٩٦٤ م، ص ٦.

وشخصيات ومواقف، وكأنه مشاهد، يرى ما يتضمنه القصص، وينفعل به، ويتأثر له .

٢- القصص ينتهي إلى موعظة وعبرة، فخاتمة القصة، هي جامعة العبرة، ومحور الفكرة، وناطقة الموعظة، وهي تصل إلى النفوس، بعد تشوق، وترقب منها فتستقر فيها، وتظل تؤثر بها كلما تذكر السامع أحداثها، أو مر بما يشابهها، أو يذكره بها .

٣- إيضاح أسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي يبعث بها كل نبي، ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾(١) .

٤- تثبيت قلب رسول الله -ﷺ- وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده، وخذلان الباطل وأهله: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾(٢) .

٥- تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم .

٦- إظهار صدق محمد -ﷺ- في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال .

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٢٥).

(٢) سورة هود: الآية (١٢٠).

٧- مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى ، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(١).

٨- بيان حكم الله تعالى فيما تضمنته هذه القصص لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾(٢).

١٠- بيان عدله تعالى بعقوبة المكذبين لقوله تعالى عن المكذبين: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾(٣).

١١- بيان فضله تعالى بمثوبة المؤمنين لقوله تعالى: ﴿إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾(٤).

١٣- تسلية النبي -ﷺ- عما أصابه من المكذبين له لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾(٥).

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٩٣).

(٢) سورة القمر: الآيتان (٤-٥).

(٣) سورة هود: الآية (١٠١).

(٤) سورة القمر: الآيتان (٣٤-٣٥).

(٥) سورة فاطر: الآيتان (٢٥-٢٦).

١٤- ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه والازدياد منه إذ علموا نجاة المؤمنين السابقين وانتصار من أمروا بالجهاد لقوله تعالى: ﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[1].

١٤- تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم لقوله تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا** ﴾[2].

١٥- إثبات رسالة النبي -ﷺ- فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله عز وجل لقوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[3]، وقوله: ﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ** ﴾[4]،[5].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٨٨).

(٢) سورة محمد: الآية (١٠).

(٣) سورة هود: الآية (٤٩).

(٤) سورة ابراهيم: الآية (٩).

(٥) القصص في القرآن الكريم:١-٣.

المطلب الثالث

وسيلة ضرب الأمثال وأسلوبها ونشاطها.

١- مفهوم ضرب الأمثال في العمل الدعوي:

أ- الأمثال لغة:

مادة (مثل): الميم والثاء واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على مناظَرَة الشّيءِ للشيء. وهذا مِثْل هذا، أي نَظِيرُه، والمِثْل والمِثال في معنىً واحد. والمَثُلُ المضروبُ مأخوذٌ من هذا، لأنَّه يُذكَر مورَّىً به عن مِثلِه في المعنى. والمَثَلُ: الصِّفَةُ، والمقدار لغيره، والقصاص، والحديث نفسه، والحجة، والشبه، والمماثل لأهل الصلاح والخير. وكل هذه المعاني مقصودة في موضوعنا.. [1].

ب- الأمثال اصطلاحا:

تعددت التعريفات للمثل وتنوعت وأجمع تعريف ما جاء في الموسوعة العربية: هو العبارة الفنية، السائرة الموجزة، التي تصاغ لتصور موقفًا أو حادثة، ولتستخلص خبرة إنسانية يمكن استعادتها في حالة أخرى مشابهة لها، مثل: (رب ساعٍ لقاعد) و (إياك أعني واسمعي يا جارة) إلخ .

وقد حدد للمثل شروطًا هي: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية. وقد أكدوا كثيرًا على شرط السيرورة والشيوع، مشيرين إلى أهمية

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس:٢٩٧/٥. والمحيط في اللغة:١٥١/١٠ولسان العرب:٦١٠/١١ ومختار الصحاح:٦٤٢

المثل التعليمي وإلى دوره وجانبه النفعي. وقد ارتبطت الأمثال بالاستدلال واستخلاص الحكمة والعظة[1].

ج- الأمثال في العمل الدعوي:

المثل وسيلة هامة وذا أثر بالغ في إيصال المعنى إلى العقل والقلب، وذلك أنه يقدم المعنى في صورة حسية فيربطه بالواقع ويقربه إلى الذهن، فضلاً عن أن للمثل بمختلف صوره بلاغة تأخذ بمجامع القلوب، وتستهوي العقول، وبخاصة عقول البلغاء؛ لذا يقول الإمام الرازي «إن المقصود من ضرب الأَمثال: انّها توَثر في القلوب ما لا يوَثره وصف الشيء في نفسه، وذلك لأَنّ الغرض في المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحس مطابقاً للعقل، وذلك في نهاية الإِيضاح، ألا ترى أنّ الترغيب إذا وقع في الإِيمان مجرّداً عن ضرب مثل له لم يتأكد وقوعه في القلب كما يتأكد وقوعه إذا مُثّل بالنور، وإذا زهد في الكفر بمجرّد الذكر لم يتأكد قبحه في العقول، كما يتأكد إذا مثل بالظلمة، وإذا أخبر بضعف أمر من الأَمور وضرب مثله بنسج العنكبوت كان ذلك أبلغ في تقرير صورته من الإِخبار بضعفه مجرّداً. ولذلك استكثر القرآن من ضرب الأمثال، وذكر حكمة ذلك في آيات كثيرة، وظاهر سياقات الأمثال القرآنية تدل على أنها وسيلة هامة في ميدان الدعوة والبلاغ والتعليم والتفقيه قال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ**

---

(١) الموسوعة العربية.

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٤٣).

خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ **وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون** ﴾[2].

كما تضرب الأمثال كوسيلة لتربية الإنسان تربية إيمانية وخلقية- ففي الحديث الشريف عن أبي موسى-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب، ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر، ولا ريح لها»[3].

كما تضرب الأمثال لتربية المسلم تربية عقلية ينمو فيها العقل ويزداد علم الإنسان يقول -ﷺ-: «مثل ما بعثني اللهّ به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقيّة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان فيها أجادب أمسكت الماء فنفع اللهّ بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ- فذلك مثل من فقه في دين اللهّ ونفعه ما بعثني اللهّ به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى اللهّ الذي أرسلت به»[4].

---

(١) سورة الحشر: الآية (٢١).

(٢) سورة ابراهيم: الآية (١٤).

(٣) رواه البخاري رقم (٥٠٢٠) ومسلم رقم (٧٩٧) والترمذي رقم (٢٨٦٩) والنسائي (٨/ ١٢٤. ١٢٥) وأبو داود رقم (٤٨٣٠) وانظر: «جامع الأصول» (٢/ ٤٥٣).

(٤) صحيح البخاري، كتاب العلم، الجزء الأول، ص ٣٠.

وخلاصة القول: أن ضرب الأمثال وسيلة دعوية تربوية هامة تلعب دورا هاما في التأثير على سلوك الإنسان، وفي غرس القيم الإسلامية لدى النشء والمسلم، فيما لو استعملت بحكمة وفي الظروف المناسبة[1]. وهذا ما سنجليه أكثر في هذا العرض.

٢- عرض مفهوم وسيلة الأمثال وأساليبها ونشاطها في العمل الدعوي (التأصيل):

ضرب الأمثال في القضايا الدعوية المتنوعة تعد من أهم الوسائل الدعوية ومن أفضل الأساليب التبليغية بتعاليم الإسلام للإقناع بالحق الذي اشتملت عليه وإيجاد الذكرى والعظة بها، خاصة الأمثال التي مصدرها القرآن الحق، والسنة التي لا ينطق صاحبها عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، من أعطي الحكمة وجوامع الكلم ولا ينطق إلا حقا.

والأمثال أنواع: المثل الموجز. وهو الذي تنطبق عليه التعريفات السابقة . والمثل الخرافي. وهو تلك الكلمات الموجزة السائدة التي أجراها العرب على ألسنة الحيوان أو بنوها على قصص خرافي نسجوه حوله، ومنها قول الضَّب حين احتكم إليه الأرنب والثعلب حول تمرة: في بيتِهِ يُؤتَى الحَكَمُ[2]. وهذان النوعان ليس لهما أي حظ في هذه الدراسة مع أن الاستفادة منه والنوع الأول في المجال الدعوي محدودة.

---

(١) نضرة النعيم:١/١٤١-١٤٢.

(٢) الموسوعة العربية: الأمثال العربية ص٥.

والمثل القياسي. وهو ذلك السرد الوصفي الذي يستهدف توضيح فكرة أو البرهنة عليها عن طريق التشبيه أو التمثيل. وهذا النوع يكاد يكون معدومًا في مدونات الأمثال العربية القديمة، ولكنه موجود بكثرة في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ **مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ** ﴾[1]، وكذلك في السنة النبوية.

وهذا النوع هو الذي سنركز عليه في العرض القرآني التأصيلي باعتباره وسيلة من وسائل الدعوة، وصورة من صور البلاغ المبين . وأسلوبا مهما للتربية، مأمور الدعاة بممارسته كوسيلة دعوية.

وليعلم أن ضرب المثل ورد في القرآن في ثلاثة وأربعين آية في سياقات دعوية متنوعة تدل على المشروعية، بل وعلى الوجوب إن اقتضى المتطلب الدعوي ذلك، وأما في السنة فقد قال الإمام أحمد: فيما أسنده إلى عمرو بن العاص -رضي الله عنه- قال: عَقَلْتُ عن رسول الله -ﷺ- ألف مثل[2]. فهذا واحد من الصحابة يعقل هذا العدد من الأمثال فكيف بغيره.

وقد ألفت كتب متعددة في الأمثال في الحديث النبوي، من أقدمها (أمثال الحديث) للقاضي أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي، (ت٣٦٠هـ) [1] وأمثاله -ﷺ- في غالبها تبليغية تعليمية تفقيهية تربوية.

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٦١).

(٢) المسند (٢٠٣/٤) وقال الهيثمي في المجمع (٢٦٤/٨) "إسناده حسن".

(١) عقد الترمذي في سننه أبواباً خاصة بالأمثال التي وردت عن رسول الله -ﷺ- انظر تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي (٨ / ١٢٣) .

وقد جاء القرآن الكريم بتوجيه النبي الكريم -ﷺ- بأن يعرض لأمته الأمثال تقريبا للأفهام وتوجيها لها نحو الغاية والعاقبة المحمودة، فقال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾[1]، [2].

ويأتي المثل في القرآن الكريم كذلك، كالدليل والبرهان على حقيقة ثابتة جلية، يتغافل عنها الناس، أو يغفلون، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ إِنّ الّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُواْ لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذّبَابُ شَيْئاً لاّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٤) مَا قَدَرُواْ اللهَ حَقّ قَدْرِهِ إِنّ اللهَ لَقَوِيّ عَزِيزٌ﴾[3]، وفي هذ العرض القرآني ما يدل ويؤكد ما نحن بصدده وسنجعله في عدة محاور:

المحور الأول:

جعل الله ضرب الأمثال في القرآن للتذكر، والتفكر، وإفحام المجادلين، وإسكات المبطلين، وإقامة الحجة على الكافرين، جاء ذلك صريحا في خمس آيات:

١- للتذكر والذكرى تنفع المؤمنين:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1]، قال ابن عاشور: فَالْمَعْنَى:

---

(١) سورة الكهف: الآية (٣٢).

(٢) التربية القرآنية: ٢٤.

(٣) سورة الحج: الآيتان (٧٣-٧٤).

(١) سورة الزمر: الآيتان (٢٧-٢٨).

ذَكَرْنَا لِلنَّاسِ فِي الْقُرْآنِ أَمْثَالًا هِيَ بَعْضٌ مِنْ كُلِّ أَنْفَعِ الْأَمْثَالِ وَأَشْرَفِهَا[١].

٢- للتفكر والاعتبار ولا ينتفع بذلك إلا أولو الألباب:قال تَعَالَى: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٢]، قال الطبري: قوله: (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) يقول: يضرب الله لهم هذه الأمثال ليتفكروا فيها، فينيبوا، وينقادوا للحق[٣].

٣- تصريف الله الأمثال في القرآن للعبر والعظات ولإسكات المجادل وإفحامه: قال تَعَالَى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا**﴾[٤]، قال الشنقيطي: أَيْ: وَلَقَدْ صَرَّفْنَا الْآيَاتِ وَالْعِبَرَ مِنْ أَنْوَاعِ ضَرْبِ الْمَثَلِ لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا، فَقَابَلُوا ذَلِكَ بِالْجِدَالِ وَالْخِصَامِ، وَلِذَا قَالَ: ﴿**وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا**﴾[١].

٤- ضرب الله الأمثال في القرآن لإقامة الحجة على أهل الباطل وترهيبهم:

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ* كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾[٢].

---

(١) التحرير والتنوير:٣٩٨/٢٣ بتصرف.

(٢) سورة الحشر: الآية (٢١).

(٣) تفسير الطبري:٣٠١/٢٣.

(٤) سورة الكهف: الآية (٥٤).

(١) أضوا البيان:٣٠١/٣ بتصرف.

(٢) سورة الروم: الآيتان (٥٨-٥٩).

٥- ضرب الله الأمثال في القرآن للناس لهدايتهم فأبى الأكثر إلا الجحود والكفر: قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا** ﴾[(١)]، قال القرطبي: أي وجهنا القول فيه بكل مثل يجب به الاعتبار، من الآيات والعبر والترغيب والترهيب، والاوامر والنواهي وأقاصيص الاولين، والجنة والنار والقيامة. (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) يريد أهل مكة، بين لهم الحق وفتح لهم وأمهلهم حتى تبين لهم أنه الحق، فأبوا إلا الكفر وقت تبين الحق[(٢)].

المحور الثاني:

ضرب الأمثال عن الأمم السالفة للعظة والاعتبار، ولبيان أن قرابة وبيئة الإيمان لا ينتفع بها الكافر، وقرابة وبيئة الكفر لا تضر المؤمن، وفيها الأمر للنبي محمد -ﷺ- بالإخبار بذلك دعوة وبلاغا وتربية وتزكية:

١- ضرب الله مثلاً في عدم انتفاع الكافر بقرابة المؤمن:

قال تعالى: ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ** ﴾[(١)]، قال ابن كثير: أي: نبيين رسولين عندهما في صحبتها ليلا ونهارًا يؤاكلانها ويضاجعانها ويعاشرانها أشد العشرة والاختلاط ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ أي: في الإيمان، لم يوافقاهما على الإيمان، ولا صدقاهما في الرسالة، فلم

(١) سورة الإسراء: الآية (٨٩).

(٢) تفسير القرطبي: ٣٢٧/١٠.

(١) سورة التحريم: الآية (١٠).

يُجْد ذلك كلَه شيئًا، ولا دفع عنهما محذورا؛ ولهذا قال: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لكفرهما، ﴿وَقِيلَ﴾ أي: للمرأتين: ﴿ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[1].

٢- هذا مثل آخر في عدم تضرر المؤمن بقرابة الكافر ولو كانت القرابة الزوجية: قال تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[2]، هذا مَثَلٌ ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم، كما قال تعالى: ﴿**لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً**﴾[1]، قال: قتادة كان فرعون أعتى أهل الأرض وأبعده فو الله ما ضر امرأته كُفر زوجها حين أطاعت ربها لتعلموا أن الله حَكَمٌ عدل، لا يؤاخذ أحدًا إلا بذنبه[2].

٣- المؤمن لا يتضرر ببيئته إذا كان راسخ الإيمان: قال تعالى: ﴿**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾[3].

٤ - أشنع مثل ضربه الله باليهود حملة التوراة: قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا**

---

(١) تفسير ابن كثير:١٧١/٨.

(٢) سورة التحريم: الآية (١١).

(١) سورة آل عمران: الآية (٢٨).

(٢) تفسير ابن كثير:١٧٢/٨.

(٣) سورة التحريم: الآيتان (١١-١٢).

بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1]، فهذا مثل علماء اليهود الذين لم يعملوا بما في التوراة، الذي من أجله وأعظمه الأمر باتباع محمد -ﷺ-، والبشارة به، والإيمان بما جاء به من القرآن، فهل استفاد من هذا وصفه من التوراة إلا الخيبة والخسران وإقامة الحجة عليه؟ فهذا المثل مطابق لأحوالهم[2].

قال القرطبي: وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه، لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء[3].

٥- مثل ضربه الله للأمة التي لا تشكر الله على نعمه ولا تستجيب لرسله والداعين إليه: قال تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾**[1]، هذا مثل أريد به أهل مكة، فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة يُتخطَّف الناس من حولها، ومن دخلها آمن لا يخاف، كما قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا ﴾**[2]، وهكذا قال هاهنا: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ أي: هنيئها سهلا ﴿ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ أي: جحدت آلاء الله عليها وأعظم ذلك بعثة محمد -ﷺ-إليهم[3]..

---

(١) سورة الجمعة: الآية (٥).

(٢) تفسير السعدي:٨٦٢.

(٣) تفسير القرطبي:٩٤/١٨.

(١) سورة النحل: الآيتان (١١١-١١٢).

(٢) سورة القصص: الآية (٥٧).

(٣) أضواء البيان:٤٥٩/٢.

المحور الثالث:

الأمر للنبي بضرب الأمثال المذكورة في القرآن لبيان ما يدعو إليه ويبلغه :

١- مثل صاحب الجنتين الذي يرمي إلى تأييد الله للمؤمن وإهانته للكافر: قال تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾[١].

---

(١) سورة الكهف: الآيات (٣٢-٤٤).

ما أجمل تعبير سيد قطب عن تصويره لهذا المثل في قوله: تجيء قصة الرجلين والجنتين تضرب مثلاً للقيم الزائلة والقيم الباقية، وترسم نموذجين واضحين للنفس المعتزة بزينة الحياة، والنفس المعتزة بالله. وكلاهما نموذج إنساني لطائفة من الناس: صاحب الجنتين نموذج للرجل الثري، تذهله الثروة، وتبطره النعمة، فينسى القوة الكبرى التي تسيطر على أقدار الناس والحياة . ويحسب هذه النعمة خالدة لا تفنى، فلن تخذله القوة ولا الجاه . وصاحبه نموذج للرجل المؤمن المعتز بإيمانه، الذاكر لربه، يرى النعمة دليلاً على المنعم . موجبة لحمده وذكره، لا لجحوده وكفره[1] .

٢- مثل ضربه الله للدنيا التي لا يدوم نعيمها وزينتها ولا يبقى فيها إلا العمل الصالح:

قال تعالى: ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا** ﴾[1].

يقول ابن كثير: وكثيرًا ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل كما في سورة [يونس آية:٢٤]، وفي سورة [الزمر:٢١]، في سورة [الحديد:٢٠]. وفي الحديث الصحيح: «الدنيا حلوة خضرة»[2] .

---

(١) في ظلال القرآن: ٦٣/٥.

(١) سورة الكهف: الآيتان (٤٥-٤٦).

(٢) تفسير ابن كثير:١٦١/٥.

المحور الرابع:

أمثلة قرآنية ضربها الله بأحقر مخلوقاته وأضعفها لمن عرف الحق وتيقنه ثم انحرف عنه وكذبه وعاداه.

١- مثل سيء بأحقر مخلوقات الله ضربه الله لمن انسلخ من آيات الله بعد أن علمها وتيقنها: أمر الرسول بتلاوة هذا المثل دعوة وبلاغا لعل من سمعه يتفكر ويهتدي: قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاء مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1].

٢- مثل ثاني في المرتبة الأقل من الحقارة ضربه الله بالحمار لنفس ما ضربه الله بالكلب: فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2].

٣- ضرب الأمثال ولو كانت حقيرة تزيد المؤمنين قوة في معرفة الحق ويزداد غيرهم بها شكا وضلالا: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا

---

(١) سورة الأعراف: الآيات (١٧٥-١٧٨).

(٢) سورة الجمعة: الآية (٥).

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الْفَاسِقِينَ﴾[(١)].

٤- مثل لمخلوق ضعيف ضربه الله لقبح عبادة الأوثان، وفيه الأمر للناس بالاستماع إليه: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[(١)].

٥- مثل ضربه الله سبحانه بأضعف مخلوقاته لمن أتخذ من دونه آلهة لا تنفعه ولا تضره: المستهدف بهذه الأمثال عامة الناس، ولا ينتفع بها إلا العلماء: قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[(٢)].

المحورالخامس:

أمثلة ضربها الله لمضاعفة أجر الإنفاق في سبيل الله وقبوله باعتبار ذلك من العمل لدين الله. .

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٦).

(١) سورة الحج: الآيتان (٧٣-٧٤).

(٢) سورة العنكبوت: الآيات (٤١-٤٣).

١- مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[1]، تمثيل لأجر الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، فهم كمن زرع زرعا الحبة منه تنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة.

٢- مثل ثاني بياني توضيحي: مثل ضربه الله للأمور المبطلة للصدقة والمزيلة لأثرها حتى لا يقع المؤمنون فيها: قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْكَافِرِينَ**﴾[1].

٣ مثل ثالث لمن أنفق أمواله مبتغيا بها وجه الله: قال تعالى: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[2].

٤- ويأتي المثل الرابع في عاقبة عمل الكافر الغني وتحسره: قال تعالى: ﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ**

(١) سورة البقرة: الآية (٢٦١).

(١) سورة البقرة: الآية (٢٦٤).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٦٥).

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]، قال البخاري عند تفسير هذه الآية: بسنده المتصل إلى ابن عباس، وعبيد بن عُمَير قال: قال عمر بن الخطاب يوما لأصحاب النبي -ﷺ-: فيمن ترون هذه الآية نزلت: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين. فقال عمر: يا ابن أخي، قل ولا تحقر نفسك. فقال ابن عباس: ضربت مثلا لعمل. قال عمر: أيُّ عملٍ؟ قال ابن عباس: لعمل. قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله. ثم بعث الله له الشيطان فعمِل بالمعاصي حتى أغرق أعماله»[1].

٥- مثل لإنفاق الكافر الذي لا ينتفع بنفقته لفقده الشرط الذي هو الإسلام:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٦) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾[2].

نختم هذا المحاور بصفات داعية الحق الأول الرسول محمد -ﷺ- وأصحابه الوارثين رضوان الله عليهم في ضوء المثل الذي ضربه الله لهم في هذه الآية التي هي ختام سورة الفتح، قال الله تعالى: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ**

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٦٦).

(١) صحيح البخاري برقم (٤٥٣٨).

(٢) سورة آل عمران: الآيتان (١١٦-١١٧).

بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[1] .

يقول سيد قطب في تفسيرها الجميل: إنها صورة عجيبة يرسمها القرآن الكريم بأسلوبه البديع، صورة مؤلفة من عدة لقطات لأبرز حالات هذه الجماعة ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ ولقطة تصور هيئتهم في عبادتهم: ﴿تراهم ركعاً سجداً﴾، ولقطة تصور قلوبهم وما يشغلها ويجيش بها: ﴿ يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾ ولقطة تصور أثر العبادة والتوجه إلى الله في سمتهم وسحنتهم وسماتهم: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾،﴿ذلك مثلهم في التوراة﴾، وهذه صفتهم فيها، ولقطات متتابعة تصورهم كما هم في الإنجيل،﴿كزرع أخرج شطأه﴾ ﴿فآزره﴾ ﴿ فاستغلظ ﴾ ﴿ فاستوى على سوقه ﴾ ﴿ يعجب الزراع ﴾: ﴿ ليغظ بهم الكفار ﴾ وتبدأ الآية بإثبات صفة محمد -ﷺ- صفته التي أنكرها سهيل بن عمرو ومن وراءه من المشركين: ﴿ محمد رسول الله﴾ ثم ترتسم تلك الصورة الوضيئة بذلك الأسلوب البديع .

والمؤمنون لهم حالات شتى . ولكن اللقطات تتناول الحالات الثابتة في حياتهم، ونقط الارتكاز الأصيلة في هذه الحياة[1]..

---

(١) سورة الفتح: الآية (٢٩).

(١) في ظلال القرآن:١/ ٤٨٦- ٤٨٧.

وإلى هنا يتوقف القلم عن العرض القرآني لبعض الأمثلة في العمل الدعوي على صورة خمسة محاور دعوية الذي قصدنا به التأصيل لوسيلة ضرب الأمثال في الدعوة إلى الله عز وجل وبيان أهمية ذلك وأثره وتأثيره في العمل الدعوي، لاسيما ونجن نلحظ أن رسول الله -ﷺ- قد نفذ أمر ربه في ذلك بضرب الأمثلة القرآنية دعوة وبلاغا وعملا وضربها من لفظه الذي هو وحي يوحى بأمثلة كثيرة في مناسبات وأحوال متعددة ومتنوعة. نذكر منها نماذج تحت هذا العنوان:

التطبيقات النبوية في الأمثال الدعوية التربوية: نذكر منها على سبيل المثال:

١- تمثيل الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير عَنْ أَبِي مُوسَى، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[(١)]. وهذا من حكمة النبي -ﷺ- لأنه جمع بين الترغيب والحثّ على مجالسة من يُستفاد من مجالسته في الدين والدنيا، وحذّر من مجالسة من يتأذّى بمجالسته فيهما .

٢- ومن أبلغ الأمثلة الدعوية منه -ﷺ- قوله: « مثل ما بعثني اللهّ به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأَ والعشب الكثير، وكانت منها أجادبُ أمسكت الماء فنفع اللهّ بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت

---

(١) انظر: البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، ٦ / ٢٧٨، برقم ٥٥٣٤، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، ٤ / ٢٠٢٦، برقم ٢٦٢٨ .

كلاً. فذلك مثل من فَقهَ في دين اللهّ ونفعه ما بعثني اللهّ به فَعَلِمَ وَعَلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هُدى الله الذي أرسلت به »[١].

٣- عن أبي موسى -ﷺ- قال: قال رسول اللهّ -ﷺ-: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب، ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر، ولا ريح لها»[١] فانظر أيها القارئ الكريم إلى هذا التفصيل ما أروعه، ثم تأمل أثر التمثيل في بيان حقيقة المؤمن والمنافق الذي يقرأ القرآن والذي لا يقرأ القرآن .

٤ - عن النواس بن سمعان الأنصاري عن رسول الله -ﷺ- قال: « ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تنفرجوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم »[٢].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى رضي الله عنه: البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم،١ / ٣٢، برقم ٧٩، ومسلم، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي -ﷺ-من الهدى والعلم،٤ / ١٧٨٧، برقم ٢٢٨٢

(١) رواه البخاري رقم (٥٠٢٠) ومسلم رقم (٧٩٧) والترمذي رقم (٢٨٦٩) والنسائي (٨/ ١٢٤. ١٢٥) وأبو داود رقم (٤٨٣٠) وانظر: «جامع الأصول» (٢/ ٤٥٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسند الشاميين واللفظ له / والترمذي في الأمثال

٥ – عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين »[١] قال ابن حجر: فكأنه شبه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس ببيت أسست قواعده ورفع بنيانه وبقي منه موضع به يتم صلاح ذلك البيت[٢].

٤ – يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فكان بعضهم أسفلها وكان بعضهم أعلاها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً فلم نؤذ من فوقنا فإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً، وإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً»[١].

٥– وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّحْلَةِ، إِنْ أَكَلَتْ أَكَلَتْ طَيِّباً، وَإِنْ وَضَعَتْ وَضَعَتْ طَيِّباً، وَإِنْ وَقَعَتْ عَلَى عُودٍ نَخِرٍ لمْ تَكْسِرْهُ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ سَبِيكَةِ الذَّهَبِ، إِنْ نَفَخْتَ عَلَيْهَا احْمَرَّتْ، وَإِنْ وَزِنَتْ لَمْ تَنْقُصْ »[٢].

٧– وعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: « مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّه فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لا يُذْكَرُ اللَّه فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ

---

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب / ومسلم في الفضائل / وأحمد في باقي مسند المكثرين.

(٢) فتح الباري / كتاب المناقب / حديث رقم ٣٥٣٥.

(١) صحيح البخاري: (٣/ ١٨٢).

(٢) صحيح الجامع الصغير. برقم٥٨٤٦ ، وقال : حديث حسن .

وَالْمَيِّتِ»[1]. إلى غير ذلك من الأمثلة التي إذا تتبعناها في تعليم رسول الله -ﷺ- وكان يضربها في حديثه، واستعان بها الداعون إلى الله في كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة، ويستعين بها المربون ويتخذونها من وسائل الإيضاح والتشويق، ووسائل التربية في الترغيب أو التنفير، في المدح أو الذم. فينبغي للداعية أن يعتني بضرب الأمثال في دعوته إلى اللهّ عز وجل، واللهّ المستعان وبه الثقة وعليه التكلان[2].

٣ - ضوابط وآداب ضرب الأمثال في العمل الدعوي:

ضرب الأمثال كوسيلة دعوية مؤثرة تحقق أهدافها في من خوطب بها للتأثير الدعوي إذا راعى الداعية ضوابط وآداب استعمالها وهي كثيره أهمها يتمثل في:

١- التزام شروط إنشائها واستعمالها المتمثلة في: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية.

٢- يراعي في المثل بصورة عامة إن يكون قصيراً وبليغاً معبراً عن حكمة، فيه نغمة وترنيم، ليؤثر في النفوس. وقد أكد علماء الأمثال كثيرًا على شرط السيرورة والشيوع، لا سيما المثل التعليمي لأهمية دوره وجانبه النفعي. وهو إذا كان صادراً من قلب وسجية، ومعبراً عن نفس جياشة وعن حس بشري

---

(١) المصدر السابق برقم ٥٨٢٧ .

(٢) انظر: كثيرا من الأمثال في السنة في صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن، ١ / ٥٤٩، برقم ٧٩٧، وكتاب الزكاة، باب مثل البخيل، ٢ / ٧٠٨، برقم ١٠٢١، وكتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، ٣ / ١٤٩٨ ، برقم ١٨٧٨ ، وكتاب الفضائل، ٤ / ١٧٨٧- ١٧٩١، بأرقام ٢٢٨٢ -٢٢٨٧، وكتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ٤ / ٩٩٩- ٢٠٠٠، برقم ٢٥٨٥- ٢٥٨٦، وكتاب صفات المنافقين ٤ / ٢١٤٦، برقم ٢٧٨٤، و ٤ / ٢١٦٣- ٢١٦٦ ، بأرقام ٢٨٠٩- ٢٨١٢، وكتاب الأمثال للرامهرمزي، ص ٥- ١٤٢ ، وسنن الترمذي، كتاب الأمثال ٥ / ١٤٤-١٤٨ ، ومسند الإمام أحمد، ١ / ٤٣٥، ٤٦٥، ٤ / ١٨٢، ١٨٣، ٢٠٢ .

عام، يشعر به كل إنسان تقبله الناس بسرعة، ووجد له مجالاً من الانتشار، وعمر عمراً طويلاً.

٣- أن تناسب الأمثال حال السامع لتكون أبلغ تأثيرا وأحسن موقعا. وبتميزها بالقوة البلاغية والتصوير المنطقي بالإضافة إلى روعة تتابع السرد في أثناء تجسيد المعنى المقصود عبر تقديمه في صورة حسية تجعله أمرا ماثلا أمام المتلقي.

٤- من ضَوابِطُ ضَرْبِ الْمَثَلِ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلُّ مَعَانِيهِ الَّتِي يُفَسَّرُ بِهَا : هُوَ إِيضَاحُ مَعْنَى النَّظِيرِ بِذِكْرِ نَظِيرِهِ؛ لِأَنَّ النَّظِيرَ يُعْرَفُ بِنَظِيرِهِ[١]، قال تعالى فِي «الْإِسْرَاءِ»: ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا** ﴾[٢]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا** ﴾[٣]، وَقَوْلِهِ : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا** ﴾[٤]، وَالْآيَاتُ بِمِثْلِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدًّا [٥]، والمثل الدعوي يرتبط كثيرا بالاستدلال واستخلاص الحكمة والعظة.

---

(١) انظر الموسوعة العربية.

(٢) سورة الإسراء: الآية (٨٩).

(٣) سورة الإسراء: الآية (٤١).

(٤) سورة طه: الآية (١١٣).

(٥) انظر: أضواء البيان:٢/٢٠٠.

٥- ضرب الأمثال بالقرآن أو بالسنة يلزم مطابقتها للمعنى: مثل أن يقول الداعية في من مكروا بالمؤمنين ﴿ **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ**﴾[1]، أو احتالوا عليهم وخدعوهم: ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ**﴾[2]، لأن الرسول ﷺ استشهد بالقرآن حينما خرج الحسن و الحسين يعثران في ثيابهما ثم نزل من المنبر، وأخذهما وجعلهما بين يديه، ثم قال: "صدق الله": ﴿ **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾[1]، فالمهم المطابقة، أما أن تقول لرجل: ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ**﴾، وهو مؤمن، فهذا لا يجوز، لأن هذه الآية في المنافقين.

٦- أن لا يكون الكلام الذي حصل فيه الاقتباس أو التمثل محرما أو مكروها.

٧- أن لا يكون الاقتباس أو التمثل مما نسبه الله تعالى إليه نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُم**﴾[2].

٨- ضرب الأمثال من الداعية لأي نوع من أنواع الطاعات، وفي ما أمر الله، وفي ما يوضح العمل لدين الله وغير ذلك مما يقرب الفهم للأمر المضروب له المثل، مشروع ما لم يكن في المثل إساءة أدب مع الله سبحانه وتعالى أو استنقاص للأمر المضروب له المثل، فإذا كان المثل مطابقاً جيداً مفهماً، فيه

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٣٠).

(٢) سورة النساء: الآية (١٤٢).

(١) سورة التغابن: الآية (١٥).

(٢) سورة الغاشية: الآية (٢٥).

البيان وليس فيه ما يخل، ولا فيه سوء أدب أو استنقاص لأسماء الله وصفاته.

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

٩- القاعدة في الأمثال الاّ تغير، بل تجري كما جاءت. وقد جاء الكلام بالمثل واخذ به وإن كان ملحوناً. لأن العرب تجري الأمثال على ما جاءت، ولا تستعمل فيها الإعراب. والأمثال قد تخرج عن القياس، فتحكى كما سمِعت، ولا يطرد فيها القياس، فتعرج عن طريقة الأمثال. "قال المرزوقي: من شرط المثل ألاّ يغير عما يقع في الأصل عليه".

٤- فوائد وثمار ضرب الأمثال في العمل الدعوي:

إن لضرب الأمثال من القرآن الكريم، والسنة النبوية ومن غيرهما فوائد كثيرة ومنافع جمّة منها:

١- تقرير الحقائق تقريراً واضحاً جلياً.

٢- تقريب المراد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع.

٣- تشويق السامع وترغيبه إلى الإيمان والخير والحق المعروف والفضيلة.

٤- تنفير السامع وترهيبه من الكفر والشر والباطل والمنكر.

٥- تذكير السامع ووعظه ليعتبر وينزجر.

٦- الأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس، فيتقبله العقل؛ لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة

(١) سورة النحل: الآية (٧٤).

الفهم، كما ضرب الله مثلًا لحال المنفق رياء، حيث لا يحصل من إنفاقه على شيء من الثواب، فقال تعالى: ﴿ **فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا** ﴾[(١)].

٧- تكشف الأمثال عن الحقائق، وتعرض الغائب في معرض الحاضر كقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾[(٢)].

٨- تجمع الأمثال المعنى الرائع في عبارة موجزة كالأمثال الكامنة والأمثال المرسلة في الآيات الآنفة الذكر.

٩- ويضرب المثل للترغيب في الممثَّل حيث يكون الممثَّل به مما ترغب فيه النفوس، كما ضرب الله مثلًا لحال المنفق في سبيل الله حيث يعود عليه الإنفاق بخير كثير.

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٦٤).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٧٥).

المطلب الرابع

وسيلة عرض العبر والعظات بمن سلف وأسلوبه ونشاطه

١- مفهوم عرض العبر والعظات في العمل الدعوي:

أ- العرض لغة:

قال الجوهري: «عَرَض له أمر كذا يعرض أي ظهر، وعرضت عليه أمر كذا، وعرضت له الشيء أي أظهرته له وأبرزته إليه»[(١)].

ب- العرض اصطلاحا:

العرض في الاصطلاح: هو القراءة على الآخر ما حقه أن يسمع، وكان الرسول ﷺ يُقرئ بعض الصحابة، ثم يسمع منهم ما حفظوا ليتأكد من صحة الحفظ، وهو «العرض». وكان النبي نفسه يعرض القرآن على جبريل عليه السلام.

ج- العبر لغة:

جاء في اللسان: العِبَرُ جمعُ عِبْرة وهي كالمَوْعِظة مما يَتّعِظُ به الإِنسان ويَعمَلُ به ويَعتبِر ليستدل به على غيره. والعِبْرة العجب. واعْتَبَر منه تعجّب وفي التنزيل ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾[(٢)]، والعِبْرة الاعتبارُ بما مضى[(٣)].

---

(١) الصحاح ١٠٨٢/٣، وانظر:العين٢٧١/١.

(٢) سورة الحشر: الآية (٢).

(٣) الآية ١٣ من سورة آل عمران و٢٦ من النازعات.

د- العبر اصطلاحا:

لا يبعد المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، قال المناويّ: العبرة والاعتبار: الاتعاظ، ويكون بمعنى الاعتداد بالشّيء في ترتيب الحكم.

ه- الوعظ لغة:

الوعظ مصدر من مادّة (وع ظ) الّتي تدلّ على التّخويف، والعظة: الموعظة، واتّعظ: تقبّل العظة، وهو تذكيرك إيّاه الخير ونحوه ممّا يرقّ له قلبه. وقال الجوهريّ: الوعظ: النّصح والتّذكير بالعواقب[1].

و- الوعظ اصطلاحا:

هو مستمد من المعنى اللغوي قيل: هو التّذكير بالخير فيما يرقّ له القلب. وقال الرّاغب: الوعظ زجر مقترن بتخويف.

٣-عرض مفهوم وسيلة وأساليب وأنشطة عرض العبر والعظات في العمل الدعوي

المقصد به هنا عرض ما فيه عبرة وعظة على المدعوين من القرآن والسنة وأخبار السابقين بهدف التأثير والإقناع وإقامة الحجة والبرهان.

وهو مما يحتاجه المسلم أن يذكر بالمواعظ والآيات التي تجدد الإيمان وتحييه في القلب، وأعظم المواعظ والآيات المذكرة التي تيقظ القلوب وتزيد في الإيمان وتنعش التقوى في النفوس آيات العبر والعظات في القرآن الكريم، بل هي التي تفتح الآفاق

---

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ١٢٦). والصحاح (٣/ ١١٨ وبصائر ذوي التمييز (٥/ ٢٤٠). ولسان العرب (٧/ ٤٦٦).

أمام الفكر الإنساني وتزود القلب بالمعارف، وتوجد فيه من المدارك والهداية ما لم يكن ليعرفها من قبل، مع ما يحصل له من العظة والاعتبار. قال تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾[(١)]، وبها يتحقق الخوف من الله والمراقبة له لمن هيأ الله قلبه لها قال تعالى: ﴿**وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً**﴾[(٢)]، وقال سبحانه: ﴿**وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً**﴾[(٣)].

والانتفاع بالعِظَة، هي - كما قال ابن القيم رحمه الله -: (نوعان: عِظة بالمسموع، وعظة بالمشهود .

١- فالعِظَة بالمسموع: الانتفاع بما يسمعه من الهدى والرشد والنصائح التي جاءت على لسان الرسل وما أوحي إليهم، وكذلك الانتفاع بالعظة من كل ناصح ومرشد في مصالح الدين والدنيا .

٢- والعِظَة بالمشهود: الانتفاع بما يراه ويشهده في العالَم من مواقع العِبَر، وأحكام القَدَر ومجاريه، وما يشاهده من آيات الله الدالة على صدق رسله) انتهى[(٤)] .

والقرآن الكريم مليء بآيات العبر والعظات المتضمن النوعين من خلال عرض أحوال السابقين ومواقف الرسل منهم وهم يقومون فيهم بالدعوة والبلاغ

(١) سورة الزمر: الآية (٢٣).

(٢) سورة الإسراء: الآية (٥٩).

(٣) سورة الإسراء: الآية (٦٠).

(٤) مدارج السالكين ، ١/ ٤٤٤.

وعرض المُنزل والبيان له، بل في كثير من هذا العرض لفت للرسل وأتباعهم إلى المرمى الرسالي والمغزى التبليغي والهدف الدعوي من ذلك، وفي بعضها أمر وتوجيه لهؤلاء الرسل وأتباعهم للاستفادة الدعوية والتبليغية من هذا العرض في لفت أنظار المدعوين إلى العبر والعظات لإقامة الحجة عليهم عند عدم الاستجابة والاتباع والاهتداء. وترك الزيغ والضلال والابتداع.

وأخبر الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم بأن هذه الآيات والكوارث العظيمة المعروضة ليس حصولها بمجرد سبب طبيعي مجرد فحسب، بل بسبب ما يرتكبه بنو آدم من الكفر والمعاصي والذنوب، حيث بيَّن سبحانه أنه قد أخذ بمثل هذه الآيات أُمماً كثيرة بسبب ما ارتكبوه من الكفر والمعاصي والذنوب، فقال سبحانه وهو يعدد أصناف ما أصاب به أولئك الأقوام بسبب ذنوبهم: ﴿**فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ منْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[(١)]، وقال عز وجل: ﴿**أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ**﴾[(٢)].

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٤٠).

(٢) سورة الأنعام: الآية (٦).

وفي هذا العنوان أستعرض بعض ما قام به الرسل أولو العزم من البلاغ والدعوة لأقوامهم بوسيلة عرض العبر والعظات كما عرضها القرآن نقتصر في ذلك على نماذج ندلل بها في الموضوع من ذلك:

النموذج الأول:

١ - آية فيها أمر و توجيه للرسل والدعاة لعرض القصص للعبر والعظات

١- قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾(١).

دلت على أن المراد من القصة هو الوقوف علي العبر والعظات التي فيها، وأنها ما كانت قصة مفتراة ولكنها تصديق لما جاء من قبل لأهل الكتاب، وتفصيل للشرائع، وهداية للخلق من الغواية والضلال، ورحمة للمؤمنين... وعليه فلن ينتفع بهذه الآيات إلا أولوا الألباب: أي أصحاب العقول الزكية الطاهرة، وهكذا سائر القصص في القرآن.

٢- الأمر بالسير في الأرض للهداية ولأخذ العبر والعظات: قال تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ**﴾(٢).

---

(١) سورة يوسف: الآية (١١١).

(٢) سورة آل عمران: الآيتان (١٣٧-١٣٨).

٥- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1].

النموذج الثاني:

ما وقع على أيدي بعض الرسل من آيات العبر والعظات في دعواتهم:

١- في المغرقين من قوم نوح آية وعبرة وعظة: قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1].

٣- في نجاة نوح عليه السلام ومن معه من الغرق آية وعبرة وعظة: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[2]، ولذلك كان كل الرسل من بعده يدعون أقوامهم بالاعتبار والاتعاظ بهذه الآية.

النموذج الثالث:

قيام الرسل بوسيلة التذكير بنعم الله والوعظ والعبر في دعواتهم:

أ - هود عليه السلام:

١- قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

---

(١) سورة النور: الآية (٣٤).

(١) سورة الفرقان: الآية (٣٧).

(٢) سورة العنكبوت: الآيتان (١٤-١٥).

مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) قَالُوا سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلا خُلُقُ الأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (١٣٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾[١].

ب – صالح عليه السلام: قام بذلك: قال تعالى: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[٢].

شعيب خطيب الأنبياء عليه السلام واستعماله وسيلة التذكير والعبرة والعظة:

نبي الله شعيب عليه السلام عرض في دعوته حال وخبر من سبقه من الأنبياء والمرسلين مع أقوامهم، ويذكر المدعوين بآيات الله فيهم التي كانوا بها عبرة وعظة،

(١) سورة الشعراء: الآيات (١٢٣-١٤٠).

(٢) سورة الأعراف: الآيتان (٧٣-٧٤).

ويدعوهم إلى الاعتبار بذلك وقد بسطت هذا العرض سورتان: الأعراف وهود ونكتفي بعرض ما جاء في سورة هود لأنها الأكثر تفصيلا:

١- قال تعالى: ﴿وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ وَ لا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَ الْمِيزانَ إِنِّي أَراكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (٨٤) وَيا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (٨٦) قالُوا يا شُعَيْبُ أَ صَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوالِنا ما نَشؤُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) قالَ يا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَما تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨) وَيا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أَصابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صالِحٍ وَما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٨٩) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠) قالُوا يا شُعَيْبُ ما نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَ إِنَّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفاً وَلَوْ لا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ وَما أَنْتَ عَلَيْنا بِعَزِيزٍ (٩١) قالَ يا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَراءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِما تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢) وَيا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣) وَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا شُعَيْباً وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ (٩٤) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَما

﴿بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[1]، هذا كنموذج وإلا فكل الرسل القرآن ذكر لهم القيام بذلك فليرجع إلى الآيات التي ذكر فيها ذلك.

النموذج الرابع:

ما وقع لبعض الرسل من آيات في عرضهم الدعوي فيها عبر وعظات:

أ – إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام وآيات النعم التي فيها عبر وعظات دعويا:

١ – آية رؤية إحياء الموتى: قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[1].

٢ – آية البلد الآمن الحرام بواد غير ذي زرع: قال تعالى: ﴿**رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾[2].

٣ – آية بناء البيت ومقام إبراهيم والحج إليه المخلدة إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾[3].

---

(١) سورة هود: الآيات (٨٤-٩٥).

(١) سورة البقرة: الآية (٢٦٠).

(٢) سورة ابراهيم: الآية (٣٧).

(٣) سورة آل عمران: الآيتان (٩٦-٩٧).

٤- آيات ملكوت السموات والأرض التي أراه الله إياها، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[1].

٥- آية إنجائه من حريق النار قال تعالى: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[3].

ب – موسى كليم الله عليه السلام وآيات العبر والعظات:

موسى عليه السلام ثالث أولي العزم حيث كانت رسالته إلى فئتين: فئة قوم فرعون الطاغية المتكبر المتأله، وفئة بني إسرائيل قوم موسى أصحاب المكر والكيد،

---

(١) سورة الأنعام: الآيت (٧٤-٧٨).

(٢) سورة الأنبياء: الآيات (٦٨-٧٢).

(٣) سورة العنكبوت: الآية (٢٤).

والتعنتات الكثيرة والطلبات التي لا تتوقف، والمخالفات التي لاتقف عند حد، لذا نلحظ أن عرض الآيات والعبر والعظات في هاتين الفئتين كثيرة وكبيرة خاصة والتذكير بها تعدد وتنوع، وقد أمر بذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾[1].

وآيات العبر والعظات منها ما هو متعلق بالنعم ومنها ما هو متعلق بالنقم، فمن قبيل عرض النعم، منح موسى تسع آيات مؤيدة له في دعوته لفرعون وقومه، وفيها عبر وعظات لمن بعدهم لا ينبغي لصاحب دعوة أن لا يذكر بها والمنصوص عليها في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا** ﴾[1].

وتفصيلها في سورة الأعراف قال تعالى: ﴿ **قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾[2]، الأعراف: (١٠٦) إلى آية (١٣٥) ثم تختم بالآية الكبرى ذات العظة والاعتبار إلى يوم القيامة والحجة للرسل وأتباعهم إلى يوم الدين في سزرة يونس والمتمثلة في هلاك فرعون وقومه، وجعل بدنه عبرة وعظة إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿ **وَجاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً**

(١) سورة ابراهيم: الآية (٥).

(١) سورة الإسراء: الآيتان (١٠١-١٠٢).

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٠٦).

وَعَدْواً حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ وَأَنا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ﴾[1]، وفي سورة الشعراء مزيد بيان وتفصيل لحدوث هذه الآية الكبرى وكيف أجراها الله عز وجل من آية: (٥٢– ٦٨) فليرجع إليها، وفي سورة الزخرف بيان جعلهم سلفا ومثلا للآخرين قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ**﴾[1]، هذا هو **الفصل الأول** من الآيات التي كانت في قوم فرعون الذي كذبوا نبي الله موسى وأخاه هارون عليهما السلام .

أما الفصل الثاني: وهي الآيات التي كانت مع قوم موسى وقد تناولتها أيضا سورة الأعراف من آية (١٥٥ إلى آية ١٦٠) تبدأ بآيات الرجفة بسبب عبادة العجل قال تعالى: ﴿ **وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ** ﴾، ثم آيات ثلاث: السقيا من الحجر لاثني عشر سبطا، وتظليل الغمام، وطعام المن والسلوى، وعقوبة الرجز من السماء، من آية (١٥٩) إلى آية (١٦٢) ثم آية المسخ قردة وخنازير بسبب الاعتداء على السبت، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ**﴾[2].

(١) سورة يونس: الآيات (٩٠-٩٢).

(١) سورة الزخرف: الآيتان (٥٥-٥٦).

(٢) سورة البقرة: الآيتان (٦٥-٦٦).

وآية التابوت والسكينة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

ومع هذه الآيات العظام والتذكير بها وعدم الانتفاع بها، يخاطبهم موسى عليه السلام بمن سبقهم من الأمم الذين جاءتهم رسلهم بالبينات فكفروا وأن الله غني عنهم فقال: ﴿ وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾[1].

ج – **عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام**: رابع أولي العزم من الرسل جعله الله آية في خلقه وتكوينه تحدثت عنها سورة مريم، وجعل حجته في قومه بني إسرائيل آيات محل عبرة وعظات تقيم الحجة عليهم أنه رسول من عند الله وجعل منه آيات – عبر وعظات– لما كذبوه مما يجدر بكل داعية أن يستفيد في وعظه وتذكيره من عرض هذه الآيات ذكرت في سورة المائد مجموعة في آية وبينت أنها ستكون على يديه بإذن الله وفيها من العبر والعظات ما فيها، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَ عَلى والِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلاً وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ

(١) سورة البقرة: الآية (٢٤٨).

(١) سورة هود: الآيتان (٨-٩).

الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[١]، ومن الآيات ما طلبها منه الحواريون تعنتا ليستدلوا بها على نبوته وهي نزول مائدة عليهم من السماء أنظر تفاصيلها في سورة المائدة من أية: (١١٠– ١١٥).

النموذج الرابع: نبينا محمد ﷺ خامس أولي العزم خاتم النبيين له من آيات العبر والعظات ما تفوق من سبقه من الأنبياء السابقين إلا آيات الاستئصال، وهي متعددة ومتنوعة، كما إنها تلازم أمته عند كل مخالفة أو ذنب أو معصية عامة، لذلك نلحظ في سيرة الرسول اهتمام بها في خطابه التذكيري الوعظي، كيف لا والقرآن الكريم المنزل عليه قد امتلأت به سوره، ويقص عليه ذلك، ويمتن سبحانه بذلك على نبيه بقوله: ﴿**كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا** ﴾[١]، ومن هذا القصص والإنباء: قوله تعالى: ﴿**نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾[٢]، **وأمر في القرآن بتلاوتها على أمته وإنبائهم بها والقصص بها في**

---

(١) سورة المائدة: الآية (١١٠).

(١) سورة طه: الآية (٩٩).

(٢) سورة القصص: الآية (٥).

أكثر من آية، نذكر بعضا من ذلك، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبا قُرْباناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قالَ إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ما أَنَا بِباسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَ إِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ وَ ذلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِين﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ساءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ أَنْفُسَهُمْ كانُوا يَظْلِمُونَ﴾[2].

(١) سورة المائدة: الآيات (٢٧-٢٩).

(١) سورة يونس: الآيتان (٧١-٧٢).

(٢) سورة الأعراف: الآيات (١٧٥-١٧٧).

في القرآن آيات فيها ذكر لآيات -عبر وعظات- جرت لنبينا محمد وهو يبلغ دعوته نذكر منها الآتي:

١- انشقاق القمر ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ**﴾[(١)]، قال ابن كثير: وقوله: ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾: قد كان هذا في زمان رسول الله-ﷺ-، كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة. وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: «خمس قد مضين: الروم، والدخان، واللزام، والبطشة، والقمر»[(١)]. وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أي انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي -ﷺ- وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات[(٢)].

٢- تغلب الفرس الروم ثم تغلب الروم الفرس في بضع سنين في الوقت الذي يتحقق به نصر للمؤمنين على المشركين في بدر، قال تعالى: ﴿**الم ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾[(٣)].

---

(١) سورة القمر: الآيتان (١-٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٤٧٦٧).

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٧٢/٧.

(٣) سورة الروم: الآيات (١-٧).

٣- آيات الإسراء والمعراج وما اشتملت عليه من عبر وعظات تحدث عنها رسول الله ﷺ وزكى ذلك القرآن قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[2]، فالآية الأولى تذكر حادثة الإسراء وما فيها من آيات، والثانية تشير إلى المعراج وما فيها من آيات كبرى.

٥- نزول عقوبة الدخان على أهل مكة ووقوع البطشة بهم قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾[1]، وقع هذا لِأَهْلِ مَكَّةَ ؛ لَمَّا لَجُّوا فِي الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ، وَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِينَ يُوسُفَ »، فَأَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ أَذْهَبَتْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى أَكَلُوا الْجِيفَ وَالْعَلْهَزَ (وَهُوَ وَبَرُ الْبَعِيرِ يُخْلَطُ بِدَمِهِ إِذَا نَحَرُوهُ)، وَأَصَابَهُمُ الْخَوْفُ

(١) سورة الإسراء: الآية (١).

(٢) سورة النجم: الآيات (١٣-١٨).

(١) سورة الدخان: الآيات (١٠-١٦).

الشَّدِيدُ بَعْدَ الْأَمْنِ؛ وَذَلِكَ الْخَوْفُ مِنْ جُيُوشِ رَسُولِ اللهِّ ﷺ، وَغَزَوَاتِهِ وَبُعُوثِهِ وَسَرَايَاهُ.

٦- وقوع العذاب الملازم لقريش في بدر وما بعده، قال تعالى: ﴿ **قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا** ﴾[1]، أَيْ: سَوْفَ يَكُونُ الْعَذَابُ مُلَازِمًا لَهُمْ غَيْرَ مُفَارِقٍ وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْعَذَابِ اللَّازِمِ لَهُمُ الْمُعَبَّرِ عَنْ لُزُومِهِ لَهُمْ، بِقَوْلِهِ: فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا، أَنَّهُ مَا وَقَعَ مِنَ الْعَذَابِ يَوْمَ بَدْرٍ، لِأَنَّهُمْ قُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ وَأُسِرَ سَبْعُونَ.

هذا بعض ما جاء في القرآن من عرض آيات العبر والعظات في عهد النبي محمد والأمة التي بعث فيها وما تركناه هو الكثير فكل غزواته التي قاتل فيها المكذبين من قريش والعرب والروم قد سجلها القرآن وبين فيها جوانب آيات العظة والاعتبار ولكن اكتفي بهذا العرض تجنبا للإطالة والله أعلم.

٣- فوائد وثمار العرض للعبر والعظات في العمل الدعوي:

من فوائد (الاعتبار)

(١) كثرة التّفكّر والاعتبار تقوّي الإيمان باللهّ عزّ وجلّ.

(٢) توسّع مدارك المؤمن وتدلّه على آيات اللهّ تعالى.

(٣) تكسب المؤمن خوفا من اللهّ عزّ وجلّ ومهابة من عقابه.

(٤) تجعله يعرف الدّنيا أنّها ظلّ زائل وأنّ الآخرة هي دار القرار.

---

(١) سورة الفرقان: الآية (٧٧).

(٥) يقنع المؤمن بما رزقه اللّه عمّا في أيدي النّاس.

(٦) يعيش المؤمن بسعادة واطمئنان.

من فوائد (الوعظ)

١- طريق موصل إلى الجنّة.

٢- ينير العقول ويصلح القلوب.

٣- حصول المحبّة والألفة بين المسلمين.

٤- يثمر السّعادة في الدّارين.

٥- يحفظ الإنسان من كيد الشّيطان[١].

(١) نضرة النعيم: ٣٨٦/٢ و ٣٦٢٩/٨.

المطلب الخامس

وسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأساليبه وأنشطته

١- مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في العمل الدعوي:

أ- الأمر في اللغة:

قال الخليل: «الأمر نقيض النهي، والأمر واحد من أمور الناس. والأمر الحادثة، والأمر بمعنى الحال والشأن، والجمع أمور »، والأمر بمعنى الطلب جمعه أوامر». فالأمر إذا في اللغة نقيض النهي، كما يأتي بمعنى الشأن، والحادثة، والحال، ويأتي بمعنى الطلب.

ب - الأمر في الاصطلاح:

وفي الكليات: «الأمر: استعمال صيغة دالة على طلب من المخاطب على طريق الاستعلاء»[١].

ج- المعروف في اللغة:

المعروف: ضد المنكر. وأمرت (بِالعُرْفِ) أي (بِالَمعْرُوفِ) وهو الخير و الرفق والإحسان ومنه قولهم (مَنْ كَانَ آمِرًا بِالَمعْرُوفِ فَلْيَأْمُرْ بِالَمعْرُوفِ) أي من أمر بالخير فليأمر برفق وقدر يحتاج إليه[٢].

---

(١) العين ٢٩٧/٨، وانظر: تهذيب اللغة ٢٨٩/١٥، ومعجم مقاييس اللغة ١٣٧/١، ، القاموس المحيط ص ٤٣٩. والصحاح ٥٨١/٢. ولسان العرب ٢٧/٤. المصباح المنير ٢٩/١. وتهذيب اللغة ٢٩٢/١٥. والمفردات ص ٨٨. والكليات ص ١٧٦.

(٢) المصباح المنير:٤٠٤/٢ وانظر تاج العروس::١٣٥/٢٤-١٣٦.

د ـ المعروف اصطلاحا:

عبارة عما كان عليه أمر الشرع من وجوب أو ندب . وضده: المنكر .

هـ النهي في اللغة:

النهي: خلاف الامر. ونهيته عن كذا فانتهى عنه وتناهى، أي كف. وتناهوا عن المنكر، أي نهى بعضهم بعضا. والنهية بالضم: واحدة النهى، وهى العقول، لأنها تنهى عن القبيح. فالنهي: لغة يعني: البيان والحبس ومنه النهي. والإنهاء الإبلاغ والنهاية الغاية ومنه بلغ نهايته(1).

و ـ المنكر لغة:

المنكر: الامر القبيح. والمُنْكَرُ من الأَمر خلاف المعروف، وكلُّ ما قبحه الشرع وحَرَّمَهُ وكرهه فهو مُنْكَرٌ وفي التنزيل العزيز ﴿لقد جئت شيئاً نُكْراً﴾. والنَّكِيرُ اسم الإِنْكارِ الذي معناه التغيير، وفي التنزيل العزيز [فكيف كان نَكِير] أَي إِنكاري والنَّكِيرُ والإِنكارُ تغيير المُنْكَرِ(2).

ه ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اصطلاحا:

ذكر الجرجاني عدة تعريفات اصطلاحية لكل من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي متقاربة المعنى يجمعها ما جاء في النهاية وهو: المعروف هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، والمنكر ضد المعروف وكل ما قبحه

---

(1) انظر الصحاح للجوهري:٣٦٧/٧ وتهذيب الأسماء واللغات: ٣٥٠

(2) اللسان: ٢٣٢/٥.

الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر، والمتبادر من المعروف الطاعات ومن المنكر المعاصي التي أنكرها الشرع[1] .

٢ - عرض مفهوم وسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأساليبه وأنشطته في العمل الدعوي(التأصيل):

نستهل الإيضاح عن مفهوم هذه الوسيلة بقول أبي بكر بن العربي رحمه الله: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل في الدين وعمدة من عمد المسلمين، وهو فرض على جميع الناس مثنى وفرادى بشرط القدرة عليه »[2] .

وبقول الإمام أبي حامد الغزاليّ- رحمه اللهّ-: «إنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدّين، وهو المهمّ الّذي ابتعث اللهّ له النّبيّين أجمعين، ولو طوي بساطه، وأهمل علمه وعمله لتعطّلت النّبوّة، واضمحلّت الدّيانة، وعمّت الفترة، وفشت الضّلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتّسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلّا يوم التّناد[3].

والقرآن الكريم يرتب الخيرية لهذه الأمة على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيقول تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[4].

---

(١) النهاية في غرب الحديث ، جـ ٣ ، ص ٢١٦ وجـ ٥ ، ص١١٥ ، وروح المعاني ، جـ ٤ ، ص ٢٨ . ولسان العرب في مادتي "ع ر ف ، ن ك ر.

(٢) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ، جـ٢ ، دار العلم للجميع ، ص ١٢.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٣٠٦)..

(٤) يمكن الرجوع إلى سورة آل عمران آية (١١٠)، سورة البلد آية (١٧)، سورة العصر آية (٣).

والتذكير بالخير والحق، والدعوة إليهما، والتنبيه إلى الشر والضرر والنهي عنهما، هو من صميم الأساليب التربوية الإسلامية لتنمية القيم والأخلاق في نفس المسلم، وفي الحديث الشريف: أن أبا ذر لما بلغه مبعث النبي -ﷺ- قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاسمع من قوله، فرجع فقال: «رأيته يأمر بمكارم الأخلاق»[1].

والنصح للخلق من شعائر الإيمان التي تميز بها أهل الحق من الأنبياء والرسل وأتباعهم، فقد كانت مهمتهم الأمر بالمعروف من إقامة التوحيد وعبادة الله، وإقامة العدل والتزام الأخلاق الفاضلة، والنهي عن المنكر من الشرك والعصيان والظلم والإفساد في الأرض. قال تعالى قاصاً ما قاله لقمان لابنه: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ**﴾[3].

وكان حَضُّ نبينا -ﷺ- من هذه الوظيفة أكبر من غيره، حيث أمر أمته بكل معروف، ونهاهم عن كل منكر. قال ابن تيمية -رحمه الله-: «قوله تعالى في صفة نبينا محمد -ﷺ- ﴿**يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[4]، هو بيان لكمال رسالته، فإنه -ﷺ- هو الذي أمر الله على لسانه بكل معروف، ونهى عن كل منكر، وأحل كل

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، الجزء الثامن، ص ١٦

(٢) سورة لقمان: الآية (١٧).

(٣) سورة هود: الآية (١١٦).

(٤) سورة الأعراف: الآية (١٥٧).

طيب، وحرم كل خبيث»[1].

وهذا الأمر بعينه هو سر أفضلية أمته الذين ساروا على هداه، وتأسوا به في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[2].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة اجتماعية، يقوم بها كافة المؤمنين رجالاً ونساء، كل بحسب قدرته. قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[3]، وقال الرسول ﷺ محملاً الأفراد مسئولية المجتمع: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان »[4]، فهو من أهم وظائف مجتمع المؤمنين إذا مكنهم الله في الأرض، وإقامته لازمة لاستمرار التمكين. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[5].

وعلى المجتمع أن يجند طائفة من أفراده للقيام بهذا الأمر والعناية به: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق د. صالح المنجد، ص١٠، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط: الأولى ١٣٩٦هـ.

(٢) سورة آل عمران: الآية (١١٠).

(٣) سورة التوبة: الآية (٧١).

(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم الحديث ٤٩ ١/ ٦٩.

(٥) سورة الحج: الآية (٤١).

﴿الْمُفْلِحُونَ﴾[1]، فالمجتمع المسلم يتكاتف أفراده رجالاً ونساء ويتعاونون في مجال الإصلاح، ونشر الخير ومنع الفساد في الأرض، في مقابل المنافقين الذين يسعون إلى عكس ذلك. قال تعالى واصفاً المؤمنين: **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾**[2]، وقال واصفاً المنافقين: **﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾**[3].

ويدل على أهمية هذه الشعيرة المباركة في مجابهة العاملين على إفساد المجتمع الإسلامي، وفي العمل على سلامته ونجاته من ذلك المثل الذي ضربه النبي ﷺ، حيث شبه المجتمع المسلم بالسفينة، فقال: « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً »[4].

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٤).

(٢) سورة التوبة: الآية (٧١).

(٣) سورة التوبة: الآية (٦٧).

(٤) رواه البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة... رقم ٢٤٩٣ ١٣٢/٥، وفي كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات رقم ٢٦٨٦ ٢٩٢/٥.

وبهذا يتبين أثر إقامة هذه الشعيرة الإيمانية الاجتماعية -الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- في تحصين المجتمع المسلم ضد تسلل الأفكار المخالفة والشرور المفسدة، وأنه دعامة يحفظ الله بإقامته مقومات المجتمع المسلم.

اعتمد القرآن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن النكر وسيلة رئيسة للدعوة إلى الله والزام البشرية بدينه الحق إلى يوم القيامة، وهي أهم وسيلة تناولها القرآن والبيان النبوي بالتفصيل، مبينا أنها مهمة رسله وأتباعهم، وهذا ما سنجليه في هذا العرض القرآني والبيان النبوي.

فنبي الله شعيب خطيب الأنبياء يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويقرر قاعدة لهذه الوسيلة لمن يقوم بها: قال الله تعالى حاكيا عنه، ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[1]، ويُفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُنْتَهِيًا عَمَّا يَنْهَى عَنْهُ غَيْرَهُ، مُؤْتَمِرًا بِمَا يَأْمُرُ بِهِ غَيْرَهُ.

- **عيّر الله وذم اليهود الذين كانوا يأمرون الناس بالبر ولا يفعلون ذلك:**

قال تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾[2]، قال قتادة في هذه الآية: كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه، وبالبر، ويخالفون، فَعَيّرهم الله، عز وجل. وكذلك قال السدي[3].

---

(١) سورة هود: الآية (٨٨).

(٢) سورة البقرة: الآية (٤٤).

(٣) تفسير ابن كثير:١/٢٤٦.

• **استحقاق كفار بني إسرائيل اللعن على لسان أنبيائهم لعدم تناهيهم عن المنكر المفعول من بعضهم:**

قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[1]، قال العَوْفِيّ، عن ابن عباس: لعنوا في التوراة و في الإنجيل وفي الزبور، وفي الفرقان.

• **يمدح الله المؤمنين من أهل الكتاب ويثني عليهم لقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللَّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَأُولئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾[2].

• **لقمان يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويأمر ابنه بذلك والصبر على ما يناله في سبيله.**

قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾[3]، دلت هذه الآيات الكريمة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانا واجبين في الأمم المتقدمة .

---

(١) سورة المائدة: الآية (٧٨).

(٢) سورة آل عمران: الآيات (١١٠-١١٥).

(٣) سورة لقمان: الآية (١٧).

ولخطورته ومكانة القائمين به ذم الله أهل الكتاب من اليهود لقتلهم الأنبياء والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وأحبط عملهم وحرمهم النصرة:

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**﴾[1].

ذكر ابن كثير في هذا الصدد ما رواه ابن أبي حاتم بسنده إلى أبي عبيدة بن الجراح، -رضي الله عنه- قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أشد عذابا يوم القيامة؟ قال: «رَجلٌ قَتَلَ نَبيا أوْ مَنْ أمر بِالْمَعْرُوفِ ونَهَى عَنِ الْمُنْكَر». ثم قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**﴾، الآية. ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يا أَبَا عُبَيْدَةَ، قَتَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلاثَةً وأَرْبَعين نَبيا، من أَوَّلِ النّهَارِ في ساعةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَامَ مِائَة وسَبْعُونَ رَجُلا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ، فأمَرُوا مَنْ قَتَلَهُم بالْمَعْرُوفِ ونَهَوْهُمْ عَنِ المنكرِ، فقتلوا جَمِيعًا مِنْ آخِرِ النَّهارِ مِنْ ذَلكَ اليَوْمِ، فَهُم الذِينَ ذَكَرَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ»[2].

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان (٢١-٢٢).

(٢) تفسير ابن كثير:٢٧/٢ والحديث أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١/١) والطبري في تفسيره (٢٨٥/٦) وأبو عبيد الوصابي لم يدرك محمد بن حمير كما ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، وقد توبع أبو عبيد، تابعه عبد الوهاب بن نجدة، فرواه البزار من طريق عبد الوهاب بن نجدة عن محمد ابن حمير به. ثم قال البزار: لا نعلم له عن أبي عبيدة غير هذه الطريق، ولم نسمع أحدا سمى أبا الحسن هذا الذي روى عنه محمد بن حمير. وقال الحافظ ابن حجر: «فيه أبو الحسن مولى بني أسد وهو مجهول».

قيام نبينا محمد -ﷺ- بوسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي صفة مميزة له في الكتب والأديان السابقة: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

- **الأمر للنبي محمد صلى الله عليه وسلم الرسول الخاتم للقيام بوسيلة الأمر بالمعروف وأمر أمته بذلك:**

قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ﴾[2].

قال ابن عاشور: أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ بِأَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ بِكُلِّ خَيْرٍ وَصَلَاحٍ فَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْعُمُومِ الْمُشْرِكُونَ دُخُولًا أَوَّلِيًّا لِأَنَّهُمْ سَبَبُ الْأَمْرِ بِهَذَا الْعُمُومِ أَيْ لَا يَصُدَّنَّكَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْ إِعَادَةِ إِرْشَادِهِمْ وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾[3]،[4].

- **الأمر لأمة محمد بأن ينصبوا جماعة منهم ليقوموا بوسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٥٧).

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٩٩).

(٣) سورة النساء: الآية (٦٣).

(٤) التحرير والتنوير: ٢٢٨/٩.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1]، والمقصود من هذه الآية أن تكون فرْقَة من الأمَّة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه. فلا بد من جماعة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر كما يقول سيد قطب[2]: **استحقاق هذه الأمة صفة الخيرية على سائر الأمم لقيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتابِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ**﴾[3]، قال سيد: وقد سبق في السياق الأمر التكليفي للجماعة المسلمة أن ينتدب من بينها من يقومون بالدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما هنا فقد وصفها الله سبحانه بأن هذه صفتها . ليدلها على أنها لا توجد وجوداً حقيقياً إلا أن تتوافر فيها هذه السمة الأساسية، التي تعرف بها في المجتمع الإنساني [4].

من خير النجوى والكلام الأمر بالمعروف: قال تعالى: ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾[5]،[6].

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٤).

(٢) في ظلال القرآن/١/٤١٣-٤١٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية (١١٠).

(٤) في ظلال القرآن:١.٤١٧-٤١٨.

(٥) سورة النساء: الآية (١١٤).

(٦) وقد روى هذا الحديث الترمذي برقم (٢٤١٢) وابن ماجه برقم (٣٩٧٤) من حديث محمد بن يزيد بن خُنَيس عن سعيد بن حسان، به. ولم يذكرا أقوال (١٠) الثوري إلى آخرها، ثم قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن خُنَيس ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت برقم (١٤) من طريق محمد بن يزيد بن خنيس بنحو سياق ابن مردويه.

ومن صفات المؤمنين والمؤمنات الذين تحققت لهم ولاية بعضهم لبعض ونيل رحمة الله، قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

- **من صفات البائعين أنفسهم من الله أنهم آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

- **من مهام ومسؤولية السلطان في الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[3].

---

(١) سورة التوبة: الآية (٧١).

(٢) سورة التوبة: الآيتان (١١١-١١٢).

(٣) سورة الحج: الآية (٤١).

بعد هذ العرض القرآني فليعلم أنه -ﷺ- كما وصفه ربه تعالى آمرا بالمعروف إذا رآه متروكا، ناهيا عن المنكر إذا وجده مفعولا . ولم يقتصر احتسابه على جانب من جوانب الحياة، بل شمل جميع شئون الحياة كلها، لذلك أضع بين يدي القارئ أربعة نماذج تطبيقية من رسول الله -ﷺ- لهذه الوسيلة الهامة والتي تمثل نشاطا دعويا اشترك معه فيه بعض أصحابه يأخذ الداعية منه الدرس في القيام بهذه الوسيلة وممارستها:

١- ما رواه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، قال: «أمرني رسول الله أن آتيه بمدية - وهي الشفرة - فأتيته بها فأرسل بها، فأرهفت، ثم أعطانيها، وقال « اغد علي بها » ففعلت، فخرج بأصحابه إلى أسواق المدينة، وفيها زقاق خمر قد جلبت من الشام، فأخذ المدية مني، فشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته، ثم أعطانيها وأمر أصحابه الذين كانوا معه أن يمضوا معي، وأن يعاونوني، وأمرني فلم أترك في أسواقها زقا إلا شققته »[1] .

٢- عن عبد اللهّ بن عبّاس- رضي اللهّ عنهما- أنّ رسول اللهّ -ﷺ-، رأى خاتما من ذهب في يد رجل. فنزعه فطرحه وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده» فقيل للرّجل بعد ما ذهب رسول اللهّ -ﷺ-: خذ خاتمك انتفع به. قال: لا، واللهّ لا آخذه أبدا وقد طرحه رسول اللهّ -ﷺ-[2].

(١) المسند رقم الحديث ، ٦١٦٥ ، ٩ ٢٧ - ٢٨ .

(٢) مسلم (٢٠٩٠).

٣- عن أبي حميد السّاعديّ- رضي اللهّ عنه- أنّ النّبيّ -ﷺ- استعمل ابن اللّتبيّة على صدقات بني سليم، فلمّا جاء إلى رسول اللهّ -ﷺ- حاسبه، قال: هذا الّذي لكم وهذه هديّة أهديت لي، فقال رسول اللهّ -ﷺ-: «فهلّا جلست في بيت أبيك وبيت أمّك حتّى تأتيك هديّتك إن كنت صادقا؟ ثمّ قام رسول اللهّ -ﷺ- فخطب النّاس وحمد اللهّ وأثنى عليه. ثمّ قال: «أمّا بعد فإنّي أستعمل رجالا منكم على أمور ممّا ولّاني اللهّ، فيأتي أحدكم فيقول: هذا لكم وهذه هديّة أهديت لي، فهلّا جلس في بيت أبيه وبيت أمّه حتّى تأتيه هديّته إن كان؟ فو اللهّ لا يأخذ أحدكم منها شيئا. قال هشام: بغير حقّه- إلا جاء اللهّ يحمله يوم القيامة، ألا فلأعرفنّ ما جاء اللهّ رجل ببعير له رغاء[١]. أو ببقرة لها خوار[٢]، أو شاة تيعر[٣]، ثمّ رفع يديه حتّى رئي بياض إبطيه فقال: اللّهمّ هل بلّغت»؟[٤].

٤- عن عبد اللهّ بن جعفر- رضي اللهّ عنهما- قال: أردفني رسول اللهّ -ﷺ- ذات يوم فأسرّ إليّ حديثا لا أحدّث به أحدا من النّاس، وكان أحبّ ما استتر به رسول اللهّ -ﷺ- لحاجته هدفا[٥]. أو حائش نخل، قال: فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلمّا رأى النّبيّ -ﷺ- حنّ وذرفت عيناه، فأتاه النّبيّ -ﷺ-فمسح

(١) الرغاء: صوت الإبل.

(٢) الخوار: صوت البقر.

(٣) تيعر: صوت الشاة وهي تصيح.

(٤) البخاري- الفتح ١٣ (٧١٩٧) واللفظ له. ومسلم (١٨٣٢).

(٥) هدفا: الهدف ما ارتفع من بناء ونحوه.

ذفراه [1] فقال: «من ربّ هذا الجمل. لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول اللهّ. فقال: أفلا تتّقي اللهّ في هذه البهيمة الّتي ملّكك اللهّ إيّاها فإنّه شكا إليّ أنّك تجيعه وتدئبه[2].

وبعد وفاة الرسول ﷺ، قام خلفاؤه وأصحابه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خير قيام، وامتد اهتمام المسلمين بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قرونا طويلة، وكان من نتائج القيام بهذا الواجب العظيم أن عاش المجتمع الإسلامي في أنظف حياة وأسعدها وآمنها، لا يكاد يقع فيه منكر حتى يتتابع الإنكار له ويتداعى المسلمون إليه فيقضى عليه في مهده، وبهذا عاش مجتمعا مهيبا، طاهرا، لا يتوقح فيه أهل الفساد، ولا يتجرأ فيه أهل المعصية، وكانت العزة فيه لله ولرسوله وللمؤمنين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والحافظين لحدود الله، حتى خلفت بعد ذلك خلوف، جعلوا الدنيا أكبر همهم، ومبلغ علمهم، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم، فتقطع بينهم، وانفرط عقدهم، فلم يأمروا بمعروف ولم ينهوا عن منكر، إلا قليل ممن رحم ربك فكان ذلك سبب ما أصابهم من ذل واستعمار وفقر ودمار: ﴿ **وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾[3]، [4].

---

(١) ذفراه: ذفرى البعير الموضع الذي يعرق من قفاه.

(٢) تدئبه: تتعبه وتشقيه.

(٣) سورة النحل: الآية (٣٣).

(٤) عبد العزيز عبد الستار، الأمر والنهي عن المنكر، بيروت، المكتب الإسلامي ١٤٠٠ هـ، ص ٨.

وهذا نموذج تطبيقي لما كان عليه سلفنا الصالح من قيامهم بوسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع وفي الولاة وذوي السلطان:

١- دخل معاوية يوما مسجد دمشق وجلس على المنبر. فناداه أبو مسلم الخولانيّ قائلا: يا معاوية إنّما أنت قبر من القبور، إن جئت بشيء كان لك شيء، وإن لم تجأ بشيء لك. يا معاوية لا تحسبنّ الخلافة جمع المال وتفرّقه، ولكنّ الخلافة العمل بالحقّ، والقول بالمعدلة، وأخذ النّاس في ذات الله- عزّ وجلّ-، يا معاوية إنّنا لا نبالي بكدر الأنهار ما صفا لنا رأس عيننا، وأنت رأس عيننا. يا معاوية إيّاك أن تحيف على قبيلة من قبائل العرب، فيذهب حيفك بعدلك[1].

٢- طاوس بن كيسان اليماني، عابد ومولى من الموالي، ليس له أسرة عريقة من أسر العرب، ولكن رفعه الله بالتقوى والعلم، كان زاهداً من علماء اليمن من تلاميذ ابن عباس رضي الله عنهما وأرضاهما. ذهب إلى اليمن فكان يقول الحق ولو كان مراً، دخل على محمد بن يوسف -أخي الحجاج بن يوسف الثقفي وكان ظالماً غاشماً مارداً سفاكاً للدماء- فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر، فأعطاه مرة كساءً فأخذه من على رأسه، ووضعه تحت أرجله في الأرض، فقال: مالك؟ قال: ما أتيتك لتكسوني، وإنما أتيتك لآمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر. قال له: وهل عندي منكر؟ قال: الظلم فاشٍ، أي: منتشر.

(١) الآمرون بالمعروف في الإسلام للمنجد (٥٢).

٣- الأوزاعي الإمام العظيم لما سئل عنه بعض أهل العلم قال: لا يسأل عن مثله، ريحانة أهل الشام. أتى عبد الله بن علي عم السفاح وعم أبي جعفر ففتح دمشق وقتل من صلاة الفجر إلى صلاة الظهر اثنين وثلاثين ألف مسلم يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون الصلوات الخمس، سفك دماءهم حتى جرت السكك بالدماء، وأدخل بغاله وخيوله مسجد بني أمية ثم جلس في المسجد، وقال: من يعارضني؟ قال له وزراؤه لا يعارضك أحد، قال: هل تعلمون أحداً يمكن أن يقول لي: لا؟ قالوا: إن كان أحد يقول لك لا فـ الأوزاعي قال: عليَّ بـ الأوزاعي. فلما ذهبوا إلى الأوزاعي قام عبد الله بن علي فدخل قصره، وقال لجنوده: صفوا صفين، واحملوا السيوف معكم حتى نرهب الأوزاعي المحدث العالم، علَّه أن يتخاذل في كلامه معنا.

ذهبوا إلى الأوزاعي فقالوا: يريدك عبد الله بن علي عم السفاح قال: الله المستعان! انتظروني قليلاً، فذهب فاغتسل، ولبس أكفانه من تحت الثياب، وأتى معه عصا يتوكأ عليها وهو في الستين، بينه وبين القبر قاب قوسين أو أدنى! ماذا يريد بعد الستين؟ يقول سفيان الثوري: (من بلغ منكم الستين فليأخذ كفناً له وليبع الدنيا بلا شيء).

قال: فدخلت عليه وفي يد عبد الله بن علي خيزران، وقد غضب وعلى جبينه عرق من الغضب، قال: من أنت؟ قال: أنا الأوزاعي. قال: ما رأيك في الدماء التي سفكناها؟ قال: لا يجوز لك ولا يحل لك، حدثني فلان -حتى السند يحفظه- عن فلان عن فلان. عن جدك ابن عباس عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: ﴿ لا يحل دم امرئ

مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة ﴾.

فنكت بالخيزران في الأرض وحوله الوزراء، فرأيتهم يتقبضون ثيابهم خوفاً من دمي لا يرش ثيابهم، والأوزاعي أخذ يرفع عمامته يتهيأ لضربة السيف كي لا يتلكأ السيف في العمامة. قال: فرفع طرفه، وقال: والأموال التي أكلناها.

قال: قلت له: إن كان حلالاً فحساب، وإن كانت حراماً فعقاب.

قال: خذ من أموالنا ما شئت. قلت: لا أريد أموالك.

قال: فسلم لي بدرة -البدرة كالكيس فيه مال- قال: فوزعتها على الجنود وهو يراني، حتى بقي كيس النقود فرميت به عند أرجله، قال: فغضب غضباً ما غضب مثله أبداً، وانتظرت متى يضرب بالسيف.

ثم قال لي: اخرج، فخرج والناس عند الباب، فقالوا: كيف نجاك الله يا أوزاعي؟

قال: والله الذي لا إله إلا هو لما دخلت عليه تصورته على كرسيه كالذباب، والله ما تذكرت إلا الله بارزاً على كرسيه يوم العرض الأكبر. سبحان الله! لأن من يقدر الله يهون عليه كل شيء.

٣- ضوابط وآداب العمل الدعوي بوسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقد عني بعض العلماء بذكر واستنباط القواعد والمبادئ العامة التي تحكم الطريقة التي تقام بها فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدوها من الآداب والضوابط التي ينبغي للداعية أن يحيط بها علماً وأن يتبعها حتى يكون متأسياً بالنبي ﷺ، وأهم هذه الآداب والقواعد والمبادئ العامة التي تعد ضوابط للعمل الدعوي في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما يلي:

أولا: الشريعة الإسلامية هي الأصل في تقرير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يقول ابن أبي جمرة: « تعلق اسم المعروف على ما عرف بأدلة الشرع من أعمال البر سواء جرت به العادة أم لا »[1] .

ثانيا: العلم والبصيرة بحقيقة ما يؤمر به وحقيقة ما ينهى عنه.

فيعلم ما هو المنهي عنه شرعا حتى ينهى عنه، ويعلم ما هو المأمور به شرعا حتى يأمر الناس به، فإنه إن أمر ونهى بغير علم فإن ضرره يكون أكثر من نفعه، لأنه قد يأمر بما ليس بمشروع، وينهى عما كان مشروعا وقد يحلل الحرام ويحرم الحلال وهو لا يعلم.«جاء في الأثر عن بعض السلف ورووه مرفوعا - ذكره القاضي أبو يعلى في المعتمد: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمر به، فقيها فيما ينهى عنه، رفيقا فيما يأمر به، رفيقا فيما ينهى عنه، حليما فيما يأمر به، حليما

(١) فتح الباري ، ج١ ، / ٣٤٢ .

فيما ينهى عنه »[1].

ثالثا: معرفة شروط إنكار المنكر:

إنَّ لإنكار المنكر شروطا يجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يعرفها ويراعيها عند إزالته للمنكر، حتى لا يقع أثناء تغييره للمنكر في منكر مساوٍ أو أكبر منه، وهذه الشروط هي:

١- التحقق من كونه منكرا.

٢- أن يكون المنكر موجودا في الحال: بأن يكون متوقعا، أو صاحبه متلبسا به، أونحو ذلك.

٣- أن يكون ظاهرا من غير تجسس ما لم يكن مجاهرا به. قال تعالى: ﴿ يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مّنَ الظّنّ إِنّ بَعْضَ الظّنّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسّسُواْ وَلاَ يَغْتَب بّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتّقُواْ اللّهَ إِنّ اللّهَ تَوّابٌ رّحِيمٌ ﴾[2].

رابعاً: أن يكون الإنكار في الأمور التي لا خلاف فيها:

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلاّ مَن رّحِمَ رَبّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمّتْ كَلِمَةُ رَبّكَ لأمْلأنّ جَهَنّمَ مِنَ الْجِنّةِ وَالنّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[3]، ذكر الإمام الغزالي رحمه الله من شروط الحسبة: أن يكون المنكر منكرًا معلوما بغير اجتهاد، فكل ما هو محل الاجتهاد فلا حسبة فيه[4].

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص١٨، وانظر مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة، ص ١٣١.

(٢) سورة الحجرات: الآية (١٢).

(٣) سورة هود: الآيتان (١١٨-١١٩).

(٤) انظر إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي، ٢/ ٤٠٢، وتذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٤٦.

خامسا: معرفة مراتب إنكار المنكر:

وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون بقدر الاستطاعة، لحديث أبي سعيد في صحيح مسلم: أن النبي -ﷺ- قال: « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»، وفي حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» أي لم يبق بعد هذا من الإنكار ما يدخل في الإيمان حتى يفعله المؤمن ويثاب عليه، بل الإنكار بالقلب آخر حدود الإيمان.

سادسا: تقديم الأهم على المهم وتقديم الكليات على الجزئيات:

إن البدء بالأهم فالأهم وتقديم الكليات على الجزئيات من القواعد التي تحكم القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك بأن يبدأ الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بإصلاح أصول العقيدة، فيأمر بالتوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، وينهى عن الشرك والبدع والشعوذة، ثم يأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ثم بقية الفرائض وترك المحرمات، ثم أداء السنن وترك المكروهات.

سابعا: اعتبار المصالح ودرء المفاسد:

من القواعد المهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اعتبار المصالح، فيشترط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »أن لا يؤدي إلى مفسدة أعظم من المنكر أو مثله»، فإن كان إنكار المنكر يستلزم حصول منكر أعظم منه، فإنه يسقط وجوب الإنكار، بل لا يسوغ الإنكار في هذه الحالة. قال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ**

﴿إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1]، فالشريعة الإسلامية جاءت باعتبار المصالح ودرء المفاسد، فلا يجوز تغيير المنكر بمنكر أشد منه، أو مثله، فعلى الدعاة إلى الله أن يتنبهوا إلى هذه القاعدة عند أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

ثامنا: التثبت في الأمور وعدم العجلة:

على الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر، الداعي إلى الله تعالى التأكد من كل أمر والتثبت بشأنه، وعدم التسرع والعجلة، فقد ذم الإسلام الاستعجال ونهى عنه، كما ذم الكسل والتباطؤ، ونهى عنه، ومدح الأناة والتثبت فيها. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[2]، قرأ الجمهور (فَتَبَيَّنُوٓاْ) من التبين، وهو التأمل، وقرأ حمزة والكسائي: (فَتَثَبَّتُوا)، والمراد من التبين التعرف والتفحص، ومن التثبت: الأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر[3].

وليعلم الداعي إلى الله أن التسرع والعجلة وعدم النظر في العواقب يسبب الفشل والندامة له ولدعوته.

٤- فوائد وثمار القيام بوسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يجمل الإمام محمد بن علي الشوكاني - رحمه الله - هذه الفوائد التي يثمرها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في الأمة والأثر العكسي للتفريط في ذلك فيقول:

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٠٨).

(٢) سورة الحجرات: الآية (٦).

(٣) تفسير الطبري، ١/ ٥١٥.

«فاعلم أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر هما من أعظم عُمُد الدين، لأن بهما حصول مصالح الحياة الأولى والأخرى، فإن كانا قائمين قام بقيامها سائر الأعمدة الدينية، والمصالح الدنيوية، وإن كانا غير قائمين لم يكثر الانتفاع بقيام غيرهما من الأمور الدينية والدنيوية.

وبيان ذلك: أن أهل الإسلام إذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم ثابت الأساس، والقيام به هو شأن الكل والأكثر من الناس، والمعروف بينهم معروف، وهم يد واحدة على إقامة من زاغ عنه، ورد غواية من فارقه، والمنكر لديهم منكر، وجماعتهم متعاضدة عليه متداعية إليه، متناصرة على الأخذ على يد فاعله وإرجاعه إلى الحق، والحيلولة بينه وبين ما قارفه من الأمر المنكر، فعند ذلك لا يبقى أحد من العباد في ظاهر الأمر تاركاً لما هو معروف، ولا فاعلاً لما هو منكر، لا في عبادة، ولا في معاملة فتظهر أنوار الشرع، وتطلع شموس العدل، وتهب رياح الدين، وتعلن كلمة الله في عباده، وترتفع أوامره ونواهيه، وتقوم دواعي الحق، وتسقط دواعي الباطل، وتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو المرجوع إليه، والمعول عليه، وكتابه الكريم وسنة رسوله المصطفى ﷺ هما المعيار الذي توزن به أعمال العباد، وترجع إليهما في دقيق الأمور وجليلها، وبذلك تنجلي ظلمات البدع، وتنقصم ظهور أهل الظلم، وتنكسر نفوس أهل معاصي الله، وتخفق رايات الشرع في أقطار الأرض، ويضمحل جولان الباطل في جميع بلاد الله عز وجل.

وأما إذا كان هذان الركنان العظيمان غير قائمين، أو كانا قائمين قياماً صورياً لا حقيقياً، فهناك كم من بدع تظهر، وكم من منكرات تستبين، وكم من معروف يخفى، وكم من جولات للعصاة وأهل البدع تقوى وترتفع، ومن ظلمات بعضها فوق بعض تتراكم، فتعمى الطريق السوي على الناس، ومن هرج يمرج في العباد، ويبرز للعيان، وتقر به عين الشيطان، وعند ذلك يكون المؤمن كالشاة، والعاصي كالذئب المفترس. وهذا بلا شك ولا ريب يقضي بمحو رسوم الدين، وذهاب نور الهدى وانطماس معالم الطريق» [1].

ويضيف الشيخ ابن حميد فوائد وثمار في بعضها إجمال لما ذكره الإمام الشوكاني فيقول:

من فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

(١) دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.

(٢) الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر صمام أمن الحياة وضمان سعادة الفرد والمجتمع.

(٣) يثبّت معاني الخير والصّلاح في الأمّة.

(٤) يزيل عوامل الشّرّ والفساد من حياتها ويقضي عليها أوّلا فأوّلا حتّى تسلم الأمّة وتسعد.

(١) رسالة: شرح الصدور بتحريم رفع القبور، لمحمد بن علي الشوكاني، ص٣٣، ٣٤، ضمن مجموعة رسائل، نشر الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط السادسة ١٤١١.

(٥) يهيّأ الجوّ الصّالح الّذي تنمو فيه الآداب والفضائل وتختفي فيه المنكرات والرّذائل ويتربّى في ظلّه الضّمير العفيف والوجدان اليقظ.

(٦) يكوّن الرّأي العامّ المسلم الحرّ الّذي يحرس آداب الأمّة وفضائلها وأخلاقها وحقوقها ويجعل لها شخصيّة وسلطانا هو أقوى من القوّة وأنفذ من القانون.

(٧) يبعث الإحساس بمعنى الأخوّة والتّكافل والتّعاون على البرّ والتّقوى واهتمام المسلمين بعضهم ببعض.

(٨) هو سبب النّجاة في الدّنيا والآخرة.

(٩) هو سرّ أفضليّة هذه الأمّة. لقوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾[١].

(١٠) هو سبب للنّصر والتّمكين في الدّنيا[٢].

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١١٠).

(٢) نضرة النعيم:

الفصل الثاني

الوسائل والأساليب والأنشطة العملية وما في حكمها وفيه أربعة مباحث.

المبحث لأول: وسائل وأساليب وأنشطة التواصل الفردي والجماعي والجماهيري وفيه ثلاثة مطالب

المبحث الثاني: وسائل وأساليب وأنشطة (التربية) وفيه خمسة مطالب.

المبحث الثالث: وسائل وأساليب وأنشطة الأعمال المجتمعية وفيه خمسة مطالب.

المبحث الرابع: وسائل وأساليب وأنشطة القوة والإلزام بالحق وفيه أربعة مطالب.



المبحث لأول

وسائل وأساليب وأنشطة التواصل الفردي والجماعي والجماهيري في العمل الدعوي وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: وسائل وأساليب وأنشطة التواصل الفردي

المطلب الثاني: وسائل وأساليب وأنشطة التواصل الجماعي

المطلب الثالث: وسائل وأساليب وأنشطة التواصل الجماهيري

المطلب الأول

وسائل وأساليب وأنشطة التواصل الفردي

١ – مفهوم التواصل الفردي لغة واصطلاحا:

أ ـ التواصل الفردي لغة:

يعني: التبليغ والدعاء والتواصل والذريعة ووصل الشيء بغيره كما أنه ضد الهجران والتصارم والتقاطع.

ب ـ التواصل الفردي اصطلاحا:

هو عملية يتم فيها تبادل المفاهيم والمناشط بين الأفراد بوسيلة الخطاب أو الكتابة أو الإشارة أو الاحتكاك أو الخلطة ونحو ذلك.

كما أن الاتصال هو أي عنصر يساعد على توصيل رسالة أو معنى أو مفهوم أو حقيقة أو فكرة أو نقلها من شخص لآخر. والعمل الدعوي أساسه اتصال وتواصل فإذا فقد ذلك لن يكون هناك أي عمل دعوي.

ج – التواصل الفردي في العمل الدعوي (الدعوة الفردية):

المراد به قيام كل فرد من أفراد العاملين في حقل العمل الدعوي بواجب الاحتكاك المقصود الهادف بعناصر جديدة بوسائل وأساليب وأنشطة متنوعة، محاولا جذبها إلى مفاهيم العمل الدعوي والاقناع بالفكرة أولاً، والانضمام إلى ميادين أعماله العامة والمتنوعة ثانيا.

وحري بصاحب الفكرة الدعوية أن يحاول الاستفادة من كافة العلاقات والظروف لطرح أفكار وأنشطة العمل الدعوي ومحاولة إقناع الآخرين بها، وبالتالي الخروج بطبيعة تواصله واتصاله من نطاقه (التجريدي) العفوي إلى النطاق (الموجه) الذي يخدم العمل الدعوي ويفتح أمامه كثيرًا من الأبواب والمنطلقات.

ونذكر بأن التواصل الدعوي الفردي هو رسالة متنقلة يحملها الداعية الميداني إلى كل مكان، إنه لن يعاني كما يعاني المربي، لأنه ليس مخاطبا بالنتيجة ومحاسبا عليها كذلك، ولكنه يحمل قضية الإسلام كدين يجوب بها في كل مكان، إنه يخاطب كل البشر، ويدعو كل الطوائف، وينصح كل الناس، ويحاور كل الأجناس، ويتداخل مع كل الأنواع والأصناف .

٢ - عرض مفهوم وسائل وأساليب وأنشطة التواصل الفردي في العمل الدعوي

التواصل الفردي في العمل الدعوي اهتم به جميع الرسل وأتباعهم كما بينه القرآن، وسبق بيانه في الجزء الأول، لكن نبينا محمد -ﷺ- تميز فيه بقوة الاهتمام به من حيث القيام به ومن اتبعه، ومن حيث التنوع في وسائل الاتصال ومن يتصل به، وبأساليب متعددة ومتنوعة كان يمارسها في دعوة الأفراد أو الجماعات أو الجمهور، مما يجعل اختصاصا في هذه الوسيلة التي كانت موضع تجديد وتطوير من عهد الرسول -ﷺ- إلى عصرنا هذا إلى ما شاء الله.

واعتمد الرسول هذا الاتصال الفردي في العمل الدعوي وسيلة عظيمة، وقد كانت أول وسيلة دعا بها رسول الله -ﷺ-، في مرحلة السرية، ثم استمرت كوسيلة هامة في المرحلة العلنية، وفي جميع المراحل التشريعية وبناء الدولة حتى لحق بالرفيق الأعلى.

وكانت البداية فيها في الأقارب والأصدقاء حيث بدأ الرسول -ﷺ- فيها بأقرب الناس إليه، وأقربهم إلى قبول الحق والهدى، حتى تكونت النواة الأولى للدعوة من السابقين الأولين، وهم أشد الناس قناعة، وتصديقاً بالوحي، وأشدهم حباً وولاءً للرسول -ﷺ-، ثم كانت الدعوة العامة بعد ذلك .

وكان الاهتمام النبوي بها في هذه المراحل بمثابة وضع اللبنات الأساسية للدولة الإسلامية عن طريق الدعوة الفردية التي أثّرت في الناس أيما تأثير فجعلت الأفراد المتمسكين بهذا الدين مضّحين له بالغالي والنفيس.

وجاء التواصل النبوي الشريف الفردي مؤكدا هذا المنحى حيث خاطب -ﷺ- قومه وأهله في مكة بالأسلوب الذي يتناسب مع الوضع القائم في أول نزول الوحي، فكان الخطاب عن طريق الدعوة السِّرية بما يصون مسيرة الداعية، ولذلك أمره تعالى بالصبر: ﴿ **وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ** ﴾[1].

وكان تواصله واتصالاته وخطابه وسط الذين تربطهم به صلاة وخلطة مثل: زوجته ومولاه وربيبه وصديقه وكل من يطمئن إلى أنهم يكتمون سره. ودخل خِيار

(١) سورة المدثر: الآية (٧).

أصحابه في الإسلام عن طريقها، فقد آمن بالدعوة الفردية أبو بكر، وعلي، والسيدة خديجة، وزيد بن حارثة رضي الله عنهم أجمعين، لما عرض النبي -ﷺ- عليهم الإسلام، قبل أن يسمعوا خطبة، أو يحضروا درساً، وآمن بدعوة أبي بكر- الفردية - عدد كبير جداً من الصحابة، وهذا كله عبر الاتصال الفردي .

كما أنه كان من أوائل الصحابة رضي الله عنهم إسلاماً، أفراد جاءوا من قبائل شتى، فمنهم من علم بدعوة الرسول -ﷺ- في مكة كضمام بن ثعلبة، ومنهم من علم بها في قومه كأبي ذر -رضي الله عنه- فجاء إلى مكة فأسلم، والنبي -ﷺ- بمكة في أول الإسلام، فكان رابع أربعة، وقيل خامس خمسة. وفي رواية البخاري من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قصة قدوم أبي ذر إلى مكة ليسلم مزيد بيان وإيضاح[1]، وعن محمد بن كعب: قال أبوبكر: « أنا أول من أظهر الإسلام، وكان علي يكتم الإسلام فرقاً من أبيه، حتى لقيه أبوطالب، فقال: أسلمت؟ قال: نعم، قال: آزر ابن عمك وانصره[2]، ولا شك أنّ طابع السرية كان أمراً لازماً حيث ساد الطغيان وسيطر أهل الشرك واستحالت الحجة بالحجة وقوبل الرأي بالتعذيب والإرهاب.

واستمر التواصل الفردي الدعوي في المرحلة التالية - مرحلة الجهر بالدعوة - مع ما ألزم به الرسول من الخطاب الجماعي والجماهيري في المرحلة المكية - والتي سيأتي الحديث عنها لاحقا- مستعملا وسيلة الخطاب بوسيلة النداء وغيرها من

---

(١) انظر: مختصر صحيح البخاري (المسمى التجريد الصريح). للزبيدي. برقم(١٤٧٠) ص٣٣١ .

(٢) المحب الطبري. الرياض النضرة في مناقب العشرة. ٧٩/١ .

الوسائل المتاحة.وبحسب مقتضيات المرحلة التي تعيشها الدعوة من جانب، ووفق طبيعة الجمهور المستهدف من جانب آخر.

مع تطوير وسائل وأساليب التواصل في مرحلة التشريع وظهور قوة الإسلام في المدينة المنورة مع نوعية المتصل بهم ومكانتهم وأثرهم كرؤوس القوم وقادة الأمم وملوكها لدعوتهم إلى الإسلام، وكان اتصاله متسقاً مع طبيعة المستهدفين بالاتصال، وهذا النوع من الاتصال الفردي كان له الاهتمام البارز، من اختيار الوسائل المناسبة، ففي أواخر السنة السادسة حين رجع رسول الله ﷺ من الحديبية بدأ في مكاتبة الملوك يدعوهم للإسلام فردا فردا، ويوم أنْ علم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنّ أمثال هؤلاء الملوك لا يقبلون خطاباً ليس عليه خاتم، اتخذ ـ عليه الصلاة والسلام ـ خاتماً من فضّة نقش عليه محمد رسول الله، واختار من أصحابه رسلاً لهم معرفة وخبرة وأرسلهم إلى هؤلاء الملوك وكان ذلك في السنة السابعة من الهجرة قبل خروجه ﷺ إلى خيبر كتب إلى النجاشي ملك الحبشة وإلى المقوقس ملك مصر، وإلى كسرى ملك فارس، وإلى قيصر ملك الروم.

وكانت معظم هذه الرسائل تبدأ بالتعريف بالرسالة وحاملها ومبلغها ثم تدعو المرسل إليه إلى إتباع هذا الدين بما يعود عليه بالسلامة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

وقد فرّق التواصل النبوي بين من هم أقرب للدين، وبين من هم على بعد ومعاداة للعبودية الصحيحة. واتخاذ الأسلوب الأمثل في الاتصال والتواصل الذي

يحقق أمراً أساسياً من العملية الاتصالية لغيره ممن يهمه دعوتهم ويسعى إلى ضمهم حينئذٍ إلى الدعوة، أو على الأقل تحقيق علاقة سوية عادلة تسوق إلى موازنة لصالح مسيرة الدعوة.

وهذا الاتصال في العمل الدعوي يعد من الواجبات الشرعية على المسلم ومسئولية فردية، لا يسقطها عن المسلم مجرد الانتساب لجماعة ما. فمسئولية العمل الإسلامي مترتبة على كل مسلم، سواء كانت هناك حركة أم لا.

طرق الاتصال والتواصل الفردي: إن طرق خطاب الاتصال والتواصل الفردي في العمل الدعوي وصيغ مخاطبة الأفراد بها ورد بها التكليف القرآني والنبوي القولي والعملي، وهي تؤكد المسئولية الشخصية، وعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[1]، ﴿**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ**﴾[2]، وقوله -ﷺ-: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[3]، وتفاصيل ذلك في المطالب الآتية:

تطبيقات نبوية لوسيلة التواصل الفردي لمختل الأفراد وأصنافهم: السنة النبوية القولية والفعلية اشتملت على نماذج من التواصل الدعوي الإبلاغي الحركي بكل أنواعه وبأوسع نطاق، حيث بينت سلوك رسول الله -ﷺ- كل طريق سليم لتبليغ

---

(١) سورة فصلت: الآية (٣٣).

(٢) سورة الشورى: الآية (١٥).

(٣) صحيح : أخرجه أحمد (٣٧/٥) وفي (٤٥/٥) والبخاري (٢٦/١) ، ومسلم (١٠٨/٥) ، والترمذي (١٥٢٠) والنسائي (٢٢٠/٧) وابن ماجة (٢٣٣).

دعوة الله على الوجه الأكمل، وسلوك الناس المناوئين للدعوة في المقابل كل طريق يخطر بالبال ليثنوه عن القيام بأمر الله فلم يفعل. نذكرالأهم الصحيح كنماذج استدلالية تأصيلية يستضيء بها العاملون في هذا المجال منوعين جهة التواصل والاتصال وأصناف المستهدفين بالعمل الدعوي ذاكرين أدوات الاتصال وطرقه مصحوبا بالأساليب والأنشطة المؤثرة.

أ - وسائل التواصل بالأقارب لدعوتهم إلى الإسلام مع الحرصعلى هدايتهم، وخطابه أهل بيته فردا فردا بالدعوة في اتصال وتواصل معايشة وخلطة كل على حدة:

١ - إسلام زيد بن حارثة -رضي الله عنه- مولاه -ﷺ- بالدعوة الفردية بواسطة المعايشة وحسن التخاطب معه: هو أول من آمن بالدعوة من الموالي حِبّ النبي -ﷺ- ومولاه، ومُتَبنَّاه: زيد بن حارثة الكلبي، الذي آثر رسولَ الله على والده وأهله، عندما جاءوا إلى مكة لشرائه من رسول الله -ﷺ-، فترك رسول الله الأمر لحارثة فقال زيد لرسول الله: ما أنا بالذي أختار عليك أحدًا، وأنت مني بمنزلة الأب والعم، فقال له والده وعمه: ويحك تختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ قال: نعم، وإني رأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي أختار عليه أحدًا أبدًا[1].

٢ - إسلام بنات النبي -ﷺ-: وكذلك سارع إلى الإسلام بنات النبي -ﷺ-، كل من زينب، وأم كلثوم، وفاطمة ورقية، فقد تأثرن قبل البعثة بوالدهن -ﷺ- في

(١) انظر: دراسة تحليلية لشخصية الرسول د. محمد قلعجي ص١٩١

الاستقامة وحسن السيرة، والتنزه عما كان يفعله أهل الجاهلية، من عبادة الأصنام والوقوع في الآثام، وقد تأثرن بوالدتهن، فأسرعن إلى الإيمان[1]، وبذلك أصبح بيت النبي -ﷺ- أول أسرة مؤمنة بالله تعالى منقادة لشرعه في الإسلام، ولهذا البيت النبوي الأول مكانة عظمى في تاريخ الدعوة الإسلامية، لما حباه الله به من مزايا وخصه بشرف الأسبقية في الإيمان وتلاوة القرآن وإقام الصلاة.

٣ - إسلام علي ابن أبي طالب ابن عمه -ﷺ- وسيلة العرض للدعوة وبيانها:

ذكر ابن إسحاق أنَّ علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- جاء وهما ـ أي النبي -ﷺ- وخديجة رضي الله عنها ـ يصلِّين، فقال علي: يا محمد، ما هذا؟ قال: «دين الله الذي اصطفَى لنفسه وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته، وأن تكفر باللات والعُزَّى»، فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمراً حتى أُحدِّث به أبا طالب؛ فكره رسول الله -ﷺ- أن يفشيَ عليه سرَّه قبل أن يستعلن أمره، فقال له: يا علي، إذ لم تسلم فاكتم، فمكث عليٌّ تلك الليلة، ثم إنَّ الله أوقع في قلب عليَ الإِسلام فأصبح غادياً إلى رسول الله حتى جاءه، فقال: ماذا عرضت عليَّ يا محمد؟ فقال له رسول الله -ﷺ- «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزَّى، وتبرأ من الأنداد»، ففعل عليٌّ وأسلم، ومكث يأتيه على خوف من أبي طالب، وكتم عليٌّ إسلامَه ولم يظهره[2].

---

(١) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢٨٤/١).

(٢) كذا في البداية .٤٢٨/١.

٤ – إتيان الرسول عمه أبا طالب لدعوته إلى الإسلام بوسيلة العرض الملح مع أسلوب الترغيب والإشفاق: عن ابن المسيِّب عن أبيه أنَّ أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي -ﷺ- وعنده أبو جهل فقال: «أيْ عم، قل: لا إله إلا الله كلمةً أحاجُّ بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملَّة عبد الطلب؟ فلم يزالا يكلِّمانه حتى قال آخر ما كلَّمهم به: على ملَّةِ عبد المطلب؛ فقال النبي -ﷺ- «لأستغفرنَّ لك ما لم أُنَه عنك» فنزلت: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَالَّذِينَ ءامَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِى قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾[1]، ونزلت: ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[2] أيضا.

٥ – تثبيت إسلام عمه حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه- في اتصال عرضي بوسيلة الحديث الوعظي التذكيري المخوف المبشر: حين انتقم لابن أخيه الرسول محمد من أبي جهل، حين نال من رسول الله وأعلن أنه على دينه، فلما أصبح غدا على رسول الله -ﷺ-. فقال: يا ابن أخي إني قد وقعت في أمر ولا أعرف المخرج منه، وإقامة مثلى على ما لا أدرى ما هو أرشد أم هو غي شديد، فحدثني حديثا، فقد اشتهيت يا ابن أخي أن تحدثني. فأقبل رسول الله -ﷺ- فذكره ووعظه، وخوفه وبشره. فألقى الله في قلبه الايمان بما قال رسول الله -ﷺ-. فقال: أشهد أنك الصادق شهادة الصدق، فأظهر يا

---

(١) سورة التوبة: الآية (١١٣).

(٢) سورة القصص: الآية (٥٦).

ابن أخي دينك، فو الله ما أحب أن لي ما أظلته السماء وأنى على ديني الاول. فكان حمزة ممن أعز الله به الدين[1].

التواصل الدعوي بالأصدقاء ودعوة أفرادهم إلى الإسلام:

١ - مخاطبة أبي بكر صديق رسول الله بالدعوة ومخاطبة أبي بكر بالدعوة أصدقاءه أفرادا بوسيلة تبادل الحديث من الطرفين متضمنا عرض الدعوة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «خرج أبو بكر يريد رسول الله -ﷺ- ـ وكان له صديقاً في الجاهلية ـ فلقيه فقال: يا أبا القاسم فُقِدْتَ من مجالس قومك، واتَّهموك بالعيب لآبائها وأُمهاتها، فقال رسول الله -ﷺ-«إني رسول الله أدعوك إلى الله»، فلما فرغ من كلامه أسلم أبو بكر، فانطلق عنه رسول الله -ﷺ- وما بين الأخشَبَيْن أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر؛ مضى أبو بكر فراح: لعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، فأسلموا. ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون، وأبي عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سَلَمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، فأسلموا[2].

وفي المصارعة فرصة تواصل دعوي فردي: قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي أَبِي إسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ، قَالَ كَانَ رُكَانَةُ بْنُ عَبْدِ يَزِيدَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ أَشَدّ قُرَيْشٍ، فَخَلَا يَوْمًا بِرَسُولِ اللهِّ -ﷺ- فِي بَعْضِ شِعَابِ مَكّةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ

(١) البداية والنهاية: ٤٤١/١.

(٢) انظر: البداية والنهاية: ٤٣٨/١- ٤٣٩.

اللهَّ -ﷺ- يَا رُكَانَةُ أَلَا تَتّقِي اللهَّ، وَتَقْبَلُ مَا أَدْعُوك إلَيْهِ؟ قَالَ إنّي لَوْ أَعْلَمُ أَنّ الّذِي تَقُولُ حَقّ لَاتّبَعْتُك، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ -ﷺ- أَفَرَأَيْت إنْ صَرَعْتُك، أَتَعْلَمُ أَنّ مَا أَقُولُ حَقّ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَقُمْ حَتّى أُصَارِعَك . قَالَ فَقَامَ إلَيْهِ رُكَانَةُ يُصَارِعُهُ فَلَمّا بَطَشَ بِهِ رَسُولُ اللهَّ -ﷺ- أَضْجَعَهُ وَهُوَ لَا يَمْلِكُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا، ثُمّ قَالَ عُدْ يَا مُحَمّدُ فَعَادَ فَصَرَعَهُ، فَقَالَ يَا مُحَمّدُ وَاَللهَّ إنّ هَذَا لَلْعَجَبُ أَتَصْرَعُنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ -ﷺ- وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ إنْ شِئْت أَنْ أُرِيكَهُ إنْ اتّقَيْت اللهَّ وَاتّبَعْت أَمْرِي، قَالَ مَا هُوَ؟ قَالَ أَدْعُو لَك هَذِهِ الشّجَرَةَ الّتِي تَرَى فَتَأْتِينِي، قَالَ اُدْعُهَا، فَدَعَاهَا، فَأَقْبَلَتْ حَتّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهَّ -ﷺ- قَالَ فَقَالَ لَهَا: ارْجِعِي إلَى مَكَانِك . قَالَ فَرَجَعَتْ إلَى مَكَانِهَا قَالَ فَذَهَبَ رُكَانَةُ إلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ سَاحِرُوا بِصَاحِبِكُمْ أَهْلَ الْأَرْضِ فَوَ اَللهَّ مَا رَأَيْت أَسْحَرَ مِنْهُ قَطّ، ثُمّ أَخْبَرَهُمْ بِاَلّذِي رَأَى، وَاَلّذِي صَنَعَ[1].

التواصل بأفراد الخدم دعويا ولو كانوا أصحاب ديانات أخرى:

كمخاطبة عداس النصراني مستخدما وسيلة التعرف والتعريف الشفوية في التواصل العرضي، ثم عرض الدعوة. وكذلك مخاطبة خادمه اليهودي في عيادته لمرضه وشكر الله على توفيقه لهدايته بوسيلة عرض الدعوة عليه: أخرج البخاري وأبو داود عن أنس -رضي الله عنه- أن غلاماً من اليهود كان يخدم النبي -ﷺ- فمرض، فأتاه يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: «أسلم» فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطِعْ أبا

---

(١) الروض الأنف:[١/ص ١٧٨ - ١٧٩].

القاسم؛ فأسلم. فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»[1].

التواصل الدعوي بأقارب الأصدقاء ودعوتهم للإسلام مصحوبا بالتكريم:

دعوته ﷺ لأبي قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بوسيلة الخطاب بياء النداء المصحوب بأسلوب التكريم: في طبقات ابن سعد: عن أسماء قالت: لما دخل رسول الله ﷺ مكة واطمأنَّ وجلس في المسجد أتاه أبو بكر بأبي قحافة، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «يا أبا بكر، ألا تركتَ الشيخ حتى أكون أنا الذي أمشي إليه؟» قال يا رسول الله، هو أحقُّ أن يمشي إِليك من أن تمشي إليه. فأجلسه رسول الله ﷺ بين يديه ووضع يده على قلبه ثم قال: «يا أبا قحافة، أسلم تسلم»؛ قال: فأسلم وشهد شهادة الحق. قال: وأُدخل عليه ورأسه ولحيته كأنَّهما ثُغامة، فقال: غيِّروا هذا الشيب وجنِّبوه السواد».

التواصل الدعوي مع أفراد من رؤوس المشركين ودعوتهم إلى الإسلام

تواصله عليه السلام للوليد بن المغيرة بوسيلة التلاوة للقرآن المعجز بلفظه ومعانيه: أخرج إسحاق بن راهَوَيْه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عمّ، إنَّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لِمَ؟ قال: ليعطوكَهُ، فإنَّك أتيت محمداً لتعرِضَ ما قِبَلَه، قال: قد عَلِمت قريش أني من أكثرها مالاً. قال: فقل فيه قولاً يبلغ

---

(١) مجمع الفوائد: ١٤٨/٨.

قومك أنَّك مُنكر له، قال: وماذا أقول؟ فو الله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، و والله إنَّ لقوله الذي يقول حلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّه لمثمرٌ أعلاه، مُغْدِقٌ أسفله، وإنه لَيَعلُو ولا يُعلى، وإنه ليحطِم ما تحته. قال: لا رضي عنك قومك حتى تقول فيه، قال: قم عني حتى أفكر فيه، فلما فكَّر قال: إنْ هذا إلا سحر يُؤثر، يأثره عن غيره، فنزلت:« ذَرْني ومَنْ خَلَقْتُ وحيداً. وجعلتُ له مالاً ممدوداً. وبنين شهوداً» الآيات..[1].

وكمخاطبته عليه السلام لعثمان وطلحة: أخرج ابن سعد عن يزيد بن رومان قال: خرج عثمان بن عفان وطلحة بن عُبيد الله رضي الله عنهما على إثر الزبير بن العوام -رضي الله عنه-، فدخلا على رسول الله -ﷺ- فعرض عليهما الإسلام، وقرأ عليهما القرآن، وأنبأهما بحقوق الإِسلام، ووعدهما الكرامة من الله. فآمَنَا وصدّقا، فقال عثمان يا رسول الله، قدمتُ حديثاً من الشام، فلما كنا بين مَعَان والزرقاء فنحن كالنيام إِذا منادٍ ينادينا أيُّها النيام. هُبوا فإن أحمدَ قد خرج بمكة، فقدمنا فسمعنا بك. وكان إسلام عثمان قديمًا قبل دخول رسول الله -ﷺ- دار الأرقم[2].

(١) البداية والنهاية:٦١/٣.

(٢) حياة الصحابة:٦٩/١.

تواصله الدعوي للضعفاء المستبد بهم من قبل المشركين:

من ذلك دعوته عليه السلام لعمار وصهيب بوسيلة العرض للإسلام: أخرج ابن سعد عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار قال: قال عمار بن ياسر -رضي الله عنه-: لقيت صهيب بن سنان -رضي الله عنه- على باب دار الأرقم ورسول الله فيها فقلت له: ما تريد، قال لي: ما تريد أنت، فقلت: أردت أن أدخل على محمد فأسمعَ كلامه، قال: وأنا أريد ذلك، فدخلنا عليه فعرض علينا الإِسلام فأسلمنا، ثم مكثنا يومنا على ذلك حتى أمسينا، ثم خرجنا ونحن مُسْتَخْفُون؛ فكان إِسلام عمار وصهيب بعد بضعة وثلاثين رجلاً. رضي الله عنهم[1].

تواصله الدعوي بالأفراد الوافدين على مكة:

١ - دعوته عليه السلام لسعد بن زُرَارة وذَكْوان بن عبد قيس: أخرج ابن سعد عن خُبَيب بن عبد الرحمن قال: خرج أسعد بن زُرَارة وذَكْوان بن عبد قيس إلى مكة يتنافران إلى عُتبة بن ربيعة، فسمعا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأتياه، فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن، فأسلما ولم يقربا عتبة بن ربيعة، ورجعا إلى المدينة؛ فكانا أول من قدم بالإِسلام بالمدينة[2].

(١) طبقات ابن سعد: ٣/٢٢٧.

(٢) طبقات ابن سعد:٣/٦٠٨.

٢ – في غزوة ذي أمر: وفي أثناء الطريق قبضوا على رجل يقال له: جُبَار من بني ثعلبة، فأدخل على رسول الله -ﷺ-، فدعاه إلى الإسلام فأسلم، فضمه إلى بلال، وصار دليلاً لجيش المسلمين إلى أرض العدو[1].

ط – التواصل الدعوي لمن جاء يطلب الهدى وبيان أسس الإسلام له مصحوبا بأسلوب التكريم: أخرج البيهقي عن جرير بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: بعث إليّ رسول الله -ﷺ- فقال: «يا جرير، لأيِّ شيء جئت؟» قلت: أسلم على يديك يا رسول الله. قال: فألقى عليَّ كساءً ثم أقبل على أصحابه فقال: إِذا أتاكم كريم قوم فأكرموه». ثم قال: «يا جرير، أدعوك إلى شهادة أن لا إله إِلا الله وأنِّي رسول الله، وأن تؤمن بالله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وتصلِّي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة»، ففعلت ذلك. فكان بعد ذلك لا يراني إلا تبسَّم في وجهي[2].

التواصل الدعوي الفردي للوافدين على الرسول من أهل الكتاب أحبار ورؤساء:

١ – دعوة عدي ابن حاتم في المدينة ودعوة الرسول له للإسلام بوسيلة الحوار وإظهار دلائل النبوة، وتقريره له بمخالفته لدينه: قال في السيرة النبوية لابن هشام: قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله « المدينة، فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه فقال من الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله « فانطلق بي

(١) الرحيق المختوم:٢٠٣.

(٢) سنن البيهقي الكبرى:١٦٨/٨.

إلى بيته؛ فو الله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته؛ فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها، قال قلت في نفسي: والله ما هذا بملك ! قال: ثم مضى بي رسول الله « حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادة من أدم محشوةً ليفاً فقذفها إلي، فقال: اجلس على هذه، قال قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله « بالأرض، قال قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك ! ثم قال: إيه يا عدي ابن حاتم ألم تك ركوسياً؟ قال قلت: بلى. قال: أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟ قال قلت: بلى. قال: فإن ذلك لم يكن يَحِلُّ لك في دينك قال قلت: أجل والله. وقال: وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل، ثم قال: لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم؛ فو الله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد مَنْ يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم؛ فو الله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وايم الله ليوشكن أن تَسْمَعَ بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم قال: فأسلمت. وكان عدي يقول: قد مضت اثنتان، وبقيت الثالثة والله لتكونن، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وايم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه(١).

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٤/١٦٧_١٦٨.

فهؤلاء بعض المدعوين تم التواصل الفردي الدعوي بهم أومنهم ومخاطبتهم بالدعوة مصحوبا ببعض الأساليب والأنشطة المناسبة عرضناها لما نحن بصدده من التأصيل لوسائل التواصل الدعوي الفردي وبيان كون هذه الوسائل من الوسائل الأولى التي مارسها الرسول في عمله الدعوي وكان في الغالب يستهدف بها أصحاب العقول الوافرة والأنفس الزاكية والأخلاق الحميدة فيعرض عليهم دعوته، ويشرح لهم أصولها، ويدعوهم للإيمان بالله، فاستجاب له البعض الذين كانوا نواة أمة الإسلام الأوائل الذين مثلوا القاعدة الصلبة التي قام عليها بناء دولة الإسلام والتمكين لها وتطبيق شريعته. وغيرهم من الذين تواصل معهم بعد الهجرة من مختلف الأصناف والفئات والشرائح الاجتماعية فمنهم من استجاب لتوه ومنهم من تأخر ثم أسلم فيما بعد ومنهم من بقي على كفره لأن الله لم يرد له الهداية.

٣ - ضوابط وآداب التواصل الفردي في العمل الدعوي:

وأبرز ما نخرج به من التأصيل في وسائل وأساليب ونشاط العمل الدعوي التواصلي للأفراد في عهد الرسول هذه الضوابط والآداب الآتية:

١ - الحسن في الخطاب والمعاملة الحسنة، وهذا ما أبرزه العمل الدعوي داخل بيت رسول الله في زوجه خديجة وبناته ومولاه زيد وابن عمه علي رضي الله عنهم. وحسن العرض للفكرة(الدعوة) مصحوبا بالتوضيح والبيان وترك الحرية للمدعو ليفكر في الاقتناع والإيمان بها كما حصل في حق ابن عمه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-.

٢ - التكرار في الخطاب الدعوي حرصا على هداية المدعو مصحوبا بالترغيب والإشفاق خاصة في ظل التنازع الدعوي الباطل المضاد. كما دل عليه الموقف الجامع بينهما عند احتضار عمه أبي طالب. وخطابه الدعوي لأبي جهل. والتثبيت على الفكرة بالوعظ والتذكير مستخدما أسلوب الترهيب والترغيب كما حصل في خطابه الدعوي لعمه حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه-.

٣ - توظيف علاقة الصداقة في الإقناع الدعوي والتأثير على المدعو كدعوة الصديق أبي بكر ومن استجابوا لدعوة الصديق من أصدقائه.

٤ - التعرف على المدعو وتعريف الداعي بنفسه تهيئة للمخاطبة الدعوية المقنعة. كما وقع في دعوة (عداس النصراني).

٥ - اهتبال فرصة المواقف المحرجة المهيئة للاستجابة الدعوية حين المخاطبة بها كما حصل في عيادة خادمه -صلى الله عليه وسلم- المريض الغلام اليهودي الذي أسلم.

٦ - عبارات التكريم وإنزال الناس منازلهم سواء في تقدم السن في قومه كما حصل في دعوة والد الصديق« ألا تركت الشيخ حتى أنا الذي أمشي عليه» أو لمكانته في قومه كما قالها عليه الصلاة والتسليم في دعوته لجرير« إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» وفي دعوته لعدي ابن حاتم حين «قدم إليه الوسادة تكريما له».

٧ - تضمين الخطاب قراءة آيات من القرآن أو سورة منه وهذا كثير في خطابات الرسول ولجميع الفئات والأصناف.

٨ - الإخلاص والبصيرة اللتان هما أساس كل عمل مقبول.

٩ - مراعاة الأحوال التي يكون عليها المدعو المستهدف بالخطاب الدعوي الفردي مثل: القرابة ومنزلتها في الأسرة أو العشيرة أو القبيلة أوفي المجتمع وإنزالها منزلتها في الخطاب المحبب إليها والمرغب لها والعبارات المناسبة لمقامها وتجنيب المساس من هذه المكانة، لاسيما وجود مكانة معينة للمدعو قد تكون هي بعض المبرر لدعوته فرديا. لذلك تستخدم معه حالة الخطاب الدعوي الفردي الأسلوب المناسب.

١٠ - الإحاطة بالبيئة التي تحتضن المدعو المستهدف بهذا التواصل من حيث سلامتها وصحتها أو سوئها، والحرص على انتشاله منها إما بالإبعاد له عنها أو تكريهه لها، وبيان خطرها وضررها.

١١ - مراعات الحالات النفسية للمدعو وطبيعته المجتمعية لأن بعض المدعوين لا يحب أن يخاطب بالدعوة بين الناس ويحب أن يخص بالخطاب، لذلك ينبغي للداعية مراعاة هذا الطبع وهذه النفسية.

١٢ - أن يوجد الداعية صلة تعارف مع المدعو سابقة أو يوجدها في مكان الدعوة بحيث يشعره بأنه مهتم به، ولك في رسول الله القدوة في عرضه ﷺ الدعوة على القبائل.

٤ - فوائد وثمار استعمال وسائل التواصل الفردي في العمل الدعوي

للتواصل الدعوي الفردي فوائد وثمار يجنيها الدعي والمدعو والدعوة وهي كثيرة من أهمها:

١- بالتواصل الدعوي الفردي يمكن متابعة التطبيق العملي للتوجيهات الملقاة على الأفراد.

٢ – بالتواصل الدعوي الفردي يمكن الرد على كثير من الشبهات التي تُلْقى على مسامع الأفراد، والتي لا يمكن التحدث بها في الدعوة الجماعية .

٣ – بالتواصل الدعوي الفردي يمكن غرس المبادئ الإسلامية الصحيحة، والتحدث عنها بكل جدية ووضوح، إذا جاء الوقت المناسب لكل مبدأ .

٤ – بالتواصل الدعوي الفردي يمكن إيصال الحق إلى الذين نفروا – أو نُفِّرُوا – عن سماعه، وعن مجالسة أهله.

٥ – إن هذا النوع من أنواع الدعوة طريقة سريعة لكسب أكبر عدد من أنصار الدين. ويمكن من متابعة الأفراد متابعة دقيقة، بخلاف الدعوة الجماعية فإنه لا يمكن متابعتهم.

٦ – الاتصال الدعوي الفردي لا يحتاج إلى غزارة علم بقدر ما يحتاج إلى حكمة وبصيرة في الدعوة، فيمكن أن يقوم به أفراد محبون للدعوة .

٧ – التواصل الدعوي الفردي لا يحتاج إلى كثير معاناة فهو سهل، ويمكن أن يقوم به كل داعية من خلال عمله.

٨ –التواصل الدعوي الفردي يتيح للدعاة التعرف على العناصر المراد جذبها إلى الدعوة ، وتبليغها الفكرة عن كثب.

٩ – التواصل الفردي المتواصل يمكن من الاحتكاك بالآخرين والوقوف على أوضاع هؤلاء ومشاكلهم، ويسهل عليهم بالتالي عملية التشخيص والتوجيه المعالجة

١٠– التواصل الفردي يعين الدعاة على مواجهة كافة الأسئلة المطروحة بالنقاش الموضوعي، وبالتبسيط والتفصيل مما لا تتيحه أجواء الاتصال العام؛ كأجواء الاحتفالات والمهرجانات والمحاضرات.

١١ – أن الدعوة الفردية تنعم بالحرية المطلقة في كل الأحوال والظروف فلا تتعرض للتضييق.

١٢ – أن الدعوة الفردية أبلغ وأعمق في التربية. ويمكن عن طريقها الوصول إلى من لا تصله الدعوة الجماعية .

١٣– أن التواصل الفردي يمكن القيام به في كل مكان وفي أي وقت. وتكسب الداعية خبرة ومعرفة بأحوال الناس .

١٤– التواصل الفردي يتيح للداعية أن يطبق ما تعلمه من مفاهيم الصبر والتحمل والإيثار ويبلغ الحركة الغاية المنشودة منها بأيسر التكاليف وأقصر الأوقات، وأخيرًا فليضع الدعاة أمام أعينهم باستمرار قول الرسول ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم »[1].

(١) صحيح البخاري:٤/٧٣.

المطلب الثاني

وسائل وأساليب وأنشطة التواصل الجماعي

في العمل الدعوي

تعريفات الخطاب والتواصل لغة واصطلاحا سبق ذكرهما قريبا في المطلب الأول

أ – تعريف الجماعي لغة:

جَمَعَ الشيءَ عن تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعاً، والمجموع الذي جُمع من ههنا وههنا وإِن لم يجعل كالشيء الواحد. وتجمَّع القوم اجتمعوا أَيضاً من ههنا وههنا. والجَمْعُ مصدر، اسْم لِجَمَاعَةِ النّاسِ، ويُجْمَعُ عَلَى جُمُوع، والنسبة: جماعي. والتَّجْمِيع: مُبَالَغَةُ الجَمْعِ . والخلاصة أن لفظة جماعي: [مفرد]: اسم منسوب إلى جماعة: عكسه فرديّ يقال «اتّفاق/ جماعي، مبدأ/ جماعي، مطلبٌ/ جماعي، عَمَلٌ جماعيّ/ : أي يشترك فيه عدد من الأفراد كفريق. ومنه دعوة جماعيَّة [مفرد]: اسم مؤنَّث منسوب إلى جماعة ويقال خاطبتهم خطابا جماعيا أي في جمع مجموع[1].

ب – التواصل الجماعي اصطلاحا:

هو الاحتكاك الموجه قصدا إلى جمع من الناس ثلاثة فأكثر اجتمعوا أو جمعوا في مكان ما أو زمان ما بأي أسلوب من أساليب الاتصال..

(١) انظر لسان العرب مادة جمع وتاج العروس، ومعجم اللغة المعاصرة:١/٣٩٦،٣٩٥،٣٩٤ والمعجم الفلسفي:١/٣٥٦.

ج ـ مفهوم التواصل الجماعي في العمل الدعوي:

التواصل الدعوي الجماعي – الجمعي – يختلف عنه في التواصل الفردي في كثير من متطلباته، كما أنه يختلف في بعض أموره عن الاتصال الدعوي الجماهيري .

فهو تواصل يقيمه الداعية إلى عدد من الأفراد يكثرون ويقلون، قد يكونون أقارب يجمعهم نسب أسري أو عشائري أو قبلي، أو شتى وأخلاط يجمعهم بلد أو حاضنة أو تنظيم أو دين أو فكر أو عمل أو مهنة أو... إلخ. له وسائله المناسبة، وأساليبه المقنعة، ولغته المطلوبة للأشخاص والموضوع إلى غير ذلك مما ينبغي للعاملين في حقل الدعوة أن يعلموه ويفقهوه خاصة من تواصل الرسول -ﷺ- في هذا الميدان الدعوي كما تنقلها لنا سنته وسيرته وهذا ما ستناوله في هذا العرض التأصيلي.

٢- عرض مفهوم وسائل وأساليب وأنشطة التواصل الجماعي في العمل الدعوي

من خلال الاطلاع على السنة النبوية والسيرة العطرة نلحظ أن تواصل الرسول -ﷺ- الدعوي للجماعة أو الجمع من الناس كان يواكب المراحل الدعوية، وأصناف المدعوين، وأجناسهم، وديانتهم، ويراعي الأحوال التي يكونون عليها بما يحقق الهدف ويقيم الحجة ويعذر إلى الله عز وجل، فما من وسيلة مناسبة إلا أخذ بها، وما من أسلوب مؤثر ومفيد إلا استعمله، وما من نشاط اقتضاه وتطلبه إلا أقامه، وتطبيقاته القولية والفعلية -ﷺ- في هذا كثيرة ولكن نذكر نماذج جامعة نحقق بها التأصيل في عملية التواصل الجماعي التبليغي عند رسول الله -ﷺ- تعطيك صورة

مبسطة عن قيامه بأمر الله ودينه وشريعته، واستفياء هذا الموضوع حقه يحتاج إلى مجلد ضخم على الأقل . إذ إن رسول الله خلال ثلاثة وعشرين عاماً بعد النبوة، لم يهدأ ولم يسترح ولم يفوّت فرصة يستطيع بها أن يبلغ، بالاتصال الشخصي والعرض الجماعي، وفي السفر والحضر وبنفسه وأتباعه وبالمشافهة والخطاب، ثم عمم الأمر على أمته جميعاً بأن أوجب عليهم البلاغ إذ أنه عليه الصلاة والسلام لم يمت إلا والجزيرة العربية كلها مستجيبة لأمر الله، وأكبر الدول المجاورة للجزيرة العربية قد بلغتها الدعوة، ولم يمض عصر الخلفاء الراشدين إلا وكان أكثر العالم المعروف وقتذاك قد بلغته الدعوة، فمن مستجيب ومن معرض قامت عليه الحجة فأصر على الكفر عناداً، وما من إنسان يستطيع أن يتصور مثل هذا الحماس للتبليغ المنقطع النظير يمكن أن يكون إلا وليد اقتناع كامل بصدق الدعوة والداعية، وما كان الداعية ليعطي هذا الحماس لأتباعه، لو لم يكن هو في أعلى حالات الصدق والقيام بالواجب والشعور بالمسؤولية أمام الله . واعلم أن الخطاب الدعوي الفردي في المرحلة السرية أسلم العمل الدعوي إلى التجميع الدعوي التربوي والتعليمي وذلك في:

أ – بيوت من أسلموا ليطعموا ويعلموا ما نزل من الوحي مشافهة :

كان رسول الله -ﷺ- إذا أسلم بعض من لا شيء له ضم الرجل والرجلين إلى الرجل ينفق عليه ويتعلم عنده، ومن نماذج ذلك ضم رجلين من أصحابه -ﷺ- إلى زوج أخت عمر فقرع عمر عليهم الباب وعندهم خباب بن الأرت معه صحيفة فيها ﴿ طه ﴾ يقرئهما إياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم أو في بعض

البيت وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع حين دنا من البيت قراءة خباب عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الهينمة التي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئا. قال: بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه[1].

ب – في شعاب مكة للعبادة وتلاوة القرآن:

قال ابن إسحاق: ودخل الناس أرسالا الرجال والنساء في دين الله، حتى فشا الإسلام بمكة وتحدث به. وكان أصحاب رسول الله -ﷺ- إذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله -ﷺ- في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحيي بعير فشجه وكان أول دم أهريق في الإسلام[2].

ج – في دار الأرقم بن أبي الأرقم ليعبدوا الله ويسمعوا ما ينزل على رسول الله:

في سبب دخول النبي -ﷺ- دار الأرقم بن أبي الأرقم واستخفاء المسلمين حال عبادتهم ربهم تبارك وتعالى دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم دار الأرقم ليعبد الله تعالى فيها سرا من قومه، ودخل معه جماعة حتى تكامل المسلمون أربعين رجلا وكان آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فلما تكاملوا أربعين رجلا خرجوا.

---

(١) انظر سبل الهدى والرشاد: ٢/٣٧٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد: ٢/٣٢٠.

وكان الرسول -ﷺ- يجلس إلى أصحابه رضي الله عنهم، منذ بداية الدعوة في المسجد الحرام، وفي دار الأرقم بن أبي الأرقم، يتلو عليهم آيات الله، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة . قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** ﴾[١]، فكانوا يجتمعون حول الرسول -ﷺ- في دار الأرقم، ليعلمهم ما أنزل عليه من الكتاب والحكمة، حتى إنهم ليبلغون أربعين رجلاً أو يزيدون، في مجلس واحد، كما يتبين ذلك من قصة خطبة أبي بكر من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: « لما اجتمع أصحاب النبي -ﷺ-، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، ألح أبوبكر على رسول الله -ﷺ- في الظهور »[٢]، وكما ورد في إسلام عمر -رضي الله عنه- بنحوه[٣].

د – التواصل الدعوي الجماعي للأسرة بوسائل وأساليب متنوعة:

- **التواصل عبر أسلوب الإطعام:**

روى ابن سعد والبيهقي وأبو نعيم عن علي وأبو نعيم عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهم قال: لما نزلت: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾[٤]، على رسول الله -ﷺ- قال: يا علي اصنع لنا رجل شاة على صاع من طعام. وفي رواية: مد. وأعد لنا عس لبن ثم اجمع بني عبد المطلب.

---

(١) سورة الجمعة: الآية (٢).

(٢) ابن كثير. البداية والنهاية . ٢٩/٣.

(٣) ابن هشام . السيرة النبوية . ٣٤٣/١.

(٤) سورة الشعراء: الآية (٢١٤).

قال علي: ففعلت، فاجتمعوا له وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه، منهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فقدمت إليهم تلك الجفنة، فأخذ رسول الله -ﷺ- منها حذية فشقها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال: كلوا باسم الله. فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما ترى إلا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل الواحد ليأكل مثل ما قدمت لجميعهم. ثم قال: اسق القوم، فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا، والله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله. وفي رواية من يأكل المسنة ويشرب العس. فلما أراد رسول الله -ﷺ- أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لهد ما سحركم صاحبكم. فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله -ﷺ-. فلما كان الغد قال يا علي عد لنا بمثل الذي صنعت بالأمس من الطعام والشراب ففعلت ثم جمعتهم إليه فصنع رسول الله -ﷺ- كما صنع بالأمس فأكلوا وشربوا حتى نهلوا، ثم قال رسول الله -ﷺ-: يا بني عبد المطلب، والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة. ثم قال: من يؤازرني على ما أنا عليه؟ قال علي: فقلت: أنا يا رسول الله وإني أحدثهم سنا وسكت القوم. ثم قالوا: يا أبا طالب ألا ترى ابنك. قال: دعوه فلن يألوا ابن عمه خيرا[1].

*** التواصل الدعوي الجماعي للعشيرة بأسلوب خطاب النذير والوعيد والصوت العالي الرفيع: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ**

---

(١) البيهقي في الدلائل ٦ / ١١٦ وذكره الهيثمي في المجمع ٨ / ٣٠٥ ، ٢١١/٨: رَوَاهُ الْبَزَّارُ: ١٠٤/٢ وَأَحْمَدُ: ١١١/١ بِاخْتِصَارٍ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ: ٢٧٦/٢ بِاخْتِصَارٍ أَيْضًا، وَرِجَالُ أَحْمَدَ وَأَحَدُ إِسْنَادَيِ الْبَزَّارِ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ شَرِيكٍ وَهُوَ ثِقَةٌ. كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة:٤٦/٢.

عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي يَا بَنِي فِهْرٍ يَا بَنِي عَدِيٍّ لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً لِيَنْظُرَ مَا هُوَ فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ قَالُوا نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقًا قَالَ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا فَنَزَلَتْ **﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾**(1).

ولمسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) دَعَا رَسُولُ اللهِّ ﷺ قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ «يَا بَنِى كَعْبِ بْنِ لُؤَىٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِى مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِى عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِى عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِى هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِى نَفْسَك مِنَ النَّارِ فَإِنِّى لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِّ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلاَلِهَا »(2).

- **التواصل الدعوي للمجموعات القبلية كل على حدة لدعوتهم إلى الله والنصرة:**

كان رسول الله ﷺ يخرج إلى أسواق العرب وفي المواسم يزور الأقوام في منازلهم، يدعوهم إلى الله، ويعرض عليهم أن يمنعوه وينصروه حتى يبلغ دين الله .

(1) صحيح البخاري :١٤٠/١.

(2) صحيح مسلم:١٣٣/١.

عن ربيعة بن عباد الدؤلي، قال: إني لغلام شاب مع أبي بمنى ورسول الله -ﷺ- يقف على منازل القبائل من العرب فيقول: «يابني فلان إني رسول الله إليكم، آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به»[1]، وأتى كندة في منازلهم، وفيهم سيد لهم يقال له مليح، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه . وأنه أتى كلباً في منازلهم إلى بطن منهم، يقال لهم بنو عبد الله، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، حتى ليقول: «يا بني عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم» فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم. وأتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فلم يك أحد من العرب أقبح رداً عليه منهم وأتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه»[2]. وهكذا استمر في بقية القبائل بوسيلة التواصل بأسلوب عرض نفسه في المواسم، والأسواق على قبائل العرب يدعوهم إلى الله عز وجل، ويخبرهم أنه نبى مرسل، بمختلف وسائل القول، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به.

- **وعند العقبة الأولى بمنى نشاط دعوي جماعي مثمر:**

العقبة الأولى أو الكبرى كما توصف كان لرسول الله -ﷺ- عندها نشاط دعوي جماعي تمثل في خطاب دعوي مثمر وعمل دعوي ناجح تحقق فيه إقناع بدعوة

---

(١) ابن هشام ٤٢٤/١ .

(٢) ابن هشام ٤٢٤/١ ، وابن كثير. البداية والنهاية . ١٣٦،١٣٧/٣ .

الإسلام وتعاليمه، والتزام بنصرته وحماية أهله، وانطلاق إلى بلد يستقبل تعاليم الإسلام ويتولى نشره، ويقوم فيه سلطانه ويطبق فيها شرعه، تمثل ذلك في الأعمال المرحلية الآتية:

الأولى: لقيا رسول الله لنفر من الخزرج بوسيلة العرض لتعاليم الإسلام والمخاطبة به وتلاوة القرآن عند العقبة الأولى في رجب، قال الزهري وابن عقبة وابن إسحاق: (فلما أراد الله سبحانه وتعالى إظهار دينه وإعزاز رسوله وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الانصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم. فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا. فقال لهم: «من أنتم»؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: «أمن موالي يهود ؟» قالوا: نعم. قال: «أفلا تجلسون أكلمكم ؟» قالوا: بلى، من أنت؟ فانتسب لهم وأخبرهم خبره. فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الاسلام، وتلا عليهم القرآن. فأجابوه إلى ما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام. - ولكن للاختلاف القائم بينهم والذي يعلمه الرسول - قالوا ... ولكنا نواعدك الموسم من العام المقبل. فرضي بذلك رسول الله ﷺ، وانصرفوا راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا. وهم فيما ذكر ابن إسحق في رواية (ستة نفر) من الخزرج وذكرهم[1].

(١) سبيل الهدى والرشاد: ١٩٤/٢.

الثانية: دعوة الرسول -ﷺ-للمجموعة الثانية عند العقبة ومخاطبته لهم بالإسلام ومبايعته لهم على أعماله وهي البيعة الأولى والتي يطلق عليها بيعة النساء: قال ابن إسحاق: فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار (اثنا عشر رجلا)، فبايعوا رسول الله -ﷺ- على بيعة النساء وذلك قبل أن يفرض عليهم الحرب.

قال ابن إسحاق: فلما انصرف القوم بعث رسول الله -ﷺ- معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي. وأمره رسول الله -ﷺ- أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين، فكان يسمى في المدينة المقرئ والقارئ.

الثالثة: خطاب الرسول الدعوي للمجموعة الثالثة عند العقبة الكبرى بوسيلة أخذ العهود والمواثيق بمبايعته لهم على العمل للإسلام ونصرته وحماية من يأتي إليهم من المسلمين كما في رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: فرحل إليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا فيه من رجل ورجلين حتى توافينا عنده، فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ قال: «تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله، لا تأخذكم لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم يثرب، تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة». فقمنا نبايعه، فأخذ بيده أسعد بن زرارة، وهو أصغر السبعين رجلا إلا أنا فقال: رويدا يا أهل يثرب. فإنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم

أنه رسول الله وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على عض السيوف إذا مستكم وعلى قتل خياركم وعلى مفارقة العرب كافة، فخذوه، وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة، فذروه فهو أعذر لكم عند الله. فقلنا: ابسط يدك يا أسعد بن زرارة، فو الله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها. فقمنا إليه نبايعه رجلا رجلا، يأخذ علينا شرطه ويعطينا على ذلك الجنة[١].

- **تواصله ﷺ الدعوي لمجموعات من أصحاب الأديان السماوية في مكة:**

خطابه الدعوي لنصارى الحبشة حين وفدوا عليه بمكة بوسيلة الإجابة على تساؤلاتهم وتلاوة القرآن عليهم: قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمّ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِّ ﷺ وَهُوَ بِمَكّةَ – عِشْرُونَ رَجُلًا، أَوْ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ مِنْ النّصَارَى، حِينَ بَلَغَهُمْ خَبَرُهُ مِنْ الْحَبَشَةِ، فَوَجَدُوهُ فِي الْمَسْجِدِ فَجَلَسُوا إلَيْهِ وَكَلّمُوهُ وَسَأَلُوهُ وَرِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي أَنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، فَلَمّا فَرَغُوا مِنْ مَسْأَلَةِ رَسُولِ اللهِّ ﷺ عَمّا أَرَادُوا، دَعَاهُمْ رَسُولُ اللهِّ ﷺ إلَى اللهِّ – عَزّ وَجَلّ – وَتَلَا عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ فَلَمّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ فَاضَتْ أَعْيُنُهُمْ مِنْ الدّمْعِ ثُمّ اسْتَجَابُوا للهِّ وَآمَنُوا بِهِ وَصَدّقُوهُ وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا كَانَ يُوصَفُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ مِنْ أَمْرِهِ [١].

---

(١) رواه الامام أحمد والبيهقي.

(١) الروض الأنف: ١٧٨/٢.

وفي المدينة المنورة بعد الهجرة:

- **التواصل الدعوي الجماعي في المدينة للدعوة والتعليم والتربية:**

قال: ابن إسحاق: ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن هدم: إنما كان رسول الله -ﷺ-، إذا خرج من منزل كلثوم بن هدم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة. (١) أي ليبلغهم ما ينزل عليه من الوحي ويعلمهم أحكامه. كما أنه كان يلتقي بهم أفرادا مستخدما معهم الوسائل الدعوية السابقة في مكة مع قيامه بوسائل أخرى اقتضاها الواقع ومستجد العمل الدعوي والتطوير في الوسائل بما يحقق الأهداف إلا أن تواصله الدعوي الجماعي في المدينة قد وجد فيه تنوع وتطور من حيث أن المدينة أصبحت تمثل مجتمعا مسلما، وبها نزلت التشريعات وبيان الأحكام، وقام فيها سلطان الإسلام. لذلك سنلحظ من وسائل التواصل الجماعي وأساليبه وأنشطته مالم نجده في مكة وهذا عرض لنماذج من هذه الوسائل والأساليب والأنشطة للعمل الدعوي نؤصل بها ما نحن بصدده.

*** تواصل دعوي جماعي يعالج فيه قضايا اجتماعية من أمر الجاهلية:** عن عائشة رضي الله تعالى عنها: (أن قريشاً أهمّتهُم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يُكلِّم رسول الله -ﷺ-، ومن يجْتَرئُ عليه إلا أسامة، حِبُّ رسول الله -ﷺ-، فكلّم رسول الله -ﷺ-، فقال: «أتشفع في حدٍ من حدود الله؟» ثم قام فخطب، قال: «يا أيها الناس، إنما ضلَّ مَنْ قَبْلَكم أنهم كانوا إذا سرق الشريفُ تركوه، وإذا سرقَ الضعيفُ

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: مصدر السابق ٢/٤٩٣ .

فيهم أقاموا عليه الحدّ، وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمّدٌ يدها»[1]، وفي هذا النداء أدبٌ جمٌّ، عالج من خلاله نفوساً تراعي جانب الشرف والفضل في النّسب، مراعاةً تفوق مراعاة الحق؛ فكانت التوعية نحو هذا الخلل عامة لترتقي بالمجتمع ارتقاء جماعياً، وهي - في الوقت نفسه- توعية تضمّنت أسلوب خطاب فاعل في التوجيه الجماعي[2].

* **تواصل دعوي جماعي للتنبيه على حُسْنِ الاتِّباعِ والاقتداء به -ﷺ-**، وفي الوقت نفسه يُعاتِبُ به الذين يظنون أنهم أحسنوا الفعل فيما اختاروا، ويُوجّه المجتمع من خلال فعلهم بقوله: «ما بال أقوام» متجنبا التخصيص: قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: صنعَ النبي -ﷺ-، شيئاً ترخَّصَ، وتَنَزَّهَ عنه قومٌ، فبلغ ذلك النبي -ﷺ-، فحمَدَ الله، ثم قال: «ما بالُ أقوامٍ يتنزّهونَ عن الشيءِ أصنَعُهُ، فوالله إني لأعلمهُم بالله وأشدّهم له خشية»[3].

* **تواصل دعوي جماعي ينبه فيه إلى صواب يلتزم وخطأ يترك**: عن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: جاءت بريرة فقالت: إني كاتبت أهلي على تسعِ أواقٍ، في كل عام وَقِيَّةٌ، فأعينيني، فقالت عائشة: إنْ أحبَّ أهلُكِ أن أعُدَّها لهم عَدَّةً واحدةً وأُعْتِقَكِ فعلتُ، ويكونَ ولاءُكِ لي، فذهبَتْ إلى أهلها فأبوا ذلك عليها، فقالت: إني قد عرضتُ ذلك عليهم، فأبوا إلا أن يكون الولاءُ لهم، فسمعَ بذلك رسول الله -ﷺ-،

(١) مُتَّفق عَلَيْهِ وَاللَّفْظ لمُسلم.

(٢) صحيح البخاري: الحديث رقم: (٦٧٨٨). ص: (٩٣٥).

(٣) صحيح البخاري: ٢١/٨.

فسألني فأخبرتُهُ، فقال: «خذيها فأعتقيها، واشترطي لهم الولاء، فإنما الولاء لمن أعتق« قالت عائشة: فقام رسول الله -ﷺ-، في الناس، فحَمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: «أمّا بعدُ، فما بال رجال منكم يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله، فأيُّما شرطٍ ليس في كتاب الله فهو باطل، وإنْ كان مئةَ شرطٍ، فقضاء اللهِ أحقُّ وشرطُ الله أوْثَقُ، ما بال رجال منكم يقول أحدهم: أعتق يا فلان، وليّ الولاء، إنّما الولاءُ لمن أعتق»[1].

*** تواصل دعوي جماعي أخلاقي إنساني بأسلوب استعطافي:**

عن عروة أن مروان بن الحكم والمِسْور بن مخرمة أخبراه: أن النبي -ﷺ-، قام حين جاءه وفد هوازن، فسألوه أن يردّ إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم: «إن معيَ من ترون، وأحبّ الحديث إليّ أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين: إما المال، وإما السبي وقد كنتُ استأنَيْتُ بهم« وكان النبي -ﷺ-، انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلمّا تبيّن لهم أن النبي -ﷺ-، غيرُ رادٍّ إليهم إلا إحدى الطائفتين، قالوا: فإنا نختار سَبْيَنا، فقام النبي -ﷺ-، في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد؛ فإن إخوانكم جاؤونا تائبين، وإني رأيت أن أرُدَّ إليهم سَبْيهم، فمن أحبَّ منكم أن يُطيِّبَ ذلك؛ فليفعل، ومن أحبّ أن يكون على حظِّهِ حتى نُعطيَهُ إياه من أوّلِ ما يُفيءُ الله علينا فليفعل». قالوا: طيَّبنا ذلك، قال: «إنّا لا ندري من أذِنَ منكم مِمّن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفعُ إلينا عُرَفاؤكم أمْرَكُمْ»، فرجع الناس، فكلّمهم عُرفاؤهم، ثم رجعوا إلى النبي -ﷺ-، فأخبروه: أنهم طيّبوا وأذِنوا» [1].

---

(١) صحيح البخاري: الحديث رقم: (٢٥٦٣). ص: (٣٣٩).

(١) صحيح البخاري: الحديث رقم: (٢٥٣٩، ٢٥٤٠). ص: (٣٣٦، ٣٣٧).

❋ تواصل دعوي جماعي للتحذير من سلوكيات الولاة السلبية المفسدة للمجتمع؛

من ذلك ما جاء عن أبي حميد الساعدي رضي الله تعالى عنه: أن النبي -ﷺ-، استعمل عاملاً، فجاءه العامل حين فرغ من عمله، فقال: يا رسول الله، هذا لكم وهذا أُهْدِيَ لي. فقال له: «أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك فنظرت أيُهدى لك أم لا» ثم قام رسول الله -ﷺ-، عشيّةً بعد الصلاة، فتشهد وأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فما بال العامل نستعملُهُ، فيأتينا فيقول: هذا من عملِكُمْ وهذا أُهديَ إليّ، أفلا قَعَدَ في بيت أبيه وأمّه، فنظر: هل يُهدى له أم لا؟ فو الذي نفس محمد بيده، لا يَغُلُّ أحدكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه......» [(١)].

• تواصل دعوي جماعي مع أصحاب الديانات السماوية في المدينة المنورة:

أ – تواصله -ﷺ- دعويا لنصارى نجران بأسلوب المراسلة:

أخرج البيهقي نص رسالة الرسول -ﷺ- إلى أهل نجران وهي: « بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران! سلم أنتم فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب أما بعد ! فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد وأدعوك إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب والسلام » .

(١) صحيح البخاري:، كتاب الأيمان والنذور، باب: (٣): كيف كانت يمين النبي -ﷺ-، الحديث رقم: (٦٦٣٦) ص: (٩١٦).

ب - تواصله -ﷺ- دعويا بأسلوب الجدال والحوار وإقامة الحجة بالتحدي:

جاء في طبقات ابن سعد: لما قدم وفد نجران على النبي -ﷺ- فدخلوا المسجد عليهم ثياب الحبرة، وأردية مكفوفة بالحرير، فقاموا يصلون في المسجد نحو المشرق فقال، رسول الله، -ﷺ-: دعوهم ثم أتوا النبي -ﷺ-، فأعرض عنهم ولم يكلمهم، فقال لهم عثمان: ذلك من أجل زيكم هذا، فانصرفوا يومهم ذلك، ثم غدوا عليه بزي الرهبان فسلموا عليه، فرد عليهم ودعاهم إلى الإسلام، فأبوا وكثر الكلام والحجاج بينهم، وتلا عليهم القرآن، وقال رسول الله، -ﷺ-: إن أنكرتم ما أقول لكم فهلم أباهلكم. فانصرفوا على ذلك، فغدا عبد المسيح ورجلان من ذوي رأيهم على رسول الله -ﷺ- فقال: قد بدا لنا أن لا نباهلك فاحكم علينا بما أحببت نعطك ونصالحك، فصالحهم[1].

ج - تواصله -ﷺ- الدعوي لمجموعة من يهود المدينة لدعوتهم إلى الإسلام:

* دعوة اليهود إلى الإسلام بوسيلة القول الحكيم والإجابة على الأسئلة التعجيزية ورد التعنت اليهودي: ومن قواعد الإصلاح والتأسيس التي قام بها النبي -ﷺ- بعد أن دخل المدينة - الاتصال باليهود وغشيانهم في أسواقهم وفي بيت المدراس، وهو معبدهم الذي يتدارسون فيه كتابهم ليدعوهم إلى الله. قال ابن إسحاق: «ودعا رسول الله -ﷺ- اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام، ورغبهم فيه، وحذرهم عذاب الله ونقمته» . فقال له رافع بن خارجة، ومالك بن عوف: بل نتبع

(١) طبقات ابن سعد: ٣٥٨/١.

يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم وخيراً منا . فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهما: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزلَ الله قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[1] .

* ولما أصاب الله عز وجل قريشاً يوم بدر، جمع رسول الله -ﷺ- اليهود في سوق بني قينقاع، حين قدم المدينة، فقال: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشاً، فقالوا له: يا محمد، لا يغرّنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش، كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا . فأنزل الله تعالى على ذلك من قولهم: ﴿قُلْ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ في فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ في سَبِيلِ الله وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَآءُ إِنَّ في ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾[2] .

* قال: ودخل رسول الله -ﷺ- بيت المدراس على جماعة من يهود، فدعاهم إلى الله، فقال له النعمان بن عمرو، والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا محمد؟ قال: على ملّة إبراهيم ودينه، قالا: فإن إبراهيم كان يهودياً، فقال لهما رسول الله -ﷺ-: فهلمّ إلى التوراة، فهي بيننا وبينكم، فأبيا عليه، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ الله لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ

(١) سورة البقرة: الآية (١٧٠).

(٢) سورة آل عمران: الآيتان (١٢-١٣).

وَهُمْ مّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسّنَا النّارُ إِلاّ أَيّاماً مّعْدُودَاتٍ وَغَرّهُمْ فِي دِينِهِمْ مّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾[1].

٣ - ضوابط وآداب التواصل الدعوي الجماعي في العمل الدعوي:

التواصل الدعوي الجماعي له ضوابطه وآدابه التي من شأنها تعين العامل في حقل الدعوة على تحقيق أهدافه الدعوية إذا حرص على الالتزام بها، وهي كثيرة نذكر منها الآتي:

١ - البصيرة والفقه في التعامل ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾[2].

٢- ضابط آخر آكد من سابقه، ألا وهو الإخلاص لله سبحانه وتعالى وقصد وجهه الكريم بالأمر كله، فكل تواصل يقوم به لا بد من مراجعة الإخلاص فيه.

٣- ضابط آخر وهو ضابط التوسط والاعتدال في الخطاب الجماعة، فإن النبي ﷺ حذر من الشطط وحذر كذلك من الإفراط ومن التفريط، فلا بد أن يكون هذا الخطاب وسطا بين الإفراط والتفريط، فالإفراط مقتض من الإنسان أن يبالغ في الأمر مبالغة تخرج به عن نطاق الشرع، وحينئذ لا بد أن يدخله الهوى، والهوى ضد

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان (٢٣-٢٤).

(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

الشرع، ومخالفة الهوى ونهي النفس عن الهوى سبب لدخول الجنة. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[1].

٤- من ضوابط هذا التواصل الدعوي أن يكون صاحبه خفيف الظل، وأن يشتغل فيه بالنافع في ما يعيشه الناس في حياتهم اليومية، ولا يتشاغل بما لا يهتمون به، لأنه يكون في واد والناس في واد آخر، وقد كان رسول الله ﷺ في تواصله وفي توجيهه للناس يتحدث في الوقائع التي يشهدها الناس، ويتكلم فيما يتعلق بحياتهم اليومية، من ذلك خطابه للمؤمنين في غزوة المريسيع لما حصلت الشحناء والبغضاء بين واردة المهاجرين وواردة الأنصار فقال هذا يا للمهاجرين وقال الآخر يا للأنصار فقال: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين ظهرانيكم دعوها فإنها منتنة» [2].

٥- أن يكون التواصل الدعوي الجماعي خطابه جامعا بين أمر الدنيا وأمر الآخرة، روت عائشة في الصحيحين في خطبة الاستسقاء أنه قال: «إنكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن إبان زمانه وقد أمركم الله أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم» ثم قال: «الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت أنت الغني ونحن الفقراء إليك أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا إلى حين»[1]. فهنا تحدث رسول الله ﷺ عن أمر يهم الناس من أمور دنياهم، وهو ما هم فيه من الجدب واللأواء

(١) سورة النازعات: الأيتان (٤٠-٤١).

(٢) صحيح البخاري: ١٩١/٦.

(١) سنن أبي داوود: ٤٥٥/١ رقم: ١١٧٥.

والضنك وضيق المعاش، فتحدث عن ذلك في خطبته، وذكر الحلول الشرعية وهي أن الله سبحانه وتعالى أمرهم أن يدعوه ووعدهم أن يستجيب لهم إذا دعوه.

٦- أن يصون لسانه في تواصله الدعوي عما يتنافى مع مكارم الأخلاق: لا شك أن أدب التخاطب في السنة النبوية يُشكل دوحة من دوحات مكارم الأخلاق التي عمل رسول الله -ﷺ-، على غرسها وتحلية خلق المسلمين بها؛ كيف لا!! وقد كان -ﷺ- قدوة المسلمين في ذلك؛ قال مسروق رضي الله تعالى عنه: كنّا جلوساً مع عبد الله بن عمرو، يحدِّثنا، إذ قال: (لم يكن رسول الله -ﷺ- فاحشاً ولا متفحِّشاً، وإنه كان يقول: إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً) [(١)].

٧- أن يكون تواصله الجماعي الدعوي مصونا من الأمور التي يبغضها الله ورسوله المذكورة في حديث: (إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون) [(١)].

٨- من ضوابط التواصل الجماعي الدعوي تجنب التخصيص في الخطاب وذكر الأشخاص أو الجماعات بأعيانهم، وإنما يكون الخطاب غير المخصص هو

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ((٣٩): حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل. الحديث رقم: (٦٠٣٥). ص: (٨٤٢).

(١) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب: (٧١): ما جاء في معالي الأخلاق، رقم الحديث: (٢٠١٨). ص: (٣٣٥). قال أبو عيسى: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وروى بعضهم هذا الحديث عن المبارك بن فضالة عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يذكر فيه عن عبد ربه بن سعيد وهذا أصح.

ديدن أصحب الخطاب الدعوي كما هو منهج رسول الله في خطابه ﷺ للمجتمع: (ما بال أقوام، يا أيها الناس، يا معشر المسلمين، ما بال العامل، إن منكم منفرين...) وغير ذلك.

هذه بعض ضوابط التواصل الدعوي الجماعي التي يحسن بالداعية التقيد بها لكي يتحقق النفع بدعوته والهداية بها.

أما فوائد وثمار التواصل الجماعي في العمل الدعوي ستأتي في التواصل الدعوي الجماهيري إن شاء الله تعالى.

المطلب الثالث

التواصل الجماهيري في العمل الدعوي

أ- الجماهير لغة:

الجماهير مفرده جُمهور، والجُمْهُورُ مِن النّاس: جُلُّهم وأَشرافُهم، وجُمْهُورُ كُلِّ شيْءٍ: مُعْظَمُه. ويقال: هذا قولُ الجُمْهُورِ . وشَهِدَ ذلك الجَمَاهِيرُ. وفي حديث بنِ الزُّبَيْر: قال لِمُعَاوِيَةَ: إِنَّا لا نَدَعُ مَرْوَانَ يَرْمِي جَمَاهِيرَ قُرَيْشٍ بمَشاقِصِهِ أَي جماعاتِها. وجَمْهَرَه أَي الشيءَ: جَمَعَه[1]. هذا أهم مدلول لفظة الجمهور لغة لما نحن بصدده.

ب-الجماهير اصطلاحا:

بعد البحث لم أقف على تعريف اصطلاحي عام للجماهير اللهم إلا ما عرفه الزمخشري بقوله: جمهور الناس معظمهم، وجَمْعُه: جماهير. وهو نفسه التعريف اللغوي. ومن هذا التعريف اشتق معنى الجمهور الذي جمعه جماهير كما تشير إليه الكتابات الحديثة إلى معنى الشعب، وهى معرفة إجمالية للكافة والعامة، وما قد يترادف مع هذا من مصطلحات أخرى مثل الرعية، والسواد الأعظم، والأهالي، والعباد، والمؤمنين[1] .

ج - التواصل بالجماهير في العمل الدعوى:

هو التواصل الدعوي العام الذي يستهدف عامة الناس بجميع أصنافهم ومشاربهم وتوجهاتهم رجالا ونساءً، وهي الدعوة التي يتوجه فيها المتصل بالخطاب

---

(١) انظر: تاج العروس:١٠/٤٧٤- ٤٧٥.

(١) انظر: مفاهيم إسلامية:١/٢١٧١.

إلى عموم الناس، وينبغي أن يكون هذا الخطاب التواصلي الدعوي جامعاً مانعاً بيناً، بحيث يبين للمخاطبين غاية هذه الدعوة، ومضمونها، وما ينبغي عليهم تجاهها.

وقد كان الوحي يتنزل على الرسول ﷺ، مخاطباً الناس عامة والمؤمنين خاصة بالدعوة إلى الإيمان والتوحيد والاستجابة لله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿٢﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ الله شَدِيدٌ﴾[2]، وقال تعالى مخاطباً المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ أَنصَارَ الله كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِيَ إِلَى الله قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ الله فَآمَنَت طَّآئِفَةٌ مِّن بَنِيَ إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَاهِرِينَ﴾[3]، فالخطاب

---

(١) سورة البقرة: الآيتان (٢١-٢٢).
(٢) سورة الحج: الآيتان (١-٢).
(١) سورة البقرة: الآية (١٧٢).
(٢) سورة الإحزاب: الآيتان (٧١-٧٢).
(٣) سورة الصف: الآية (١٤).

التواصلي في هذه الآيات، يشير الى الجماهيرية، وهو خطاب عام إلى عموم جماهير الناس، أو إلى عامة جماهير المؤمنين.

٣- عرض وسيلة وأسلوب ونشاط التواصل الجماهيري في العمل الدعوي:

كان للخطاب الدعوي في جمهور الناس لإبلاغهم دعوة الله والبيان لهدى الله والتعليم لشريعته محل عناية واهتمام من رسول الله -ﷺ- في مكة وفي المدينة وفي أسفاره وفي أي موضع كان فيه جمهور الناس، وقد اتخذ رسول الله كل وسائل وأساليب التوصيل والبلاغ إلى كافة الحاضرين الذي يقول فيه الرسول في ختام خطابه ليبلغ الشاهد الغائب، وكانت صيغة دعوته لهذا الجمهور في كثير من أحيانه «الصلاة جامعة» .

فعل ذلك رسول الله في التواصل وفق تدرج من الدعوة الفردية السرية بعد ثلاث سنوات على أشهر الأقوال إلى الدعوة العامة الجماعية في مكة، إلى الدعوة العامة (الجماهيرية) بعد الهجرة إلى المدينة مع الاستمرار في الدعوتين السابقتين بحسب الحال والمقتضي والتي فعلها بالاتصال والتواصل في كل المراحل. وكان هذا الانتقال على مراتب، تدرج به الرسول -ﷺ- في الدعوة العامة حتى بلغ به الإنذار العام لكافة الثقلين من الجن والإنس .

أما أساسيات التوجه من حيث الأسلوب الحركي ومن حيث قضايا التبليغ. فإن الأسلوب الحركي في التواصل لدعوة العامة قائم على قاعدة أن نغشى الناس،

كما قال الصحابي للنبي -ﷺ- عند قدومه إلي المدينة: « اغشنا في مجالسنا »[1]، فهو التواصل بأعلى معنى بجميع أنواع الخطاب الدعوي: الفردي، الجماعي، الجماهيري. . وفي حديث المسعى: «فإن الناس غشوه»[2] أي ازدحموا عليه وكثروا. ومن كلمة «اغشنا» ينطلق أسلوب التعامل مع العامة (الجمهور). فيجب أن نغشي الناس فنذهب إليهم بكثرة، وليس مجرد التسلل إليهم. ونغشاهم، وليس مجرد لقاءات عابرة.

والهدف: هو أن تعيش الجماهير واقع الدعوة الذي يستردهم من أسر الدعوات الجاهلية. والدعوة تتطلب إنقاذهم واستردادهم وفك أسرهم.

والوسيلة: أن يصبح هذا التواصل الدعوي بالخطاب الجماهيري وغيره مواز ومقابل لمكر الليل والنهار. الممثل في الإعلام الجاهلي بمختلف أدواته المقروءة والمسموعة والمرئية والإكترونية فالجماهير في وضع لا يطاق... نادراً ما تجد ناجياً من لوثته.

وحتى لا تخاف الجماهير عندما ترى الدعاة يقتربون منهم. يجب أن يكون هذا الاقتراب من خلال المبررات الطبيعية لهذا الاقتراب.

---

(١) صحيح البخاري: ١٧١٠/١.

(٢) صجيح مسلم:٩٢٦/٢.

فترتكز حركة التوجه إلى الجماهير من خلال مبرراته الطبيعية: القرابة، الصهارة، الصداقة... أو أي مبرر طبيعي آخر. هذا هو الأساس في الأسلوب الحركي في التوجه للعامة.(الجمهور).

وأمر آخر نريد أن ننبه إليه: أن وسيلة التواصل الدعوي العام الموجه لكل الناس، الذين يسمون في لغة العصر (بالجماهير). أن الجماهير ليسوا على درجة واحدة من الاستجابة للدعوة بالتواصل، فمنهم فريق يمكن - حين يصله الخطاب الدعوي واضحا صافيا على حقيقته - أن يؤمن بالدعوة إيماناً صادقاً، ويجند نفسه لها، مبتغياً وجه الله، عاملاً على رضاه.. ومنهم فريق يحسب حساب (المصالح)، حساب الربح والخسارة، ما الذى يمكن أن يكسبه من الانضمام للدعوة، وما الذى يمكن أن يخسره من جرائها.. ومنهم فريق لا يهمه إلا اتباع الغالب حين تتقرر غلبته، فهو يقف بعيداً عن المعمعة، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ينظر ويتفرج، وقد يتسلى بالفرجة وتتبع أخبار الصراع، حتى إذا تقررت الغلبة بوضوح لأحد الفريقين انحاز إليه، لا إيماناً بمبادئه، ولا استحسناً حقيقياً لها، ولكن لثقل الأمر الواقع في حسه، فهو بتركيبته النفسية، مستعد أبداً للانقياد للأمر الواقع، الذى يأخذ في حسه مساحة أكبر من الأمر الذى لم يقع بعد، والذى يحتاج إلى جهد لكى يتحقق، بينما الواقع بالفعل لا يحتاج إلى جهد لمسايرته، وهذا الفريق غير مستعد، بتركيبته النفسية، لبذل الجهد، وخاصة إذا كان الأمر يعرضه للأخطار، لذلك لا يستجيب للدعوة حتى تصبح

غلبتها هي (الأمر الواقع) الذى لا تحتاج مسايرته إلى شيء من الجهد، ولا التعرض للأخطار.

هذه الفئات بأنواعها الثلاثة، توجد فى كل مجتمع، وقد كانت موجودة فى مجتمع الرسول -ﷺ-:

فالفئة الأولى: يمثلها مجتمع المدينة الذي آمن إيماناً صادقاً وجند نفسه للدعوة، مهتدياً ومقتدياً بالقاعدة الصلبة التي تأسست من المهاجرين والأنصار. وهى الفئة التي أشارت إليها الآية الكريمة: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[(١)] .

ويدخل فيهم الأعراب الذين آمنوا بصدق، والذين أشارت إليهم الآية السابقة: ﴿ **وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[(١)].

والفئة الثانية: هي التي تألفها رسول الله بالعطايا وبالمنح، وبالتقريب منه، والتي أشارت إليها الآية الكريمة: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ** ﴾[(٢)].

---

(١) سورة التوبة: الآية (١٠٠).

(١) سورة التوبة: الآية (٩٩).

(٢) سورة التوبة: الآية (٦٠).

أما الفئة الثالثة: فيمثلها مسلمة الفتح، الذين أسلموا لما تقررت غلبة الإسلام في فتح مكة، مع أنهم كانوا يعرفون أن الحق مع رسول الله، ولكنهم يقولون، كما حكى عنهم القرآن الكريم: ﴿**وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا**﴾[1]، فلما صار الهدى هو الممكن في الأرض اتبعوه، ودخلوا فى دين الله أفواجاً كما جاء فى سورة النصر: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً**﴾[2].

وذلك بخلاف المنافقين الذين يظهرون بعد استتباب السلطان، والذين يكونون قبل ذلك بين المتفرجين المنتظرين، ولكن على كره للأمر، وعدم رغبة فى الدخول فيه، أو من المعارضين الذين يجبنون عن المواجهة الصريحة، فينافقون خوفاً وجبناً[3].

ولكثرة هذه الحالات الدعوية نذكر الوسائل والأساليب ونماذج من هذا التواصل النبوي لأحوال ومناسبات ومقتضيات متنوعة ومختلفة لنؤصل بها ما نحن بصدده.

أ – في مكة:

كان الرسول يتقصد تجمعات الناس التي يتجمهرون بها ليخاطبهم بما أرسل به ويدعوهم إلى الاستجابة والتصديق مستخدما في ذلك من وسائل التواصل الجماهيري:

(١) سورة القصص: الآية (٥٧).
(٢) سورة العصر.
(٣) انظر: كتاب كيف ندعوا الناس.

١- **الصعود على مكان مرتفع** كالصفا والمناداة بصوت عال لمجيئهم ثم مخاطبتهم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا، قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ يَا صَبَاحَاهْ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ قَالُوا مَا لَكَ قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ، أَوْ يُمَسِّيكُمْ أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي قَالُوا بَلَى قَالَ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ تَبًّا لَكَ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا فَأَنْزَلَ اللهُّ: ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ**﴾[1].

٢-حضور المواسم والأسواق وخطابهم بوسيلة ياء النداء بصوت مرتفع:

روى الامام أحمد عن ربيعة بن عباد من بنى الديل، وكان جاهليا فأسلم،: قال: رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذى المجاز وهو يقول: « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب. يتبعه

ب – المدينة المنورة:

في المدينة كان التواصل الدعوي عبر الخطاب الجماهيري هو الخطاب البارز الذي انتهجه الرسول ﷺ في أحوال ومناسبات عبادية واجتماعية ومجتمعية، وفي أصناف عدة من الناس، وفي أماكن وأزمنة أعدها وهيأها وأمر بالتجمهر بها، وفي مقدمة هذه الأمكنة المسجد والأزمنة العيدان، والأحوال: الكسوف والخسوف والاستسقاء وغير ذلك. نذكر من ذلك نماذج نبرهن بها على ما نقول:

---

(١) صحيح البخاري:١٥٣/٣.

١-المسجد:

يعد المسجد من أهم الوسائط الدعوية ببنائه لاجتماع الجماهير، لعباداتهم وتلقيهم فيها لأنواع الخطاب الدعوي الجماهيري، لمختلف الأعمال الدعوية، العبادية، والتعليمية، والتربوية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والإعلامية. وهو خير وسيط لمخاطبة الجماهير فيه. ولأهميته الدعوية الجماهيرية كان من أوائل الاهتمام ببنائه واختيار مكانه من قبل الرسول -ﷺ- بمساحة من شأنها تستوعب الجماهير المستهدفة به، والمطلوب الحضور فيه لأي دعوة يدعون إليه عبادة أو عملا أو حالا أو مناسبة، وهذا معروف معلوم[١]. وقد مارس فيه الرسول من وسائل العمل الدعوي الجماهيرية الكثير نذكر نماذج منها مصحوبة بالوسائل والأنشطة: المحققة للأهداف.

٢- وسيلة الأذان :

الأذان هو أعظم وسيلة تواصلية دعوية لمخاطبة الجماهير في اليوم خمس مرات وهم في منازلهم وأنديتهم وطرقاتهم وأسواقهم وأي مكان هم فيه يبلغهم، هذا النداء المتضمن تلك الألفاظ والعبارات الدعوية المطلوب من كل من سمعها ترديدها والإجابة لما نودي إليه من الأعمال الدعوية التي في مقدمتها أداء عبادة الصلاة في المسجد جماعة وعمل ما من شأنه يحقق لسامعه الفلاح (حي على الصلاة حي على الفلاح)، هذه الوسيلة التواصلية بالخطاب الدعوي الجماهيري تعد من خصوصيات

---

(١) انظر: صحيح البخاري: ٤٣٩/١ رقم ٤٢٩.

دعوة الإسلام القولية التي لا يشاركه فيها أي دعوة من دعوات الديانات السابقة، بل جاء مخالفا لما يصنعه أتباعها:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما – قال: «كان المسلمون حين قَدِموا المدينة يجْتَمِعون، فيَتَحَيَّنُونَ للصلاة، وليس يُنادي بها أحد، فتكلموا يوماً في ذلك، فقال بعضهم: اتَّخِذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: قَرْناً مثل قرْنِ اليهود، فقال عمر: أوَلا تَبْعثُون رجلاً ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا بلال، قُمْ فنادِ بالصلاة»[(1)].

وعُلِّم به الصحابة لينادوا به لأوقات صلاتهم ويكرروا به الدعوة إلى الإسلام وأعماله لجماهير الناس في اليوم خمس مرات.

وبما أن الأذان وسيلة دعوية جماهيرية فقد ندب المؤذن المنادي به والمعلن بذلك للجمهور إلى الآتي:

- أن ينادي به من على مرتفع حتى يبلغ الصوت إلى أقصى مدى.
- أن يكون المنادي صيتا حسن الصوت. لقوله« فإنه أندى منك صوتا»
- وأن يرفع الآذان بأعلى صوت يقدر عليه. لقوله: «ترفع بها صوتك» وفي رواية «فمد بها صوتك».

---

(1) رواه البخاري ٢ / ٦٥ في الأذان ، باب بدء الأذان ، ومسلم رقم (٣٧٧) في الصلاة ، باب بدء الأذان ، والترمذي رقم (١٩٠) في الصلاة ، باب بدء الأذان ، والنسائي ٢ / ٢ في الأذان ، باب بدء الأذان

- أن يلتفت عند الحيعلتين يمينا وشمالا حتى يسمع أهل هذه الجهات «فجعلت أَتَتَبَّع فاه هاهنا وهاهنا، يميناً وشمالاً»، وفي رواية: « رأيتُ بلالاً يُؤذِّن ويدورُ، ويُتْبِعُ فاه هاهنا وهاهنا، وإصبِعَاهُ في أُذُنيه».

٣ – الخطابة المنبرية:

وهي وسيلة تواصلية دعوية عامة هامة تلقى في الجماهير المتجمعة قام بها الرسول -ﷺ- في مكة في خطابه الدعوي في الجماعات، لكن في المدينة كان الاهتمام بها أكثر، والأداء لها أوسع، وأكسبها من الخصوصية في القيام بها في الأعمال الدعوية الجماهيرية ما جعلها وسيلة دعوية لها طابعها الخاص، وهيئتها المتميزة اللائقة بدورها وأثرها وتحقيق ما هو مستهدف بها، خاصة وقد شرع القيام بها في بعض العبادات التي يدعى لها الجماهير من الناس: كالجماعة، والجمعة، والعيدين، والكسوفين، والاستسقاء، والحج، وغير ذلك.

ولكي تكون مسموعة ومبلغة إلى جمهور الناس جميعا فقد شرع لها المنبر في المسجد، أو المكان العالي الذي يدعى إليه الناس في غيره . عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ أَتَى رِجَالٌ إِلَى سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ يَسْأَلُونَهُ، عَنِ الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ الله -ﷺ- إِلَى فُلاَنَةَ – امْرَأَةٍ قَدْ سَمَّاهَا سَهْلٌ – أَنْ مُرِي غُلاَمَكِ النَّجَّارَ يَعْمَلُ لِي أَعْوَادًا أَجْلِسُ عَلَيْهِنَّ إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ فَأَمَرَتْهُ يَعْمَلُهَا مِنْ طَرْفَاءِ الْغَابَةِ ثُمَّ جَاءَ بِهَا فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ الله -ﷺ- بِهَا فَأَمَرَ بِهَا فَوُضِعَتْ فَجَلَسَ عَلَيْهِ»[1]. وكذلك في مصليات العيد والكسوفين والاستسقاء.

---

(١) صحيح البخاري: ٢/٨٠.

وفي خطابات الحج خطب الرسول الناس وهو على العضباء حتى يراه الناس ويسمعوه، عن نبيط ويكنى: أبا سلمة -رضي الله عنه- قال: «رأيتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يومَ عرفة واقفاً على جَمَلٍ أحمرَ يَخْطُبُ». أخرجه أبو داود والنسائي. وزاد النسائي: «قبل الصلاة»[1].

وكذلك في أي مكان تلقى فيه الخطبة لمخاطبة الجماهير، كما شرع لها القيام حتى يراه الناس ويسمعوه. عن جابر بن عبد اللهَّ قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم-«يخطب يوم الجمعة خطبتين قائماً يفصل بينهما بجلوس« زاد مسلم »فمن نبأك أنه كان يخطب جالسا فقد كذب فقد واللهَّ صليت معه أكثر من ألفي صلاة»[1].

٤ - الدرس العام الجماهيري:

الدرس العام وسيلة تواصلية دعوية جماهيرية هامة وهو في الغالب يكون شرحًا لآية من القرآن، أو لحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أو بيانًا لمسألة أو مسائل من الفقه أو لشرح قضية من القضايا الت تحتاجها الجماهير.

وقد كان لرسول الله في المسجد دروسه التي كان يتخول بها الجماهير من أصحابه. عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: «كَانَ عَبْدُ اللهَّ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ قَالَ أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»[2].

---

(١) خرجه أبو داود رقم (١٩١٦) في المناسك ، باب الخطبة على المنبر بعرفة ، والنسائي ٥ / ٢٥٣ في الحج ، باب الخطبة يوم عرفة ، وإسناد النسائي حسن ..

(١) مسند الشافعي:٤٤٤.

(٢) متفق عليه ، والرواية للبخاري ، كتب العلم ، باب ١٢.

وكان يجلس له على المنبر: وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رضي الله عنه- قَالَ: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ مُتَعَطِّفًا مِلْحَفَةً عَلَى مَنْكِبَيْهِ ، قَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ بِعِصَابَةٍ دَسِمَةٍ فَتَلَقَّتْهُ الْأَنْصَارُ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأُحِبُّكُمْ» فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَكَانَ آخِرَ مَجْلِسٍ جَلَسَهُ – فَقَالَ :«أَيُّهَا النَّاسُ إِلَيَّ»، فَثَابُوا إِلَيْهِ «فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ« ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ » فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ -رضي الله عنه- وَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، بَلْ نَفْدِيكَ بِأَمْوَالِنَا وَأَنْفُسِنَا وَأَوْلَادِنَا، فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا «فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- هُوَ الْعَبْدَ الْمُخَيَّرَ» ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-.[1].

ز – وسيلة التواصل الدعوي الجماهيري بالشعر:

إلقاء الشعر في الجماهير وسيلة تواصلية دعوية هامة مؤثرة لتحقيق بعض أهداف دعوة الإسلام المطلوبة منه وممن ينشئه أو يلقيه.

فلم يقف الرسول من هذه الوسيلة المؤثرة موقفا سلبياً، بل تعامل معها تعاملا إيجابيا تمثل في: سماعه، والاستشهاد به، ومشاركة أصحابه في إنشاده، وأمر بإنشاده في المواضع المقتضية له، وأجاز المنشدين له وأكرمهم، وسماعه، في المسجد بل ساواه في بعض المواقف بالخطابة، فنصب لملقيه المنبر ليلقوا الشعر من علوه على الجماهير. كل

(١) انظر: (حم) ٢٤٣٢، ١١٨٨١ ، ١٢٩٧٣ ، (خ) ٤٥٤ ، ٤٥٥، ٨٨٥ ، ٣٦٩١، ٣٤٥٤ (م) ٢ - (٢٣٨٢ (حب) ٧٢٧١ ، انظر الصَّحِيحَة : ٩١٦(ت) ٣٦٥٩ ، ٣٦٦٠.

ذلك كان مجالات عمل تواصلي دعوي متنوع ومتعدد.

وهذه نماذج من اعتماد رسول الله ﷺ وأصحابه لوسيلة الشعر في العمل الدعوي الجماهيري:

* لقد استحسن قصيدة (بانت سعاد) التي ألقاها كعب بن زهير في المسجد والصحابة مجتمعون حوله وكان فيها تمجيد لدعوة الرسول وللرسول ولأصحابه، وصفح عنه لأجلها بعد أن أهدر دمه وألقى عليه بردته تكريما له، ودعا جمهور الناس لسماعها روى الحاكم عن موسى بن عقبة قال: أنشد النبي ﷺ كعب بن زهير (بانت سعاد) في مسجده بالمدينة فلما بلغ قوله :

(إن الرسول لسيف يستضاء به   وصارم من سيوف الله مسلول)

(في فتية من قريش قال قائلهم   ببطن مكة لما أسلموا زولوا)

أشار رسول الله ﷺ بكمه إلى الخندق ليسمعوا منه»[1]، وفي رواية « أَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكُمِّهِ إِلَى الْخَلْقِ لِيَأْتُوا فَيَسْمَعُوا مِنْهُ»[2].

٢ – وسيلة (الصلاة جامعة) لخطاب الجمهور في المناسبات المقتضية لذلك :

تنوعت، وسائل الدعوة لمخاطبة الجمهور دعويا في قضايا العمل الدعوي المختلفة والمتنوعة ومن هذه الوسائل المناداة بلفظ:«الصلاة جامعة» في عهد الرسول والراشدين في المسجد أو غيره في الحضر أو السفر. من ذلك:

(١) مستدرك الحاكم:٦٧٣/٣ هذا حديث له أسانيد قد جمعها إبراهيم بن المنذر الحزامي منها حديث محمد بن فلج عن موسى بن عقبة و حديث الحجاج بن ذي الرقيبة فإنهما صحيحين و قد ذكرها محمد بن إسحاق القرشي في المغازي مختصرا. تعليق الذهبي في التلخيص : قال الحاكم هذا وحديث ابن ذي الرقيبة صحيحان .

(٢) سنن البيهقي الكبرى: ٢٤٤/١٠.

- **وسيلة التواصل الدعوي الجماهيري بأسلوب الخطاب العام(الصلاة جامعة):**

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ قَالَ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ فِى ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فِى سَفَرٍ فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِى جَشَرِهِ إِذْ نَادَى مُنَادِى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- (الصَّلاَةَ جَامِعَةً). فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِىٌّ قَبْلِى إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِى أَوَّلِهَا وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا وَتَجِىءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَتَجِىءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ مُهْلِكَتِى. ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِىءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ هَذِهِ. فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِى يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ». فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ أَنْشُدُكَ اللَّهَ آنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَأَهْوَى إِلَى أُذُنَيْهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ وَقَالَ سَمِعَتْهُ أُذُنَاىَ وَوَعَاهُ قَلْبِى».[1] .

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- نَادَى فِي النَّاسِ: « الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ »، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ اللهِ، فَانْطَلَقَ إِلَى أَهْلِهِ جَوَادًا، فَأَلْقَى ثِيَابًا كَانَتْ عَلَيْهِ، وَلَبِسَ ثِيَابًا كَانَ

(١) صحيح مسلم: ١٨/٦.

يَأْتِي فِيهَا النَّبِيَّ -ﷺ-، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الْمُصَلَّى وَرَسُولُ اللهِ -ﷺ-، قَدِ انْحَدَرَ مِنْ مِنْبَرِهِ، وَقَامَ النَّاسُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: مَا أَحْدَثَ نَبِيُّ اللهِ -ﷺ- الْيَوْمَ؟ قَالُوا: « نَهَى عَنِ النَّبِيذِ » قَالَ: أَيُّ النَّبِيذِ؟ قَالَ: « نَهَى عَنِ الدُّبَّاءِ، وَالنَّقِيرِ « قَالَ: فَقُلْتُ لِنَافِعٍ: فَالْجَرَّةُ؟ قَالَ: وَمَا الْجَرَّةُ؟ قَالَ: قُلْتُ الْحَنْتَمَةُ، قَالَ: وَمَا الْحَنْتَمَةُ؟ قُلْتُ: الْقُلَّةُ، قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَالْمُزَفَّتُ؟ قَالَ: وَمَا الْمُزَفَّتُ؟ قُلْتُ: الزِّقُّ يُزَفَّتُ، وَالرَّاقُودُ يُزَفَّتُ، قَالَ: لَا لَمْ يَنْهَ يَوْمَئِذٍ إِلَّا عَنِ الدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ»[1].

د – التواصل الدعوي الجماهيري عبر المناسبات الكونية: الكسوف والخسوف، والدعاء إليها ب(الصلاة جامعة): ينادى بالصلاة جامعة في الكسوف. عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- نُودِيَ إِنَّ الصَّلاَةَ جَامِعَةٌ[2].

وفي حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها بعد أن ذكرت صلاة الرسول صلاة الخسوف قَالَتْ: ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدِ انْجَلَتِ الشَّمْسُ فَخَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لاَ يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلاَ لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللهَ وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا ثُمَّ قَالَ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللهَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ، أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللهَ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»[3].

---

(١) مسند أحمد: ٩:٤٩٠ررقم: ٥٦٧٨.

(٢) صحيح البخاري:٤٤/٢ رقم ١٠٤٥ وصحيح مسلم: ٦٢٧/٢ رقم:(٩١٠)

(٣) صحيح البخاري: ٤٤/٢رقم١٠٤٤.

٥ - التواصل الدعوي الجماهيري عبر فريضة الحج وخطاباته التواصلية الدعوية الثلاثة لجمهور الحجاج:

- **الحج عبادة فيه تواصل جماهيري دعوي عبر عرض تعاليم وأحكام الإسلام:**

في حديث جابر في حج رسول الله، فقال جابر رضي الله عنه: حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ فَنَزَلَ بِهَا حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ فَرُحِلَتْ لَهُ فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِى فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِى شَهْرِكُمْ هَذَا فِى بَلَدِكُمْ هَذَا أَلاَ كُلُّ شَىْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَىَّ مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِى بَنِى سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِى النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ. فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ. وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّى فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ». قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ « اللَّهُمَّ اشْهَدِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ»[١] وقد كان في الموقف جمٌّ غفير لا يُحصي عددهم إلا الله تعالى[٢].

---

(١) صحيح مسلم:٣٩/٤ رقم ٣٠٠٩.

(٢) قيل: مائة وثلاثون ألفاً. انظر: فتح الملك المعبود ١٠٥/٢.

- **تواصل دعوي يوم النحر الذي سماه (الحج الأكبر) لجماهير الحجيج بوسيلة الخطابة:**

عن أبي بكرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه – أو بزمامه – وخطب الناس فقال: «أتدرون أيُّ يوم هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم [فسكت] حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «أليس بيوم النحر؟» قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «فأي شهر هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم [فسكت] حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «أليس بذي الحجة؟» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «فأي بلد هذا؟» قلنا الله ورسوله أعلم [فسكت] حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: «أليست البلدة الحرام؟» قلنا: بلى يا رسول الله ، قال: «فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا [وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، فلا ترجعوا بعدي كفاراً] [أو ضُلاَّلاً] يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد [منكم] الغائب [فَرُبَّ مُبلَّغ أوعى من سامع] ألا هل بلَّغت [ثم انكفأ إلى كبشين أملحين فذبحهما..» قال ابن عباس رضي الله عنهما: فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته فليبلغ الشاهد الغائب [1]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «وقف النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم النحر بين الجمرات... وقال: «هذا يوم الحج الأكبر» وطَفِق النبي يقول: «اللهم اشهد» وودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع»[2]، وعن عبد الرحمن بن معاذ التيمي -رضي الله عنه- قال: (خطبنا

(١) البخاري برقم ١٧٣٩..

(٢) البخاري برقم ١٧٤٢.

رسول الله -ﷺ- ونحن بمنى فَفُتِحت أسماعُنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا..)[1].

- **تواصل جماهيري لجماهير الحجيج في ثاني أيام التشريق:**

ويقال له: يوم الرؤوس؛ لأن أهل مكة يسمونه بذلك؛ لأكلهم رؤوس الأضاحي فيه، وهو أوسط أيام التشريق[2].

فعن أبي نجيح عن رجلين من أصحاب النبي -ﷺ-، وهما من بني بكر، قالا: رأينا رسول الله -ﷺ- يخطب بين أوسط أيام التشريق، ونحن عند راحلته، وهي خطبة رسول الله -ﷺ- التي خطب بمنى ومعنى قوله: «وهي خطبته التي خطب بمنى» أي مثل الخطبة التي خطبها يوم النحر بمنى، فالخطبتان: في يوم النحر، وفي ثاني أيام التشريق اليوم الثاني عشر متحدتان في المعنى[3] بمنى .

- **تواصل جماهيري دعوي يوم فتح مكة عبر خطاب الرسول في الجماهير:**

قال ابن القيم: ثم أغلق عليه البابَ - أي باب الكعبة -، وعلى أُسامة وبلال، فاستقبل الجِدَارَ الذي يُقابل البابَ، حتى إذا كانَ بينَه وبينَه قدرُ ثلاثةِ أذْرُعٍ، وقف وصلَّى هناك، ثم دار في البيت، وكبَّر في نواحيه، ووحَّد الله، ثم فتح البابَ، وقريش

---

(١) أبو داود برقم ١٩٥٧ وفي آخره قصة تدل على أنه يوم النحر، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم ١٧٢٤، ٣٦٩/١.

(٢) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود ٤٣٢/٥، وفتح الملك المعبود تكملة المنهل العذب المورود ١٠٠/٢، وفتح الباري ٥٧٤/٣.

(٣) انظر: عون المعبود ٤٣١/٥، وفتح الملك المعبود ١٠٠/٢.

قد ملأت المسجد صفوفاً ينتظرون ماذا يصنَعُ، فأخذَ بعضَادتي الباب، وهم تحتَه، فقال: «لا إِلَهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَريكَ له، صَدَقَ وَعْدَهُ، ونَصَرَ عَبْدَهُ، وهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، ألا كُلُّ مَأْثُرَةٍ أوْ مَال أوْ دَم، فَهُو تَحْتَ قَدَمَي هاتين إلاَّ سِدَانة البيْت وسقَاية الحَاجِّ، ألا وَقَتْلُ الخَطَأ شِبْهُ العَمْدِ السَّوطُ والعَصا، ففيهِ الدِّيَةُ مُغَلَّظَةً مائة مِنَ الإبلِ، أرْبَعُونَ مِنْهَا في بُطُونِها أوْلادُها، يَا مَعْشَرَ قُرَيْش، إنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُم نَخْوَةَ الجَاهِلِيَّةِ وتَعظُّمَها بالآباء، النَّاسُ مِنْ آدَمَ، وآدَمُ مِنْ تُرابٍ»، ثم تلا هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير**﴾[1]، ثم قال: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْش؛ مَا تَرَوْنَ أنّي فَاعِلٌ بكم ؟» قالوا: خيراً، أخ كريم وابنُ أخ كريم، قال: «فإنِّي أقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لإخْوَتِهِ: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُم اليَوْمَ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»[2] .

هذه نماذج اخترناها لنؤصل بها الخطاب الدعوي التبليغي عبر الاتصال والتواصل الجماهيري في العمل الدعوي لأحوال مختلفة ومتنوعة ولهذا التواصل الدعوي الجماهيري ضوابط وآداب سنتناولها في الآتي:

---

(١) سورة الحجرات: الآية (١٣).

(٢) زاد المعاد في هدي خير المعاد:٣/٣٥٦.

٣ - ضوابط وآداب وسيلة وأسلوب ونشاط التواصل بالجماهير في العمل الدعوي:

التواصل الجماهيري الدعوي الموجه عبر الخطاب له ضوابطه وآدابه التي ينبغي للعامل في حقل الدعوة أن يراعيها بعد استيعابها لأن ذلك من فقه الدعوة وحسن الأداء لها وهي كثيرة نذكر أهمها:

١ - الإخلاص في القيام بهذا الخطاب وابتغاء به وجه الله لا ليقال أنه داعية مفوه وحصيف، ولا يقصد بذلك أي غرض من أغراض الدنيا ولا الحصول على أي مغنم من ذلك.

٢ - أن يكون صاحبه عنده من الفقه ما يعينه على أداء عمله هذا بوجه صحيح وفي الحديث «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» والقرآن الكريم يجعله شرطا للدعوة خاصة العامة قال تعالى: ﴿ **فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾[١].

٣ - أن يكون الخطاب حسنا تقبله العقول وترضى به النفوس غير منفر ولا ممجوج ﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً** ﴾[٢].

٤ - أن تكون الحكمة صفته والموعظة زينته والوضوح سمته والبيان برهانه وحجته ﴿ **ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾[٣].

---

(١) سورة التوبة: الآية (١٢٢).

(٢) سورة البقرة: الآية (٨٤).

(٣) سورة النحل: الآية (١٢٥).

٥ – أن يكون التواصل الخطابي عاماً غير مفصل، وكليا غير مجزأ أو مفرع إلا إذا وجد المقتضي وبقدر الحاجة ليستوعب في عمومه عامة الجماهير، ويدخل في مضمونه أكثر المخاطبين، ويضم بشموله سائر المدعوين، وبذلك يستطيع الخطاب أن يكون مقبولاً يسع الناس ويبلغ فهومهم ويتناسب تنوعه ولا ينحجر على فئة، أو ينغلق بمجموعة.

٦ – اختيار الوقت المناسب لهذا التواصل: فلا يخاطب الجماهير دعويا بخطبة أو موعظة أو نحو ذلك في وقت يشق فيه على السامعين، كوقت حرٍ شديد، أو برد قارس مثلا.

٧ – اختيار المكان المناسب للتواصل بالخطاب الدعوي والزمن المناسب الذي يرتاح إليه المستمعون، ويكون عاملاً في حسن إصغائهم وتحقق ثمرة الاجتماع بهم.

٨ – تجنب الإطالة: فالإطالة هي آفة المتواصلين.

٩ – شمولية الخطاب التواصلي من حيث الموضوع: إذ هو دعوة لجعل الحياة كلها تقوم وتمضي وتُرسى أركانها وقوائمها ومقوماتها على أهداف الإسلام وغاياته ومقاصده. وبهذا جاء النداء الإلهي للمؤمنين يقول لهم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾[1].

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٢٤).

٤ - فوائد وثمار التواصل الدعوي عبر الخطاب الدعوي الجماهيري.

الدعوة إلى الله قام الله بها وهو صاحب الهداية فيها، قال الله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[(١)].

ولما فيها من الخير المطلق يكرم الله عز وجل كل متواصل بالجماهير ليخاطب الجماهير بدعوة الله وينشرها في المكلفين بالقول الحسن على طريقة النبي -ﷺ- بالفوائد العظيمة، والثمار الكبيرة جداً، لنأخذ بعضاً من هذه الفوائد والثمار التي تنعكس على الفرد والجماعة على المدى القريب والبعيد. فعلى وجه الاجمال:

١- يحصل للداعي الهداية والاستقامة، وزيادة الإيمان، وزيادة العمل الصالح، وحسن العمل، وتنوع العمل، وكثرة العمل، وكمال اليقين، وأنعم بذلك كله فائدة وثمرة.

٢- يحصل للداعي من الأجر بقدر مَنْ دعاه من الناس، وله مثل أجر من اهتدى بسببه. «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يُنْقِصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْوِزْرِ مِثْلُ أَوْزَارِ مَنْ تَبِعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا »[(٢)].

٣- يعز الله الداعي وإن لم تكن عنده أسباب العزة كما أعز بلالاً وسلمان رضي الله عنهما.

---

(١) سورة يونس: الآية (٢٥).

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة من حديث أبي هريرة.

٤- يجعل الله أعمال الدين كلها محبوبة لديه، يقوم بها، ويدعو إليها.

٥- يجعل الله له محبة في قلوب الخلق وهيبة وإجلالاً.

٦- القيام بالواجب وهو واجب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى في الأمة وهي فرض كفاية.

٧- إقامة الحجة أمام الله سبحانه وتعالى على المدعوين، والله سبحانه وتعالى يقول للرسل: ﴿ **رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً** ﴾[1]، فإذا دعوت الناس وبينت لهم الحق وشرحت لهم دين الله سبحانه وتعالى سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين فإنك تقيم الحجة عليهم أمام الله تبارك وتعالى.

٨- الخروج من العهدة وإبراء الذمة والمعذرة يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾[2].

٩- تبليغ رسالة الإسلام إلى الناس، لما ورد عنه -ﷺ-: «بلغوا عني ولو آية»[3].

١٠- التّشبّه بالأنبياء والصّالحين وسلوك مسالكهم

١١- في القيام بها نشر للفضيلة ومحاربة للرّذيلة.

١٢- بها تصلح الأفراد وتسعد الشّعوب.

---

(١) سورة النساء: الآية (١٦٥).

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٦٤).

(٣) رواه البخاري : ٤٣٦١

١٣- بها يتقرّب العبد من ربّه ويفوز بمحبّته.

١٤- تكسب الدّاعي بركة دعوة المصطفى ﷺ بأن ينضّر اللهّ وجهه.

١٥- تشرح للعالم كلّه سبل الإسلام السّمحة وتردّ على الدّعاوى الباطلة الّتي يلصقها المغرضون بالدّين الحنيف.



وسائل (التربية) وأساليبها وأنشطتها وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: وسيلة التزكية ووسائلها وأنشطتها

المطلب الثاني: وسائل تربية الفرد والجماعة والمجتمع

المطلب الثالث: وسيلة المجاهدة وأساليبها وأنشطتها.

المطلب الرابع: وسيلة الأسوة الحسنة وأساليبها وأنشطتها.

المطلب الخامس: وسيلة التعليم وأسلوبه وأنشطته في العمل الدعوي

المطلب الأول

وسيلة التزكية وأساليبها وأنشطتها

١- مفهوم التزكية في العمل الدعوي

أ- التزكية لغة:

التزكية مأخوذة من مادة زكو، و(زَكا) المالُ والزَّرْعُ وغيرُهما (نَمَا) وراعَ. وكلُّ شيءٍ يَزْدادُ ويَسْمَنُ . فيَزْكُو زَكاءً[١]. (وزَكَّاهُ اللهُّ تعالى)تَزْكِيةً (وأَزْكاهُ): أَنْماهُ وجَعَلَ فيه بركةً؛ (و) زَكا (الرَّجُلُ): (صَلُحَ) ؛ وبه فُسِّر قوْلُه تعالى: ﴿**ما زَكَى مِنْكُم مِن أَحَدٍ**﴾[٢]، أَي ما صَلُحَ. (و) زَكا يَزْكُو: (تَنَعَّمَ) وكانَ في خِصْبٍ. (والزَّكاةُ صَفْوَةُ الشَّيءِ) (و) الزَّكاةُ: (ما أَخْرَجْتَه من مالِكَ لتُطَهِّرَهُ به) [٣]. قال ابنُ الأثيرِ: وكلُّ ذلك قد اسْتُعْمِل في القُرْآنِ والحدِيثِ[٤]. إذا الزكاة لغة تعني: النماء، والبركة ،والصلاح، والتنعم، وصفوة الشيء، والتطهير، والمدح. والتزكية قد استوعبت هذه المعاني. كما سيتضح من تعريفها الاصطلاحي.

ب-التزكية اصطلاحا:

التزكية في الاصطلاح في جملتها لا تخرج عن المدلول اللغوي، ولذلك جاءت عدة تعاريف للفظ التزكية وهي مستقاة من هذه المعاني اللغوية. وأمثلها: قول

(١) تاج العروس:٣٨/٢٢٠.
(٢) سورة النور: الآية (٢١).
(٣) انظر لسان العرب:١٤/٣٥٨.
(٤) النهاية في غريب الأثر:٢/٧٦٥.

بعضهم: معنى التزكية: تطهير النفوس وإصلاحها بالعلم النافع والعمل الصالح، وفعل المأمورات وترك المنهيات. وهذا التعريف قريب من المقصود به في بحثنا قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾[1].

ج- مفهوم التزكية في العمل الدعوي:

الأصل الذي به نجاة الفرد وصلاح الجماعة هو التزكية التي تمنن الله بها على عباده المؤمنين بقوله: ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2]، وأخبر في كتابه أنه أرسل نبيه المصطفى ﷺ يزكي به قلوب الناس فقال تعالى ممتنا ببعثته: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[3]، وعكس التزكية التدسية: وهي التصغير والتحقير حتى تصير النفس حقيرة دنيئة لا تكاد ترى من حقارتها ودناءتها، ومنه قوله عز وجل: ﴿ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾[4]، أي يخفيه في التراب، وقد أقسم الله عز وجل في كتابه أحد عشر قسما متواليا على أن صلاح العبد منوط بتزكية نفسه، وخيبته منوطة بتدسية نفسه قال تعالى: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا

---

(١) سورة الشمس: الآية (٩).

(٢) سورة النور: الآية (٢١).

(٣) سورة الجمعة: الآية (٢).

(٤) سورة النحل: الآية (٥٩).

فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[1]، ومن هذا يتضح أن التزكية هي المقصد الأسمى الذي يريده الله لعباده في هذه الدنيا، وهي منتهى ما بعث الله لأجله رسله، وخلاصة ما ضمنه شرائعه.

٢- عرض مفهوم وسيلة وأسلوب ونشاط التزكية في العمل الدعوي (التأصيل)

نص القرآن الكريم في كثير من آياته على كون تزكية الإنسان وترقيته هي مقصود بعث الرسل عمومًا، وخاتمهم رسول الإسلام خصوصًا في دعوة نبي الله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يرفعان القواعد من البيت، التي كانت في آخرها التزكية إذ قال الله حاكياً قولهما: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[2]، فلما استجاب الله تبارك وتعالى دعوة إبراهيم عليه السلام قدم التزكية على التعليم كما بين ذلك في سورة البقرة فقال: ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾[3]، وفي سورة آل عمران: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾[4]، وفي آية الجمعة قال: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ**

---

(١) سورة الشمس: الآيات (١-١٠).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٢٩).

(٣) سورة البقرة: الآية (١٥١).

(٤) سورة آل عمران: الآية (١٦٤).

يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[1]، فقدمت التزكية على التعليم، لأولوية الاهتمام بها، ولأنها من المهام الأساس في دعوة الرسول.

والتزكية تتضمن معنيين، التطهير والتنمية. فالتزكية في الأمور المعنوية هي التطهير من العيوب والأدران والآفات (أي من الصفات السلبية)، وهي ما يطلق عليها (التخلية). وتنمية المحاسن والفضائل وعناصر الخير (أي الصفات الإيجابية) وهي ما يطلق عليها (التحلية). ولأهميتها وضرورتها كانت التزكية دعوة النبي -ﷺ-: (اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها)[2].

وقد اختصر النبي المقصود منها في كلمة جامعة عن عبد الله بن معاوية الغاضِري -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: «ثَلاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ ذَاقَ طعْمَ الإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ فِي كُلِّ عَامٍ، وَزَكَّى نَفْسَهُ»، فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال: «أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ»[3].

وتَزْكِيَة الإِنْسانِ نَفْسه ضَرْبان: أَحَدُهما بالفِعْلِ وهو مَحْمودٌ وإليه قَصَد بقوْلِه تعالى: ﴿قد أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها﴾[4]، وقوْلُه: ﴿قد أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّى﴾[5]، والثاني بالقَوْلِ كتَزْكِيَةِ العدلِ وغَيره وهو مَذْمُومٌ، وقد نَهَى اللهُ، عزَّ وجلَّ عنه بقوْلِهِ: ﴿فلا تُزَكّوا

(١) سورة الجمعة: الآية (٢).

(٢) صحيح مسلم: ٨١/٨.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ١/ ٢٠١ ، والبيهقي في السنن ٤ /٩٥ وصححه الألباني في ((الصحيحة)) ح (١٠٤٦).

(٤) سورة الشمس: الآية (٩٤).

(٥) سورة الأعلى: الآية (١٤).

أَنْفُسكُم هو أَعْلَم بمَنِ اتَّقَى﴾[1]؛ ونَهْيه عن ذلِكَ تأْدِيباً لقبْحِ مَدْحِ الإِنْسانِ نَفْسه عَقْلاً وشَرْعاً، ولهذا قيلَ لحكيم: ما الذي لا يحسنُ وإن كان حقّاً؟ فقالَ: مَدْحُ الرَّجُل نَفْسه[2].

وقد أجمع علماء القلوب على أن القلوب لا تصل إلى مناها حتى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة زكية، والله عز وجل طيب لا يقبل إلا طيبا، فكلما طابت النفس وزكت قربها الله عز وجل، فتسعد بالله عز وجل، وتأنس بالله عز وجل، وتستغني بالله عز وجل. وكلما عصى العبد ربه وصغر نفسه وحقرها بمعصية الله طرده الله عز وجل عن حضرته، وأبعده بقدر جنايته، فتحدث الوحشة بينه وبين ربه عز وجل، وبينه وبين عباد الله المؤمنين، فلو حصلت له الدنيا بحذافيرها لم تعوضه هذه الوحشة.

وبزكاء النّفس وطهارتها يصير الإنسان زاكيا بحيث يستحقّ في الدّنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة، وهو أن يتحرّى الإنسان ما فيه تطهيره[3].

والتزكية هي أقرب الكلمات وأدلها على معنى التربية، فالتربية والتزكية تشتركان في إصلاح النفس وتهذيب الطباع وشد الإنسان إلى أعلى كلما حاولت المثبطات والهواجس أن تسفأ به وتعوج[4]. لذلك سنتناول في هذا العرض التأصيلي

---

(١) سورة النجم: الآية (٣٢).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن:١/٤٣٦٠- ٤٣٧.

(٣) تفسير بن كثير:

(٤) محمد الغزالي، نظرية التربية الاسلاّمية للفرد والمجتمع، بحث مقدم لندوة الخبراء التربويين المنعقد في مكة المكرمة بين ١١-١٦/٦/١٤٠٠هـ ص ١.

الآيات والبيان النبوي التي لها صلة بوسيلة التربية الربانية المحققة للتزكية وصلتها بالعمل الدعوي باعتبارها وسيلة عملية. ووسيلة وأسلوب القيام بها لمختلف الفئات العمرية ولنعلم أن الله ذكر لنا في كتابه:

أولا: أنها وحي الله إلى الأمم السابقة للقيام بها:

١- قال تعالى: ﴿وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَإِقامَ الصَّلاةِ وَإِيتاءَ الزَّكاةِ وَكانُوا لَنا عابِدِينَ﴾(١).

٢ - وقال تعالى: ﴿قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَأَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا﴾(٢).

ثانيا: وأمر الله للرسل بالقيام بها في أممهم: قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِسْماعِيلَ إِنَّهُ كانَ صادِقَ الْوَعْدِ وَكانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ وَكانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾(٣)، قال الطبري: يعني بالزكاة: طاعة الله والإخلاص(٤)، وقال تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى﴾(٥)، فقل له: هل لك إلى أن تتطهَّر من دنس الكفر، وتؤمن بربك؟. وقال تعالى: ﴿وَما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ

---

(١) سورة الأنبياء : الآية (٧٣).

(٢) سورة مريم: الآيات (٣٠-٣٢).

(٣) سورة مريم: الآيتان (٥٤-٥٥).

(٤) تفسير الطبري:١٩/١٩٤.

(٥) سورة عبس: الآيتان (١٧-١٨).

وَذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[1].

ثالثا: وحي الله لنبيه لأمر أمته بالتحقق بها وترغيبهم في ذلك: قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقابِ وَأَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ﴾[4]، ذكر شيخنا الشنقيطي: من أوجه الْمُرَادِ بِالزَّكَاةِ هُنَا: زَكَاةُ النَّفْسِ أَيْ: تَطْهِيرُهَا مِنَ الشِّرْكِ، وَالْمَعَاصِي بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كما نقله عن ابن كثير[5]، وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ (٣٦) رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصارُ﴾[1]، قال الطبري: وقوله: ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ قيل: معناه

---

(١) سورة البينة: الآيات (١-٥).

(٢) سورة البقرة: الآيتان (١٠٩-١٠٠).

(٣) سورة البقرة: الآية (١٧٧).

(٤) سورة المؤمنون: الآيات (١-٤).

(٥) أضواء البيان:٥/٣٠٧- ٣٠٨.

(١) سورة النور: الآيتان (٣٦-٣٧).

وإخلاص الطاعة لله. ونقله عن ابن عباس رضي الله عنهما[1]، وقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضى﴾[2]، قولُهُ: يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى، أَيْ: يَتَطَهَّرُ وَيَسْتَزِيدُ، إِذِ التَّزْكِيَةُ تَأْتِي بِمَعْنَى النَّمَاءِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[3]، وَلَا يُقَالُ: إِنَّهَا زَكَاةُ الْمَالِ؛ لِأَنَّ الزَّكَاةَ لَمْ تُشْرَعْ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ، وَالسُّورَةُ مَكِّيَّةٌ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ. وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ[4]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيها وَلا يَحْيى ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحاتِ فَأُولئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ الْعُلى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَذلِكَ جَزاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾[5]، قال الطبري: وهذه الدرجات العُلى التي هي جنات عدن على ما وصف جلّ جلاله ثواب من تزكى، يعني: من تطهر من الذنوب، فأطاع الله فيما أمره، ولم يدنس نفسه بمعصيته فيما نهاه عنه[6].

رابعا: والتزكية تتحقق بتوفيق من الله: قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلكِنَّ اللَّهَ

---

(١) تفسير الطبري:١٩٤/١٩.

(٢) سورة الليل: الآيات (١٧-٢١).

(٣) سورة التوبة: الآية (١٠٣).

(٤) أضواء البيان: ٥٥٢/٨.

(٥) سورة طه: الآيات (٧٤-٧٦).

(٦) تفسير الطبري:٣٤٣/١٨.

يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، يقول الطبري: ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته لكم، ما تَطَهَّر منكم من أحد أبدا من دنس ذنوبه وشركه، ولكن الله يطهرُ من يشاء من خلقه[2].

خامسا: التزكية تتحقق بمجاهدة الإنسان نفسه عليها قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[3]، قال قتادة: ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ أي: من يعمل صالحًا فإنما يعمله لنفسه[4]، وقال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى ۝٢ وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرى﴾[5].

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾[6]، قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ أي: طهَّر نفسه من الأخلاق الرذيلة، وتابع ما أنزل الله على رسوله، صلوات الله وسلامه عليه[7]، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[1]، «زَكَّاهَا» بِمَعْنَى طَهَّرَهَا، وَأَوَّلُ مَا يُطَهِّرُهَا مِنْهُ دَنَسُ الشِّرْكِ وَرِجْسُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[2]، وَتَطْهِيرُهَا مِنْهُ بِالْإِيمَانِ ثُمَّ مِنَ الْمَعَاصِي

---

(١) سورة النور: الآية (٢١).
(٢) تفسير الطبري: ١٣٥/١٩.
(٣) سورة فاطر: الآي (١٨).
(٤) تفسير الطبري: ٤٥٦/٢٠.
(٥) سورة عبس: الآيات (١-٤).
(٦) سورة الأعلى: الآية (١٤).
(٧) سورة يوسف: الآية (١٠٨).
(١) سورة الشمس: الآيتان (٩-١٠).
(٢) سورة التوبة: الآية (٢٨).

بِالتَّقْوَى، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[1]، ثُمَّ بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[2]، [3].

سادسا: التزكية القائم بها رسول الله، والوارثون لها الربانيون من أمته من بعده، والأمة المتزكية هي أمته أمة الإسلام: قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْماعِيلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنا وَاجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنا مَناسِكَنا وَتُبْ عَلَيْنا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[4]، فالْأُمَّةَ الْعَرَبُ، وَالرَّسُولَ هُوَ سَيِّدُ الرُّسُلِ مُحَمَّدٌ ﷺ وَذَلِكَ كما فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾[5]؛ لِأَنَّ الْأُمِّيِّينَ الْعَرَبُ بِالْإِجْمَاعِ، وَالرَّسُولَ الْمَذْكُورَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ إِجْمَاعًا، وَلَمْ يُبْعَثْ رَسُولٌ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ إِلَّا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَحْدَهُ . وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ هُوَ الرَّسُولُ الَّذِي دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ، وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ عُمُومَ رِسَالَتِهِ ﷺ إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ[1]، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ

---

(١) سورة النجم: الآية (٣٢).

(٢) سورة الأعلى: الآيتان (١٤-١٥).

(٣) أضواء البيان:٨/٥٤٣.

(٤) سورة البقرة: الآيات (١٢٧-١٢٩).

(٥) سورة الجمعة: الآيتان (٢-٣).

(١) أضواء البيان:١/٤٤.

آياتِنا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[٢]، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ قال بن كثير: فمن حِكَم إرساله -ﷺ- التزكية، وقد تنوعت عبارات المفسرين في بيان معنى التزكية، لكنها تدور في إطار متقارب[٣].

والتزكية النبوية تتحقق لأولئك الذين شرفوا بصحبته -ﷺ- والتلقي منه، وتتحقق لمن بعدهم بالرجوع لسنته وهديه -ﷺ- أي: يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكُوَ نفوسهم وتطهر من الدَّنَسِ والخَبَث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم[٤]، وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِها وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٥]، التَّزْكِيَةُ: جَعْلُ الشَّيْءِ زَكِيًا، أَيْ كَثِيرَ الْخَيْرَاتِ. فَقَوْلُهُ: تُطَهِّرُهُمْ إِشَارَةٌ إِلَى مَقَامِ التَّخْلِيَةِ عَنِ السَّيِّئَاتِ. وَقَوْلُهُ: تُزَكِّيهِمْ إِشَارَةٌ إِلَى مَقَامِ التَّحْلِيَةِ بِالْفَضَائِلِ وَالْحَسَنَاتِ. وَلَا جَرَمَ أَنَّ التَّخْلِيَةَ مُقَدَّمَةٌ عَلَى التَّحْلِيَةِ. فَالْمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الصَّدَقَةَ كَفَّارَةٌ لِذُنُوبِهِمْ وَمَجْلَبَةٌ لِلثَّوَابِ الْعَظِيمِ[١]،

---

(١) سورة البقرة: الآيتان (١٥١-١٥٢).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٦٤).

(٣) (تفسير ابن كثير ج١/ص٤٢٥).

(٤) تفسير بن كثير:١٥٨/٢.

(٥) سورة التوبة: الآيتان (١٠٣-١٠٤).

(١) التحرير والتنوير:٢٣/١١.

والذي يقوم بالتزكية هو رسول الله -ﷺ- المتمثلة في أخذ زكاة أموالهم فيتحقق لهم بذلك الطهارة مما اقترفوه من الذنوب والمعاصي والطاعة بأدائهم ما فرض عليهم امتثالا للأمر ورجاء للمغفرة والثواب والأجر، وبذلك فسرها بن جرير[1].

سابعا: العبادات البدنية والمالية سبيل لطهارة النفس وزكاتها:

١- فالصلاة كما وصفها الله عز وجل: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾[2]، وقال -ﷺ-: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فيه كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قَالَ: فَكَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»[3]، ولذلك كانت الصلاة قرينة الزكاة في كثير من الآيات.

٢- الصيام سبب للتقوى التي هي من غايات التزكية الشرعية كما قال عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[1].

٣- الزكاة تطهير للمال ولنفس المزكي من الشح والبخل كما قال تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾[2].

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري:١٤/٤٥٥.

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٤٥).

(٣) متفقٌ عَلَيْهِ.

(١) سورة البقرة: الآية (١٨٣).

(٢) سورة التوبة: الآية (١٠٣).

٤- إقامة حدود الله تعالى في العقوبات طهارة للمجتمع من الجرائم وإشاعة للأمن والاستقرار كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

والخلاصة أن التزام أحكام الدين في الظاهر والباطن، في العلم والعمل، في العبادات والمعاملات وسائر مجالات الحياة سبب لتزكية الأفراد والمجتمعات.

ومن هنا يأتي دور المزكي- الذي يتولى تزكية المدعوين وضرورة توفره – لأن النبي لم يكن مخلدا ولا يستمر إلى الأبد في التزكية لكل من استجاب له، ولذلك ترك وارثين يخلفونه في الدعوة والتزكية والتعليم، شاركوه في هذه المهمة في حياته وهو يشرف عليهم، ويواصلون من بعده التزكية والتوريث وسيستمر الأمر من بعدهم إلى حيث شاء الله. وقد ترك لنا وسائل وأساليب وأنشطة تربوية تزكوية لمختلف الأعمار والأعداد البشرية نوجزها في المطلب الآتي:

٣- ضوابط وآداب التزكية في العمل الدعوي:

مع أهمية التزكية للعمل الدعوي وضرورتها ووجوب القيام بها، وممارستها، فإن الأمر يقتضي لمن يقوم بأمر التربية والتزكية أن يلتزم بضوابط وآداب التزكية عند القيام بهذه المهمة الدعوية في المدعوين والتي من أهمها ما يأتي:

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٥٤).

١ – أن تتحقق في المزكي صفة التقوى: قال تعالى: ﴿ وَاكْتُبْ لَنا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنا إِلَيْكَ قالَ عَذابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

٢– أن يكون القائم بعملية التزكية ربانيا فقيها بدين الله قال تعالى: ﴿ وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُون ﴾[2].

٣– أن يكون المزكي من المنشغلين بالاقتداء برسول الله -ﷺ- الحريصين على اتخاذه الإسوة في كل شيء: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَإِقامَ الصَّلاةِ وَإِيتاءَ الزَّكاةِ وَكانُوا لَنا عابِدِينَ ﴾[1].

٤– أن يكون المزكي عدلا تقيا ورعا لآنه لا يمكن أن يحمل هذا الدين ويحسن نقله وفق تلقيه له قولا وسلوكا إلا إذا كان كذلك، باعتباره وارثا، وفي الحديث عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَذَرِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ -ﷺ-: « يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ»[2]، وفي رواية عن أبي ذر(يحمل).

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٥٦).

(٢) سورة آل عمران: الآية (٧٩).

(٣) سورة الأحزاب: الآية (٢١).

(١) سورة الأنبياء: الآية (٧٣).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي:٢٠٩/١٠.

٥- أن يصحب التزكية التفقيه بدين الله وإلا تكون التزكية سببا للانحراف قال تعالى: ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾[1].

٦- لابد للتزكية من بيئة نظيفة حاضنة عنوانها الطاعة وإرضاء الله والخوف منه ولا تقبل حب الدنيا والانشغال بها، قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ (٣٦) رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصارُ ﴾[2].

٨- تجنيب المُزَكَّى المال والطعام الحرام، لأن التزكية تعني الطهارة والمال الحرام رجس فيكون عقبة أمام تحقق التزكية التامة، لذا قال تعالى: ﴿ مَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾[1]، وقال﴿ خذ من أموالهم صدقة طهرهم وتزكيهم بها ﴾ قال أهل التفسير تطهرهم: أي من الحرام.

٤- فوائد وثمار التزكية الإيمانية في العمل الدعوي:

لتزكية النفس في العمل الدعوي فوائدا وثمارا عظيمة نذكر منها جملة مهمة كقطوف يسيرة من شجرة الإيمان المباركة، تم اختيارها كمجموعة متنوعة، فمنها ما

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٦٤). سورة الجمعة: الآية (٢).

(٢) سورة النور: الآيتان (٣٦-٣٧).

(١) سورة الروم: الآية (٣٩).

يتعلق بعلاقة المؤمن بربه، ومنها ما ينعكس على علاقته بدنياه وآخرته، ومنها ما يظهر آثاره على تعاملاته مع الآخرين، وهي كثيرة أهمها:

١- **المبادرة والمسارعة لفعل الخير:** من أهم فوائد وثمار التزكية الإيمانية أنك تجد صاحبها مبادرًا ومسارعًا لفعل الخيرات، يتحرك في الحياة وكأنه قد رُفعت له راية من بعيد فهو يسعى جاهدًا للوصول إليها مهما كلفه ذلك من بذل وتعب وقد قرر قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** ﴾(١)، نذكر لذلك نموذجا من تزكية رسول الله لأصحابه وهو عبد الرحمن بن عوف في المسارعة إلى الخيرات، قال معمر عن الزهري تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد النبي -ﷺ- بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفا ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على خمسمائة راحله في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة(٢).

ومثل آخر في العمل الدعوي وشدة الحرص على دعوة الخلق إلى الله: فهذا أبو بكر الصديق بعد إسلامه وتزكية الرسول له يُسارع بالدعوة إلى الله من وَثق به من

---

(١) سورة المؤمنين: الآيات (٥٧-٦١).

(٢) البداية والنهاية:٧٦٣١٤.

قومه فأسلم على يديه: الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف[1].

٢- تقوية الوازع الداخلي وشدة الخوف من الله وحصول الرقابة الذاتية، وتزداد حساسية الفرد تجاه الوقوع أو مجرد الاقتراب من الشبهات والمحظورات: تشير إلى هذه الفائدة والثمرة هذه الآية: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾[2].

ومن نماذج ذلك: جاء رجل فقعد بين يدي النبي -ﷺ-، فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين يَكذِبونني، ويخونونني، ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا فيهم؟!، فقال رسول الله -ﷺ-: «إذا كان يوم القيامة يُحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافًا، لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلًا لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم .. اقتُص لهم منك الفضل، فتنحى الرجل، وجعل يهتف ويبكي، فقال رسول الله -ﷺ-: أما تقرأ قوله تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾[1]، فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء شيئًا خيرًا من مفارقتهم، أشهدك أنهم كلهم أحرار[2].

---

(١) انظر: (٣) السيرة لابن كثير (١/ ٤٣٧)، وذكره الحلبي في السيرة الحلبية (١/ ٤٤٩).

(٢) سورة الزلزلة: الآيتان (٧-٨).

(١) سورة الأنبياء: الآية (٤٧).

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٣/ ٤٧٩.

٣ـ التزكية تثمر الزهد في الدنيا: يقوى الإيمان في القلب بالتزكية ويقل تعلق صاحبه بالدنيا، ورغبته فيها، وحرصه عليها. والزاهد المُزكَّى على مائدة الإيمان هو الذي تضبط تعامله في الدنيا هذه الآية يقول الله تعالى: ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾(١).

نموذج وهو خباب بن الأرت يدخل عليه بعض أصحابه وهو في مرض الموت فيقول لهم: إن في هذا المكان ثمانين ألف درهم، والله ما شَدَدْتُ عليها رباطًا قط، ولا منعت منها سائلًا قط، ثم بكى، فقالوا: ما يبكيك؟! فقال أبكي لأن أصحابي مضوا ولم ينالوا من أجورهم في هذه الدنيا شيئًا، وإني بقيت فنلت من هذا المال ما أخاف أن يكون ثوابًا لتلك الأعمال(٢).

٤ـ التأييد الإلهي:

من فوائد وثمار التزكية الإيمانية أن أهلها يحضون بالتأييد الإلهي. والمعية، والنصرة الربانية يمنحهم ذلك تكريما ولطفا منه جل وعلا، قال تعالى: ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾(١)، فالكرامة على قدر الاستقامة ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾(٢)، ﴿ **وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا** ﴾(٣)، وكلما ارتقى العبد في سلم الإيمان ازدادت ولاية الله له: ﴿ **وَهُوَ يَتَوَلَّى**

---

(١) سورة القصص: الآية (٧٧).

(٢) الإصابة، ج١، ترجمة (٢٢١٠)، وأسد الغابة (١/ ٣١٦)، وحلية الأولياء (١/ ١٤٣)، وصفة الصفوة (١/ ١٦٨).

(١) سورة الجاثية: الآية (٢١).

(٢) سورة الحجرات: الآية (١٣).

(٣) سورة الجن: الآية (١٦).

الصَّالِحِينَ ﴾[1].

أذكر نموذجا لهذا التأييد الإلهي والنماذج العملية للتأييد الإلهي كثيرة، أخرج الحاكم عن محمد بن المنكدر أن «سفينة» -رضي الله عنه- مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها، فركبت لوحًا من ألواحها فطرحني اللوح في أَجَمَة[2] فيها الأسد، فأقبل إليّ يُريدني، فقلت يا أبا الحارث: أنا سفينة مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فطأطأ رأسه، واقبل إليّ، فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة ووضعني على الطريق، وهمهم، فظننت أنه يودعني، فكان ذلك آخر عهدي به[3].

٥ـ إيقاظ القوى الخفية:

ومن فوائد وثمار التزكية الإيمانية إيقاظ القوى الخفية، فعندما يتمكن الإيمان من القلب بالتزكية تزداد رغبة العبد في القيام بكل ما يحبه ربه ويرضاه، وتجعله يتغلب على أوضاعٍ أقوى منه، ويجتاز مصاعب أعظم بكثير من حدود إمكاناته، نذكر نموذجا نسترشد به إلى ذلك: إصرار عبد الله بن أم مكتوم على الجهاد وهو أعمى، وسفره مع جيش سعد بن أبي وقاص إلى القادسية لملاقاة الفرس، وهو لابس درعه، مستكمل عدته، فيتقدم ليحمل راية المسلمين ... وهو أعمى!! ويحافظ عليها إلى أن قُتل شهيدًا، وهو يحتضن الراية!![1].

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٩٦).

(٢) أجمة: شجر كثير ملتف (غابة).

(٣) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري رقم (٦٨٤٨)، ومعرفة الصحابة لأبي نُعيم، برقم (٣١٠٢)، وفي دلائل النبوة للبيهقي، برقم (٢٢٩٣).

(١) صور إيمانية من حياة الصحابة والتابعين ١/ ١٣١، ١٣٢، نقلًا عن الإصابة لابن حجر، والطبقات لابن سعد، وصفة الصفوة لابن الجوزي، والاستيعاب لابن عبد البر.

٦ـ قوة الرغبة في الله:

ومن فوائد وثمار التزكية الإيمانية قوة الرغبة في الله، والثقة فيه سبحانه وبنمو هذه الثقة في القلب بالتزكية تزداد رغبة العبد في ربه فيصبح مشغولًا به جل وعلا، فيتوجه إليه بالأعمال، ويتزين له بالأفعال التي ترضيه. وفي المقابل: يصغُر حجم الناس في نظره وتقل الرغبة لما عندهم من حيث كونهم لا يملكون له نفعًا أو ضرًّا، فلا يتزين لهم في أفعاله، ولا يسعى لعلو منزلته عندهم، بل يستغني عنهم، وينقطع من قلبه الطمع فيهم، ومن ثَّم لا يرائيهم بأقواله أو أفعاله . نموذج لذلك: يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله .. غبتُ عن أول قتال قاتلته المشركين، لئن أشهدني الله قتال المشركين لَيَرَيَنَّ الله مني ما أصنع. فلما كان يوم أُحد وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء (يعني: المسلمين)، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء (يعنى: المشركين)، ثم تقدم فاستقبل سعد بن معاذ، فقال: يا سعد، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها دون أحد. قال سعد: فما أستطيع أن أصف ما صنع[1].

٧ـ اختفاء الظواهر السلبية وقلة المشكلات الفردية:

من فوائد وثمار التزكية الإيمانية اختفاء الظواهر السلبية وقلة المشكلات بين الأفراد لأنه عندما يقوى الإيمان بفعل التزكية الإيمانية تختفي المظاهر السلبية وتقل المشكلات، تأمل قول الله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾[2]، وخذ هذا النموذج: عندما تولى أبو

(١) رواه البخاري (٣/ ١٠٣٢، برقم ٢٦٥١).

(٢) سورة ص: الآية (٢٤).

بكر الصديق الخلافة قام بتعيين عمر بن الخطاب قاضيًا على المدينة، فمكث عمر سنة لم يفتح جلسة، ولم يختصم إليه اثنان، فطلب من أبي بكر إعفاءه من القضاء، فقال له أبو بكر: أمن مشقة القضاء تطلب الإعفاء يا عمر؟! فقال: لا يا خليفة رسول الله، ولكن لا حاجة لي عند قوم مؤمنين، عرف كل منهم ما له من حق فلم يطلب أكثر منه، وما عليه من واجب فلم يُقصِّر في أدائه .. أحب كل منهم لأخيه ما يحبه لنفسه .. إذا غاب أحدهم تفقدوه، وإذا مرض عادوه، وإذا افتقر أعانوه، وإذا احتاج ساعدوه، وإذا أصيب واسوه .. دينهم النصيحة، وخلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففيم يختصمون ؟![1] نعم إنها تزكية رسول الله وتربيته ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾[1].

٨- التأثير الإيجابي في الناس:

ومن فوائد وثمار التزكية الإيمانية المباركة التأثير الإيجابي في الناس. انطلاقا من أن المسلم ليس عليه – فقط – أن يكون صالحًا في نفسه، بل عليه أن يعمل على إصلاح غيره ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾[2]، ونجاح الداعية في دعوته للناس يعني التأثير الإيجابي فيهم .. هذا التأثير يستلزم وجود روح حية، ورغبة جارفة تهيمن على قلبه تستحثه لإنقاذ الآخرين، اكتسبه من تزكية إيمانية جادة فيخرُجُ كلامه محملًا بالحرقة

---

(١) قواعد السلف الذهبية:٢/٩٩.

(١) سورة آل عمران: الآية (١٦٤).

(٢) سورة لقمان: الآية (١٧).

والشفقة على المدعوين .. يقول سيد قطب: الكلمة البسيطة التي يصاحبها الانفعال، ويؤيدها العمل هي الكلمة المثمرة، التي تُحرك الآخرين إلى العمل. ويقول: أيما داعية لا يصدق فعله قوله، فإن كلماته تقف على أبواب الآذان لا تتعداها إلى القلوب مهما كانت كلماته بارعة، وعباراته بليغة[1].

إن الذي يفتح القلوب لكلام الدعاة هو الله عز وجل فإن رأى منهم صدقًا وإخلاصًا، ورغبة في نفع المدعوين، وشفقة صادقة عليهم فإنه سبحانه يفتح لهم – بفضله – قلوبهم. وكلما علت منزلة العبد عند ربه بالإيمان أحبه الله عز وجل، ومن ثَمَّ وضع له القبول في الأرض كما في الحديث: «إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض»[1].

٩- اتخاذ القرارات الصعبة:

من فوائد وثمار التزكية الإيمانية اتخاذ القرارات الصعبة، يتعرض المرء في حياته لمواقف تحتاج منه إلى اتخاذ قرارات قد ينتج عنها نقص يلحق به، أو أذى يُصيبه، أو ضيق الآخرين منه، وهذان نموذجان للانتصاف من النفس: كان لعثمان بن عفان -رضي الله عنه- عبد، فقال له: إني كنت عركت أُذنك فاقتص مني، فأخذ بأذنه ثم قال عثمان -رضي الله عنه-: اشدد، يا حبذا قصاص الدنيا، لا قصاص الآخرة [2].

---

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٦٩.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣/ ١١٧٥، رقم ٣٠٣٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٠، رقم ٢٦٣٧).

(٢) حياة الصحابة ١/ ٥٣٧، نقلًا عن «الرياض النضرة في مناقب العشرة» للمحب الطبري (٢/ ١١١).

١٠ـ الشعور بالسكينة والطمأنينة:

ومن فوائد وثمار التزكية الإيمانية الشعور بالسكينة والطمأنينة التي تعني: الثقة به سبحانه ربًّا قادرًا على فعل كل شيء، وكلما تمكنت هذه الثقة في قلب المؤمن المتزكي تبددت منه المخاوف التي ترهب الناس: كالخوف من سطوة الظالمين، والخوف من المستقبل المجهول وما تخبئه الأيام. إلى غير ذلك وتجده هادئ النفس، رابط الجأش، مطمئن القلب عند تعرضه للمحن والبلايا والأقدار المؤلمة ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ**﴾[(١)]، ﴿**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**﴾[(١)]، من هنا ندرك معنى القول بأن: «حسبنا الله ونعم الوكيل» هي كلمة المؤمنين عند مواجهة المواقف الصعبة. ومن نماذج ذلك عندما ذهب عمار بن ياسر إلى رسول الله ﷺ ليخبره بأنه تحت وطأة التعذيب والإيذاء أُكره على النيل من رسول الله ﷺ، وذكر آلهة الكفار بخير، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أنه سأله: «فكيف تجد قلبك؟»،فقال عمار: أجد قلبي مطمئنًا بالإيمان، فقال رسول الله ﷺ:«فإن عادوا فعد»[(٢)].

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان (١٧٣-١٧٤).

(١) سورة الأحزاب: الآية (٢٢).

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/ ١ / ١٧٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٤٠)، والطبري (١٤/ ١٨٢)، وأخرجه الحاكم (٢/ ٣٥٧) وصححه، ووافقه الذهبي، والكاندهلوي في حياة الصحابة (١/ ٢٢٢).

١١ـ سبب للفلاح في الدنيا والآخرة:

فالتزكية الإيمانية السليمة المرتكزة على الكتاب والسنة من فوائدها وثمارها أنها سبب للفلاح في الدنيا والآخرة كما قال عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[(١)].

١٢ـ سبب لدخول الجنة:

ومن فوائد وثمار التزكية الإيمانية السعادة ودخول الجنة كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى﴾[(٢)] .

١٣ـ النجاة من النار:

ومن فوائد وثمار التزكية الإيمانية الصحيحة النجاة من النار كما قال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى ﴿١٤﴾ لا يَصْلاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾[(١)].

---

(١) سورة الأعلى: الآيتان (١٤-١٥).

(٢) سورة طه: الآيتان (٧٥-٧٦).

(١) سورة الليل: الآيات (١٤-١٨).

المطلب الثاني

وسائل تربية الفرد والمجموع (الجماعة) والمجتمع

١ - مفهوم تربية الفرد والمجموع (الجماعة) والمجتمع لغة واصطلاحا:

أ - التربية لغة:

رَبَا الشيء زاد و رَبَّاهُ تَرْبِيَةً و تَرَبَّاهُ أي غذاه وهذا لكل ما ينمى كالولد والزرع ونحوه[1].

ب - التربية اصطلاحا:

التربية إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام[2].

والتربية هي تبليغ الشي ء الى كماله، او هي كما يقول المحدثون: تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا، تقول: ربّيت الولد، اذا قويت ملكاته، و نميت قدراته، و هذّبت سلوكه، حتى يصبح صالحا للحياة في بيئة معينة[3].

ج - الفرد لغة:

ما كانَ وَحْدَه، فَرَدَ يَفْرُدُ، وانْفَرَدَ، وأفْرَدْتُه أنا .. و(فراد) يقال جاء القوم فراد وفرادا وفرادى واحدا بعد واحد وفي التنزيل العزيز ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا**

(١) مختار الصحاح:١/٢٦٧.

(٢) التوقيف على مهمات التعريف:١/١٥٩.

(٣) المعجم الفلسفى، ج ١ / ٢٦٧ المعجم الفلسفي:١/٢٣٩.

خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1]، و(الفرد) المنفرد المتوحد والأنثى (بتاء) وفي التنزيل العزيز ﴿رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِين﴾[2]، (ومن الناس وغيرهم المنقطع النظير الذي لا مثيل له في جودته وأحد الزوجين من كل شيء[3].

د ـ الفرد اصطلاحا:

الفرد ما تناول شخصا واحدا دون غيره ذكره ابن الكمال وقال الراغب ما لا يختلط به غيره فهو أعم من الوتر وأخص من الواحد[4].

ه – المجموع والجماعة لغة:

جمع المتفرق – جمعا: ضم بعضه إلى بعض. وجمع الله القلوب: ألفها. فهو جامع، وجموع، وجماع. والمفعول: مجموع، وجميع. والتَّجْمِيع: مُبَالَغَةُ الجَمْعِ قال الفراء: فإذا أردت جمع المتفرِّق قلت: جمعت القومَ فهم مجموعون، كما قال الله تعالى: ﴿ذلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾[5]، [6]، و(الجماعة) العدد من الناس أو طائفة من الناس يجمعها غرض واحد.

و ـ المجموع (الجماعة) اصطلاحا:

يطلق في اصطلاحنا على الجماعة من الافراد يجمعهم غرض واحد، أو على الاجتماع الانساني من جهة ما هو ذو صفات متميزة عن صفات الأفراد.

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٩٤).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٨٩).

(٣) انظر: المحيط في اللغة:٢٩١/٩ المعجم الوسيط:٦٨٠/٢.

(٤) التوقيف على مهمات التعريف:٥٥٣/١.

(٥) سورة هود: الآية (١٠٣).

(٦) تهذيب اللغة:٢٥٣/١.

و - [**المجتمع**] موضع الاجتماع والجماعة من الناس[1]، يتكون من أناس يعتقدون أن باستطاعتهم إقامة حياة مشتركة أفضل من أية حياة يمكن أن يقيمها أي واحد منهم بمفرده[2].

ويطلق لفظ المجتمع بمعنى اخص على المجموع من الافراد تؤلف بينهم روابط واحدة، تثبتها الاوضاع و المؤسسات الاجتماعية، و يكفلها القانون، او الرأي العام، بحيث لا يستطيع الفرد أن يخالفها، أو ينحرف عنها، الّا اذا عرض نفسه للعقاب، أو السخط، او اللوم، كأن للأحوال الاجتماعية سلطانا على الفرد، فلا يكاد يحدث نفسه بمخالفة، و لا يختلج في ضميره انحراف، الّا و الناس منكرون عليه ذلك.

و يطلق لفظ المجتمع على الاجتماع في الاسرة، او القرية، او القبيلة، او المدينة او المعمورة. تقول: المجتمع القروي، او القبلي، او المدني، او الصناعي، او الزراعي[3].

مفهوم وسيلة التربية للفرد والمجموع والمجتمع في العمل الدعوي:

هي: تعبير يقصد به تنشئة الفرد المسلم والجماعة المسلمة والمجتمع الإسلامي، تنشئة متكاملة يُراعى فيها الجانب الإيماني والمادي، في ضوء النظرة الإسلامية الشاملة، وهي تُعنى بالفرد وإعداده لحل مشاكله، ومدى نجاحه في تحقيق رغباته المشروعة والممكنة التي تضمن له حياة هانئة في الدنيا والآخرة. كما تعنى بالمجموع

(١) المعجم الوسيط:١/١٣٦.

(٢) الموسوعة العربية.

(٣) المعجم الفلسفى، ٢ / ٣٤٦ – ٣٤٧.

والمجتمع الذي يبقي له وصف الإسلام بحق، من حيث الالتزام بقيمه وأخلاقه وتشريعاته ويسعده في الحياة الدنيا والأخرى.

٢ – عرض مفهوم وسائل وأساليب وأنشطة التربية للفرد والمجموع (الجماعة) والمجتمع في العمل الدعوي:

التربية المقصودة هنا هي التربية الإسلامية التي تنبثق عن التصور الإسلامي للحياة وللنفس البشرية، والتي تعد الإنسان لحياته في الدنيا والآخرة. والتي تعني كل النشاط التربوي الذي يمكن أن يحدث فعلاً في المجتمع المسلم بشكل حيوي.

وفي نطاق هذا المفهوم ،عُرِّفت التربية الإسلامية المنشودة في عصرنا بأنها: تنشئة إنسان متكامل من الناحية الصحية والعقلية والروحية والاعتقادية والأخلاقية والإبداعية، في ضوء المبادئ العامة التي جاء بها الإسلام. والقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مصدرا التربية الإسلامية في إطارها الفكري والعقدي والتطبيقي.

وذلك باعتبار أن الإنسان ليس سلطة عليا في الحياة وإنما هو عبدُالله، وأن له كيانًا روحيًا ومستقبلاً خالدًا، وأن مهمته هي عمارة الأرض ماديًا وأخلاقيًا، وأن الأخلاق والتوجيهات الكلية في تنظيم الحياة إنما هي من عند الله ولا يصنعها الإنسان، وأن الإنسان مخلوق مكرم له قدر من الحريات الأساسية في إطار العبودية لله.

والتربية في المفهوم الدعوي تستهدف الفرد وتلازمه في كل مراحله العمرية حتى يلقى الله على صراط مستقيم، وتستهدف الجماعة من وحدتها الصغرى الأسرة

حتى مجموع الأمة الناظم لها السلطان العادل، وتستهدف المجتمع الحاضن للجماعة بجميع مكوناتها وطبقاتها وتخصصاتها الناظم له الإيمان والتقوى. لذلك سأتناول في هذا العنوان نماذج من وسائل التربية الدعوية وأساليبها وأنشطتها مأخوذة من القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا خلفه وبيان السنة قولا وفعلا وإقرارا.

١ – وسائل التربية للفرد في أهم مراحله العمرية:

- **وسائل التربية في الطفولة والمراهقة:**

الأولاد هم زينة الدنيا إن أحسن أدبهم وجودت تربيتهم وكانوا من الصالحين، قال تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾[(١)].

ووقايتهم من النار مسؤولية الأبوين فإن الله تعالى يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[(٢)].

وثمرة التربية لهم دائمة ومستمرة عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ -ﷺ- قَالَ: « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »[(٣)].

---

(١) سورة الكهف: الآية (٤٦).

(٢) سورة التحريم: الآية (٦).

(٣) رواه مسلم٣.

وما ذاك إلا أن تربية الأطفال تعد من أصعب المهام المنوطة بالمكلف، خاصة في أسنانهم المبكرة، إلا أن الإسلام دين الفطرة قد سن من الوسائل والأساليب والأنشطة المتوائمة مع فطرة الطفل ما تجعل تربيته سهلة ميسرة ﴿**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾(1).

والعهد النبوي الموجه بالوحي هو من خير البيئات كيف لا والقائم بالتربية هو الرسول الخاتم محمد -ﷺ- قال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾(2)، والمستهدف بالتربية هم المؤمنون قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ (3).

ويعد العهد الراشدي خير القرون المستمسك بالموروث النبوي«عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ بَعْدِي» إذا العهد النبوي والراشدي خير نموذج جسد هذه التربية التي أثمرت في إصلاح وصلاح الإنسان وحققت له سعادة الدارين. وها أنا أعرض هذه الوسائل التربوية للأطفال والمراهقين في هذين العهدين لتكون نبراسا للمربين في كل العصور.

- **وسيلة اللَّعَب واللَّعِب والملاعبة والممازحة:**

روى الترمذي في نوادره أن رسول الله -ﷺ- قال: «عرامة الصبي في صغره

---

(1) سورة الروم: الآية (٣٠).

(2) سورة آل عمران: الآية (١٦٤).

(3) سورة الشمس: الآية (١٠).

زيادة في عقله وفي كبره»[1]، فعرامة الصبي: أي لعبه الكثير وحيويته وقوة حركته وكثرتها، وكل ذلك دليل على طاقته الزائدة، وحيويته المتدفقة.

فاللعب تدريب وإعداد للحياة. وهو أسلوب فطري، ووسيلة لإعداد الكائن الحي للعمل الجدي في المستقبل.

لذلك الإسلام يرى اللعب وسيلة تربوية شاملة للطفل، يشبع عنده حاجات أساسية: روحية وجسدية ونفسية واجتماعية وعقلية . فهو في نظر الإسلام غالبا تربية وتعليم للطفل وترويح عن النفس في حق غيره، ولهذا نجد في العهد النبوي وهدي الرسول -ﷺ- اهتمام بهذه الوسيلة في حق الأطفال واستعمال لها بأوسع نطاق: قولا ومشاركة وممارسة وإقرارا. وهذا ما نريد استجلاءه في هذه النصوص:

- **مشاهدته-ﷺ- في أماكن عدة للعب الأطفال ولم ينكر عليهم:**

بل لاعب بعضهم كوسيلة من وسائل التربية للأطفال، من ذلك:

١ - عَنْ يَعْلَى بن مُرَّةَ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهَّ -ﷺ- فَدُعِينَا إِلَى طَعَامٍ، فَإِذَا الْحُسَيْنُ يَلْعَبُ فِي الطَّرِيقِ، فَأَسْرَعَ النَّبِيُّ -ﷺ- أَمَامَ الْقَوْمِ، ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ حُسَيْنٌ يَمُرُّ مَرَّةً هَهُنَا وَمَرَّةً هَهُنَا يُضَاحِكُهُ حَتَّى أَخَذَهُ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ فِي ذَقَنِهِ وَالأُخْرَى بَيْنَ رَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ، ثُمَّ اعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهَّ -ﷺ-:حُسَيْنٌ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ أَحَبَّ اللهُّ مَنْ أَحَبَّهُ». الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سِبْطَانِ مِنَ الأَسْبَاطِ [2].

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير، وقال عنه صحيح ، ولم يقل فيه المناوي شيئاً.

(٢) المعجم الكبير للطبراني - (١٦ / ١٣٩) (١٨١٥٥) حسن.

٢ – عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَتَانَا رَسُولُ الله -ﷺ- فَسَلَّمَ، قَالَ يَزِيدُ فِي حَدِيثِهِ: عَلَيْنَا، وَأَخَذَ بِيَدِي فَبَعَثَنِي فِي حَاجَةٍ، وَقَعَدَ فِي ظِلِّ حَائِطٍ، أَوْ جِدَارٍ، حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَبَلَّغْتُ الرِّسَالَةَ الَّتِي بَعَثَنِي فِيهَا، فَلَمَّا أَتَيْتُ أُمَّ سُلَيْمٍ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي النَّبِيُّ -ﷺ- فِي حَاجَةٍ لَهُ، قَالَتْ: وَمَا هِيَ؟ قُلْتُ سِرٌّ، قَالَتْ: احْفَظْ عَلَى رَسُولِ الله -ﷺ- سِرَّهُ، قَالَ: فَمَا حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدُ»[1].

١ – أخرج البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «سمع أذناي هاتان وبصر عيناي هاتان رسول الله -ﷺ-. أخذ بيديه جميعاً بكفي الحسن أو الحسين رضي الله عنهما، وقدميه على قدم رسول الله -ﷺ- ورسول الله -ﷺ- يقول: «ارقه» قال فرقي الغلام . حتى وضع قدميه على صدر رسول الله -ﷺ-. ثم قال رسول الله -ﷺ-: «افتح فاك» ثم قبله . ثم قال: «اللهم أحبه فإني أحبه»[2].

٣–أخرج أحمد رحمه الله بإسناد حسن عن عبدالله بن الحارث -رضي الله عنه- قال: «كان رسول الله -ﷺ- يصف عبد الله وعبيد الله وكثير بن العباس رضي الله عنهم، ثم يقول: من سبق إلي فله كذا وكذا، قال فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره ويقبلهم ويلتزمهم» .

(١) مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٢٧٧) (١٢٠٦٠) ١٢٠٨٣- صحيح.

(٢) البخاري في الأدب المفرد ، رقم (٢٤٩) ، وأخرجه الطبراني.

* إقراره -ﷺ- للعب الأطفال التعليمية التربوية:

١ - عَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها قَالَتْ قَدِمَ رَسُولُ اللهَّ -ﷺ- مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ وَفِى سَهْوَتِهَا سِتْرٌ فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ فَقَالَ « مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ ». قَالَتْ بَنَاتِى. وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ فَقَالَ « مَا هَذَا الَّذِى أَرَى وَسْطَهُنَّ». قَالَتْ فَرَسٌ. قَالَ: «وَمَا هَذَا الَّذِى عَلَيْهِ». قَالَتْ جَنَاحَانِ. قَالَ «فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ». قَالَتْ أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلاً لَهَا أَجْنِحَةٌ قَالَتْ فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ»[١].

٢- عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ- قَالَ أَحْسِبُهُ فَطِيمٌ، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ نُغَرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلاَةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا»[٢].

- **وسيلة اصطحاب الأطفال إلى المسجد تربويا:**

المسجد وسط تربوي تزكوي بامتياز، يتأثر به الصغار كما يتأثر به الكبار، خاصة حين يصطحبهم الكبار ليشاهدوهم وهم يعبدون الله بالكيفية التي أمروا بها، ويكتسبون من سلوكهم بمشاهدتهم لهم، ولنا في رسول الله -ﷺ- أسوة حسنة حيث كان رسول اللهّ -ﷺ- لا يمنع الصغار عن المسجد، ويصطحبهم من ذلك:

(١) سنن أبي داود:٤٣٨/٤.

(٢) صحيح البخاري:٥٥/٨.

١ – عن أبي قتادة الأنصاري-رضي الله عنه-أنه قال: «رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- يؤم الناس وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع من السجود أعادها (ويروى) رفعها»[١].

٢ – وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-قَالَ: كُنَّا نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهَّ -صلى الله عليه وسلم- الْعِشَاءَ، فَكَانَ يُصَلِّي، فَإِذَا سَجَدَ وَثَبَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَى ظَهْرِهِ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ أَخَذَهُمَا فَوَضَعَهُمَا وَضْعًا رفيقا، فَإِذَا عَادَ عَادا، فَلَمَّا صَلَّى جَعَلَ وَاحِدًا هَا هُنَا وَوَاحِدًا هَا هُنَا، فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، أَلا أَذْهَبُ بِهِمَا إِلَى أُمِّهِمَا؟ قَالَ: لاَ، فَبَرَقَتْ بَرْقَةً، فَقَالَ: الْحَقَا بِأُمِّكُمَا، فَمَا زَالا يَمْشِيَانِ فِي ضَوْئِهَا حَتَّى دَخَلا »[٢]، يقول ابن حجر: واستدل بهذا الحديث على جواز إدخال الصبيان المساجد، وعلى جواز صلاة النساء في الجماعة مع الرجال، وفيه شفقة النبي -صلى الله عليه وسلم- على أصحابه، ومراعاة أحوال الكبير منهم والصغير .

* **وسيلة العدل بين الأطفال تربويا:** وفي العدل بين الأطفال وسيلة تربوية على الاستقامة على الحق وعدم الظلم والاعتداء على الحقوق:

١ – في الصحيحين عن النعمان بن بشير أنه قال: إن أباه أتى به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: إني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي فقال رسول الله «أكل ولدك نحلته مثل هذا»؟ فقال: لا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «فأرجعه ». وفي رواية: «فاردده»، وفي رواية أخرى: «أفعلت هذا بولدك كلهم؟» قال: لا . قال: «اتقوا الله وأعدلوا في

(١) متفق عليه، مصابيح السنة (مرجع سابق) ج ١، ص ٣٣٦، حديث رقم ٦٩٩.

(٢) مسند أحمد: ٣٨٦/١٦ (٢) إسناده حسن من أجل كامل- وهو ابن العلاء أبو العلاء التميمي-، وباق رجاله ثقات رجال الصحيح. أخرجه البزار (٢٦٣٠- كشف الأستار).

أولادكم ». فرجع أبي فرد تلك الصدقة. وفي رواية ثالثة قال -ﷺ-: «فلا تشهدني إذاً فإني لا أشهد على جور»[١].

٢ – وعن الحسن قال: بينا رسول الله -ﷺ- يحدث أصحابه إذ جاء صبي حتى انتهى إلى أبيه في ناحية القوم، فمسح رأسه وأقعده على فخذه اليمنى، قال: فلبث قليلاً، فجاءت ابنة له حتى انتهت إليه، فمسح رأسها، وأقعدها في الأرض، فقال رسول الله -ﷺ-: « فهلا على فخذك الأخرى» فحملها على فخذه الأخرى. فقال رسول الله -ﷺ-: « الآن عدلت »[٢].

٣ – عن سهل بن سعد -رضي الله عنه-: « أن رسول الله -ﷺ- أُتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعلى يساره الأشياخ، فقال للغلام: أتأذن لي أن أُعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: لا والله يا رسول الله، لا أؤثر بنصيبي منك أحداً، فتله (أي وضعه) رسول الله -ﷺ- في يده » وزاد رزين «والغلام هو الفضل بن العباس»[٣]، وقيل أخوه عبدالله حكاه ابن التين. وعن أبي معشر، عن إبراهيم، قال: كانوا يستحبون أن يسووا بين أولادهم حتى في القبل[٤] .

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٢٦٥٠) في كتاب الشهادات (٥٢) ، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (٩) وفي فتح الباري (٣٠٦/٥) ، والحديث الذي يليه رقم (٢٥٨٧) في كتاب الهبة (٥١) باب الاشهاد في الهبة (١٣) وفي فتح الباري) ٢٥٠/٥) ، وفي جامع الأصول (٦١٧/١١) . وصحيح مسلم (١٦٢٣) في الهبات ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة . وفي شرح النووي (١١_ ٦٥) ، طبعة مكتبة الرياض الحديثة.

(٢) النفقة على العيال: ٣٧/١ رقم/٣٤ حديث مرسل رجاله رجال الصحيح. وله شاهد جيد أخرجه البزار في مسنده

(٣) صحيح البخاري في الشرب ، باب من رأى صدقة الماء ، رقم (٢٣٥١) ومسلم في الأشربة باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتديء رقم.

(٤) مصنف بن أبي شيبة:٣١٧/٧ إسناده صحيح .

• **وسيلة القدوة الحسنة والاصطحاب في الطاعات:**

يجب أن يرى الطفل أمه وأباه وهما يصليان، ويجب أن يسمعهما يتلوان القرآن، وينبغي أن يصف مع إخوته إذا صلوا في البيت. إن استماع الطفل للقرآن الكريم، وللأذكار اليومية من والديه وإخوانه له أثره التربوي، والطفل يشتاق إلى مجاراة الأبوين وإخوانه الكبار في الصوم والحج، خاصة وأن الأطفال ينزعون إلى تقليد الكبار . وهذا ما كان متعارف عليه في عهد النبوة والراشدين نذكر من ذلك نماذج:

١ - أخرج الشيخان رحمهما الله تعالى عن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: أرسل رسول الله -ﷺ- غداة يوم عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: « من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليصم » قالت: فكنا نصومه بعد، ونصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار»[١] .

٢ - عن بن عباس قال: بت عند خالتي ميمونة فقام رسول الله -ﷺ- يصلي من الليل فقمت عن شماله فقال بي هكذا فأخذ برأسي فأقامني عن يمينه من يلي الإمام ثم الذي يليه»[٢].

٣ - وقد أخرج البيهقي عن جابر بن عبدالله أنه قال: خرجنا مع النبي -ﷺ- ومعنا النساء والولدان حتى أتينا ذا الحليفة فلبينا بالحج، وأهللنا عن الولدان. وهذا في الإهلال، وفي رواية أخرى عن جابر ذكر التلبية والرمي عن الولدان، فإنه قال:

---

(١) صحيح البخاري: ٤٨/٣.

(٢) سنن النسائي: ٨٧/٢ قال الشيخ الألباني : صحيح.

حججنا مع رسول الله -ﷺ- ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم»[١].

- **وسيلة الملاحظة والتنبيه:**

ملاحظة المتربي في تصرفاته وسلوكه بهدف التربية لتنمية الإيجابيات والتنبيه على السلبيات وتصحيحها من أهم الوسائل التربوية خاصة في حق الصغار، وهذا ما كان عليه الأمر في عهد النبوة والراشدين من ذلك:

١ – عن عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ الله -ﷺ- وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَال لِي رَسُولُ الله -ﷺ- يَا غُلاَمُ سَمِّ اللهَّ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ»[٢].

٢ – عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان خلف رسول الله -ﷺ- فقال لي وأنا رديف خلفه « يا غلام إني معلمك كلمات فاحفظهن: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، جفت الأقلام وطويت الصحف» [٣]، وفي رواية « واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا واعلم ان القلم قد جرى بما هو كائن »[٤].

---

(١) السنن الكبرى (٥_١٥٦).

(٢) صحيح البخاري:٨٨/٧.

(٣) المعجم الكبير للطبراني:٢٣٨/١٢.

(٤) الأحاديث المختارة للمقدسي: ١٠٢/١١.

٣ – عن عبد الله بن مسعود قال: كنت غلاما يافعا في غنم لعقبة بن أبي معيط أرعاها فأتى النبي ﷺ وأبو بكر معه فقال: يا غلام هل معك من لبن؟ فقلت: نعم ولكني مؤتمن فقال: أئتني بشاة لم ينز عليها الفحل فأتيته بعناق أو جذعة فاعتقلها رسول الله ﷺ ثم جعل يمسح الضرع ويدعو حتى أنزلت فأتاه أبو بكر بصخرة فاحتلب فيها ثم قال لأبي بكر: اشرب فشرب أبو بكر ثم شرب النبي ﷺ بعده ثم قال للضرع: اقلص فقلص فعاد كما كان قال: ثم أتيت النبي ﷺ بعد فقلت: يا رسول الله علمني من هذا الكلام – أو من هذا القرآن – فمسح رأسي وقال: إنك غلام معلم قال: فلقد أخذت من فيه سبعين سورة ما نازعني فيها بشر»[(١)].

٤ – عن عُمَرُ بْنُ أَبَانَ بْنِ مُفَضَّلٍ الْمَدَنِيُّ، قَالَ: أَرَانِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، الْوُضُوءَ أَخَذَ رَكْوَةً فَوَضَعَهَا عَلَى يَسَارِهِ، وَصَبَّ عَلَى يَدِهِ الْيُمْنَى، فَغَسَلَهَا ثَلاثًا، ثُمَّ أَدَارَ الرَّكْوَةَ عَلَى يَدِهِ الْيُمْنَى، فَتَوَضَّأَ ثَلاثًا ثَلاثًا، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ ثَلاثًا، وَأَخَذَ مَاءً جَدِيدًا. لِسِمَاخَيْهِ، فَمَسَحَ سِمَاخَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ مَسَحْتَ أُذُنَيْكَ؟ فَقَالَ: يَا غُلامُ، إِنَّهُمَا مِنَ الرَّأْسِ لَيْسَ هُمَا مِنَ الْوَجْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا غُلامُ، هَلْ رَأَيْتَ وَفَهِمْتَ أَوْ أُعِيدُ عَلَيْكَ؟ فَقُلْتُ: قَدْ كَفَانِي وَقَدْ فَهِمْتُ، فَقَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ، لَمْ يَرْوِ عَمْرُو بْنُ أَبَانَ، عَنْ أَنَسٍ، حَدِيثًا غَيْرَ هَذَا»[(٢)].

---

(١) مسند أبي يعلى:٤٠٢/٨ قال حسين سليم أسد : إسناده حسن.

(٢) المعجم الصغير للطبراني:٢٠٢/١.

- **وسيلة الزجر والتأنيب:**

وسيلة الزجر والتأنيب وسيلة تربوية للمتربي لمن حصل منه تساهل في الجانب السلوكي يتعدى إلى الضرر بالغير ولم ينفع معه أمر الارشاد والترغيب وهي وسيلة نبوية نذكر لها هذا النموذج: عَنْ عَمِّ أَبِي رَافِعِ بْنِ عَمْرٍو الْغِفَارِيِّ، قَالَ: كُنْتُ وَأَنَا غُلَامٌ أَرْمِي نَخْلًا لِلْأَنْصَارِ، فَأُتِيَ النَّبِيُّ -ﷺ-، فَقِيلَ: إِنَّ هَاهُنَا غُلَامًا يَرْمِي نَخْلَنَا، فَأُتِيَ بِي إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ-، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، لِمَ تَرْمِي النَّخْلَ؟» قَالَ: قُلْتُ: آكُلُ، قَالَ: « فَلَا تَرْمِ النَّخْلَ، وَكُلْ مَا يَسْقُطُ فِي أَسَافِلِهَا «ثُمَّ مَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: «اللهُمَّ أَشْبِعْ بَطْنَهُ»[1].

- **وسيلة التأديب والضرب:**

التأديب للأطفال على تصرفاتهم الخطأ وضربهم غير المبرح بقصد التأديب من الوسائل المعتبرة عند المقتضي لذلك، واستحقاق التصرف لهذه الوسيلة، وليس دائما ولا على كل تصرف، وهو أمر معتبر في العهد النبوي والراشدي، عن عبدالله بن بسر المازني الصحابي -رضي الله عنه- قال: بعثتني أمي إلى رسول الله -ﷺ- بقطف من عنب فأكلت منه قبل أن أبلغه إياه، فلما جئت أخذ بأذني وقال: يا غدر»[2].

وروى أبوداود بإسناد حسن: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر» .

---

(١) مسند أحمد: ٤٥٣/٣٣ وأبو داود (٢٦٢٢) ، وابن ماجه (٢٢٩٩) وأخرجه الترمذي (١٢٨٨) ، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

(٢) النووي في الأذكار.

- **وسيلة التربية على الأدب مع الكبار:**

الأدب من الصغار للكبار والتوقير لهم سنة متبعة كان للنبي وأصحابه الكرام وسيلتهم لتربية الأطفال لممارسته والتعامل به من ذلك: عن ذؤيب أن وفد رسول الله -ﷺ- مروا بأم زبيب فأخذوا زربيتها، فلحق زبيب بالنبي -ﷺ- فقال: يا نبي الله أخذ الوفد زربية أمي، فقال: النبي -ﷺ- ردوا عليه زربية أمه، فأخذ من الذي أخذ زربية أمه صاعا من شعير وسيفه ومنطقته، ثم رفع النبي -ﷺ- يده فمسح بها رأس زبيب، ثم قال بارك الله فيك يا غلام وبارك لأمك فيك»[١].

- **وسيلة التربية على الأخلاق والسلوك الحسن:**

عن علي -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم وحب آل بيته وقراءة القرآن..» [٢].

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قال: قال رسول الله -ﷺ-: «لَأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ»[٣].

عن عمرو بن سعيد بن العاص -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ- «مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَداً أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ »[٤]، وعن علي في قوله تعالى: ﴿ **قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا** ﴾ قال: «علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم»[٥] .

(١) المعجم الأوسط للطبراني: ٦١/٨.

(٢) أبو نصر عبد الكريم الشيرازي وابن النجار كما في الكنز: ٦٢٣/١٧.

(٣) جامع الترمذي: ٤٠١/٣.

(٤) جامع الترمذي: ٤٠٢/٣ ومستدرك الحاكم: ٢٦٣/٤والكنز:٦٢٤/١٦.

(٥) الكنز:٦٣٦/٢.

٢- وسائل وأساليب وأنشطة التربية للفرد في سن الشباب والكهولة :

التربية النبوية تربية شاملة تتناول كل الشرائح الإنسانية ومن أهمها شريحة المراهقين والشباب والكهول باعتبارها الشريحة الأقوى على تحمل تكاليف هذا الدين وتطبيق تعاليمه ونشر شريعته والدفاع عنها والتمكين لها. لذلك اهتم بها الرسول في التربية والتفقيه منوعا الوسائل والأساليب والأنشطة نستعرض نماذج من ذلك في عهد النبوة والراشدين لتكون نبراسا للدعاة العاملين لهذا الدين:

- **تربية الشباب على القيام بالعبادات والعمل بالقرآن وتقوية الإيمان:**

١ - عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ قَالَ: أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ -ﷺ- وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- رَحِيمًا رَفِيقًا، فَظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، فَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ فَقَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا عِنْدَهُمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ »[(١)].

٢ - وعن جندب بن عبد الله قال: «كنا مع النبي -ﷺ- ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا»[(٢)].

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي- المكنز- (٣ / ٥٤) (٥١٢٥) وصحيح مسلم- المكنز- (١٥٦٧) وصحيح البخارى- المكنز- (٦٣١).

(٢) أخرجه ابن ماجة ، السنن ، المقدمة ، باب في الإيمان ، ٢٣/١ . والحديث صححه الألباني في كتابه (صحيح سنن ابن ماجة) ، ١٦/١ .

٣ – وعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولُ اللهَّ -ﷺ- أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللهَّ -ﷺ- فَلَا يُجَاوِزُونَ الْعَشْرَ حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ قَالَ: فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعاً» [1].

٤ – عن أبي سلمة أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- «كان إذا رأى أبا موسى -رضي الله عنه- قال: ذَكِّرْنَا رَبَّنَا يَا أَبَا مُوسَى؛ فَيَقْرَأُ عِنْدَهُ رب» [2].

٥ – عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ يَا مُعَاذُ قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثًا، قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُّ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللهُّ عَلَى النَّارِ قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا قَالَ إِذًا يَتَّكِلُوا وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا»[3].

- **تعليم الشباب بقصد التربية بعض السور القصيرة من القرآن الكريم:**

من أمثلة ذلك سورة الفاتحة، علمها رسول الله -ﷺ- أبا سعيد بن المعلى –وكان شابا– حيث يقول أبو سعيد: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله -ﷺ- فلم أجبه فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي فقال: «ألم يقل الله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ ثم قال لي لأعلمنك سورة هي

(١) فضائل القرآن للمستغفري:٣٢٢/١.و تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ >> سُورَةُ الْفَاتِحَةِ >>(٢٣٠٠) صحيح.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢/ ٤٨٦ حديث رقم: ٤١٨١. أخرجه عبد الرزاق (٤٨٦/٢ ، رقم ٤١٧٩) وابن سعد (١٠٩/٤)، وأخرجه أيضًا : الديلمى (٣٥٣/٥ ، رقم ٨٤١٠).

(٣) صحيح البخاري:٤٤/١.

أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد» ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج، قلت له: ألم تقل: «لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن، قال: الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»[(١)]، وكذلك سورة الإخلاص والمعوذتين ونحوها، وتنبيههم على ما فيها من الجوانب الإيمانية، وتوجيههم لقراءتها في مناسبات معينة، فقد أمر رسول الله -ﷺ- ابن عابس -رضي الله عنه- أن يتعوذ بسورتي الفلق والناس، حيث قال: «يا ابن عابس ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون قلت بلى يا رسول الله قال: قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس»[(٢)].

* وسيلة تلقين الأدعية الموصلة بالله وعقد مجالس الذكر:

ومما كان يسلكه رسول الله -ﷺ- في وسائله التربوية للشباب لترسيخ الإيمان وتقوية الصلة به، حرصه على تعليم بعض الأدعية التي تتضمن بعض جوانب الإيمان كدعاء القنوت، يقول الحسن بن علي (رضي الله عنهما): علمني رسول الله -ﷺ- كلمات أقولهن في الوتر «اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضى عليك وإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح ، كتاب فضائل القرآن ، ١٨٩/٣ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ، حديث رقم ١٥٠٢٢ .

(٣) أخرجه أبو داود ، السنن ، كتاب الصلاة ، باب القنوت في الوتر ١٣٣،١٣٤/٢ . وقال الألباني في كتابه (صحيح سنن أبي داود) ٢٦٧/١ : [صحيح] .

٢ – عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن[١].

٣– عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا هذا الدعاء كما يعلمنا السورة من القرآن: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»[٢].

ولو تأملنا في هذه الوقفات التعليمية التربوية من رسول الله ﷺ لوجدنا أنها تشتمل على قضيا كثيرة من أمور الإيمان، وتحصينه، ومواجهة التحديات التي تواجه الشاب في إيمانه. كما أن هذه الأدعية التي علمها رسول الله ﷺ لأولئك الشباب من الصحابة(رضي الله عنهم) تتصف بصفة الأداء الدوري لهذه الوسيلة، كتعليم الحسن دعاء القنوت، وتعليم ابن عباس دعاء التشهد، وتعليم عبدالله بن عمرو دعاء النوم وذلك أنه ورد في نهاية الرواية: قال أبو عبد الرحمن كان رسول الله ﷺ يعلم عبد الله بن عمرو أن يقول ذلك حين يريد أن ينام، والاستمرار بهذه الأدعية يجعل العبد مرتبطاً بربه، ويذكره بهذه الأمور المهمة من أمور الإيمان.

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الصلاة ، ٣٠٢/١ .

(٢) أخرجه ابن ماجة ، السنن ، ١٢٦٢/٢ .

* وسائل التربية السلوكية وتقويم إيمان الشباب:

وإذا كانت مرحلة إيمان الشباب مرحلة مهمة لمعرفة ما يوجد من الخلل والنقص عند الشباب في هذا الجانب، فإن الأمر لا يتوقف عند هذا بل تأتي مرحلة التقويم لذلك الخلل، فقد كان النبي ﷺ لا يغفل عن تقويم عمل الشباب وقوة إيمانهم، فعندما يدرك الخطأ يبادر في إصلاحه، ويسدد خلله، ويكمل نقصه، حتى ينشأ الجيل قوي الإيمان ثابت الجنان، وكان أسلوب النبي ﷺ في تقويمه للأخطاء أسلوباً حكيماً، كيف لا؟! وقد أمره ربه سبحانه وتعالى بقوله ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[1]، والشباب يحتاج إلى الأسلوب الحكيم في مواجهة أخطائه، ومن الأسلوب الحكيم للنبي ﷺ في تقويم الأخطاء في أعمال الإيمان ما يلي:

١ - **التعليل وإيجاد البديل**: عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا نصلي خلف النبي ﷺ فنقول: السلام على الله. فقال النبي ﷺ: إن الله هو السلام، ولكن قولوا: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله»[2].

---

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، ٣٨٠/٤ .

٢- التنبيه على الخطأ وقد يكون مقرونا بالعتاب والتأنيب: عن أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) قال: «بعثنا رسول الله -ﷺ- إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار، رجلا منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي -ﷺ- فقال: يا أسامة! أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله. قلت: كان متعوذاً. فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»(١).

وعن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: «أهدى إلي النبي -ﷺ- حلة سيراء فلبستها فرأيت الغضب في وجهه فشققتها بين نسائي»(٢).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: خرج علينا رسول الله -ﷺ- ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمر وجهه، حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان، فقال: «أبهذا أمرتم، أم بهذا أرسلت إليكم، إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه»(٣).

لقد عاتب رسول الله -ﷺ- الشاب معاذ بن جبل -رضي الله عنه- عندما شكاه قومه إلى رسول الله -ﷺ- لإطالة الصلاة بهم، عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ الله أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ -رضي الله عنه- كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمُ الصَّلاَةَ فَقَرَأَ بِهِمُ الْبَقَرَةَ قَالَ: فَتَجَوَّزَ

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب المغازي ، ١٤٧/٣ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة ، ٢٤٠/٢ .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر ٤٤٣/٤ . وحسنه الألباني في كتابه (صحيح سنن الترمذي) ٢٢٣/٢ .

رَجُلٌ فَصَلَّى صَلاَةً خَفِيفَةً فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا فَقَالَ إِنَّهُ مُنَافِقٌ فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فَأَتَى النَّبِيَّ -ﷺ- فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا وَنَسْقِي بِنَوَاضِحِنَا وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى بِنَا الْبَارِحَةَ فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ فَتَجَوَّزْتُ فَزَعَمَ أَنِّي مُنَافِقٌ فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ – ثَلاَثًا – اقْرَأْ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، وَ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ وَنَحْوَهَا»[(١)].

* **وسيلة التحذير قبل الوقوع في الفعل**: فعن عبد الرحمن بن سمرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة أوكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها»[(٢)]، وعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها»[(٣)].

* **وسيلة التأديب والعقوبة**: وقد يتجاوز تقويم الخطأ مرحلة العتاب إلى مرحلة العقاب للتأديب حسب حجم الخطأ وملابساته، – وكل ذلك من وسائل التربية– ومن أمثلة ذلك ما عاقب به رسول الله -ﷺ- الشاب كعب بن مالك -رضي الله عنه-عند ما تخلف عن الخروج إلى غزوة تبوك، وذلك عندما نهى الناس عن كلامهم، فجلسوا في هذه العزلة خمسين ليلة حتى أنزل الله سبحانه وتعالى توبتهم[(١)].

---

(١) صحيح البخاري:٣٢/٨.

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب النهي عن طلب الإمارة ١٤٥٦/٣ .

(٣) المرجع السابق ص ١٤٥٧ .

(١) انظر قصتهم في صحيح البخاري ، كتاب المغازي ١٧٦/٣-١٨٠ .

- **وسيلة المواقف المؤثرة:**

ومن الوسائل التربوية المواقف المؤثرة؛ فهي تهيئ النفوس، وتزيل قسوتها؛ فتكون أقرب للتأثر، كما فعل النبي -ﷺ- حين وعظ أصحابه في جنازة أحد الأنصار.

- **وسيلة التربية الجماعية المتمثل في الاجتماع على العبادات والتعاون على أدائها:-**

شرع الله كثيرا من عباداته أن تؤدى جماعة خاصة الشعائر منها وجعل في ذلك وسيلة عظيمة لتربيتهم وتزكيتهم وتطهيرهم وتقوية إيمانهم وصلتهم به، وكان رسول الله -ﷺ- شديد المتابعة لكل المسلمين على القيام بها في شكلها الجماعي ليتحقق لهم هذه المعاني، بجانب ما يحصلون عليه من الأجر والثواب ورفع المنزلة وعلو الدرجات، ويلاحظ المقصرين ويعالج هذا التقصير تربويا حتى تتحقق الاستقامة، والنماذج على هذا كثيرة ومن أبرز العبادات الجماعية: الصلوات الخمس وأداؤها جماعة، وصلاة الجمعة وأداؤها جماعة، وصلاة العيدين والكسوفين والاستسقاء وأداؤها جماعة، وصلاة التراويح وأداؤها جماعة، وصيام شهر رمضان وجماعية الصيام فيه، وصيام عاشوراء وما جاء فيه من جماعية صيامه، والحج وجماعية المؤدين لهذه الفريضة .

فهذه العبادات الجماعية والتعاون على إقامتها وأنواع الطاعات وتبادل التذكير بها من أهم وسائل التربية وأجلها وأكثرها ثمرة ونتائج، لذا كانت في العهد النبوي والراشدين محل عناية واهتمام حيث فعلها الرسول وأمر بها وأقر من يفعلون ذلك

وفعل ذلك الصحابة من بعده، وهي البلسم لذلك الضعف والفتور والتقصير خاصة ذوي السن الشبابي، ومن أبرز آثارها التربوية هذا النموذج من معلم رسول الله ومربيه جبريل عليه السلام وما عمله مع رسول الله ﷺ وهو أتقى الناس وأقربهم لله تبارك وتعالى، يزداد طاعة وهمة في تلاوة القرآن بمشاركة الآخر:

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة»[1]، قال النووي عند ذكره لفوائد هذا الحديث: ومنها زيادة الجود والخير عند ملاقاة الصالحين وعقب فراقهم للتأثر بلقائهم.

* **ومن ذلك التربية في الذكر بالاشتراك مع آخرين**: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قالوا: يقولون يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك، قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً وتحميدًا، وأكثر لك تسبيحاً، قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟

(١) صحيح البخاري: ١/٥.

قال: يقولون: لا، والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون لا والله يا رب ما رأوها قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم؛ إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»[1].

*** وقد كان أصحاب النبي -ﷺ- يجتمعون في هذا العهد على الذكر لتربية أنفسهم وتهذيبها**؛ عن الأسود بن هلال قال: كان معاذ يقول للرجل من إخوانه: اجلس بنا فلنؤمن ساعة، فيجلسان فيذكران الله ويحمدانه»[2]، وعن علقمة أنه كان يقول لأصحابه: امشوا بنا نزداد إيماناً[3].

ومن التعاون التربوي في العبادات التذكير بها والحث عليها: وقد كان -ﷺ- يفعل ذلك، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله -ﷺ- يصلي من الليل فإذا أوتر قال: «قومي فأوتري يا عائشة»[1].

---

(١) صحيح البخاري: ١٠٨/٨ و صحيح مسلم: ٦٨/٨.

(٢) علقه البخاري في أول كتاب الإيمان، ووصله ابن أبي شيبة ٢٦/١١، والبيهقي في "الشعب " (٤٤) ، والحافظ في "التغليق " ٢٠/٢ و٢١ من طريق الأسود بن هلال، وهذا لفظ ابن أبي شيبة. وصحح الحافظ إسناده في "الفتح " ٤٨/١.

(٣) مصنف بن أبي شيبة: ٧/ ٢١٨.

(١) صحيح مسلم: ١٦٨/٢.

ويوصي -ﷺ- بهذا التعاون بين الرجل وزوجته مثنياً على من يفعله، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «رحم الله رجلا قام من الليل فصلى، ثم أيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، ثم أيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»[1].

ومن ذلك الاجتماع أحياناً على أداء النافلة وصلاة الليل في بعض الليالي(**كالمبيت**). وقد صلى النبي -ﷺ- صلاة التطوع في جماعة فصلى معه ابن عباس، وصلى معه حذيفة، وصلى معه جابر، وصلى بأصحابه جماعة في بيت رجل من الأنصار وبوَّب البخاري على هذا الحديث (باب صلاة النوافل جماعة)، قال ابن حجر في فوائد هذا الحديث: «وفيه ما ترجم له هنا وهو صلاة النوافل جماعة[2]، وصلى بهم في رمضان ولولا خشية أن تفرض لاستمر فيها.

* **وسيلة التذكير بالموت والدار الآخرة:** ومن الوسائل التربوية التذكير بالموت والدار الآخرة لأن تذكر الموت والدار الآخرة مما يدفع الشاب للعمل الصالح، ويزيده إقبالاً على الآخرة وبعداً عن الدنيا، لذا فقد حثَّ النبي -ﷺ- على تذكر الموت والدار الآخرة، ودعا إلى ذلك: عن أبي هريرة عن النبي -ﷺ- قال: «أكثروا من ذكر هاذم اللذات فما ذكره عبد قط وهو في ضيق إلا وسعه عليه، ولا ذكره وهو في سعة إلا ضيقه عليه»[1].

---

(١) سنن أبي داود: ٥٠٤/١.

(٢) فتح الباري: ٦٢/٣

(١) صحيح بن حبان:٢٦٠/٧ قال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن.

والترغيب في حضور الصلاة على الجنائز وشهودها، واتباع السنة في اتباعها إلى المقبرة، وتذكر حال أهلها.

ومن الوسائل التي أرشد إليها النبي -ﷺ- زيارة القبور؛ فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: زار النبي -ﷺ- قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي؛ فزوروا القبور فإنها تذكر الموت»(١).

ح- **وسيلة الدعوة إلى المسارعة والتنافس والتسابق في الخير**: لقد أثنى الله تعالى على عباده الذين يتسابقون بالخيرات ويتنافسون فيها، قال تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾(٢)، وقال:﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾(٣)، ووصف عباده المرسلين بهذه الصفة فقال: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**﴾(٤).

وجاء في السنة الثناء على الذين يتسابقون إلى الخير ويتنافسون فيه، فعن أبي هريرة أن رسول الله -ﷺ- قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو

(١) صحيح مسلم: ٦٥/٣.
(٢) سورة آل عمران: الآية (١٣٣).
(٣) سورة الحديدة: الآية (٢١).
(٤) سورة الأنبياء: الآية (٩٠).

يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً» [1]، وقد كان أصحاب النبي ﷺ يتسابقون إلى الخيرات ويتنافسون فيها وخاصة الشباب والكهول.

- **وسيلة القدوة الحسنة المقرونة بالرفق واللين والإشفاق على المربى:**

القدوة الحسنة من أهم وسائل التربية الإيمانية وأعظمها تأثيراً، لذلك كان الرسل جميعا أهل القدوة الكاملة قال تعالى لنبيه ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾[2]، والنبي الخاتم المربي هو الأسوة الحسنة للبشرية إلى يوم القيامة لمن يريد السعادة والفلاح ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾[3]، وأكد الله هذه الأسوة في قوله الحق ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[4]، وهو صريح في كون الخلق الذي أثنى عليه الله مرتبطا بسلوكه مع الآخرين، فقد كان سراجا منيرا، ولم يكن سلوكه هذا مع المؤمنين فحسب؛ بل مع الخصوم.

وقد مثل صحابة رسول الله الذين رباهم رسول الله أعظم المثل في القدوة الحسنة في حرصهم بالعمل بالقرآن والسنة حتى أطلق عليهم قرآن يمشي على الأرض. ولكي نبرهن على أهمية وسيلة القدوة المقرونة بالرفق واللين والشفقة في التربية وأثرها في عهد النبوة والراشدين نذكر هذه النماذج:

---

(١) صحيح البخاري: ١/١٥٩.

(٢) سورة الأنعام: الآية (٩٠).

(٣) سورة الأحزاب: الآية (٢١).

(٤) سورة القلم: الآية (٤).

١- عن جرير بن عبد الله قال: جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله -ﷺ- عليهم الصوف، فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة، فحثَّ الناس على الصدقة فأبطؤوا عنه حتى رئي ذلك في وجهه، قال: ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصُرَّة من ورق، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه، فقال رسول الله -ﷺ-: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء»[(١)]، فقد ترك هذا الموقف أثراً في نفوس الناس ودفعهم إلى الصدقة، مع أن النبي -ﷺ- قد حثهم على ذلك.

٢ - ومن المواقف التي تتجلى فيها أهمية وسيلة القدوة ودورها في التربية، ما حصل أثناء حفر الخندق، حين اشتكى له أصحابه -ﷺ-الجوع فكشف عن حجرين على بطنه. «إن رسول الله -ﷺ- لم يتكلم ببنت شفة، لأن القدوة في مثل هذا الموطن هي التي تتحدث، لقد رفع رسول الله -ﷺ- عن ردائه، فإذا مقابل كل حجر يربطه الصحابي على بطنه حجرين على بطن رسول الله -ﷺ-، إن لسان الحال يقول: إن كنتم تربطون حجراً فأنا أربط حجرين اثنين. ترى لو كان النبي -ﷺ- متكئاً على أريكته يأكل ويشرب والناس في الخندق يحفرون، في جوع وبرد شديدين، أكان هذا الأمر هيناً على النفوس؟ حتى وإن لم تنطق بكلمة[(١)].

(١) صحيح مسلم: ٦١/٨.

(١) موسوعات البحوث والمقالات العلمية: ١٤.

وقد نصَّ أهل العلم على أنه حين تكون المصلحة في إظهار العمل ليقتدى به فهو أفضل.

وينبني على أهمية وسيلة القدوة الاعتناء بدراسة سير القدوات ابتداء: بسير الأنبياء والمرسلين التي امتلأ القرآن الكريم بالحديث عنها، ثم سيرة نبينا محمد -ﷺ- التي وثقها القرآن بقوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ وجسدها كما تحكي عائشة أم المؤمنين عندما سئلت عن خلق رسول الله فقالت: «كان خلقه القرآن»، ثم سيرة الصحابة الكرام والتي وثقها الرسول بقوله «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضو عليها بالنواجذ»[1]، «ثم سير السلف الصالح التابعين بإحسان فإن في دراسة السير لهؤلاء القدوات والاعتناء بها وإبرازها، وربط الناشئة بهذه القدوات ورجالها يترك أثراً له أهميته في ميدان التربية، ويعد أعظم وسيلة تربوية للاستقامة على الهدى. وهذه نماذج لاستعمال الرفق والشفقة واللين من صاحب القدوة العليا وسيلة تربوية نتعلمها منه -ﷺ-:

* **نموذج مع الأعرابي الذي بال في المسجد**: في الصحيحين عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ فِى الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- إِذْ جَاءَ أَعْرَابِىٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِى الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- مَهْ مَهْ. قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « لاَ تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ ». فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ « إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَىْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلاَ الْقَذَرِ إِنَّمَا هِىَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلاَةِ وَقِرَاءَةِ

(١) سنن أبي داود: ٤/٣٢٩.

الْقُرْآنِ ». أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-.قَالَ فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ»[1].

وقال بعض العلماء في الرواية: صلى قبل أن يفعل ما فعل، فقال في آخر التحيات: «اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً» وسلم عليه الصلاة والسلام وهو يدري من الرجل، ولكن أليس من الحكمة أن يعمي السؤال؟ كان بإمكانه أن يقول: «لماذا قلت ما قلت؟» لكنه قال: ﴿ من القائل آنفاً: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً؟ فقال: أنا يا رسول الله! قال: لقد حجرت واسعاً ﴾ والمعنى: لقد ضيقت رحمة الله التي وسعت كل شيء: ﴿ **ورَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ [2].

٢ - نموذج آخر مع الصحابي الذي تكلم في الصلاة: عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ بَيْنَا أَنَا أُصَلِّى مَعَ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللهُ. فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّى سَكَتُّ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ -ﷺ- فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِى وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي قَالَ « إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ ». أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-[1]، وقد دل هذا النموذج على أمور:

---

(١) صحيح البخاري: ١٤/٨ وصحيح مسلم:١٦٣/١.

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٥٦).

(١) صحيح مسلم: ٧٠/٢.

أولاً: عَذَرَه وقال بصحة صلاته، لأنه تكلم عن جهل فهو لا يعرف الحكم، وهذا مكسب عظيم.

الأمر الثاني- قال له: «إن هذه الصلاة لا تصلح لشيء من كلام الناس، إنما هي للذكر والتسبيح والتكبير».

الأمر الثالث: عاد هذا الرجل بهذا الأسلوب داعية إلى قومه بني سليم، فدخلوا في دين الله أفواجاً.

٣ - نموذج آخر مع الذي أراد قتل الرسول: قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدّثَنِي أَنّ فَضَالَةَ بْنَ عُمَيْرِ بْنِ الْمُلَوّحِ اللّيْثِيّ أَرَادَ قَتْلَ النّبِيّ ﷺ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عَامَ الْفَتْحِ فَلَمّا دَنَا مِنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهّ ﷺ« أَفَضَالَةَ؟ » قَالَ نَعَمْ فَضَالَةَ يَا رَسُولَ اللهّ قَالَ « مَا كَانَتْ تُحَدّثُ بِهِ نَفْسَك؟ « قَالَ لَا شَيْءَ كُنْت أَذْكُرُ اللهّ قَالَ فَضَحِكَ النّبِيّ ﷺ ثُمّ قَالَ « اسْتَغْفِرْ اللهّ »، ثُمّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَسَكَنَ قَلْبُهُ فَكَانَ فَضَالَةُ يَقُولُ وَاَللهّ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي حَتّى مَا مِنْ خَلْقِ اللهّ شَيْءٌ أَحَبّ إلَيّ مِنْهُ. قَالَ فَضَالَةُ فَرَجَعْت إلَى أَهْلِي، فَمَرَرْت بِامْرَأَةٍ كُنْت أَتَحَدّثُ إلَيْهَا، فَقَالَتْ هَلُمّ إلَى الْحَدِيثِ فَقُلْت: لَا . وَانْبَعَثَ فَضَالَةُ يَقُولُ:

قَالَتْ هَلُمّ إلَى الْحَدِيثِ فَقُلْت لَا ... يَأْبَى عَلَيْك اللهُّ وَالْإِسْلَامُ

لَوْ مَا رَأَيْت مُحَمّدًا وَقَبِيلَهُ... بِالْفَتْحِ يَوْمَ تُكَسّرُ الْأَصْنَامُ

لَرَأَيْت دِيناً أَضْحَى بَيّنًا ... وَالشّرْكُ يَغْشَى وَجْهَهُ الْإِظْلَامُ[1].

---

(١) الروض الأنف:١٧٨/٤.

٤ - وسائل التربية في سن الشيخوخة والكبر:

لقد كان لرسول الله -ﷺ- الذي أدبه ربه مواقف تربوية تليق بكبار القوم وكبار السن حيث علم أمته كيف يتم التعامل الدعوي والتربوي مع كبار السن نذكر من ذلك نماذج ننير بها الطريق لوسائل تربية الكبار:

١ – مع والد صاحبه -ﷺ- أبي بكر الصديق وكان كبير السن، قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: لما دخل رسول الله -ﷺ- مكة ودخل المسجد، أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله -ﷺ- قال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه؟» قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت، قالت: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: «أسلم» فأسلم، قالت: فدخل به أبو بكر وكأن رأسه ثغامة، فقال رسول الله -ﷺ-: «غيروا هذا من شعره»[(١)].

ويروى أن رسول الله -ﷺ- هنأ أبا بكر بإسلام أبيه[(١)].

وفي هذا الخبر منهج نبوي كريم سنه النبي -ﷺ- في توقير كبار السن واحترامهم، ويؤكد ذلك قوله -ﷺ-: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا»[(٢)].

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٥٤/٤، ٥٥).

(١) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٥٧٧.

(٢) انظر: سنن الترمذي، كتاب البر، باب ١٥رقم ١٩٨٦.

وفي قوله -ﷺ-: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم» [1]، كما أنه -ﷺ- سن إكرام أقارب ذوي البلاء والبذل والعطاء والسبق في الإسلام؛ تقديرًا لهم على ما بذلوه من الخدمة للإسلام والمسلمين ونصر دعوة الله تعالى[2].

ولذلك الكبير كالأم والأب والأخت الكبيرة والمعلمة أحياناً، ينبغي أن يكون هناك تلطف في التعليم له .

٢- ويذكر في هذا المجال أن الحسن و الحسين رضي الله عنهما وجدا رجلاً يتوضأ وضوءاً غير شرعي، فأرادا أن يعلماه، لكن ما استساغا أن يقولا له: أنت لا تحسن الوضوء وهو رجلٌ كبير السن. فقال له أحدهم: اختلفت أنا وأخي في الوضوء، ونريد أن نتوضأ أمامك لتحكم بيننا، فقام الحسن وتوضأ وضوءاً شرعياً سليماً لا غبار عليه، ثم قام الحسين وتوضأ وضوءاً شرعياً سليماً لا غبار عليه، فقالا: أينا الأحسن في الوضوء؟ قال كلاكما حسن بارك الله فيكما، وانتبه أنهما يريدان أن يعلماه بطريقة مناسبة.

٢ - وسائل وأساليب وأنشطة المجموع (الجماعة) في العمل الدعوي:

تحت هذا العنوان نتناول وسائل وأساليب وأنشطة الجماعة من وحدتها الصغرى الأسرة حتى مجموع الأمة الناظم لها السلطان العادل، **ونقصد بالأسرة هنا:**

١- أهل الرجل وعشيرته، لانه يتقوى بهم.

---

(١) انظر: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ٢٠، رقم ٤٨٤٣.

(٢) التاريخ الإسلامي للحميدي (٧/ ١٩٥).

٢-: المجموعة يربطها أمر مشترك. وهي (الأسرة الدعوية)

أ- وسائل وأساليب وأنشطة الأسرة والجماعة:

- **الوسط المنزلي [البيوت] ووسائل التربية بها:**

البيوت بركنيها الأب والأم هي الوسط التربوي الأول للإنسان، أي إنسان منذ خروجه إلى هذه الحياة، فهي إما أن تكون بيئة سليمة صحية تربوية تحافظ على فطرة الإنسان التي فطره الله عليها، وإما بيئة سيئة فتدخل عليها التغيير، عن أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ثُمَّ يَقُولُ ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[1].

وهي في العهد النبوي والراشدي كانت بحق تمثل الوسط والوسيلة التربوية المحافظ على الفطرة والمنمي والموجه لكل من يعيشه على الفطرة وعلى الاستقامة على صراط الله المستقيم كيف لا والتوجيه النبوي يرشد ويوجه ليكون هكذا، من حين التفكير والاختيار « عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ. »[1] .

---

(١) صحيح البخاري: ١٤٣/٦.

(١) صحيح البخاري: ٩/٧ وصحيح مسلم: ١٧٥/٤.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ- « إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[1].

فعلى الدين والخلق نشأ هذا الوسط وينشأ من فيه على ذلك، بوسيلة التزكية، والتربية المتكاملة لجميع أفراد الأسرة عبر بيئة نظيفة تمثلها البيت، وتوجيه مرشد يقوم به ركنا الأسرة الأب والأم، وكثير من أفراد الأسرة المؤثرين الحاملين هم الدعوة والعمل لها.

وقد أراد اللهّ للبيوت(الأسر) في عهد النبوة والراشدين أن تقوم على الأسس الصحيحة السليمة، فأرسى الدعائم السليمة الصحيحة، والأسس القويمة لتكوينها تكوينا سليما كحاضن جيد لأفرادها، فقامت على مبادئ معينة، هامة وجليلة الشأن من أجل توفير جو صحي سليم للمتربين تربية سليمة على القيم الإسلامية، فهي تقوم على المودة والرحمة: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[1] .

كما تقوم على مبدأ العدل والمساواة: ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** ﴾ [2].

وعلى مبدأ المعاشرة بالمعروف: ﴿ **وَعاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾[3] .

---

(١) سنن ابن ماجه: ٦٣٢/١ والحديث قد أخرجه الترمذي ورجح إرساله . ثم أخرجه من حديث أبي حاتم المزني زوقال فيه إنه حسن.

(١) سورة الروم: الآية (٢١).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٢٨).

(٣) سورة النساء: الآية (١٩).

وفي مثل هذا الجو الأليف الودود المفعم بالعدل والمساواة تقوم عملية التربية لكل من يعيش فيه وسط جو من ضمان حقوقهم، ووسط الشعور بالمسئولية التامة عن هذه التربية التي أكدها الشارع الحكيم.

فالبيوت (الأسرة) قائمة على قيم ومن أجل قيم، وفي مقدمتها المسؤولية يقول الرسول -ﷺ-: «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[1].

وجاء الأمر النبوي بتعليم من يعيش هذه البيئة لأهميتها؛ قال -ﷺ-: «إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش فتعلموهن وعلموهن نساءكم وأبناءكم؛ فإنها صلاة وقرآن ودعاء»[1].

وسبق لنا قريبا ذكر الوسائل والأساليب المتعلقة بالطفل في إطار الأسرة ولكن نشير هنا إلى التربية الجماعية لكل أفراد الأسرة إذ أنه المقصود به هنا:

* **وسيلة العبادات الجماعية فيها تربية:** روي في الصحيحين عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- «أنّ رسول الله -ﷺ- دعي إلى طعام، فأكل منه ثم قال: قوموا فلنصل بكم. قال أنس: فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس، فنضحته بالماء، فقام

(١) صحيح متفق عليه، راجع: البغوي، مصابيح السنة، مرجع سابق، ٣/ ١٢، حديث رقم ٢٧٧٦. وراجع صفة المسئولية من صفات الموسوعة.

(١) وأخرج الحاكم ٥٦٢/١، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٢٤٠٣).

عليه رسول الله -ﷺ-، وصففت عليه أنا واليتيم وراءه، والعجوز من ورائنا، فصلى بنا ركعتين ثم انصرف»[1]، و ليس المقصود تعويدهم على صلاة الجماعة في البيت إلا أن يكون ذلك في النوافل، كالركعتين اللتين أم النبي -ﷺ- فيهما الغلامين و المرأة .

ومن الوسط المنزلي التربوي تنتقل الأسرة إلى الوسائط التربوية الأخرى لتكميل التربية، كالكتاب والمدارس والمساجد وغيرها لمشاهدة من يؤدون العبادة فيها ويعملون الخير ويتعلمون ويعلمون وإن لم يشاركوهم في الفعل، ليعيشوا بيئة الصالحين، والمتعلمين المتربين على أيدي الربانيين بها. وهذا ما كان حاصل في عهد النبوة والراشدين ومن بعدهم

فيتربى الذين يعيشون ويتنقلون في هذه الوسائط على كثير من تعاليم الإسلام العبادية والأخلاقية والاجتماعية فهم يسمعون السلام وكيفية الرد عليه، وفي حديث أنس -رضي الله عنه-قال: «كنت مع النبي -ﷺ- فمر على صبيان فسلم عليهم»[1]، ويسمع الاستئذان ويمارسه؛ فقد قال جابر-رضي الله عنه-: «يستأذن الرجل على ولده وأمه وإن كانت عجوزاً، وأخيه وأخته وأبيه»[2].

ويشرك بعضهم بعضا في المجالس ويأخذون حقهم ولو كان البعض صغارا فعن سهل بن سعد -رضي الله عنه-أن رسول الله -ﷺ- أُتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام

---

(١) صحيح البخاري:٣٩١/١ وصحيح مسلم: ١٢٧/٢.

(١) صحيح البخاري:٦٨/٨.

(٢) الأدب المفرد: ٢٤٩/١.

وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: والله يا رسول الله! لا أؤثر بنصيبي منك أحداً، فتلَّه رسول الله -ﷺ- في يده»[1].

وقد مر عمرو بن العاص -رضي الله عنه- على حلقة من قريش فقال: «ما لكم قد طرحتم هذه الأغيلمة؟ لا تفعلوا! أوسعوا لهم في المجلس وأسمعوهم الحديث، وأفهموهم إياه؛ فإنهم صغار قوم أوشك أن يكونوا كبار قوم، وقد كنتم صغار قوم فأنتم اليوم كبار قوم»[2].

ويتفقه البعض على الكبار ويتعلمون الأدب منهم، قال سمرة بن جندب: «لقد كنت على عهد رسول الله -ﷺ- غلاماً فكنت أحفظ عنه؛ فما يمنعني من القول إلا أنَّ هاهنا رجالاً هم أسن مني»[1].

كما أن بعضهم يقوم يقوم سلوك بعض . جاءت النصوص بالأمر بالإنكار على من يخل بالأدب؛ فعن عمر بن أبي سلمة، قال: كنت في حِجْر رسول الله -ﷺ- وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي: «يا غلام! سمِّ الله وكُلْ بيمينك وكل مما يليك»[2].

إنها البيئة التربوية بحق في عهد النبوة والراشدين والوعاء الاجتماعي الذي يتلقي المتربي فيه معلوماته، ويتفاعل مع أفرادها، ويشعر بالانتماء إليه، وبذلك

---

(١) شعب الإيمان: ١٢١/٥ وقال: أخرجاه في الصحيح من حديث مالك.

(٢) الطبقات الكبرى: ١٩٣/٤.

(١) صحيح مسلم:٦٠/٣.

(٢) صحيح البخاري:٨٨/٧ وصحيح مسلم:١٠٩/٦.

يكسب العضو مكانته سواء كان صغيرا أو كبيرا في الجماعة، ويتعلم منها كيف يتعامل مع الآخرين في سعيه لإشباع حاجاته وتحقيق مصالحه من خلال تفاعله مع أعضائها.

وروى ابن أبي شيبة أن النبي -ﷺ- كان يعلم الغلام من بني عبد المطلب إذا أفصح قول الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾[1]، سبع مرات[2].

- **وللأسرة والجماعة أفضل وسيلة تربوية في مسجد الحي:**

فالمسجد بما يقام فيه من وسائل ومناشط متعددة ومتنوعة يعد الوسط الأساس والوسيلة الهامة لأي عملية تربوية ربانية شاملة للأسرة مصحوبة بالتعلم والتفقه في الدين الذي كان يقوم به الرسول وخلفاؤه الراشدون في المسجد، بل ويعيشه المجتمع بأجمعه سلوكا وأسوة في ضوء قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[2]، حيث كان المجتمع المسلم في عهد النبوة

---

(١) سورة الإسراء: الآية (١١١).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٣٨٣/١.

(١) سورة البقرة: الآية (١٥١).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٦٤).

والراشدين في أي مكان هو كائن محاط بهذه البيئة المسجدية ووسائلها و مناشطها غير منفك عنها رجالا ونساء صغارا وكبارا، باعتباره المكان المحبب المفضل على سواه في هذه المهمة، والمكان الخالص لعبادة الله أصل التربية، ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِّ فَلا تَدْعُو مَعَ اللهِّ أَحَداً ﴾[1]، وعن أبي هريرة أن رسول الله -ﷺ- قال: أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»[2].

وهو المكان الذي يتردد إليه المسلم للحصول على التربية الربانية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -ﷺ-: إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا عليه بالإيمان قال الله عز وجل ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾[1]) [2]، بل أمر الرسول – أمر إلزام – الأمة ببناء المساجد في البيوت والدور وتهيأ تهيئاً كاملا لتتحقق التربية بها لكل فرد، ذكرا أو أنثى صغيرا أو كبيرا في الأسرة، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عن مّنْ حَدَّثَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِّ -ﷺ- قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِّ -ﷺ- يَأْمُرُنَا أَنْ نَصْنَعَ الْمَسَاجِدَ فِي دُورِنَا وَأَنْ نُصْلِحَ صَنْعَتَهَا وَنُطَهِّرَهَا»[3].

وتتحقق التربية الربانية في المسجد بملازمته والمكث فيه كبيئة ربانية تكسب التقوى وتقوى بالإيمان﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ**

---

(١) سورة الجن: الآية (١٨).

(٢) رواه مسلم في الصحيح عن هارون بن معروف وإسحاق بن موسى الأنصاري

(١) سورة التوبة: الآية (١٨).

(٢) جامع الترمذي: ١٢٨/٥.

(٣) أخرجه أحمد ٣٧١/٥(٢٣٥٣٤) وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالأَصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِّ -ﷺ- يَقُولُ: «الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ وَتَكَفَّلَ اللهُّ لِمَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ بِالرَّوْحِ وَالرَّحْمَةِ وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى رِضْوَانِ اللهِّ إِلَى الْجَنَّةِ»[2].

وهو بيئة حامية للمؤمن ومحافظة عليه، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ نَبِيَّ اللهِّ -ﷺ- قَالَ: «إِنِ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ، فَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ»[1].

حتى النساء لهن حظ ونصيب من ذلك فعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِّ -ﷺ- قَالَ: «لَا خَيْرَ فِي جَمَاعَةِ النِّسَاءِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ، أَوْ فِي جَنَازَةِ قَتِيلٍ»[2].

- **وفي مجالس الذكر وسائل وأساليب تربية للأسرة والجماعة:**

قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ ﴿٣٦﴾ رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ

---

(١) سورة النور: الآيات (٣٦-٣٨).

(٢) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ وَالْبَزَّارُ وَقَالَ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَرِجَالُ الْبَزَّارِ كُلُّهُمْ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

(١) مسند أحمد: ٣٥٩/٣٦ رقم: ٢٢٠٣٠.، حسن لغيره، وهذا سند رجاله ثقات إلا أنه منقطع، لأن العلاء بن زياد لم يسمع من معاذ .

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَفِيهِ ابْنُ لَهِيعَةَ وَفِيهِ كَلَامٌ.

وَإِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾[1].

مجالس الذكر سواء كانت في المساجد أوفي البيوت أوفي أي مكان كائن تعد وسيلة وسطا بيئيا صافيا نقيا للتربية الربانية، ترفع من مستوى الإيمان والتقوى وملازمة العمل الصالح، لأنها بيئة الصلاح والتفقه، وأصحابها محل نظر الله ومباهاته بهم ملائكته، عن أبي سعيد الخدري قال: «خرج معاوية بن أبي سفيان على أصحابه فقال: -ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله -عز وجل-. قال: والله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد من أصحاب رسول الله -ﷺ- بمنزلتي من أصحاب رسول الله -ﷺ- أقل حديثاً عنه مني، وإن رسول الله -ﷺ- خرج على أصحابه وهم يذكرون الله – عز وجل– فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله -عز وجل- وما من به علينا من الإسلام، وهدانا بك، فقال: والله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: - والله ما أجلسنا إلا ذاك قال -: أما إني لا أستحلفكم تهمة لكم، ولكن جبريل أتاني فأخبرني أن الله – عز وجل– يباهي بكم الملائكة».

لذا كانت هذه المجالس في عهد النبوة والراشدين محل تنافس وسباق في عقدها والمعايشة فيها، لأنهم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم، كما أنها كانت هدف الترغيب والتشويق إليها من ذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: إِنَّ للهِ

---

(١) سورة النور: الآيات (٣٦-٣٨).

مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِنْ وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا: يَقُولُونَ، يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ قَالَ: فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي قَالَ: فَيَقُولُونَ، لاَ وَاللهِ مَا رَأَوْكَ قَالَ: فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ: يَقُولُونَ، لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا قَالَ: يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِي قَالَ: يَسْئَلُونَكَ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُونَ، لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا، كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ قَالَ: يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ قَالَ: يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُونَ لاَ وَاللهِ مَا رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ: فَيَقُولُ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ، لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ، لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(١).

والدعوة إلى حضورها واستقاء التربية في ربوعها هي مدلول ما رواه أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في: ٨٠ كتاب الدعوات: ٦٦ باب فضل ذكر الله عز وجل.

(٢) حلية الأولياء:٦/٣٥٤ غريب من حديث مالك لم نكتبه إلا من حديث محمد بن عبدالله بن عامر.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله -ﷺ-: إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: مجالس العلم»[1].

وفي حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: «خرج علينا رسول الله -ﷺ- فقال: أيها الناس ارتعوا في رياض الجنة، قيل: يا رسول الله؛ وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر، قال: اغدوا وروحوا واذكروا، من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله -عز وجل- فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه»[2].

وفي التشويق إلى هذه الوسيلة والترغيب فيها والقيام بالذكر في وسطها، عن أبي رزين العقيلي -رضي الله عنه-أن رسول الله -ﷺ- قال: «يا أبا رزين: ألا أدلك على ملاك الأمر الذي تصيب به خير الدنيا والآخرة؟ قال: بلى، قال: «عليك بمجالس الذكر، وإذا خلوت فحرك لسانك بذكر الله — عز وجل – ما استطعت وأحب لله وأبغض لله، يا أبا رزين: أشعرت أن الرجل إذا خرج من بيته زائراً أخاه في الله – عز وجل – شيعه سبعون ألف ملك يصلون عليه. يقولون: ربنا إنه قد رحل فيك فصله، فإن استطعت أن تعمل جسدك في ذلك فافعل»[1].

وفي حديث الأغرأبي مسلم قال: أشهد علي أبي سعيد وأبي هريرة -رضي الله عنهما- قالا: نشهد على رسول الله -ﷺ- إنه قال: «ما جلس قوم يذكرون ربهم إلا حفت بهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: ٩٥/١١.

(٢) أخرجه عبد بن حميد (ص ٣٣٣ ، رقم ١١٠٧) ، والحكيم (١٢٦/٢) ، والحاكم (٦٧١/١ رقم ١٨٢٠) وقال : صحيح الإسناد .

(١) حلية الأولياء:١:٣٦٦.

عنده»[1].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله -رضي الله عنه- قَالَ قَالَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: إِنَّ للهَّ عَزَّ وَجَلَّ سَرَايَا مِنَ الْمَلائِكَةِ تَحِلُّ وَتَقِفُ عَلَى مَجَالِسِ الذِّكْرِ فِي الأَرْضِ فَاغْدُوا وَرُوحُوا فِي ذِكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ وَاذْكُرُوا اللهَّ بِأَنْفُسِكُمْ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ الله تَعَالَى عِنْدَهُ فَإِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ»[2].

وأبرز دليل على تأثير هذه الوسيلة على التربوية حديث حنظلة الأسيّديّ – وكان من كتّاب رسول اللهّ -صلى الله عليه وسلم-– قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت؟ يا حنظلة، قال: قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان اللهّ ما تقول؟، قال: قلت: نكون عند رسول اللهّ -صلى الله عليه وسلم-، يذكّرنا بالنّار والجنّة، حتّى كأنّا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول اللهّ -صلى الله عليه وسلم-، عافسنا الأزواج والأولاد والضّيعات فنسينا كثيرا، قال أبو بكر: فو اللهّ إنّا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر، حتّى دخلنا على رسول اللهّ -صلى الله عليه وسلم-، قلت: نافق حنظلة، يا رسول اللهّ، فقال رسول اللهّ -صلى الله عليه وسلم-: «وما ذاك؟»، قلت: يا رسول اللهّ نكون عندك تذكّرنا بالنّار والجنّة، حتّى كأنّا رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضّيعات، نسينا كثيرا، فقال رسول اللهّ -صلى الله عليه وسلم-: «والّذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذّكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرّات[1].

---

(١) سنن الترمذي: ٣٢١/٥وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) الدعاء للطبراني:٥٢٨/١.

(١) مسلم (٢٧٥٠).

- **وفي مجالس الأصدقاء الصالحين وسيلة تربية للأسرة والجماعة:**

مما لاشك فيه أن الأصدقاء الصالحين يمثلون بيئة تربوية ممتازة لكل من يعيش معهم ويخاللهم، وقد كان عهد الرسول والخلفاء الراشدين خير من يمثله وأفضلها الأصدقاء الصالحون لما اشتمل عليه صلاح أهله وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ولذلك كانت إليه الهجرة قبل فتح مكة ودخول الجزيرة العربية في الإسلام واجبة إلى المدينة على كل من أسلم لينعم بالأصدقاء الذين يكتسب بصداقتهم تربية وتفقها، كما أن الرسول -ﷺ- قد بين أن في تعارف المؤمنين لبعضهم محقق لهذا المعنى: عن أبي هريرة -رضي الله عنه-قال: قال رسول اللهّ -ﷺ-: «الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[1].

فالمتعارفون من الأصدقاء الصالحين يمثلون بيئة تربوية مؤثرة ومغيّرة إن كان القرين مهيأً ومستعدا لذلك، وفي بيئة الأصدقاء في عهد النبوة والراشدين أعظم مثل ودليل. لقد آخى الرسول -ﷺ- بين أصحابه وكون أسر إخاء وعقد بينهم هذا العقد بتعارفهم الإيماني وقدمه على النسب حتى الميراث في أول الأمر، وما ذاك إلا لأهميته في الميدان التربوي الرباني.

لذلك دعا لاتخاذ الجليس الصالح على سواه لما له من تأثير في التربية، عن أبي موسى الأشعريّ-رضي الله عنه- عن رسول اللهّ -ﷺ- قال: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ،

---

(١) مسلم (٢٦٣٨)..

وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[1].

ثم لا تكون صحبة وعشرة إلا لمؤمن، عن أبي سعيد-رضي الله عنه- عن النّبيّ -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا تصاحب إلّا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلّا تقيّ» [2].

والمرء على دين خليله، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول اللهّ -صلى الله عليه وسلم-: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[1]، وبه يقوى إيمانه ويزداد في تقواه ويتخذه منه مدرسة للتربية عن أبي موسى-رضي الله عنه- عن النّبيّ -صلى الله عليه وسلم-، قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا. وشبّك بين أصابعه»[2].

وهذا نموذج لما كان عليه الأصدقاء في ميدان التربية عن أبي جحيفة -رضي الله عنه- قال: آخى النّبيّ -صلى الله عليه وسلم- بين سلمان وأبي الدّرداء، فزار سلمان أبا الدّرداء، فرأى أمّ الدّرداء متبذّلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدّرداء ليس له حاجة في الدّنيا. فجاء أبو الدّرداء فصنع له طعاما فقال له: كل. قال: فإنّي صائم. قال: ما أنا بآكل حتّى تأكل. قال: فأكل. فلمّا كان اللّيل ذهب أبو الدّرداء يقوم. قال: نم. فنام. ثمّ ذهب يقوم. فقال: نم. فلمّا كان من آخر اللّيل قال سلمان: قم الآن، فصلّيا. فقال له سلمان: إنّ لربّك عليك حقّا، ولنفسك عليك حقّا، ولأهلك عليك حقّا، فأعط

---

(١) مسلم (٢٦٣٨).

(٢) أبو داود رقم (٤٨٣٢) وقال الألباني (٣/ ٩١٧): حسن. والترمذي (٢٣٩٥) واللفظ لهما واسناده حسن، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٢٨) وقال: صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(١) أبو داود (٤٨٣٣) واللفظ له، الترمذي (٢٣٧٨) وإسناده حسن، وابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان (ص ١١٩) وقال محققه: إسناده حسن وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٧١) وقال: صحيح إن شاء اللّه.

(٢) البخاري- الفتح ٥ (٢٤٤٦) واللفظ له، مسلم (٢٥٨٥).

كلّ ذي حقّ حقّه. فأتى النّبيّ -ﷺ- فذكر ذلك له، فقال له النّبيّ -ﷺ-: «صدق سلمان»[1]، ولهذا قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «عليك بإخوان الصّدق فعش في أكنافهم فإنّهم زين في الرّخاء، وعدّة في البلاء» [2]، وخاطب عبد اللهّ بن مسعود أصحابه فقال: «أنتم جلاء حزني»[3].

فجماعة الأقران أو الصحبة ناتج اجتماعي يتكون على أساس فئات السن، أو المهنة أو علاقة ما لإشباع حاجات محددة، ومعنى هذا أنها تقوم بوظيفة شرعية في نمو القرين وإكسابه القيم السائدة في المجتمع وهو جانب تربوي.

ومن المهم الإشارة إلى أن جماعة الرفاق تعتبر انعكاسا لثقافة المجتمع الذي يعيشون فيه، وتتبلور فيها قيم المجتمع التي يؤمن بها، فالناشئ ينقل إلى هذه الجماعة ثقافة أسرته وثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه، وبالجملة فإن جماعة الرفاق من أهم الجماعات التربوية المؤثرة في نقل القيم وغيرها من المكونات الثقافية للمجتمع، ولذا تعتبر وسطا ووسيلة مهمّة جدّا في هذا المجال.

ولهذه الأهمية فقد حظيت بذلك الاهتمام الخاص من توجيهات الإسلام، السابق ذكرها، ففي صلاحها صلاح الفرد، وصلاح الفرد صلاح لها، كم لحظنا التوجيهات الإسلامية من الحث على اختيار الرفقاء من الأخيار الصالحين دينا وخلقا

(١) صحيح البخاري:٤/ من ١٩٦٨ من الفتح.

(٢) كتاب الإخوان (١١٦).

(٣) ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان (١٥٠).

وسلوكا حتى يقتدوا بهم، ويكتسبوا منهم الصفات الحميدة والخلال الفاضلة، وأن يجنبوهم مخالطة الأشرار حتى لا يقلدوهم ويسلكوا طريقهم المعوج[1].

- **وسيلة الوسط المجتمعي التربوية:**

البيئة المجتمعية الصالحة وسيلة ووسط تربوي هام لتحقيق العملية التغييرة والاستقامة على منهج الله، لذلك نلحظ في العهد النبوي الراشدي الحرص على إيجاد وسط مجتمعي صالح يكون أرضية لإصلاح وتربية من يأتي إليه، ويحافظ على استقامة وصلاح من يعيش فيه، ابتداء من نواته الأسرة، ومرورا بمكونه الاجتماعي الكبير المكون من أخلاط الأسر والناس، وهذا الأمر الملحوظ هو الذي نجده في عهد النبوة من أول البعثة حيث كون الرسول الأسرة الربانية المتمثلة في بيته -ﷺ- زوجه وبناته ومولاه وابن عمه علي المتولي تربيته من طفولته، وبهذه النواة في مكة تكونت بداية المجتمع المكي الذي كان يمثل الوسط التربوي لكل من فيه على يد الرسول -ﷺ-، والذي حرص الرسول على تنميته وتوسيع دائرته من خلال من آمن به في مكة وأسرهم.

وكان دار الأرقم بن أبي الأرقم يمثل هذا المجتمع المسلم المصغر الرباني، وكان يحرص كل الحرص أن تكون مكة هي الوسط الرباني لكن مشيئة الله أرادت أن يكون غير هذا، فهيأ الله لهم بالهجرة مجتمعا ربانيا في الحبشة مكون من المسلمين المهاجرين يحفظ بها الصحابة دينهم وتزكيتهم بوسطهم الرباني، والآخر هو الذي

(١) نضرة النعيم:١/١٧٠-١٧١.

هيأه الله لنبيه بالهجرة إلى المدينة، وتكوين المجتمع الإسلامي الواسع الذي به منع أن يبقى أحد ممن أسلم غير مندمج به وبعيد عنه إلا من عجز وغلب عليه، لأن أي مجتمع سواه لا يوفر لمن فيه البقاء على الإسلام، ويفقد الموجود به من المسلمين التربية الربانية والتفقه في الدين، بل ويحال بينه وبين ذلك.

وبهجرة الرسول -ﷺ- إلى المدينة المنورة وترتيب أوضاعه، وإيجاد أركانه وأسسه المتمثل في: المسجد، والمؤاخاة، والوثيقة، والسلطة الممثلة في الرسول عليه الصلاة والسلام، أصبح هذا المجتمع وسطا تربويا من الدرجة الأولى لا يسمح لمن فيه من المسلمين أن يتركه، ولا يجوز لمن ليس فيه ممن أسلم أن يبقى فيما سواه. واستمر ذلك إلى فتح مكة وقول الرسول «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية».

هذا المجتمع المدني أصبح وسط ووسيلة تربية وتفقه لكل من فيه من رجال ونساء وصغير وكبير، وعد من فيه صاحب فقه وتربية يتلقى ذلك تلقائيا من رسول الله قولا وعملا وأسوة، ومن سائر المجتمع معايشة في المسجد وفي البيت وفي الدور والأسواق وفي أي مكان هو فيه، فأصبحوا كأنهم قرآن يمشي على الأرض، يروي الصحابة عن أنفسهم يقولون: لم يكن أحدنا يستكثر من القرآن، إنما كنا نتعلم عشر آيات لا نزيد عليهن حتى نعمل بما فيهن، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً، فقد كانت كلمات القرآن وجمله بالنسبة لهم المنهج اليومي الذي يتلقاه المسلمون ليعملوا به فورا، لا يتخلف منهم أحد ولا يتباطأ إنسان، بل يتسابقون إلى ذلك ويتلقونه كما يتلقى الجندي في ثكنته، أو في ميدانه، أمر القائد فيعيه ويفهمه ويقوم مباشرة إلى التنفيذ .

لقد أعد الرسول ﷺ هذا المجتمع ليكون بيئة إيمان وتقوى وعبادة خالصة لله، وليكون من التحق به متلقيا للتربية فيه من خلال الأسوة والقدوة بجانب القول فهو يتربى فيه بالمعايشة والمشاهدة والمحاكاة لكل ما يعمله .

المطلب الثالث

وسيلة المجاهدة وأساليبها وأنشطتها.

١- مفهوم المجاهدة في العمل الدعوي

أ- المجاهدة لغة:

قال ابن منظور: الجهد والجهد: الطّاقة والمشقّة وبذل الوسع مصدر من جهد،. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾[1]، وقرئت الآية الكريمة بالوجهين: جُهْدَهُمْ وجَهْدَهُمْ. والمجاهدة مصدر جاهد، وجاهد في سبيل اللهّ مجاهدة وجهادا، والاجتهاد والتّجاهد: بذل الوسع، والمجهود والمجاهدة فطام النّفس عن الشّهوات، ونزع القلب عن الأماني والشّهوات[2].

إذا المجاهدة في اللغة تعني: الجد في الشيء مبالغة، والطلب حتى يصل إلى الغاية. وبلوغ المشقة، والضيق، والشدة، والجدب، وبذل الوسع والطاقة، كما يعني المقاتلة.

ب- المجاهدة في الاصطلاح:

عرفت المجاهدة بتعاريف متعددة أجمعها: بذل الوسع في فعل ما يرضى الله تعالى وترك ما يسخط باستدامة الجد، وترك الراحة وصدق الافتقار إلى الله تعالى،

---

(١) سورة التوبة: الآية (٧٩).

(٢) لسان العرب (٣/ ١٣٣- ١٣٥). والصحاح (٢/ ٤٦٠). ومقاييس اللغة (١/ ٤٨٦).

والانقطاع عن كل ما سواه، وفطام النفس عن الشهوات، ونزع القلب عن الأماني والشبهات[1]، وهذا التعريف يركز في مدلوله على: مجاهدة النفس على الالتزام بالطاعات وبعدها واجتنابها عن المعاصي والحذر من الوقوع في الشبهات .

ج- مفهوم المجاهدة في العمل الدعوي:

المجاهدة في العمل الدعوي كوسيلة وأسلوب ميدانها وأهدافها: النفس، والهوى، والشيطان وهي أعداء خفية، والعدو الظاهر: الكفار، والفساق.

فأما مجاهدة النفس – العدو غير الظاهر–، فعلى أربع مراتب: حملها على تعلّم أمور الدّين، ثمّ حملها على العمل بذلك، ثمّ حملها على تعليم من لا يعلم، ثمّ الدّعاء إلى توحيد اللهّ، وقتال من خالف دينه وجحد نعمه. -سئل عبد اللهّ بن عمر- رضي اللهّ عنهما- عن الجهاد، فقال له: «ابدأ بنفسك فجاهدها، وابدأ بنفسك فاغزها)» [2].

وتمام المجاهدة أن يكون متيقّظا لنفسه في جميع أحواله، فإنّه متى غفل عن ذلك استهواه شيطانه ونفسه إلى الوقوع في المنهيّات. قال ابن القيّم- رحمه اللهّ تعالى: فإذا استكمل (المسلم) هذه المراتب الأربع صار من الرّبّانيّين، فإنّ السّلف مجمعون على أنّ العالم لا يستحقّ أن يسمّى ربّانيّا حتّى يعرف الحقّ ويعمل به ويعلّمه، فمن علم وعمل وعلّم فذاك يدعى عظيما في ملكوت السّموات [3].

---

(١) سورة يوسف: الآية (١٠٨). كشاف اصطلاحات الفنون ١/٢٨٠ بتصرف .

(٢) جامع العلوم والحكم (١٧١).

(٣) انظر زاد المعاد (٣/ ١٠- ١١).

٢- عرض مفهوم وسيلة وأسلوب ونشاط المجاهدة في العمل الدعوي (التأصيل)

جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل كما يقول ابن بطال، قال اللهّ تعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى** ﴾[١]، ويقع بمنع النّفس عن المعاصي، وبمنعها من الشّبهات، وبمنعها من الإكثار من الشّهوات المباحة لتتوفّر لها في الآخرة[٢].

ولأهمية مجاهدة النفس قال عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه-: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزيّنوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ﴿ **لا تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ** ﴾[٣] ،[٤] وقال عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-: «أوّل ما تنكرون من جهادكم أنفسكم»)[٥]. وجهاد النّفس أساس كبير في تهيّؤ الإنسان للخلافة في الأرض.

وأما مجاهدة الشيطان العدو الخفي أيضا، تكون بالاستعاذة من وسوسته وعلى دفع ما يأتي به من الشبهات، وما يزينه من الشهوات.، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾[٦] .

---

(١) سورة النازعات: الآية (٤٠).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٤٥- ٣٤٦).

(٣) سورة الحاقة: الآية (١٨).

(٤) مدارج السالكين (١/ ١٨٩- ١٩٠).

(٥) جامع العلوم والحكم (١٧١).

(٦) سورة فاطر: الآية (٦).

عن سبرة بن أبي فاكه-رضي الله عنه- قال: سمعت النّبيّ -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إنّ الشّيطان قعد لابن آدم بأطرقه، قعد في طريق الإسلام، فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك؟ فعصاه وأسلم، وقعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر وتذر أرضك وسماءك؟ وإنّما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطّول، فعصاه فهاجر، ثمّ قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد؟ فهو جهد النّفس والمال، فتقاتل فتقتل، فتنكح المرأة ويقسم المال؟ فعصاه فجاهد، قال رسول اللهّ -صلى الله عليه وسلم-: فمن فعل ذلك كان حقّا على اللهّ أن يدخله الجنّة، وإن غرق كان حقّا على اللهّ أن يدخله الجنّة، أو وقصته دابّته كان حقّا على اللهّ أن يدخله الجنّة»[1]، وجميع الأنواع السابقة، تدخل ثلاثتها فى قول الله تعالى: ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** ﴾[2].

وأما مجاهدة العدو الظاهر: فالكفار، فتقع باليد، والمال، واللسان. والقلب. قال اللهَّ تعالى: ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[3] .

وأما الفساق والمنافقون: فباليد، ثم اللسان، ثم القلب. عن عبد اللهَّ بن مسعود -رضي الله عنه- ، أن رسول اللهَّ -صلى الله عليه وسلم- قال: « ما من نبي بعثه اللهَّ في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم

---

(١) النسائي (٦/ ٢١- ٢٢). في الجهاد. وقال محقق جامع الأصول (٩/ ٥٤٠- ٥٤١) واللفظ له إسناده حسن وصححه ابن حبان وحسنه الحافظ في الإصابة (٣/ ٦٤).

(٢) سورة الحج: الآية (٧٨).

(٣) سورة التوبة: الآية (٤١).

خلوف، يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »[1].

بعد هذ العرض المجمل لوسيلة المجاهدة وأهميتها نعرض حقيقة هذه الوسيلة كما تحدث عنها القرآن ومزيد بيان من السنة وبعض تطبيقات الصحابة الكرام في الآتي:

أ – ما جاء في القرآن:

جاءت عدة آيات تعرض لنا جملة من الأعمال المعدودة من وسائل المجاهدة التي لها تأثير على النفس والقلب والجوارح في مختلف مجالات العمل الدعوي المتضمنة الخطاب الموجه إلى الرسول وإلى المؤمنين استعرضها الإمام النووي في كتابه رياض الصالحين والشيخ ابن حميد في كتابه نضرة النعيم، وغيرهما ذاكرين بعض تطبيقاتها العملية من السنة والسلف الصالح نذكر من ذلك ما هو مناسب ومفيد:

- **مجاهدة نبي الله يوسف نفسه ليمتنع من الوقوع إلى ما دعي إليه من الفاحشة:**

١- قال تعالى: ﴿ **وَراوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوابَ وَقالَتْ هَيْتَ لَكَ قالَ مَعاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [2].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (٥٠) ١/٦٩ .

(٢) سورة يوسف: الآية (٢٣).

• **الأمر لنبينا محمد بمجاهدة نفسه:**

١- قالَ تَعَالَى: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [١].

٢- وَقالَ تَعَالَى: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ [٢]: أي انْقَطِعْ إِلَيْه.

ب- النهي من طرد للذين يجاهدون أنفسهم والتحذير من ذلك:

١- قال تعالى: ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[٣].

• **الأمر لنبينا محمد بمصابرة نفسه لمجالسة المجاهدين لأنفسهم:**

٢- قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾[٤] .

• **المجاهدة من الجهاد وتحقيقها سبب من أسباب دخول الجنة واستحقاقها:**

قال تعالى:﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [٥]، قال شيخنا الشنقيطي: أَنْكَرَ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى مَنْ

---

(١) سورة الحجر: الآية (٩٩).

(٢) سورة المزمل: الآية (٨).

(٣) سورة الأنعام: الآية (٥٢).

(٤) سورة الكهف: الآية (٢٨).

(٥) سورة آل عمران: الآية (١٤٢).

ظَنَّ أَنَّهُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ دُونَ أَنْ يُبْتَلَى بِشَدَائِدِ التَّكَالِيفِ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا الْفَرْقُ بَيْنَ الصَّابِرِ الْمُخْلِصِ فِي دِينِهِ، وَبَيْنَ غَيْرِهِ[1].

- **المجاهدة الوسيلة المبتغاة للوصول إلى الفلاح:**

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[2]، قال السعدي: هذا أمر من الله لعباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان من تقوى الله والحذر من سخطه وغضبه، وذلك بأن يجتهد العبد، ويبذل غاية ما يمكنه من المقدور في اجتناب ما يَسخطه الله، من معاصي القلب واللسان والجوارح، الظاهرة والباطنة. ويستعين بالله على تركها، لينجو بذلك من سخط الله وعذابه. ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي: القرب منه، والحظوة لديه، والحب له، وذلك بأداء فرائضه: القلبية، كالحب له وفيه، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل.

والبدنية: كالزكاة والحج. والمركبة من ذلك كالصلاة ونحوها، من أنواع القراءة والذكر، ومن أنواع الإحسان إلى الخلق بالمال والعلم والجاه، والبدن، والنصح لعباد الله، فكل هذه الأعمال تقرب إلى الله. ولا يزال العبد يتقرب بها إلى الله حتى يحبه الله، فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي [بها] ويستجيب الله له الدعاء.

ثم قال: والفلاح هو الفوز والظفر بكل مطلوب مرغوب، والنجاة من كل

---

(١) أضواء البيان:١/٢٠٩-٢١٠.

(٢) سورة المائدة: الآية (٣٥).

مرهوب، فحقيقته السعادة الأبدية والنعيم المقيم[1].

- **المجاهدة وسيلة للوصول إلى مغفرة الله ورحمته:**

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

- **المجاهدة العامة في دين الله ومرضاته وسيلة للهداية إلى الطرق الموصلة إلى الله والارتقاء بها إلى مرتبة الإحسان:**

١- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3]، قال القرطبي: "إِنَّمَا هُوَ جِهَادٌ عَامٌّ فِي دِينِ اللهَّ وَطَلَبِ مَرْضَاتِهِ. قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: لَيْسَ الْجِهَادُ فِي الْآيَةِ قِتَالَ الْكُفَّارِ فَقَطْ بَلْ هُوَ نَصْرُ الدِّينِ، وَالرَّدُّ عَلَى الْمُبْطِلِينَ، وَقَمْعُ الظَّالِمِينَ، وَعِظَمُهُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَمِنْهُ مُجَاهَدَةُ النُّفُوسِ فِي طَاعَةِ اللهَّ وَهُوَ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ[4].

- **الأمر بالمجاهدة في الله القيام بمجاهدة تليق بحق الله:**

قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

(١) تفسير السعدي بتصرف:١/٢٣٠.
(٢) سورة النحل: الآية (١١٠).
(٣) سورة العنكبوت: الآية (٦٩).
(٤) تفسير القرطبي: ١٣/٣٦٤.

وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[١] .

- **كيف يجاهد المؤمن نفسه لينال نتائجها:**

يكون ذلك بمجاهدته لنفسه بالأعمال الصالحة، والمجاهدة لغيره بدعوته إلى الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝٦ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢] .

- **المجاهدة رمز الصدق وعنوان الإخلاص:**

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٣].

- **وعد المجاهدين لأنفسهم وأهوائهم بالجنة:**

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى﴾[٤] .

- **الفلاح محقق للمجاهدين لأنفسهم التزكية وعدم الوقوع فيما يفسدها:**

قال تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها ۝٧ فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها﴾[١] .

---

(١) سورة الحج: الآية (٧٨).

(٢) سورة العنكبوت: الآيات (٥-٧).

(٣) سورة الحجرات: الآية (١٥).

(٤) سورة النازعات: الآيتان (٤٠-٤١).

(١) سورة الشمس: الآيات (٧-٩).

ب – ما جاء من تطبيقات السنة في المجاهدة وهي كثيرة نذكر هذه النماذج:

أ – المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في (مجاهدة النفس)

١ – (عن عائشة– رضي اللهّ عنها– قالت: كان رسول اللهّ ﷺ، إذا دخل العشر، أحيا اللّيل، وأيقظ أهله، وجدّ وشدّ المئزر) [١] .

٢– عن عائشة رَضي الله عنها: أنَّ النَّبيّ ﷺ كَانَ يقُومُ مِنَ اللَّيلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصنَعُ هَذَا يَا رسولَ الله، وَقدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا»[٢].

٣– عن أَبي فِراسٍ ربيعةَ بنِ كعبٍ الأسلميِّ خادِمِ رَسُول الله ﷺ ومن أهلِ الصُّفَّةِ ﷺ قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رسولِ الله ﷺ فآتِيهِ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ: «سَلْنِي» فقُلْتُ: اسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ في الجَنَّةِ. فَقَالَ: «أَوَ غَيرَ ذلِكَ»؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: «فأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ» [٣].

٤– عن أنس–رضي الله عنه–قال: غاب عمّي أنس بن النّضر عن قتال بدر فقال: يا رسول اللهّ! غبت عن أوّل قتال قاتلت المشركين، لئن اللهّ أشهدني قتال المشركين ليرينّ اللهّ ما أصنع. فلمّا كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللّهمّ إنّي أعتذر إليك ممّا صنع هؤلاء، يعني أصحابه، وأبرأ إليك ممّا صنع هؤلاء، يعني المشركين. ثمّ تقدّم فاستقبله سعد ابن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنّة وربّ النّضر، إنّي أجد ريحها

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

(٣) أخرجه: مسلم ٢/ ٥٢ (٤٨٩) (٢٢٦).

من دون أحد. قال سعد: فما استطعت يا رسول اللهّ ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسّيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثّل به المشركون، فما عرفه أحد إلّا أخته ببنانه . قال أنس: كنّا نرى- أو نظنّ- أنّ هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ** ﴾[1]، إلى آخر الآية[2].

٣- ضوابط وآداب المجاهدة في العمل الدعوي:

ضوابط وآداب التزكية هي نفسها ضوابط وآداب المجاهدة وقد سبق لنا ذكرها هناك فليرجع إليها.

٤- فوائد وثمار المجاهدة في العمل الدعوي:

للمجاهدة فوائد وثمار كثيرة يحصل عليها المجاهد لنفسه ولغيره أهمها في الآتي:

١ حصو ل المجاهد على الحكمة التي هي إصابة الحق والتي قال عنها القرآن: ﴿ **وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ** ﴾[3]، فهي من أعظم الأسباب للتوفيق للحكمة. قال تعالى﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية (٢٣).

(٢) البخاري- الفتح ٦ (٢٨٠٥) واللفظ له ومسلم برقم (١٩٠٣).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٦٩).

(١) سورة العنكبوت: الآية (٦٩).

٢- نيل حقيقة الإيمان: إن حقيقة الإيمان لا يتم تمامها في قلب حتى يتعرض لمجاهدة الناس في أمر هذا الإيمان. مجاهدتهم بالقلب بكراهة باطلهم وجاهليتهم والعزم على نقلهم منها إلى الحق والإسلام. ومجاهدتهم باللسان بالتبليغ والبيان. ورفض باطلهم الزائف، وتقرير الحق الذي جاء به الإسلام. ومجاهدتهم باليد بالدفع والإزالة من طريق الهدى حين يعترضونه بالقوة الباغية والبطش الغشوم!.. وحتى يتعرض في تلك المجاهدة للابتلاء والأذى، والصبر على الابتلاء والأذى، والصبر على الهزيمة والصبر على النصر أيضاً - فالصبر على النصر أشق من الصبر على الهزيمة. ثم يثبت ولا يرتاب، ويستقيم ولا يتلفت، ويمضي في طريق الإيمان راشداً صاعداً.

٣- تمحيص النفوس وتنقيتها: إن هذه المجاهدة وما يصاحبها من الابتلاء، هي الوسيلة العملية لتمحيص الصفوف - بعد تمحيص النفوس - ولتنقية الجماعة من المعطلين والمعوقين والمرجفين، ومن ضعاف النفوس والقلوب، ومن المخادعين والمنافقين والمرائين... وهذه هي الحقيقة التي شاء الله أن يعلمها للجماعة المسلمة وهي تتعرض للامتحان، وتتعرض للابتلاء، وتتكشف فيها خفايا النفوس، كما تتميز فيها الصفوف،. تحت مطارق الابتلاء ومشقة التجربة، ومرارة الآلام.

٤- الاستحقاق لعون الله وتوفيقه: فالله -سبحانه - يساعد من يجاهد للهدى: « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا »... وانه يغير حال الناس حين يغيرون ما بأنفسهم، وأنه لا يغير ما بهم حتى يغيروا ما بأنفسهم:« إن الله لا يغير ما

بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» وهذان النصان يوضحان لنا العلاقة بين الجهد البشري الذي يبذله الناس، وعون الله ومدده الذي يسعفهم به، فيبلغون به ما يجاهدون فيه من الخير والهدى والصلاح والفلاح..... [1].

ومن الفوائد أيضا ما ذكرها ابن حميد بقوله:

(١) إخضاع النّفس والهوى لطاعة الله ّعزّ وجلّ.

(٢) إبعادها عن الشّهوات وصدّ القلب عن التّمنّي والتّشهّي.

(٣) تعوّد الصّبر عند الشّدائد على الطّاعات وعن المعاصي.

(٤) طريق قويم يوصّل إلى رضوان الله ّتعالى والجنّة.

(٥) قمع للشّيطان ووساوسه.

(٦) نهي النّفس عن الهوى فيه خير الدّنيا والآخرة.

(٧) من جاهد نفسه وأدّبها سما بين أقرانه وفي مجتمعه.

(٨) سوء الظّنّ بالنّفس يعين على محاسبتها، وتأديبها.

(٩) من يجاهد نفسه يمتلك ناصية الخير ويصبح حسن الأخلاق.

(١٠) تحقّق إنكار الذّات وتصفّي الجماعة من الأثرة الضّارة بالجماعة والمجتمع [1].

---

(١) هذا الدين لسيد قطب:٧-٩ بتصرف.

(١) نضرة النعيم: ٣٣١٦/٨.

المطلب الرابع:

الأسوة الحسنة (القدوة) وأساليبها وأنشطتها

١- مفهوم الأسوة الحسنة (القدوة)

أ- الأسوة (القدوة) لغة:

الإِسْوَةُ بكسر الهمزة وضمها القدوة و (تَأَسَّيْتُ) به و (ائْتَسَيْتُ) اقتديت و(أَسَوْتُ) بين القوم أصلحت و (آسَيْتُه) بنفسي بالمدّ سويته والقوم أُسْوةٌ في هذا الأَمر أَي حالُهم فيه واحدة والتَّأَسِّي في الأُمور الأُسْوة. قال الهروي تَأَسّى به اتبع فعله واقتدى به[1].

والقدوة من فعل[قدا]: الاسوة. يقال: فلان قدوة يقتدى به. وقد يضم فيقال: لى بك قدوة، وقدوة، وقدة. قال ابن فارس: ويقال إن «القُدْوَةَ» الأصل الذي يتشعب منه الفروع[2].

ب- الأسوة (القدوة) اصطلاحا:

الأسوة الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسنا وإن قبيحا وإن سارا وإن ضارا[3]، والقدوة هي بمعنى الأسوة والعكس، ولذا قالوا: الاقتداء هو

---

(١) انظر اللسان: ٣٤/١٤ والمصباح المنير:١٥/١.

(٢) الصحاح:٣٠٩/٧ المصباح المنير: ٢٥٥/١.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف:٦٥بب ر.

طلب موافقة الغير في فعله. كما أن الأسوة كما يقول القرطبي هي: ما يتأسى به أي يعتزي به فيقتدي به في جميع أحواله .

(وحاجة الناس إلى القدوة (الأسوة) النابعة من غريزة تكمن في نفوس البشر أجمع هي التقليد، وهي رغبة ملحة تدفع الطفل والضعيف والمرؤوس إلى محاكاة سلوك الرجل، والقوي، والرئيس، كما تدفع غريزة الانقياد في القطيع جميع أفراده اتباع قائده واقتفاء أثره . وعلى هذا الأساس يتضح لنا أن عملية الاقتداء ليست حالة طارئة قد تحصل وقد لا تحصل ولكنها غريزة مغروسة في نفس كل إنسان تظهر متى وجد واحد من عناصرها الثلاثة وهي:

الرغبة في المحاكاة والاقتداء، الاستعداد للتقليد، وضوح الهدف الذي يرتقي به التقليد إلى مفهوم راق في الإسلام، يطلق عليه (الاتباع)، وأرقى هذا الاتباع ما كان على بصيرة، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾[1]، الْآيَةَ [2].

ج- مفهوم الأسوة والقدوة في العمل الدعوي:

الأسوة أو القدوة إما أن تكون حسنة وهي: الاقتداء بأهل الخير والفضل والصّلاح في كلّ ما يتعلّق بمعالي الأمور وفضائلها.

---

(١) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

(٢) انظر: حياة القائد بين القدوة والاقتداء مجلة جامعة أم القرى:٤٨٤.

وإما سيئة وهي: تعني السّير في المسالك المذمومة واتّباع أهل السّوء والاقتداء من غير حجّة أو برهان[1] .

ويجلي حقيقة هذا التقسيم هذا المثل الذي ضربه الرسول -ﷺ- ليوضح فيه أثر نوعي القدوة: القدوة الصالحة، والقدوة السيئة، ليُقرِب المعنى ويرسخ المفهوم ويوضح الأثر الذي يمكن أن تتركه القدوة إيجابا أو سلبا في نفوس مقلديه والذين يحاكون أخلاقه وتصرفاته، يقول -ﷺ-: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً منتنة» [2].

والأسوة الحسنة والقدوة الصالحة في مجال العمل الدعوي هي التي ترجع إلى أصلين كبيرين هامين هما: حسن الخلق، وموافقة العمل للقول . فإذا تحقق هذان الأصلان حسنت سيرة الداعية وأصبحت سيرته الطيبة دعوة صامتة إلى كل خلق إسلامي جميل وإن فاته هذان الأصلان ساءت سيرته وصارت دعوته مثلاً سيئاً يُنَفِّر الطيبين من حوله. .

٢- عرض مفهوم وسيلة الأسوة والقدوة وأساليبها وأنشطتها في العمل الدعوي (التأصيل).

الأسوة(القدوة) هي الوسيلة الصامتة الهامة، لكنها المؤثرة النافعة البليغة في تحقيق التأثر بدعوة الإسلام وسرعة الاستجابة لها والالتزام بآدابها وقيمها وأخلاقها

(١) للشيخ صالح بن حميد (٥، ٦) بتصرف.
(٢) متفق عليه.

وأحكامها، إذا اتصفت بالحسن والصلاح والانضباط والانسجام بين الأقوال والفعال، واجتنب فيها التناقض والتعارض والاختلاف، وكان هدف صاحبها الإتباع ورجاء ما عند الله والدار الآخرة وذكر الله كثيرا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(١).

فهي من الوسائل المهمة جدًا في تبليغ الدعوة، وجذب الناس إلى الإسلام، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه. فالقدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام، يستدل بها سليم الفطرة راجح العقل من غير المسلمين على أن الإسلام حق من عند الله .

ولنطلق عنان شيخنا الدكتور القادري ليتحفنا بمفاهيم رائعة في دور الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة في عصر السباق إلى العقول في واقعنا المعاصر في ميدان العمل الدعوي فيقول: إن من أهم وسائل السباق إلى العقول، القدوة الحسنة التي يراها الناس ويلمسونها في صاحب الحق، بحيث يرون صاحب المبدأ يطبق مبدأه في واقع حياته وتصرفاته، فإذا كان المقام يحتاج منه إلى الكرم أقدم إلى البذل والعطاء، وإذا كان المقام يحتاج منه إلى خلق الشجاعة رآه الناس مقداما غير هياب، وإن اختبروه في صفة الصدق لم يجربوا عليه كذبا، وإن التمسوا عدالته لم يجدوا منه ظلما، وإن أرادوا معرفة تقواه ألفَوه يدع ما لا بأس به خشية من الوقوع فيما به بأس، لشدة

---

(١) سورة الأحزاب: الآية (٢١).

تحرجه من الوقوع في المأثم، فضلا عن إتيانه الأوامر الواجبة وتركه المحرمات. والخلاصة أنه يتحرك في نشاطه كله بالقرآن والسنة، فإذا رآه الناس مداوما على ذلك مالوا إلى الاقتداء به ولو لم يتكلم؛ لأن الحق بذاته يدعو الناس إلى ذاته، فكيف إذا رأوه مطبقا في حياة أهله ورأوا ثمار تطبيقه في الحياة؟ ويبدأ المعاند المناوئ للحق يفكر في سيرة صاحب الحق ويتدبر ويقارن بين الحق الذي يراه مطبقا في حياة صاحبه، وبين الباطل الذي يزاوله هو، ويترتب على ذلك أحد أمرين.

الأمر الأول: اتباع الحق والعمل به، ونبذ الباطل.

الأمر الثاني: الإصرار على الباطل، مع تيقنه أنه باطل، وترك الحق مع تيقنه أنه حق، وفائدة ذلك انكسار نفس صاحب الباطل أمام صولة الحق، وإقامة الحجة العملية عليه.

أما إذا كان الداعي إلى الحق لم يلتزم هو نفسه به ولم يطبقه في حياته، فإن الناس ينصرفون عنه ولا يشغلون عقولهم بالتفكير فيما يدعو إليه، لمعرفة كونه حقا فيُتَّبَع أو باطلا فيُجتَنَب.

وهذه هي القدوة السيئة التي تُنَفِّر من المبدأ وإن كان حقا، كما هي عادة غالب الناس، وقد يوجد من يفكر في المبدأ الذي لا يكون الداعي إليه قدوة حسنة في تطبيقه، فيعلم أنه حق ويتبعه، ولكن ذلك ليس من وسائل السباق الناجعة إلى العقول.

لهذا كان للقدوة الحسنة منزلتها في الإسلام. وكان رسل الله وأنبياؤه والداعون إلى هداه كلهم قدوة حسنة، وقد أمر الله رسوله -ﷺ- أن يقتدي بمن سبقه من إخوانه المرسلين، فقال تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ** ﴾ [1].

وأرشد أمة محمد -ﷺ- إلى الاقتداء بنبيه إبراهيم -عليه السلام- ومن معه، فقال تعالى: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ** ﴾[3].

وحث تعالى هذه الأمة حثا مؤكدا على الاقتداء برسوله -ﷺ- الذي جمع كل قدوة حسنة سبقه الأنبياء وزاده الله من فضله، فقال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾[4].

ولقد كانت الأمة الإسلامية في ماضي عهدها، قدوة حسنة في إيمانها وفي عبادتها ومعاملاتها وسلوكها، وفي عهودها ومواثيقها وفي الأخذ بأسباب القوة والعزة، فكان ذلك سببا في سرعة وصول الحق الذي يحملونه إلى عقول الأمم في مشارق الأرض ومغاربها، فسارع الناس إلى الاقتداء بهم واتباع دينهم، حتى ترك أهل الديانات الأخرى دياناتهم، ووقف رعايا الطغاة ضد طغاتهم إيثارا للحق على

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٩٠).

(٢) سورة الممتحنة: الآية (٤).

(٣) سورة الممتحنة: الآية (٦).

(٤) سورة الأحزاب: الآية (٢١).

الباطل، ونصرةً لأهل الحق على أهل الباطل، فوصل الإسلام إلى لشبونة وفيينا وبلغراد وموسكو وبلاد الصين والفلبين وأندونيسيا وأفريقيا بدون قتال في غالب تلك البلدان، لأن القدوة الحسنة تجعل اتباع الحق سهلا ميسرا لرؤيته مطبقا في واقع الحياة، يطبقه البشر.

وذلك على عكس ما عليه الأمة الإسلامية اليوم، حيث يغلب عليها القدوة السيئة التي جعلت الأمم تنفر منها ومن دينها، وجعلت أعداء الإسلام يستغلون تلك القدوة السيئة، فيبرزونها في مؤتمراتهم وندواتهم ومناهج تعليمهم وإعلامهم وفي كل مناسبة تسنح لهم.

يسمع الناس أن الإسلام يدعو إلى الصدق، ولكنهم يرون في كثير من المسلمين الكذب.

ويسمعون أن الإسلام دين القوة والعزة، ولكنهم لا يرون في المسلمين إلا الضعف والذلة.

ويسمعون أن الدين الإسلامي يدعو إلى الجماعة والوحدة وأن الأمة الإسلامية أمة واحدة، ولكنهم يرون المسلمين متفرقين مختلفين، يسب بعضهم بعضا، ويعتدي بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضا.

ويسمعون أن الإسلام دين الرحمة وأن المسلمين رحماء فيما بينهم، ولكنهم لا يجدون في كثير من المسلمين إلا القسوة والعنف يأكل القوي منهم الضعيف. ويسمعون أن الإسلام دين العدل، ولكنهم يرون الظلم بين المسلمين هو السائد.

ويسمعون أن الإسلام يدعو إلى الشجاعة، ولكنهم يرون المسلمين جبناء تضيع حقوقهم وتغتصب بلادهم من قبل عدوهم القليل فيستسلمون له ويخضعون وهم كثر.

فكان ذلك سببا في نفور الناس عن هذا الدين الذي صار أهله قدوة سيئة فيه.

وأقول - إنصافا للحق: إنه يوجد في المسلمين من هو قدوة حسنة ولكن ليس على مستوى الأمة.

والقدوة الحسنة عندما تكون على مستوى الأمة، تبرز معاني الإسلام في السياسة والحكم والاقتصاد والسلوك والنواحي الاجتماعية والعسكرية والقوة الصناعية وغيرها.

أما ما يكون على مستوى الأفراد والأسر وبعض الجماعات الصغيرة فإنه قدوة حسنة، ولكنه محدود غير بارز للعالم الذي لا يطلع إلا على ما تبرزه وسائل الإعلام وإمكانات الدول.

والذي يراه الناس الآن في المسلمين هو الإسراف في المحرمات ومحاربة أغلب حكوماتهم للإسلام والدعاة إليه، والتأخر في الشؤون الإدارية والاقتصادية، مع كثرة الخيرات في بلدانهم وسعة أراضيهم، كما يرون تقتيل أعدائهم لهم وإخراجهم من ديارهم، وهدم مساجدهم وانتهاك أعراضهم، وهم سادرون في غيهم يرقصون ويغنون ويمثلون ويتعرون، يقضي في أمورهم غيْرُهم، وكأنهم غير موجودين على ظهر الأرض:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ... ولا يستأذنون وهم شهود

فأين هي القدوة الحسنة فيهم، حتى يكونوا من السباقين بالحق إلى العقول، وعقولهم مأوى للباطل؟؟![1].

إذا كيف نحقق العمل الدعوي بالأسوة الحسنة والقدوة الصالحة؟

فالدعوة إلى الله تعالى تستوجب اقتداء الدعاة بالأنبياء والرسل، وفي مقدمتهم الرسول القدوة عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾[2].

وتتجلى الدعوة إلى الله تعالى بالقدوة في إعطاء المثل علماً وعملاً، إيماناً ودعوة، قولاً وسلوكاً، مصداقاً لقول الله عز وجل: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[3].

يقول سيد قطب في تفسيره لهذه الآية: «إن كلمة الدعوة حينئذ هي أحسن كلمة تُقال في الأرض، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء، ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة، ومع الاستسلام لله الذي تتوارى معه الذات فتصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ»[4].

---

(١) السباق إلى العقول:١/٤٠١-٤٠٧.

(٢) سورة الأحزاب: الآية (٢١).

(٣) سورة فصلت: الآية (٣٣).

(٤) في ظلال القرآن الكريم، سيد قطب، ٥ / ٣١٢١.

والقرآن الكريم ركز كثيرا على جانب الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة في المسيرة الدعوية وجعل من سير الرسل عليهم السلام وهم المبلغون عنه المثل الأعلى في القيام بها لتكون حجته على عباده في ذلك قائمة، وخلدها بالذكر لهذه السير في كتابه، لتكون البرهان إلى يوم القيامة، وأيدها بالأمر لعباده بالاتباع لتكون هذه الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة هادية وعنوان التزام وصحة استقامة على صراطه المؤدي للفلاح وسعادة الدارين. وجعل في قصصهم مع أقوامهم في العمل الدعوي ما يجب أن يتخذ أسوة وقدوة يسلكها أصحاب العقول المهدية المعتبرة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، وهذا عرض موجز لأهم الآيات نؤصل بها مانحن بصدده:

- **العرض القرآني للرسل الأسوة القدوات المهديين وهم يقومون بالدعوة والبلاغ من عهد نوح إلى عيسى عليهم السلام والأمر لنبينا محمد بالاقتداء بهم:**

١- قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنا وَنُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسى وَهارُونَ وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيى وَعِيسى وَإِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْماعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكلًّا فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبائِهِمْ

(١) سورة يوسف: الآية (١١١).

وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوانِهِمْ وَاجْتَبَيْناهُمْ وَهَدَيْناهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولئِكَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرى لِلْعالَمِينَ﴾[1].

قال سيد قطب رحمه الله: في الآيات ذكر لسبعة عشر نبياً رسولاً - غير نوح وإبراهيم - وإشارة إلى آخرين من ﴿آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾، والتعقيبات على هذا الموكب: ﴿وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. ﴿وَكلًّا فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ﴾. ﴿وَاجْتَبَيْناهُمْ وَهَدَيْناهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. وكلها تعقيبات تقرر إحسان هذا الرهط الكريم واصطفاءه من الله، وهدايته إلى الطريق المستقيم .

وذكر هذا الرهط على هذا النحو، واستعراض هذا الموكب في هذه الصورة، كله تمهيد للتقريرات التي تليه: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2].

وهذا تقرير لينابيع الهدى في هذه الأرض . فهدى الله للبشر يتمثل فيما جاءت به الرسل . وينحصر المستيقن منه، والذي يجب اتباعه، في هذا المصدر الواحد، الذي يقرر الله - سبحانه - أنه هو هدى الله؛ وأنه هو الذي يهدي إليه من يختار من عباده .

(١) سورة الأنعام: الآيات (٨٣-٩٠).

(٢) سورة الأنعام: الآية (٨٨).

– ثم قال – ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ** ﴾[1] . .

وهذا هو التقرير الثاني: فقرر في الأول مصدر الهدى، وقصره على هدى الله الذي جاءت به الرسل . وقرر في الثاني أن الرسل الذين ذكرهم والذين أشار إليهم، هم الذين آتاهم الله الكتاب والحكمة والسلطان والنبوة، فهؤلاء الرسل أنزل الله على بعضهم الكتاب كالتوراة مع موسى، والزبور مع داود، والإنجيل مع عيسى. وبعضهم آتاه الله الحكم كداود وسليمان – وكلهم أوتي السلطان على معنى أن ما معه من الدين هو حكم الله، وأن الدين الذي جاءوا به يحمل سلطان الله على النفوس وعلى الأمور . فما أرسل الله الرسل إلا ليطاعوا، وما أنزل الكتاب إلا ليحكم بين الناس بالقسط، كما جاء في الآيات الأخرى . ثم قال في قوله تعالى: ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ** ﴾، وهو التقرير الثالث . . فهؤلاء الرهط الكرام الذين يقودون موكب الإيمان، هم الذين هداهم الله . وهداهم الذي جاءهم من الله فيه القدوة لرسول الله ﷺ ومن آمن به . فهذا الهدى وحده هو الذي يسير عليه . وهذا الهدى وحده هو الذي يحتكم إليه، وهذا الهدى وحده هو الذي يدعو إليه ويبشر به . . قائلاً لمن يدعوهم: ﴿ لا أسألكم عليه أجراً ﴾ . ﴿ إن هو إلا ذكرى للعالمين ﴾ . للعالمين . لا يختص به قوم ولا

(١) سورة الأنعام: الآية (٩٠).

جنس ولا قريب ولا بعيد . إنه هدى الله لتذكير البشر كافة . ومن ثم فلا أجر عليه يتقاضاه . وإنما أجره على الله! [(١)]

*** إبراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين هم أسوة وقدوة من بعدهم في الدعوة إلى الإسلام والتبرؤ والعداوة لمن لا يستجيب لدعوته ويعاديه:**

٢ - قال تعالى: ﴿ قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْراهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنا بِكُمْ وَبَدا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَالْبَغْضاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَما أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا وَإِلَيْكَ أَنَبْنا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنا رَبَّنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[(٢)].

قال سيد قطب رحمه الله: فالأسوة في إبراهيم والذين معه متحققة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر[(٣)].

- **في سورة مريم عرض لعدد من هؤلاء الرسل: القدوات الذين طلب من أهل الإيمان الاقتداء بهم:**

٣- قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إبراهيم إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لابِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾[(٤)].

---

(١) في ظلال القرآن:٣/٩٣-٩٤.

(٢) سورة الممتحنة: الآيات (٤-٦).

(٣) في ظلال القرآن: ٧/١٨٢.

(٤) سورة مريم: الآيتان (٤١-٤٢).

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولا نَّبِيًّا ﴾[1].

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [2].

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [3].

- **وفي سورة الأنبياء ذكر من يقتدى بهم أيضا:**

٤- قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾[4]، قال الشنقيطي: وَقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى أَنَّ اللهَ جَعَلَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مِنَ الْأَئِمَّةِ، أَيْ جَعَلَهُمْ رُؤَسَاءَ فِي الدِّينِ يُقْتَدَى بِهِمْ فِي الْخَيْرَاتِ وَأَعْمَالِ الطَّاعَاتِ . وَقَوْلِهِ بـ﴿أَمْرِنَا﴾أَيْ: بِمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْوَحْيِ، وَالْأَمْرِ، وَالنَّهْيِ، أَوْ يَهْدُونَ النَّاسَ إِلَى دِينِنَا بِأَمْرِنَا إِيَّاهُمْ، بِإِرْشَادِ الْخَلْقِ وَدُعَائِهِمْ إِلَى التَّوْحِيدِ[5].

---

(١) سورة مريم: الآية (٥١).

(٢) سورة مريم: الآيتان (٥٤-٥٥).

(٣) سورة مريم: الآيات (٥٦-٥٨).

(٤) سورة الأنبياء: الآيتان (٧٢-٧٣).

(٥) أضواء البيان: ٤/١٦٦.

• **التزام شعيب عليه السلام بالأسوة الحسنة والقدوة الصالحة في خطابه الدعوي:**

قال تعالى: ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾[1].

قال شيخنا الشنقيطي: ذكَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَنْ نَبِيِّهِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَنَّهُ أَخْبَرَ قَوْمَهُ: أَنَّهُ إِذَا نَهَاهُمْ عَنْ شَيْءٍ انْتَهَى هُوَ عَنْهُ وَأَنَّ فِعْلَهُ لَا يُخَالِفُ قَوْلَهُ . وَيُفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُنْتَهِيًا عَمَّا يَنْهَى عَنْهُ غَيْرَهُ، مُؤْتَمِرًا بِمَا يَأْمُرُ بِهِ غَيْرَهُ . وَقَدْ بَيَّنَ تَعَالَى ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ، كَقَوْلِهِ: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ** ﴾[2]، وَقَوْلِهِ: ﴿ **كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [3].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ-، قَالَ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ، أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟! فَيَقُولُ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ» . وَمَعْنَى قَوْلِهِ -ﷺ-: «فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ»، أَيْ: تَتَدَلَّى أَمْعَاؤُهُ .وعَنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ

(١) سورة هود: الآية (٨٨).

(٢) سورة البقرة: الآية (٤٤).

(٣) سورة الصف: الآية (٣).

مِنْ نَارٍ، كُلَّمَا قُرِضَتْ رَجَعَتْ، فَقُلْتُ لِجِبْرِيلَ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ، كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ»[1]، قَالَهُ صَاحِبُ «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ»[2].

• الدعاة الأسوة القدوة في ما يدعون إليه، لهم الأمان والبشارة من الله:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾[3].

٦- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[4].

• الرسول محمد هو الأسوة الحسنة للمؤمنين باليوم الآخر الراجين الله:

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[5]، هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله -ﷺ- في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي-ﷺ- يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه، عز

---

(١) أَخْرَجَه وَكِيعٌ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَحْمَدُ ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، وَالْبَزَّارُ ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، وَابْنُ حِبَّانَ ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ» ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» ، وَغَيْرُهُمْ.

(٢) أضواء البيان:١٩٨/٢.

(٣) سورة فصلت: الآيات (٣٠-٣٢).

(٤) سورة الأحقاف: الآية (١٣).

(٥) سورة الاحزاب: الآية (٢١).

وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين؛ ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله؟ ولهذا قال: ﴿ **لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾)[1].

- **أمر الرسول محمد بالاقتداء بأولي العزم وهو منهم:**

قال تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ ما يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا ساعَةً مِنْ نَهارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفاسِقُونَ**﴾[2]، قال ابن كثير: قال تبارك وتعالى آمراً رسوله -ﷺ- بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي: على تكذيب قومهم لهم[3].

- **ذم العاملين للإسلام الذين لا يكونون قدوة في دعوتهم وأفعالهم لا تطابق أقوالهم:**

١- قال تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾[4]، هذه الآية، وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل، فهي عامة لكل أحد لقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾ وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أنه يترك

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٩١/٦.

(٢) سورة الأحقاف: الآية (٣٥).

(٣) تفسير ابن كثير:٦٠/٤.

(٤) سورة البقرة: الآية (٤٤).

الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيها، فترك أحدهما، لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير(١).

بعد هذا العرض القرآني للأسوة الحسنة والقدوة الصالحة نذكر نماذج من بيان السنة وتطبيقاتها للأسوة والقدوة الحسنة في العمل الدعوي: نقتطف هنا بعض الزهور من الروضة النبوية لنرى كيف استخدم الرسول -ﷺ- القدوة الحسنة في تربية أصحابه رضي الله عنهم كأسلوب متميز عن باقي الأساليب في الدعوة:

* في صلح الحديبية، وبعد أن فرغ الرسول -ﷺ- من قضية الكتاب قال للصحابة رضي الله عنهم: [قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا] قَالَ فَوَ اللهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنْ النَّاسِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ يَا نَبِيَّ اللهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا(٢).

---

(١) تفسير السعدي: ٥١.

(٢) رواه البخاري والنسائي وأبو داود وابن ماجة وأحمد .

* عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله -ﷺ- أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قِبَل الصوت؛ فتلقاهم رسول الله -ﷺ- راجعًا وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة عُرْي في عنقه السيف وهو يقول: [لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا] (١).

* روى البخاري في صحيحه عن عقبة قال: صليت وراء النبي -ﷺ- بالمدينة العصر فسلم ، ثم قام مسرعًا ، فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه، ففزع الناس من سرعته، فخرج عليهم ، فرأى أنهم عجبوا من سرعته ، فقال: [ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ] (٢)، ولكم ألقى الشيطان في نفوس بعض المربين أن الإنفاق أمام المتربين من الرياء ، فيحجم عن أصل من أصول العملية التربوية، وبالتالي يفاجأ هذا الأخ بظهور علامات الشحّ على من يربيهم مع أنه أعطاهم دروسًا كثيرة عن الإنفاق، وينسى حقيقة وهي هل رأوا واقعًا عمليًا للإنفاق من مربيهم؟(٣)

والخلاصة: أن قدوة المسلمين الأول رسولنا محمد -ﷺ-، وفي ذلك يقول عز وجل: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾(٤)، ومن دقيق المعنى في هذه الآية الكريمة: أن الله سبحانه

---

(١) أخرجه السبعة ماعدا النسائي.

(٢) رواه مسلم والنسائي وأحمد.

(٣) من كتاب: المصفى من صفات الدعاة لعبد الحميد البلالي.

(٤) سورة الأحزاب: الآية (٢١).

جعل الأسوة في رسول الله -ﷺ-، ولم يحصرها في وصف خاص من أوصافه، أو خلق من أخلاقه، أو عمل من أعماله الكريمة، وما ذلك إلا من أجل أن يشمل الاقتداء أقواله عليه الصلاة والسلام وأفعاله وسيرته كلها فيقتدي به -ﷺ-، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويقتدى بأفعاله وسلوكه من الصبر والشجاعة والثبات والأدب وسائر أخلاقه، كما يشمل الاقتداء بأنواع درجات الاقتداء من الواجب، والمستحب، وغير ذلك مما هو محل الاقتداء. وتأريخ هذه الأمة مليء بالقدوات الحسنة خاصة في مجالات العمل الدعوي نختم هذا العرض بذكر نماذج من قدوات المسلمين العاملين:

١-**القدوة في الشجاعة:** قال ابن المبارك: لقد كنّا يومًا في المسجد الجامع، فوقعت حية ، فسقطت في حجر أبي حنيفة ، فهرب الناس غيره ، ما رأيته زاد على أن نفض الحية وجلس.

٢-**القدوة في التضحية للمبدأ والعقيدة:** يوسف بن يحيى البويطي خليفة الإمام الشافعي كانت الفتاوى ترد عليه من السلطان فمن دونه، وهو مقتدى به في أعمال المعروف كثير التلاوة لا يمر يوم ولا ليلة غالبًا ما يختم، فسعى به من يحسده، وكتب فيه إلى ابن أبي دؤاد بالعراق، فكتب إلى والي مصر يمتحنه؛ أي يسأله هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟ فامتحنه فلم يجب ـ أي بخلق القرآن ـ فقال له: قل فيما بيني وبينك، قال: إنه يقتدي بي مائة ألف، ولا يدرون المعنى، فأُمِر أن يحمل إلى بغداد في أربعين رطل حديد - يقول الربيع صاحب الشافعي - ولقد رأيته على بغل، وفي

عنقه غلّ، وفي رجليه قيد ، وبين الغلّ والقيد سلسلة حديد ، وهو يقول: إنما خلق الله الخلق بكن، فإذا كانت مخلوقة فكأن مخلوقًا خلق بمخلوق، ولئن أدخلت عليه لا أصدقنه، ولأموتن في حديدي هذا ؛ حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم.

٣-**القدوة في العزة**: جاء في ترجمة الخطيب البغدادي أنه دخل عليه بعض العلوية وفي كمه دنانير، فقال للخطيب: فلان يسلم عليك ، ويقول لك اصرف هذا في بعض مهماتك ، فقال الخطيب: لا حاجة لي فيه، وقطب وجهه، فقال العلوي: كأنك تستقله ، ونفض كمه على سجادة الخطيب وطرح الدنانير عليها فقال: هذه ثلثمائة دينار، فقام الخطيب محمرًا وجهه، وأخذ السجادة ، وصب الدنانير على الأرض وخرج من المسجد.

وحركة نفض السجادة التي لم تستغرق دقيقة واحدة من الخطيب ربت أتباعه الذين كانوا في المسجد على معاني العزة وحقارة العبودية لغير الله؛ ظهرت في قول أحدهم: ما أنسى عز خروج الخطيب ، وذلك العلوي وهو قاعد على الأرض يلتقط الدنانير من شقوق الحصير ويجمعها .

٤-**القدوة في الورع**: هذا هو الحافظ عبد العظيم المنذري صاحب [مختصر صحيح مسلم] يعطي درسًا عمليًا في الورع لصاحبه الحافظ الدمياطي ، فقد خرج من الحمام وقد أخذ منه حرها فما أمكنه المشي فاستلقى على الطريق إلى جانب حانوت فقال له الدمياطي: يا سيدي أنا أقعدك مسطبة الحانوت ـ وكان الحانوت معلقًا ـ

فقال وهو في تلك الشدة: بغير إذن صاحبها كيف يكون ، وما رضي.

والنوع الثاني: الأسوة السيئة: ويعني السير في المسالك المذمومة، واتباع أهل السوء والاقتداء من غير حجة أو برهان، ومن ذلك قول المشركين: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾[1]، ولهذا رد عليه القرآن بقوله: ﴿**قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ ...**﴾[2].

٣- ضوابط وآداب الأسوة والقدوة الحسنة في العمل الدعوي:

للقدوة الحسنة ضوابط وآداب، بمحافظة الداعية عليها يزداد الثواب والأجر، ويتحقق بها الأهداف الدعوية، ويتكامل معها العمل الدعوي وهي كثيرة أهمها:

١ – أن يرجو الإنسان الله ـ سبحانه وتعالى ـ ورجاء الله ـ تعالى ـ قد حدده الله ـ سبحانه ـ في القرآن الكريم بقوله: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾.

٢– أن يرجو من هذه الأسوة الحسنة اليوم الآخر فالتأسي برسول الله -ﷺ- إنما في العمل لهذا اليوم حتى يلقاه فيه وهو عنه راضٍ.

٣– أن يصحب الأسوة الحسنة المتمثلة بالتأسي برسول الله -ﷺ- ذكرٌ كثير: سأل رجل رسول الله -ﷺ- قائلًا: إن شرائع الإسلام كَثُرَتْ عليَّ، فأخبرني بشيء أتشبث به، فقال له -ﷺ-: لا يزال فُوكَ رطبًا من ذكر الله سبحانه وتعالى يقول تعالى:

---

(١) سورة الزخرف: الآية (٢٣).

(٢) سورة الزخرف: الآية (٢٤).

﴿ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

٥- التحري في القدوة أن تكون شاملة وحسب فعل الرسول، ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يقتدون به في كل شيء... أخرج البخاري ومسلم ومالك والترمذي والنسائي وابن ماجة عن سعيد بن يسار قال: كنت مع ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ في طريق مكة فلما خشيت الصبح نزلت فَوَتَرْتُ، فقال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أليس لك في رسول الله أسوة حسنة؟ قلتُ: بلى. قال: فإنه كان يوتر على البعير.

٦- الإيمان بالفكرة: ولا تتكون القدوة في نفس الداعية حتى يكون هو أول من يؤمن بما يقول، ثم ينقل هذا الإيمان إلى عمل.

٧- تعلم العلم: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: [تعلموا قبل أن تسودوا]، فالسيادة في الدعوة تحتاج إلى علم يتأكد فيه القدوة من صحة خطواته، ويصحح فيه خطوات الآخرين.

٨- حسن الخلق: هناك أخلاق بارزة يحتاجها الداعية القدوة دائمًا، وبغيرها يصبح من المتعذر عليه النجاح في دعوة الناس، ومن أهمها الصبر والرحمة والرفق والتواضع والمخالطة.

٩- موافقة العمل القول. قال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾[١].

١٠- عدم الانقطاع عن الأعمال: عدم الانقطاع عن عمل ما دون أي مبرر شرعي أو نسيان، وترجع خطورة هذا الانقطاع إلى أمرين ؛ الأول: هو دخوله في

(١) سورة الصف: الآيتان (٢-٣).

دائرة الذين يقولون ما لا يفعلون، و الثاني: هو إحساس المتربي بعدم جدية ذلك الأمر وأهميته.

١١- التثبت من صحة النقول: سواء كانت أحاديث للرسول ﷺ أو كلمات للصالحين؛ فإذا كان القدوة لا يتثبت من صحة النقول يكون المقتدون كذلك.

١٢- المحاسبة الدائمة: فعلى الداعية القدوة أن يعي أنه تحت رقابة دقيقة ممن يتخذونه قدوة لهم فيحاسب نفسه على كل كلمة أو تصرف صغر أم كبر حتى يتجنّبه في مرات أخرى.

٤- فوائد وثمار الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة في العمل الدعوي:

الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة في العاملين للإسلام تعود فوائدها وثمارها على العمل الدعوي عموما وفي المدعوين والدعوة خصوصا في الواقع المعاش والمستقبل المنتظر وفي الحياة الأخرى بما لا يدخل في حصر لكن نذكر هنا بعض ما ينبغي أن يعرف من ذلك:

١ - الدعوة إلى الله بالقدوة الحسنة تصلح النيات، وتوفر الأوقات، وتختزل الطاقات، وتمكّن الداعية من أداء أدوار عدة متكاملة من أهمها: «تطبيق الإسلام خُلقاً ومعاملة وعفة لجذب الناس إليه بالأمثلة الحية، ومن هنا يأتي النصر المبين والفتح والتمكين إن شاء الله»[1].

(١) عبدالرحمن الميداني: بصائر للمسلم المعاصر، ص ٢٣.

٢- تثير في نفس البصير العاقل قدرًا كبيرًا من الإعجاب والتقدير والمحبة، فإن كان عنده ميل إلى الخير، تطلع إلى مراتب الكمال، وأخذ يحاول تقليد ما استحسنه وأعجب به.

٣- تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة، التي هي في متناول القدرات الإنسانية، وشاهد الحال أقوى من شاهد المقال.

٤- يوحد الفهم للمطلوب شرعا عبر المعاينة المجردة للفعل، مثال حي. عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ - فَنَبَذَهُ وَقَالَ:- إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا» فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ[1]، قال العلماء:'فدل ذلك على أن الفعل أبلغ من القول'.

٥- أنها تساعد على تكوين الحافز في المتربي دونما توجيه خارجي وهذا بالتالي يساعد المتربي على أن يكون من المستويات الجيدة في حسن السيرة والصبر والتحمل وغير ذلك. إلا أن القدوة لا تكون كاملة التأثير إلا إذا توفرت في العاملين الدعاة ضوابطها وآدابها السابق ذكرها.

(١) رواه البخاري (٧٢٩٨)، ومسلم (٢٠٩١)، والترمذي والنسائي ومالك وأحمد.

المطلب الخامس

وسيلة التعليم وأسلوبه وأنشطته في العمل الدعوي

١- مفهوم التعليم في العمل الدعوي:

أ- التعليم لغة:

عَلَّمَهُ العِلْمَ تَعْليمًا وعِلاَّمًا – كَكِذَّابٍ – فتَعَلَّمَ، (وأَعلَمَه إِيَّاه فَتَعَلَّمَه)، وهو صَريحٌ في أنَّ التَّعْليمَ والإعْلامَ شَيءٌ واحِدٌ، إلا أنَّ الإعلامَ كما يقول الرَّاغِبُ: اخْتَصَّ بما كان بِإِخْبارٍ سَريعٍ، والخلاصة أن التعليم والتعلم في اللغة يعني: المعرفة، والخبرة، والشعور، والإتقان، والخبر، والتفقه، والإلهام.

ب- التعليم في الاصطلاح:

التعليم اصطلاحا لا يبعد عن معاني التعليم لغة فهو يشملها، فلذلك عرفه البعض بأن التعليم: تنبيه النفس لتصور المعاني. والتعلم: تنبه النفس لتصور ذلك، وربما استعمل في معنى الإعلام إذا كان في معنى فيه تكرير، نحو: ﴿**قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ**﴾[1]، ومن التعليم قوله: ﴿**الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾[2]، ويرى بعض التربويين: أن التربية والتعليم يلتقيان

(١) سورة الحجرات: الآية (١٦).

(٢) سورة الرحمن: الآيات (١-٤).

وبينهما عموم وخصوص، فيقول: التربية والتعليم مصطلح يشير في معناه الواسع إلى الطرائق التي يكتسب بها الناس المهارات والمعارف ويتوصلون بها إلى الفهم الصحيح[1].

ج- مفهوم التعليم في العمل الدعوي:

هذا المفهوم ينبع من الإضافة المضافة إليه كونه تعليم إسلامي والعمل الدعوي يستهدف تحقيق التعليم الإسلامي.

فالتعليم من منظور دعوة الإسلام لا ينفصل عن التربية، بل إن العلم إنما جاء لتربية هذا الإنسان، وربطه بالله عز وجل، وبالمشروع الحضاري الإسلامي في هذه الأرض لإقامة الدين في الأرض؛ ولذلك نلحظ في القرآن الكريم أن الله عز وجل ربط بين العلم والتزكية (التربية)، قال الله عز وجل: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ**﴾[2]، فهما أمران متتابعان: (إعلم واستغفر). وقد بوَّب لذلك الإمام البخاري رحمه الله بقوله: (باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى :﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾، وذكر في الترجمة مما ذكر قول عبد الله بن عباس -رضي الله عنه-: ﴿كونوا ربانيين﴾: فقهاء علماء[3]، والرباني الذي يعلّم الناس صغار العلم قبل كباره، فلا فصل ثمة بين التعليم والتزكية (التربية) في المفهوم الدعوي .

(١) الموسوعة العربية.

(٢) سورة محمد: الآية (١٩).

(٣) أخرجه البخاري في ترجمة (١٤٨/١) في العلم ، باب العلم قبل القول والعمل تعليقا.

٢- عرض مفهوم وسيلة وأسلوب وأنشطة التعليم في العمل الدعوي:

الحقيقة أن نظامنا التعليمي الحالي في العالم العربي والإسلامي قد انفصلت فيه التربية عن التعليم، في البرامج والمناهج والوسائل والتطبيق؛ ولذلك كان الواجب على العاملين في حقل الدعوة أن يكون التعليم الرباني من أهم وسائلهم الدعوية التزكوية وفقا للنسق القرآني القائم على هذا الثلاثي الذي هو: التلاوة، التزكية، التعليم، في آيات واضحة وبينة تتحدث عن وظائف الرسالة المحمدية، ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾[(١)]، فالتعليم مرتبط بالتزكية، وهو المقصود بالأساس في هذا المعنى الذي يعبر عنه اليوم بالتربية، يقول القرآن: ﴿ **كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** ﴾[(٢)]، يعني وظيفة المعلم أنه يلقى التعليم مصحوبا، ومقرونا ،وممزوجا بالتربية والتزكية ﴿ **بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ** ﴾ أي: تتعلمون الكتاب؛ ففي الحصيلة كل هذه الأصناف: المتعلم، والمعلم، والعالم، مشمولون في نهاية المطاف بالتربية .

والتعليم في المجال الدعوي يعد من أهم الوسائل لتبليغ الدعوة والتفقيه بها وهي مهمة الرسل في تبليغهم دعواتهم، وهي دعوة إبراهيم أبي الأنبياء عليه السلام، والمدعو له هو الرسول محمد ﷺ في رسالته العامة الخالدة لهذه الأمة إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة الجمعة: الآية (٢).

(٢) سورة آل عمران: الآية (٧٩).

وقد بين سبحانه أن التعليم من أخص وظائف النبي ﷺ- وأنه أخرج به المسلمين من الضلال المبين، كما دلت عليه الآيات السابقة.

وبالتالي فهو من أوائل ما وجب على الدعاة والعلماء التبليغ بالعلم والقيام به في حدود ما يعلمون ولوكان آية واحدة أو حديثا واحدا، ومما افترضه الإسلام عليهم. فعليهم تعليم الناس ما يحتاجونه من أمور دينهم بالقدر الذي يأمر به الإسلام ويحتاجه الناس. ففي الحديث الصّحيح: «بلّغوا عنّي ولو آية»[1]، و في خطبته في حجّة الوداع: «ألا ليبلّغ الشّاهد الغائب، فربّ مبلّغ أوعى من سامع»، وقال أيضا: «نضّر اللهّ امرأ سمع منّا حديثا فبلّغه إلى من لم يسمعه، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه »[2]، وفي هذا دعاء منه لمن بلّغ حديثه وإن لم يكن فقيها، ودعاء لمن بلغه وإن كان المستمع أفقه من المبلّغ .

ويزداد هذا الوجوب على العلماء ويتأكد كلما فشا الجهل في الناس واندرست معالم الشريعة وظهرت البدع.

فالتعلم والتعليم في العمل الدعوي حظه في القرآن الكريم كبير، والآيات التي ذكر فيها التعلم والتعليم بصيغ متنوعة ومتعددة كثيرة، والخطاب به الموجه إلى بني الإنسان وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل إخبارا وأمرا وترغيبا وتشويقا إليه وتحذيرا من التقصير فيه إلى غير ذلك في سياق الآيات كثير، لذلك عرضي في هذا

---

(١) صحيح البخاري: ٢٠٧/٤.

(٢) معرفة السنن والآثار للبيهقي: ٦٦/١.

المطلب سأقصره على ما جاء في التعليم والتعلم فيما له علاقة بالعمل الدعوي كجانب تأصيلي في القرآن بصدد ما نحن فيه:

- **تعليم الله تعالى آدم عليه السلام (الإنسان الأول) وذريته:**

١- قال تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴿٣١﴾ قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**﴾[1]. قال ابن كثير: والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها: ذواتها وأفعالها؛ كما قال ابن عباس حتى الفسوة والفُسَية؛ ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية من كتاب التفسير من صحيحه:- بسنده-عن أنس -رضي الله عنه- ... عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث الشفاعة، قال: «فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا... وذكر الحديث[2]، وقال تعالى: ﴿**الرَّحْمنُ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسانَ ﴿٢﴾ عَلَّمَهُ الْبَيانَ**﴾[3]، **وقال تعالى**: ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿١﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٢﴾ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ**﴾[4]، فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات

(١) سورة البقرة: الآيات (٣١-٣٣).
(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٧٦).
(٣) سورة الرحمن: الآيات (١-٣).
(٤) سورة العلق: الآيات (١-٣).

المباركات وهُنَّ أول رحمة رَحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم. وأن من كَرَمه تعالى أن عَلّم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبوالبرية آدم على الملائكة[1].

- **بالعلم تأهل الرسل بتبليغ الرسالة:**

فإبراهيم عليه السلام علمه الله ليقوم في امته بالتبليغ بالعلم لذا قال لأبيه: ﴿**يا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِراطاً سَوِيًّا**﴾[2]، قال الطبري:أي: أبصرك هدى الطريق المستوي الذي لا تضلّ فيه إن لزمته، وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه[3]، وبشره الله بابن رسول عليم، قال تعالى: ﴿**وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ**﴾[4]، وفي آية أخرى:﴿**فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ**] [5]، والمبشر به إسحاق، لقوله: (وبشرناه بإسحق) ومعنى (عليم) أي يكون بعد بلوغه من أولي العلم بالله وبدينه.. [6].

ولوط الرسول عليه السلام وإيتائه الحكم والعلم: قال تعالى: ﴿**وَلُوطاً آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْناهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ تَعْمَلُ الْخَبائِثَ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ**

---

(١) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

(٢) سورة مريم: الآيات (٤١-٤٣).

(٣) تفسير الطبري:٢٠٣/١٨.

(٤) سورة الحجر: الآيات (٥١-٥٣).

(٥) سورة النمل: الآية (١٦).

(٦) تفسير القرطبي : ٤٦/١٧.

فاسِقِينَ ﴾[1]، قال ابن كثير: عطف بذكر لوط – وهو لوط بن هاران بن آزر– كان قد آمن بإبراهيم، واتبعه، وهاجر معه، كما قال تعالى: ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾[2]، فآتاه الله حكمًا وعلمًا، وأوحى إليه، وجعله نبيًا، وبعثه إلى سَدُومَ وأعمالها، فخالفوه وكذبوه، فأهلكهم الله ودَمَّر عليهم، كما قص خبرهم في غير موضع من كتابه العزيز[3].

وهذا يوسف الرسول عليه السلام وتنبئات والده يعقوب في الاجتباء والتعليم وإتمام النعمة:

قال تعالى: على لسان يعقوب لابنه يوسف ﴿ **وكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [4].

وتتحقق النبوة وتعليم الله ليوسف وإيتائه العلم النوعي قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ وَاللَّهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾[5]، قال ابن عاشور: هَذَا إِخْبَارٌ عَنِ اصْطِفَاءِ- يُوسُفَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- لِلنُّبُوءَةِ. ثم قال: وَالْمُرَادُ بِالْعِلْمِ عِلْمٌ زَائِدٌ عَلَى النُّبُوءَةِ. وَتَنْكِيرُ عِلْماً لِلنَّوْعِيَّةِ،

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٧٤).

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٢٦).

(٣) تفسير ابن كثير:٥/٣٥٣.

(٤) سورة يوسف: الآية (٦).

(٥) سورة يوسف: الآيتان (٢١-٢٢).

أَوْ لِلتَّعْظِيمِ. وَالْمُرَادُ: عِلْمُ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، كَمَا سَيَأْتِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿ **ذَلِكُما مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي** ﴾[1])[2] .

الاعتراف بنعمة العلم النوعي الذي علمه الله إياه وهو يقوم به:

ويأتي موسى الرسول عليه السلام وإيتاء الله له الحكم والعلم ليبلغ به: قال تعالى: ﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴾[3]، قال الطبري: وقوله: ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ يعني بالحكم: الفهم بالدين والمعرفة. وعن ابن إسحاق﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ﴾ آتاه الله حكما وعلما وفقها في دينه ودين آبائه، وعلما بما في دينه وشرائعه وحدوده[4].

وها هو العبد الصالح (الخضر) وموسى عليهما السلام والرحلة لتلقي العلم للعمل الدعوي وآداب التعلم والصبر على ذلك قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن**

---

(١) سورة يوسف: الآية (٣٧).

(٢) التحرير والتنوير:٢٤٨/١٢.

(٣) سورة القصص: الآية (١٤).

(٤) تفسير الطبري:٥٣٥/١٩.

تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[1]، والآيات واضحة في مقصودها فلنكتفي بذلك.

- **داود وسليمان عليهما السلام وتعليم الله لهما واختصاصهما بعلوم نوعية سخروها للدعوة:**

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَسُلَيْمانَ عِلْماً وَقالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وَقالَ يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ وَكُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ﴾[3]، قال ابن عاشور: وَفَائِدَةُ هَذَا الْعِلْمِ أَنَّ اللهَ جَعَلَهُ سَبِيلًا لَهُ يَهْتَدِي بِهِ إِلَى تَعَرُّفِ أَحْوَالِ عَالَمِيَّةٍ يَسْبِقُ الطَّيْرُ إِلَى إِدْرَاكِهَا بِمَا أَوْدَعَ فِيهِ مِنَ الْقُوَى الْكَثِيرَةِ..[4].

أما عيسى الرسول عليه السلام فقد وعده الله بتعليمه واختصاصه بعلوم نوعية يقيم بها الحجة على قومه حين يبلغ بالرسالة: قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالأَنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ

(١) سورة الكهف: الآيات (٦٢-٧٠).
(٢) سورة سبأ: الآيتان (١٥-١٦).
(٣) سورة الأنبياء: الآيات (٧٨-٨١).
(٤) التحرير والتنوير: ١٩/٢٣٥-٢٣٨.

أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾[1].

ويمتن الله على عيسى عليه السلام بإنجاز وعده بتعليمه: فقال تعالى: ﴿ **إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى والِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾[2].

ويأتي الرسول محمد الخاتم ﷺ وهو الأمي ويعلمه الله علم السابقين من الرسل وما لم يعلموه بما يتناسب مع الرسالة الخاتمة وعمومها وكمالها وعالميتها: قال تعالى: بعد أن ذكر قصة نوح ودعوته وغرق قومه وولده وهو يخاطب بذلك نبينا محمدا﴿ **تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[3]، قال ابن كثير: على قوله: ﴿ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ﴾ أي: نعلمك بها وحيا منا إليك، ﴿ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ

(١) سورة آل عمران: الآية (٤٨-٥١).

(٢) سورة المائدة: الآية (١١٠).

(٣) سورة هود: الآية (٤٩).

هَذَا﴾ أي: لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها، حتى يقول من يكذبك: إنك تعلمتها منه، بل أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح، كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك[1].

٢- وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[2]، وقوله: «وعلمك ما لم تكن تعلم» من خبر الأولين والآخرين، وما كان وما هو كائن، فكل ذلك من فضل الله عليك، يا محمد، مُذْ خلقك، فاشكره على ما أولاك من إحسانه إليك، بالتمسك بطاعته، والمسارعة إلى رضاه ومحبته، ولزوم العمل بما أنزل إليك في كتابه وحكمته، ومخالفة من حاول إضلالك عن طريقه ومنهاج دينه، فإن الله هو الذي يتولاك بفضله[3].

بعد عرض بعض الآيات التي وضحت لنا تكليف وقيام الرسل السابقين لهذه الوسيلة تكون لنا وقفة مع عهد نبين محمد وخلفائه الراشدين بمزيد من البيان لهذه الوسيلة وأساليبها وأنشطتها التعليمية والتعلمية في العمل الدعوي قولا وعملا وتطبيقا. لنعمل بها في عملنا الدعوي، ومما جاء في القرآن:

١ - أن مهمة الرسول محمد -ﷺ- التعليم والمأمور بها والشهادة له بالقيام بها:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[1]،

(١) سورة غافر: الآيتان (٥١-٥٢).

(٢) سورة النساء: الآية (١١٣).

(٣) تفسير الطبري:٩ /٢٠١-٢٠٢.

(١) سورة الجمعة: الآية (٢).

وقال: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وهو محل المنة على العباد، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[2]، فمهمة التعليم من أعظم ما تُقُرِّب به إلى الله تعالى تحققا واشتغالا: تعلُّمًا، وتعليمًا، وكتابةً، ودعوةً، ومجادلةً بالتي هي أحسن. وللأفراد والمجموعات والعامة (الجماهير) وأنها المهمة التي أرسل بها الرسول ومارسها إلى أن لحق بالرفيق الأعلى.

٢ – عرض القرآن كيفية تلقيه لهذه المهمة التعليمية وقيامه بها:

أ – كيفية تلقيه ﷺ الوحي عن معلمه جبريل الموصوف بصفات المعلم الناجح:

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[1].

د – كيفية تبليغ القرآن وتعليمه وأسلوب ذلك: قال تعالى: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ

(١) سورة البقرة: الآية (١١٥).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٦٤).

(١) سورة النجم: الآيات (١-٥).

عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾[1]، قال شيخنا الجزائري: قوله ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ آيات بعد آيات ليكون ذلك أدْعَى إلى فهم من يسمعه ويستمع إليه، وقوله تعالى: ﴿ونزلناه تنزيلاً﴾ أي شيئاً فشيئاً حسب مصالح العباد وما تتطلبه تربيتهم الروحية والإنسانية ليكملوا به، عقولاً وأخلاقاً وأرواحاً ويسعدوا به في الدارين[2].

ج – من وسائل التعليم والتفقيه وأساليبها وأنشطتها التي قام بها الرسول ﷺ-:

امتثالا لأمر الله قام الرسول -ﷺ- بأنواع من الوسائل التعليمية والتفقيهية الشفوية والعملية التطبيقية والأدوات المعينة والمساعدة على تحقيق الأهداف التعليمية في مجالات العمل الدعوي لتحقيق ما أمربه وهي كثيرة. وكان يجمع في تعليمه وتفقيهه بين التعليم الفردي والتعليم الجماعي، حيث يلحظ في كثير من النصوص ونقرأ: كان النبي -ﷺ- جالساً مع أصحابه، بينما كنا مع النبي -ﷺ-، فهذا نموذج للتعليم الجماعي. ونموذج التعليم الفردي كثيرة، منها قول ابن مسعود -رضي الله عنه-: «علمني رسول الله -ﷺ- التَّشَهُّدَ كَفِّى بَيْنَ كَفَّيْهِ كَمَا يُعَلِّمُنِى السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ» [1].

وقول معاذ: «كنت رديف النبي -ﷺ- على حمار فقال: يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله..» [2]، وما ورد من غير واحد من أصحابه: أوصاني رسول الله -ﷺ- ثم يذكر له ما ينبغي أن يعلمه ويعمل به. وهذا عرض موجز

(١) سورة الإسراء: الآيتان (١١٥-١١٦).

(٢) تفسير الجزائري:٣/٢٣١.

(١) صحيح البخاري: ٧٢/٨ وصحيح مسلم: ٢/ ١٤.

(٢) صحيح البخاري:١٤٠/٩ وصحيح مسلم: ٤٤/١ .

لنماذج منوعة من الوسائل التعليمية والتفقيهية نسترشد بها ونستدل على ما نحن بصدده . في المرحلتين المكية والمدنية:

أ- **في العهد المكي:**

١-٢- ٣- وسائل وأساليب الإقراء والتلقين والإلقاء:

وهي أول وسيلة تلقاها الرسول في تلقيه وتعلمه وطبقها في أصحابه

قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ** ﴾[(١)]، وقال عز وجل: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ** ﴾[(٢)]؛ وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى** ﴾[(٣)]؛ فأول لقاء لجبريل -عليه السلام - بالنبي ﷺ في غار حراء؛ وهو ينزل عليه بالوحي ويعلمه إياه ﴿ **عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى** ﴾[(١)]، هو الإقراء والإلقاء والتلقين.

فالإقراء: حسن التلاوة والحفظ، وحسن فقه ما يقرأ وحسن تطبيقه، وطاعة ما به أمر وعنه نهي.

والتلقين: هو مشافهتك الغير بالتعليم، وإلقاء القول إليه ليأخذه عنك، ووضع الحروف مواضعها.

والتلقي: هو عبارة عن الهيئة المنهجية الشرعية لتعليم الألفاظ القرآنية بأن يقرأ الشيخ الآية، ويتلقاها الطالب عنه بسمعه وفؤاده، فالتلقي بهذا هو العملية المكملة لعملية التلقين، إذ التلقين من الشيخ، والتلقي من الطالب، كما قال البخاري رحمه الله

---

(١) سورة النمل: الآية (٦).

(٢) سورة القيامة: الآية (١٨).

(٣) سورة الأعلى: الآية (١٠٨).

(١) سورة النجم: الآية (٥).

تعالى: قال معمر: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [1]، أي يلقى عليك وتلقاه أنت أي تأخذه عنهم، ومثله ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ [2]،[3] .

لذلك كانت أول الوسائل وأهمها وسائل وأساليب جبريل عليه السلام في تبليغ الوحي للرسول وتعليمه له بها هي: الإقراء، والإلقاء، والتلقين. وهي الوسائل التي أمر الرسول ﷺ بها في تبليغه لما ينزل عليه وتعليمه بذلك أصحابه مصحوبا بأسلوب التأديب والشدة عند المقتضي، والنشاط المناسب لمن يتلقى الإقراء والتلقين. ففي حديث عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: ... حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: إقْرَأْ، قَالَ: « مَا أَنَا بِقَارِئٍ »، قَالَ: « فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: إقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: إقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴾ فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ» [1]، قَالَ النَّوَوِيُّ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَالحِكْمَةُ فِي الْغَطِّ شَغْلُهُ عَنْ الِالْتِفَاتِ، وَالْمُبَالَغَةُ فِي أَمْرِهِ بِإِحْضَارِ قَلْبِهِ لِمَا يَقُولُهُ لَهُ وَكَرَّرَهُ ثَلَاثًا مُبَالَغَةً فِي التَّنْبِيهِ، فَفِيهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَحْتَاطَ فِي تَنْبِيه الْمُتَعَلِّمِ وَأَمْرِهِ بِإِحْضَارِ قَلْبِه[2].

---

(١) سورة النمل: الآية (٦).

(٢) سورة البقرة: الآية (٣٧).

(٣) صحيح البخاري ٦/ ٢٧٢١، مرجع سابق .

(١) صحيح البخاري: ٣/١ صحيح مسلم:٩٧/١.

(٢) شرح النووي:١٩٩/٢.

وفي حديث ابن عباس بيان لكيفية التلقي وأدب التلقي للقرآن وإقرائه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهَّ -ﷺ- يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ - فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهَّ -ﷺ- يُحَرِّكُهُمَا، وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ - فَأَنْزَلَ اللهَّ تَعَالَى: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قَالَ: جَمْعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهَّ -ﷺ- بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ -ﷺ- كَمَا قَرَأَهُ»[١].

وكما كان يقرأه ويعلمه للأفراد فإنه كان يقرؤه على المجموع دل على ذلك ما كان يقوم به من التعليم في دار الأرقم بن أبي الأرقم حين كانوا يجتمعون به في الدار ويلتقون الرسول -ﷺ- ويتعلمون منه أمور دينهم ويتلقون عنه ما ينزل من القرآن[٢].

وكذلك كان أصحابه في تعليم من يجمعهم الرسول إليهم في بيوتهم، أو ما يقوم به بعض الصحابة ممن كانوا يجيدون القراءة كعبد الله بن مسعود في تعليمه بإقراء القرآن، وكان أول من علَّم القرآن بمكة بوسيلة الإقراء بعد رسول الله -ﷺ-[٣].

٤- وسيلة التلاوة وسماع المتعلم إليها: هذه الوسيلة التعليمية الدعوية تعامل بها الرسول -ﷺ- كثيرا في تبليغ الدعوة وتعليم المستجيب للدعوة من المؤمنين في

---

(١) صحيح البخاري:٤/١.

(٢) ابن هشام: السيرة ١: ٢٥٣ حاشية ١ ، و الحاكم: المستدرك ٣: ٥٠٢- ٥٠٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٣: ١٥١.

العهد المكي، ذكرنا نماذج من ذلك في الجزء الأول فليرجع إليه. وهي الوسيلة التي استمر في الممارسة لها في المدينة إلى أن لحق بالرفيق الأعلى.

حيث بدأ التعليم والتفقيه في مكة مصحوبا بالبلاغ والدعوة من أول نجاح للرسول ﷺ بإقناع مجموعة وفدت من المدينة إلى مكة لغرض كانت تنشده في أهل مكة، ولكن أرد الله لها الخير في غير ما جاءت إليه، حيث دخلت في الإسلام وبايعت الرسول مع آخرين في عام قابل، وطلبت منه أن يبعث معهم من يدعو ويبلغ دعوة الإسلام إلى أهل المدينة ويعلم ويفقه من آمن منهم. جاء في سيرة الشامي: قال الزهري وابن عقبة وابن إسحق: فلما أراد الله سبحانه وتعالى إظهار دينه وإعزاز رسوله وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الانصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم. فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا. فقال لهم: (من أنتم)؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: (أمن موالي يهود ؟) قالوا: نعم. قال: (أفلا تجلسون أكلمكم ؟) قالوا: بلى، من أنت؟ فانتسب لهم وأخبرهم خبره. فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن . فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله وتلا عليهم القرآن أيقنوا به واطمأنت قلوبهم إلى ما سمعوا منه وعرفوا ما كانوا يسمعون من أهل الكتاب من صفته، فقال بعضهم لبعض: يا قوم تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه [فأجابوه إلى ما

دعاهم إليه] بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام. وهم فيما ذكر ابن إسحق في رواية ستة نفر من الخزرج ثم ذكرهم.

ب – الوسائل التعليمية والتفقيهية الدعوية في المدينة:

يعد مصعب بن عمير أول وافد إلى المدينة لتعليم وتفقيه من أسلم بها، ودعوة وتبليغ من بقي على كفره من اليهود والمشركين، وكانت وسائله التعليمية والتفقيهية هي الوسائل التي كان يعمل بها في مكة من قبل رسول الله -ﷺ- وأصحابه الكرام، ومنهم مصعب بن عمير رضي الله عن الجميع. عَنِ البَرَاءِ -رضي الله عنه- قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -ﷺ- مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَجَعَلاَ يُقْرِئَانِنا القُرْآنَ[1]، مع القيام بالمدارسة القرآنية والتعليم بأحكامه في البيوت والمساجد.

ولما هاجر رسول الله -ﷺ- إلى المدينة استمرت هذه الوسائل تمارس في العمل الدعوي والتفقيه والتعليم فيه، إلا أنه حصل تطور في المجتمع المدني وتنوع في الساكنين به، وأصبحت المدينة مهجرا لجميع المؤمنين ومقصدا لسواهم، وتوالى نزول الوحي واتسعت دائرة التشريع والبيان من رسول الله -ﷺ-والتذكير، (السنة) وأصبحت مجتمعا جامعا للمسلمين وسواهم فاقتضى وجود وسائل أخرى تعليمية تفقهية شفوية تتناسب وهذا التطور في المدينة مارسها الرسول -ﷺ- وأصحابه الكرام.

(١) أُسد الغابة لابن الأثير ٤/ ٥٨.

إضافة إلى الوسائل السابقة: الإقراء والتلقين والإلقاء، والتلاوة. فمن الوسائل الجديدة لتلقي العلم في العهد المدني التي استعملت:

٥- ٦-٧- ٨ السماع، العرض، المذاكرة، السؤال:

كان الاعتماد على الخطاب الشفهي لا الكتب، في أول الأمر وهي وسائل اعتمدها الرسول -ﷺ- في توضيح معالم الدين ونشر الإسلام[١].

واعتبر بعض الصحابة هذه الوسائل من « السنة » فقال أبو سعيد الخدري: «لا نكتبكم ولا نجعلها مصاحف، وكان رسول الله -ﷺ- يحدثنا فنحفظ، فاحفظوا عنا كما حفظنا نحن عن نبيكم »[١].

والسماع: هو الطريقة الأكثر انتشارا لقلة المواد المكتوبة، فالطلبة يتلقون المعلومات عن طريق سماع الشيخ الذي يلقيها بصوته بعد أن حفظها بصدره. والإلقاء ينبغي أن يكون واضحا، وقد يؤكد الشيخ المعنى بإعادة الكلام ليتمكن المستمع من إتقان حفظه، وقد كان هذا هو طريقة الرسول -ﷺ-.

أما العرض: فهو أن يقرأ الطالب على العالم من نسخة مكتوبة . قال زيد بن ثابت: « كنت أكتب الوحي عند رسول الله -ﷺ- فاكتب وهو يملي علي، فما أفرغ حتى يثقل، وإذا فرغت قال: اقرأه علي، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم يخرج به»[٢]، ولما أراد بشير بن نهيك أن ينصرف عن أبي هريرة أتاه بكتبه التي كتبها عنه فقرأها عليه، فقال:

---

(١) صالح العلي: دراسات في تطور الحركة الفكرية ١٩.

(١) الخطيب: تقييد العلم ٣٨.

(٢) ذكره الهيثمي : مجمع الزوائد ١: ١٥٢ وقال: « رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثوقون ». و الخطيب: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢: ١٣٣.

«هذه سمعتها منك؟ قال: نعم »[1]، لقد اتخذ العلماء فيما بعد من هذه السوابق دليلا على صحة المعارضة بين الفرع المكتوب وأصله الذي كتب عنه. وقد روي عن علي -رضي الله عنه- قوله: « القراءة على العالم بمنزلة السماع منه »[2].

وروي عن عبد الله بن عباس قوله: «اقرأوا علي فإن قراءتكم علي كقراءتي عليكم» [1].

وأما المذاكرة: فقد قال الصحابي أبو نضرة العبدي: « كان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا اجتمعوا تذاكروا العلم وقرأوا سورة » [2].

وكان الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري يوصي بالمذاكرة لتثبيت المعلومات يقول:« تحدثوا وتذاكروا فإن الحديث يذكر بعضه بعضا » [3].

ولم تقصر المذاكرة على الحديث بل كانت في الفقه أيضا، فقد أتى أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد العشاء فقال له عمر -رضي الله عنه-: « ما جاء بك؟ قال: جئت أتحدث إليك. قال: هذه الساعة؟ قال: إنه فقه. فجلس عمر، فتحدثا طويلاً. ثم إن أبا موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين. فقال عمر: إنا في صلاة[4].

---

(١) الخطيب: الجامع ٢: ١٢٤.

(٢) الرامهرمزي: المحدث الفاصل ٧٦ ب.

(١) الترمذي: الجامع ٢: ٣٣٧.

(٢) الخطيب: الجامع ٢: ٦٨.

(٣) أورده الهيثمي: مجمع الزوائد ١: ١٦١ وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح. و أخرجه الخطب: الجامع ١: ٢٣٧.

(٤) المتقي الهندي: كنز العمال ١٠: ٢٥٣.

وأما السؤال: فهو الوسيلة الشائعة، حِيث كان الصحابة يسألون الرسول عليه الصلاة والسلام عما يعرض لهم ويحتاجون لمعرفة حكم الذين فيه قبل ذلك فهو وسيلة قرآنية مأمور المسلمون بالقيام بها عند الجهل فقال: ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾[(١)].

وقد روى عن علي -رضي الله عنه- ما فيه الحث على السؤال العلمي بقوله: « ألا رجل يسأل فينتفع وينفع جلساءه»[(١)].

وكذلك ما رواه جابر بن عبد الله عن الرسول -ﷺ-: «ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال»[(٢)].

بل وجاء ما فيه حث وترغيب وتشجيع على السؤال في العلم في قوله -ﷺ-: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث»[(٣)].

وكان المسجد هو – في الغالب – مكان التعليم والتفقيه ووسطه في جميع ما تحتاجه الأمة من التعليم والتفقيه الشفوي فكان له النصيب الأكبر من هذه الوسائل التعليمية والتفقيهية لاجراء عمليات التعليم والتفقيه السابق ذكرها، ووسائل أخرى ارتبطت به نذكرها في الآتي:

---

(١) سورة النحل: الآية (٢٤).

(١) المتقي الهندي: كنز العمال ١٠: ٣٠٢.

(٢) رواه أحمد (٣٠٤٨) وأبو داود (٣٣٦) وابن ماجه (٥٧٢) .

(٣) رواه البخاري (٩٩).

١٠- الخطابة:

تعد الخطابة من أهم الوسائل التعليمية التفقيهية التي كان رسول الله -ﷺ- يحقق بها أمر التعليم والتفقيه لكل المسلمين في جميع مجالات العمل الدعوي، الدينية والدنيوية وفي أي شأن من شئون حياة الناس الواقعي والمستقبلي، بأساليب متعددة ومتنوعة بحسب المقتضى التعليمي التفقيهي الدعوي، وهي وسيلة لا تستبدل بما سواها، وستبقى وسيلة دعوية تعليمية تفقيهية إلى يوم القيامة، وحصر خطابات التعليم والتفقيه من الرسول -ﷺ- يتطلب مجلدات وقد سبق أن ذكرنا نماذج قريبا في وسائل الخطاب الجماهيري الدعوي، لكن نذكر هنا أربعة نماذج ذات علاقة بالتعليم والتفقيه ندلل بها على ما نقول بأساليب متعددة ومتنوعة:

أ- خطابة صريحة أن المقصود بها التعليم: عن عياض بن حمار المجاشعي-رضي الله عنه- أن رسولَ الله -ﷺ- قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن رَبِّي أمَرَني أن أُعَلِّمَكم ما جَهِلْتُمْ مما علَّمني يومي هذا، كُلُّ مال نَحَلْتُه عبداً حلال، وإني خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كلَّهم، وإنَّهم أَتَتْهُمُ الشياطين فاجتالتَهمْ عن دِينهم، وحرّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتْهُم أن يُشرِكوا بي ما لم أُنَزِّلْ به سُلطاناً، وإنَّ الله نظر إلى أهل الأرض، فمقَتَهم، عَرَبَهُم وعَجَمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بَعَثْتُكَ لأبْتَلِيَكَ وأبتَلِيَ بِكَ، وأنزلتُ عليكَ كتاباً لا يَغْسِله الماء، تقرؤه نائماً ويقظان، وإن الله أمرني أن أُحَرِّقَ قريشاً، فقلت: ربِّ إذاً يَثْلَغُوا رَأْسي، فَيَدَعُوهُ خُبْزَة، قال: اسْتَخْرِجهُم كما أخرجوك، واغْزُهم نُغِنْك، وأنفق فَسَنُنْفِق عليك، وابعث جَيشاً نبعثْ خمسة مثله، وقاتل بمن

أطاعَكَ من عصاك... الحديث»[(١)] .

ب - خطابة بأسلوب تشويقي تخويفي متعدد الموضوعات: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله -ﷺ- يَوْمًا صَلاَةَ العَصْرِ بِنَهَارٍ ثُمَّ قَامَ خَطِيبًا فَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ أَخْبَرَنَا بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَه، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، وَكَانَ فِيمَا قَالَ: إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، أَلاَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ وَكَانَ فِيمَا قَالَ: أَلاَ لاَ يَمْنَعَنَّ رَجُلاً هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا عَلِمَهُ قَالَ: فَبَكَى أَبُو سَعِيدٍ وَقَالَ: قَدْ وَاللهِّ رَأَيْنَا أَشْيَاءَ فَهِبْنَا، فَكَانَ فِيمَا قَالَ: أَلاَ إِنَّهُ يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ، وَلاَ غَدْرَةَ أَعْظَمُ مِنْ غَدْرَةِ إِمَامِ عَامَّةٍ يُرْكَزُ لِوَاؤُهُ عِنْدَ اسْتِهِ.... الحديث.

وَفِي البَابِ عَنْ حُذَيْفَةَ، وَأَبِي مَرْيَمَ، وَأَبِي زَيْدِ بْنِ أَخْطَبَ، وَالْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وَذَكَرُوا أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- حَدَّثَهُمْ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ..«وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»[(١)].

ج - خطابة للتفقيه بأحكام المكاتب وعتقه وفقه التعامل معه: عن عائشة أنها قالت: جاءتني بريرة فقالت: إني كاتبت أهلي على تسع أواق في كل عام أوقية فتعينيني فقالت عائشة: إن أحب أهلك أن أعدها لهم عدتها لهم ويكون لي ولاؤك فذهبت بريرة إلى أهلها فقالت لهم ذلك فأبوا عليها فجاءت من عند أهلها و رسول

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٨٦٥) في الجنة ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(١) سنن الترمذي: ٥٤/٤.

الله -ﷺ-جالس فقالت: إني قد عرضت عليهم ذلك فأبوا إلا أن يكون الولاء لهم فسمع رسول الله -ﷺ- فسألها فأخبرته عائشة فقال رسول الله -ﷺ-: «خذيها واشترطي لهم الولاء فإنما الولاء لمن أعتق« قالت عائشة: ثم قام رسول الله -ﷺ- في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد ما بال رجال يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مئة شرط قضاء الله أحق وشرط الله أوثق وإنما الولاء لمن أعتق»[1].

د - خطابة يعلم فيها أصحابه ويفقههم بجملة من الأحكام متنوعة بعد فتح مكة: عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أن رسول الله -ﷺ- لما فتح مكة قال: كفوا السلاح إلا خزاعة عن بني بكر، فإذن لهم حتى صلوا العصر، ثم قال كفوا السلاح حتى إذا كان من الغد لقي رجل من خزاعة رجلاً من بني بكر بالمزدلفة فقتله، فلما بلغ ذلك النبي -ﷺ- قام خطيباً مسنداً ظهره إلى الكعبة فقال: إن أعتى الناس على الله عز وجل من عدا في الحرم وقتل غير قاتله ومن قتل بذحول الجاهلية. وجاء رجل فقال: يارسول الله إن فلانا ابني عاهر بامرأة في الجاهلية فقال رسول الله -ﷺ- ذهب أمر الجاهلية، لا دعوة في الإسلام، الولد للفراش وللعاهر الأثلب قالوا يانبي الله وما الأثلب؟! قال: الحجر. قال وقال في خطبته: في الأصابع عشر عشر، وقال في الموضحة: خمس خمس، وقال: لا صلاة بعد صلاة الصبح حتى تشرق

(١) صحيح ابن حبان:١٠/١٦٧ قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرطهما.

الشمس، ولا صلاة بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس. وقال في خطبته: وأوفوا بحلف الجاهلية؛ فإنه لا يزيده الإسلام إلا شدة، ولا تحدثوا في الإسلام حلفا»[1].

هذه طائفة من خطابات الرسول التعليمية التفقيهية كنموذج استدلينا به على هذه الوسيلة الهامة التعليمية التفقيهية.

١١ - الموعظة التعليمية:

كان رسول الله -ﷺ- في بعض جلساته يمارس وسيلة الوعظ التفقيهي بأساليب مؤثرة ومتنوعة وكان غالبا ما يقوم بها في المسجد، حيث يجتمعون فيه في أغلب الأوقات لأداء فريضة الصلاة وكان من أسلوبه: يتخولهم بها الدرس تلو الدرس حتى لا يملوا ويسأموا، فعن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال «كان النبي -ﷺ- يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا »[1].

ومن نماذج ذلك: قَالَ الْعِرْبَاضُ بن سارية صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا فَقَالَ «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِى فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِى وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ »[2].

---

(١) إتحاف الخيرة المهرة:١٣٠/١ هذا إسناد حسن.

(١) أخرجه البخاري كما في الفتح ١٦٢/١ ، كتاب العلم ، باب ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتخولهم بالموعظة ...إلخ ، وأخرجه مسلم ٢١٧٢/٤ كتاب صفات المنافقين ، باب الاقتصاد في الموعظة ح ٨٢ (٢٨٢١).

(٢) سنن أبي داوود: ٣٢٩/٤ قال الألباني: صحيح.

وعنون الإمام البخاري في صحيحه بقوله: باب الْغَضَبِ فِي الْمَوْعِظَةِ وَالتَّعْلِيمِ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ. ثم ذكر حديث أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ الله لاَ أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلاَةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فُلاَنٌ فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ»[1].

١٢ - وسيلة طرح المسائل: بالسؤال من قبله هو ثم الإجابة، أومن قبل أصحابه وهو يجيب عليها:

إن طرح المسائل من قبل المعلم على المتعلمين من الوسائل التعليمية المهمة في ربط التواصل القوي بين السائل(المعلم) والمسئول،(المتعلم) وفتح ذهن المسؤول وتركيز اهتمامه على الإجابة، وإحداث حالة من النشاط الذهني الكامل؛ ولذلك استخدم النبي -ﷺ- السؤال في صور متعددة لتعليم الصحابة، مما كان له كبير الأثر في حسن فهمهم وتمام حفظهم:

أ - فأحياناً يوجه النبي -ﷺ- السؤال لمجرد الإثارة والتشويق ولفت الانتباه ثم يجيب عليه، ويكون السؤال عندئذ بصيغة التنبيه (ألا) غالباً، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه-، أن النبي -ﷺ- قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذالكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط» [2].

(١) صحيح البخاري:١/٣٢ رقم:٩٠.

(٢) مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء (١/ ٢١٩).

ب – وأحيانا يسألهم النبي -ﷺ- عما يعلم أنهم لا علم لهم به، وبقصد إثارة انتباههم للموضوع، ولفت أنظارهم إليه ويجيبون وتكون الإجابة خطأ فيصححها[1]. عن أبي هريرة -رضي الله عنه-أن رسول الله -ﷺ- قال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[1].

ج – وأحيانًا يسأل فيحسن أحد الصحابة الإجابة، فيثني عليه، ويمدحه تشجيعاً له وتحفيزاً لغيره، كما فعل مع أُبي بن كعب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «يا أبا المنذر أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال قلت: (اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) قال: فضرب في صدري، وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر»[2] فهذا الاستحسان والتشجيع يبعث المتعلم على الشعور بالارتياح والثقة بالنفس، ويدعوه إلى طلب وحفظ المزيد من العلم وتحصيله[3].

أو أن المتعلم هو الذي يتقدم بالسؤال ليحظى بالإجابة الصحيحة وهذا النوع من أسئلة التعلم والتفقه كان -ﷺ- يستقبلها من أصحابه في أي وقت يكون فيه من

(١) انظر: منهاج وآداب الصحابة، ص٦٧.

(١) مسلم، كتاب البر، باب تحريم الظلم (٤/ ١٩٩٧).

(٢) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي (٥٥٦).

(٣) انظر: مناهج وآداب الصحابة، ص٦٥.

ليل أو نهار، وعلى أي حال يكون راكبا أو ماشيا أو قاعدا أو خطيبا أو في حالة درسه أو نحو ذلك وهي كثيرة نذكر نماذج من ذلك:

* **في مجلس درسه**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ -ﷺ- فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ -ﷺ- يُحَدِّثُ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ – أُرَاهُ – السَّائِلُ»، عَنِ السَّاعَةِ قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» (1).

* **في غير درسه وهو في المسجد**: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَجُلاً قَامَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مِنْ أَيْنَ تَأْمُرُنَا أَنْ نُهِلَّ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «يُهِلُّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ، وَيُهِلُّ أَهْلُ الشَّامِ مِنَ الْجُحْفَةِ، وَيُهِلُّ أَهْلُ نَجْدٍ مِنْ قَرْنٍ». وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَيَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: «وَيُهِلُّ أَهْلُ الْيَمَنِ مِنْ يَلَمْلَمَ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: لَمْ أَفْقَهْ هَذِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ -ﷺ-.

* **في حال الخطبة**: عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- وَهُوَ يَخْطُبُ فَقَالَ: كَيْفَ صَلَاةُ اللَّيْلِ؟ فَقَالَ: «مَثْنَى مَثْنَى فَإِذَا خَشِيتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِوَاحِدَةٍ تُوتِرُ لَكَ مَا قَدْ صَلَّيْتَ» في رواية «وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ» (2).

---

(1) صحيح البخاري: ٤٢/١.

(2) صحيح البخاري:٢٣٣/١.

وقَالَ أَبُو رِفَاعَةَ انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ قَالَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ لاَ يَدْرِى مَا دِينُهُ – قَالَ – فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهَّ ﷺ وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا – قَالَ – فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهَّ ﷺ وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِى مِمَّا عَلَّمَهُ اللهَّ ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا»[1].

* **في حال كرهه وغضبه**: عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا فَلَمَّا أُكْثِرَ عَلَيْهِ غَضِبَ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: «سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ قَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ حُذَافَةُ» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ: «أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ» فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا فِي وَجْهِهِ، قَالَ: «يَا رَسُولَ الله إِنَّا نَتُوبُ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ»[2].

* **وهو يؤدي النسك**: عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَ الْجَمْرَةِ وَهُوَ يُسْأَلُ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله نَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ، قَالَ: «ارْمِ وَلَا حَرَجَ» قَالَ آخَرُ يَا رَسُولَ الله: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَنْحَرَ، قَالَ: «انْحَرْ وَلَا حَرَجَ» فَمَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلَا أُخِّرَ إِلَّا قَالَ افْعَلْ وَلَا حَرَجَ»[3].

* **الإجابة بإشارة اليد والرأس**: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ فِي حَجَّتِهِ فَقَالَ: ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ «فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ قَالَ، وَلاَ حَرَجَ» قَالَ: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ «فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ، وَلاَ حَرَجَ».

---

(١) صحيح مسلم:١٥/٣.

(٢) صحيح البخاري:٣٤/١.

(٣) صحيح البخاري: ٨١/١.

*** إجابة السائل بأكثر مما سأل:** عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّ رَجُلاً سَأَلَهُ مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ فَقَالَ: لاَ يَلْبَسِ الْقَمِيصَ، وَلاَ الْعِمَامَةَ، وَلاَ السَّرَاوِيلَ، وَلاَ الْبُرْنُسَ، وَلاَ ثَوْبًا مَسَّهُ الْوَرْسُ، أَوِ الزَّعْفَرَانُ فَإِنْ لَمْ يَجِدِ النَّعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الْخُفَّيْنِ وَلْيَقْطَعْهُمَا حَتَّى يَكُونَا تَحْتَ الْكَعْبَيْنِ»[١].

أما من بعدت عليهم الشُّقة فكانوا إذا نزلت بهم نازلة وأشكل عليهم حلها، فإنهم يضربون أكباد الإبل إلى مدينة رسول الله -ﷺ- ليقفوا على حكم الله فيما عرض لهم من الحوادث وربما مكثوا في أسفارهم الأيام والليالي ذوات العدد. فعن عقبة بن الحارث أنه أخبرته امرأة بأنها أرضعته هو وزوجه فركب من فوره – وكان بمكة – قاصداً المدينة حتى بلغ رسول الله -ﷺ- فسأله عن حكم الله فيمن يتزوج امرأة لا يعلم أنها أخته من الرضاع ثم أخبرته بذلك من أرضعتهما؟ فقال له النبي -ﷺ-: «كيف وقد قيل»[٢] ففارق زوجته لوقته. هذه طائفة من الأحاديث ذكرناه كنموذج لقيام الرسول بتعليم أصحابه وتفقيههم بوسيلة السؤال وذلك إما بطرح السؤال عليهم أو بالإجابة على أسئلتهم وهي كثيرة جدا أو بالمحاورة وغير ذلك ونكتفي بهذه الإشارة وهي كافية إن شاء الله تعالى.

١٣– وسيلة تعليم الجاهل لما لا يعلمه:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله -ﷺ- دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ -ﷺ-، فَرَدَّ وَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ

(١) صحيح البخاري:٤٥/١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح ١٨٤/١ ، كتاب العلم ، باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله ، ح ٨٨.

فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثَلَاثًا. فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلِّمْنِي، فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا»[1].

١٤ - وسيلة تعليم الجاهل بأسلوب انتزاع الإجابة منه ليقرره بالحق:

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ: أَنَّ فَتًى مِنْ قُرَيْشٍ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِي الزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ وَزَجَرُوهُ، فَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: « ادْنُهْ »، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، فَقَالَ: « أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ. قَالَ: « وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟». قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ. قَالَ: « وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ». قَالَ: « أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ » قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ». قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟». قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ ». قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟». قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ». قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ». قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ»[2].

---

(١) صحيح البخاري:٣٤٨/١.

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

١٥ – وسيلة المحاورة واستثارة الأذهان في المسائل العلمية التفقيهية:

طرح المسائل على المتعلمين ليجيبوا عليها ليختبر ما عندهم من العلم والفقه: عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ حَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ عَبْدُ الله: فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ الله: أَخْبِرْنَا بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: هِيَ النَّخْلَةُ قَالَ عَبْدُ الله فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي ،فَقَالَ لأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا»[١].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ ذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ، أَوْ بِزِمَامِهِ– قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا»؟ فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ»؟ قُلْنَا بَلَى. قَالَ:« فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا» فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ فَقَالَ: «أَلَيْس بِذِي الْحِجَّةِ»؟ قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ»[٢].

١٦ – المحاورة للتوقيف على العلة ومناط الحكم: لما سئل عن بيع الرطب بالتمر، قال: «أينقص الرطب إذا جف ؟»، قالوا نعم، فنهى عن ذلك» (رواه الخمسة) .. وحين نهاهم عن بيع الثمرة قبل بدو صلاحها قال لهم: «أرأيت إن منع

---

(١) صحيح البخاري:١/٤٥.

(٢) صحيح البخاري:١/٢٧.

الله الثمرة بم تستحل مال أخيك؟»[1]. وحين قال: «وفي بضع أحدكم صدقة»، قالوا له: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر، قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر»، قالوا نعم، قال: «فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجراً»[2].

١٧ - وسيلة الفتوى والإجابة على السائلين لمن يطلبها:

لقد كان استقبال الفتاوى والإجابة على أسئلة الذين يجهلون الأحكام وتعاليم الإسلام خاصة الأعراب وأصحاب البوادي وحديثو العهد بالإسلام هم أكثر من يحتاج إلى هذه المجالس ليعرفوا تعاليم الإسلام وأحكامه وقد قال تعالى: ﴿ **الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾[3]. روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي رفاعة العدوي -رضي الله عنه- قال: انتهيت إلى النبي وهو يخطب، فقلت: يا رسول الله، رجل غريب يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه، قال: فأقبل عليّ رسول الله وجعل يعلّمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته فأتم آخرها[4].

وعَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبَيْنَ النَّاسِ فَقَالَ إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ أَتَوُا النَّبِيَّ -ﷺ- فَقَالَ مَنِ الْوَفْدُ أَوْ مَنِ الْقَوْمُ قَالُوا رَبِيعَةُ فَقَالَ مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى قَالُوا إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلَّا فِي شَهْرٍ حَرَامٍ فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نُخْبِرُ (نُخْبِرْ) بِهِ مَنْ

(١) البخاري: ٣٢/١ ومسلم: ٣٣/٢

(٢) (مسلم) :/٨٢/٣.

(٣) سورة التوبة: الآية (٩٧).

(٤) صحيح مسلم: ٥٩٧/٢.

وَرَاءَنَا نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ قَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ وَتُعْطُوا الْخُمُسَ مِنَ الْمُغْنَمِ وَنَهَاهُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ وَالْحَنْتَمِ وَالْمُزَفَّتِ قَالَ شُعْبَةُ رُبَّمَا قَالَ النَّقِيرِ وَرُبَّمَا قَالَ الْمُقَيَّرِ قَالَ احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ»[1].

١٨ - **وسيلة التفسير بطريق السؤال كما في تفسيره ﷺ للغيبة** حيث قال: (أتدرون ما الغيبة ..) عن أبي هريرة أن رسول الله قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته»[2].

وكما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا**﴾عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال كنت مع النبي في المسجد عند غروب الشمس فقال: «يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم . قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله تعالى: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾[3]»[4].

وكان عليه الصلاة والسلام لا يترك المرءَ وهواه إذا آمن، بل يتعاهده بالتفقه والتعليم، ويأمر أصحابه بذلك، فعندما أسلم عمير بن وهب -رضي الله عنه- قال عليه الصلاة

(١) صحيح البخاري:١/٦٠.

(٢) ففي صحيح مسلم (رقم ٢٥٨٩).

(٣) سورة يس : الآية (٣٨).

(٤) فقد أخرج البخاري في صحيحه (رقم ٤٥٢٤).

والسلام: «فقِّهوا أخاكم في دينه، وأقرِئوه القرآن»[1].

١٩ - وسيلة تكرار الحديث وإعادته للحفظ والفهم:

تكرار الكلام وإعادته على المتعلمين يسهل في حفظه ويعين على فهمه، وأدعى لاستيعابه ووعي معانيه؛ ولذلك يحرص النبي -ﷺ- على تكرير الحديث في غالب أحيانه، فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- أنه: كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا، حتى تفهم عنه[2]..

٢٠ - وسيلة التأني في الكلام والفصل بين الكلمات:

كان -ﷺ- يتأنَّى ولا يستعجل في كلامه، بل يفصل بين كلمة وأخرى، حتى يسهل الحفظ، ولا يقع التحريف والتغيير عند النقل، وبلغ من حرص النبي -ﷺ- ذلك أنه كان يسهُل على السامع أن يعد كلماته -ﷺ- لو شاء، فقد روى عروة بن الزبير -رحمه الله- أن عائشة رضي الله عنها قالت: «ألا يعجبك أبو فلان؟ جاء فجلس إلى جانب حجرتي، يحدث عن رسول الله -ﷺ-، يسمعني ذلك، وكنت أُسبِّح فقام قبل أن أقضي سُبْحتي، ولو أدركته لرددت عليه، إن رسول الله -ﷺ-لم يكن يسرد الحديث كسردكم[3].

٢١ - استعمال العبارات اللطيفة والرقيقة:

إن استعمال لطيف الخطاب ورقيق العبارات يؤلف القلوب، ويستميلها إلى الحق ويدفع المستمعين إلى الوعي والحفظ، فقد كان -ﷺ- يمهد لكلامه، وتوجيهه

---

(١) معجم الطبران الكبير:٤٥٧/١١.

(٢) البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث (١/ ١٨٨).

(٣) البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث (١/ ١٨٨) ٣٥٦٨.

بعبارة لطيفة رقيقة، وبخاصة إذا كان بصدد تعليمهم ما قد يستحيا من ذكره، كما فعل عند تعليمهم آداب الجلوس لقضاء الحاجة، إذ قدم لذلك بأنه مثل الوالد للمؤمنين، يعلمهم شفقة بهم[1]، فقد قال -ﷺ-: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلِّمكم، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة، ولا يستدبرها، ولا يستطب بيمينه»[2].

٢٢ – وسيلة التحفيز وتشجيع المحسن والثناء عليه:

ليزداد نشاطاً وإقبالاً على العلم والعمل، مثلما فعل مع أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- حين أثنى على قراءته وحسن صوته بالقرآن الكريم، فعن أبي موسى -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال له: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل دواد»[3].

٢٣– وسيلة الإشفاق على المتعلم الجاهل وعدم تعنيفه: كان صلوات الله وسلامه عليه يقدر ظروف الناس، ويراعي أحوالهم، ويعذرهم بجهلهم، ويتلطف في تصحيح أخطائهم، ويترفق في تعليمهم الصواب، ولا شك أن ذلك يملأ قلب المنصوح حباً للرسالة وصاحبها، وحرصا على حفظ الواقعة والتوجيه وتبليغهما، كما يجعل قلوب الحاضرين المعجبة بهذا التصرف والتوجيه الرقيق مهيأة لحفظ الواقعة بكافة ملابساتها، ومن ذلك ما رواه معاوية بن الحكم السلمي -رضي الله عنه- قال: «بينما أنا أصلي مع رسول الله -ﷺ- إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم

---

(١) انظر: مناهج وآداب الصحابة في التعلم والتعليم، ص٧٤.

(٢) أبو داود، كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة (١/ ٣) رقم ٨.

(٣) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن (١/ ٥٤٦).

بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني، لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فو الله ما كَهَر ني ولا ضربني، ولا شتمني قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله ﷺ[(١)].

فانظر - رحمك الله - إلى هذا الرفق البالغ في التعليم، وانظر أثر هذا الرفق في نفس معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه وتأثره بحسن تعليمه ﷺ.

٢٤ - وسيلة المذاكرة للدرس حتى يفهم:

بوب البخاري على ذلك بقوله باب من سمع شيئا فراجع فيه حتى يعرفه، فذكر فيه: أن عائشة كانت لا تسمع شيئا الا راجعت فيه حتى تعرفه. وذكر الحافظ ابو نعيم من آداب طلبة العلم أن يراجع بعضهم بعضا ويفيد بعضهم بعضا لما في ذلك من الاستعانة على الحفظ ورسوم التحصيل ثم استظهر على ذلك بما أخرجه من طريق ابن كيسان بسنده الى انس بن مالك قال كنا قعودا مع رسول الله ﷺ فعسى أن يكون ستين رجلا فيحدثنا الحديث ثم نريد الحاجة فنراجعه بيننا هذا ثم هذا فنقوم كأنما زرع في قلوبنا. وخرج الحاكم في المستدرك عن ابي سعيد قال كان أصحاب رسول الله ﷺ اذا اجتمعوا تذاكروا العلم وقرأوا سورة.

---

(١) مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة (١/ ٣٨١).

٢٥ – **وسائل التعليم والتفقيه التوضيحية التطبيقية**: يقول منظروا التعليم: إن التعليم التطبيقي التوضيحي أرسخ من التعليم النظري. ولقد سبقهم إلى ذلك الرسول -ﷺ-، فكان النبي-ﷺ-يستخدم ما يسمى اليوم بالوسائل التطبيقية التوضيحية، لتقرير وتأكيد المعنى في نفوس وعقول المتعلمين، وشغل كل حواسهم بالموضوع، وتركيز انتباههم فيه، مما يساعد على تمام فهمه وحسن حفظه بكل ملابساته، كما كان يقوم فيهم بعمليات التعليم والتفقيه التي من شأنها تحقق هدف التعلم والتفقه وتكسبهم الخبرة والقدرة على العمل به. يفعل ذلك ليوضح بها معنى، أو يعرف بها حكما، أو يفسر بها آية، أو يكشف بها أمرا غائبا، أو يبرهن بها للإقناع العقلي، أو يقيم بها حجة، إلى غير ذلك من القضايا التعليمية والتفقيهية المطلوب الكشف عنها. فالسبق النبوي لهذه الوسائل يبرز هذه الأهمية للعملية التعليمية لكثير من الأهداف التعليمية التفقيهية الدعوية وهذه نماذج نذكرها من قيام الرسول -ﷺ- بها، من ذلك:

أ – وسيلة استعمال الأصابع لبيان القرب والمسافة والجهة:

عن سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ -رضي الله عنه-قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا بِالْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ بُعِثْتُ وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ[١].

وعنْ سَهْلٍ أيضا قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا[٢].

---

(١) صحيح البخاري: ٢٠٦/٦.

(٢) صحيح البخاري: ٦٨/٧.

وعن عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: وَهْوَ عَلَى الْمِنْبَرِ أَلاَ إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا- يُشِيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ- مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»[1].

ب - استعمال وسيلة الرسم للتوضيح أو تفسير الآية وترسيخ المعنى في الأذهان: كان ﷺ يخط على الأرض خطوطاً توضيحية تلفت نظر الصحابة، ثم يأخذ في شرح مفردات تلك الخطوط وبيان المقصود منها، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ خَطَّ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا وَسَطَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ، وَخُطُوطًا إِلَى جَنْبِ الْخَطِّ الَّذِي وَسَطَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ، وَخَطٌّ خَارِجٌ مِنَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ، قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « هَذَا الْإِنْسَانُ، الْخَطُّ الْأَوْسَطُ، وَهَذِهِ الْخُطُوطُ الَّتِي إِلَى جَنْبِهِ الْأَعْرَاضُ تَنْهَشُهُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، إِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا، أَصَابَهُ هَذَا، وَالْخَطُّ الْمُرَبَّعُ: الْأَجَلُ الْمُحِيطُ بِهِ، وَالْخَطُّ الْخَارِجُ: الْأَمَلُ»[2]، وجاء ذلك أيضا عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[3].

ج - استعمال وسيلة مشاهدة بعض الحالات المدهشة ليلفت المتعلم إلى صفة من صفات الله العظيمة.

(١) صحيح البخاري:٤/٢٢٠.

(٢) مسند أحمد:٦/١٦٤ إسناده صحيح على شرط الشيخين وأخرجه البخاري ، (٦٤١٧) والترمذي (٢٤٥٤) ، والنسائي في "الكبرى" -كما في"تحفة الأشراف" (٩٢٠٠) -، وابن ماجه (٤٢٣١) ، والدارمي ٢/٣٠٤، وأبو يعلى (٥٢٤٣) ، وأبو نعيم في "الحلية" ٢/١١٦-١١٧.

(٣) سورة الأنعام: الآية (١٥٣).

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رضي الله عنه- قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- سَبْىٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا لاَ وَهْيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقَالَ اللهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا(١).

د – استعمال وسيلة محسوسة مستغربه ليستنبط المتعلم منها المعنى أو الحكم:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ ». فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَىْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ قَالَ: « أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ ». قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لأَنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ، فَقَالَ: « فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ »(٢).

ه – وفي لعب الأطفال وسيلة تعليمية حكم شرعي:

عَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها قَالَتْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ وَفِى سَهْوَتِهَا سِتْرٌ فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ فَقَالَ: « مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟». قَالَتْ بَنَاتِى. وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ فَقَالَ: « مَا هَذَا الَّذِى أَرَى وَسْطَهُنَّ؟». قَالَتْ فَرَسٌ. قَالَ: «وَمَا هَذَا الَّذِى عَلَيْهِ؟ ». قَالَتْ: جَنَاحَانِ. قَالَ « فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ ». قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلاً لَهَا أَجْنِحَةٌ قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ»(٣).

---

(١) صحيح البخاري:٩/٨ومسلم.

(٢) صحيح مسلم:٢١٠/٨.

(٣) سنن أبي داود:٤٣٨/٤.

و – وفي إظهار قبح الغش وخطورته بالفعل وسيلة تعليمية:

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً فَقَالَ « مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ». قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَي يَرَاهُ النَّاسُ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي »[1].

ز – وسيلة توقيف المتعلم على ما ينبغي تعلمه لتصحيح فعله أو لرفع المشقة عنه: يقول عمر بن أبي سلمة -رضي الله عنه- كنت غلامًا في حجر رسول الله، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله: «يا غلام، سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»[2]، وكان يمشي ومعه الحسن بن علي، فوجد تمرةً، فأخذها الحسن، فقال: «كخ كخ، أما علمت أنّا لا تحلّ لنا الصدقة؟»[3].

ح – التعبير بحركة اليد، بما يفسر به اللفظ:

كتشبيكه -صلى الله عليه وسلم- بين أصابعه وهو يبين طبيعة العلاقة بين المؤمن وأخيه، فعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك بين أصابعه »[4].

ط – الجمع بين القول والفعل لبيان الحكم :

كما فعل -صلى الله عليه وسلم- عند الحديث عن حكم لبس الحرير والذهب، فعن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: إن نبي الله -صلى الله عليه وسلم- أخذ حريرا فجعله في يمينه، وأخذ ذهباً فجعله في

(١) صحيح مسلم:٦٩/١.

(٢) صحيح البخاري: ٨٨/٧ وصحيح مسلم: ١٠٩/٦.

(٣) صحيح مسلم: ١١٧/٣.

(٤) البخاري، كتاب المظالم، باب نصر المظلوم (٥/ ٩٩) رقم ٢٤٤٦.

شماله، ثم قال «إن هذين حرام على ذكور أمتي»[1]، وفي رواية عند النسائي عن أبي موسي: «أحل الذهب والحرير لإناث أمتي وحرم على ذكورها»[2].

فجمع النبي ﷺ- بين القول وبين رفع الذهب والحرير وإظهارهما، حتى يجمع لهم السماع والمشاهدة، فيكون ذلك أوضح وأعون على الحفظ والفهم.

ي - **التطبيق العملي لفعل ما يريد بيانه وإيضاحه أمام الناس:**

كما فعل عندما صعد -ﷺ- المنبر فصلى بحيث يراه الناس أجمعون، فعن سهل بن سعد الساعدي -رضي الله عنه- قال: رأيت رسول الله -ﷺ- قام على المنبر فاستقبل القبلة وكبر، وقام الناس خلفه، فقرأ وركع وركع الناس خلفه، ثم رفع رأسه، ثم رجع القهقرى، فسجد على الأرض، ثم عاد إلى المنبر، ثم قرأ، ثم ركع، ثم رفع رأسه، ثم رجع القهقرى، فسجد على الأرض، ثم عاد إلى المنبر، ثم قرأ، ثم ركع، ثم رفع رأسه، ثم رجع القهقرى، حتى سجد بالأرض فلما فرغ أقبل الناس، فقال: «أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتموا بي، ولِتَعلَّموا صلاتي»[3].

وفعل ذلك أيضا في الوضوء الذي شاهده جمع من الصحابة وهو يتوضأ، عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- أنه دعا بإناء فأفرغ على يديه ثلاث مرات فغسلهما، ثم أدخل يمينه فى الإناء فمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه ثلاثا إلى المرفقين، ثم مسح برأسه، ثم غسل رجليه ثلاث مرات إلى الكعبين، ثم قال: قال رسول الله-ﷺ-:

---

(١) أبو داود، كتاب اللباس، باب في الحرير للنساء (٤/ ٥) رقم ٤٠٥٧.

(٢) صحيح سنن النسائي، الألباني، ورقمه (٥١٦٣) وصححه ..

(٣) صحيح البخاري:١١/٢.

«من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه»[١].

وكما فعل في الحج بأداء مناسكه والكل يشاهد فعل رسول الله لهذه المناسك ثم قال: «لتأخذوا عني مناسككم؛ فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»[٢] ومثل هذا كثير .

ك – اهتبل بعض الوقائع لبيان وتعليم معان مناسبة: كان -ﷺ- تحدث أمامه أحداث معينة، فيهتبل فرصة ما يرى لينبه به على معنى معين يريد تعليمه للصحابة، ويلفت نظرهم إليه ويوجههم به، وعندئذ يكون هذا المعنى، وذلك التوجيه أوضح ما يكون في نفوسهم رضوان الله عليهم، ومن ذلك ما رواه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: قدم على النبي -ﷺ-سبي فإذا امرأة في السبي قد تحلب ثدياها تسعى إذ وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها، وأرضعته، فقال لنا النبي -ﷺ-: «أترون هذه طارحةً ولدها في النار؟» قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»[٣]، فانتهز -ﷺ- المناسبة القائمة بين يديه مع أصحابه المشهود فيها حنان الأم الفاقدة على رضيعها إذا وجدته، وضرب بها المشاكلة والمشابهة برحمة الله تعالى ليعرف الناس رحمة رب الناس بعباده[١]، وعلى هذا النهج في اعتماد هذه

(١) صحيح: أخرجه البخارى (١٦٠) فى الوضوء، باب: الوضوء ثلاثا ثلاثا.

(٢) مسلم، كتاب الحج، رقم ١٢٩٧.

(٣) البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم ٥٩٩٩.

(١) الرسول المعلم، عبد الفتاح أبو غدة، ص١٦٠، هذا المبحث اختصرته من مناهج وآداب الصحابة في التعلم والتعليم للدكتور عبد الرحمن البر.

الوسيلة وأساليبها كان العهد الراشدي.

هذه نماذج وسائل رسول الله -ﷺ- التعليمية والتربوية، وما مات حتى علم الناس كل شيء، روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: لقد تركنا محمد وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا عنه علمًا.

لقد أفنى رسول الله عمره كله في سبيل تعليم أمته ونشر الدين بينهم. في كل الأحوال قاعدا وقائما وراجلا وراكبا حتى وهو واقف على ناقته، يقول عبد الله بن عمرو بن العاص: لقد رأيت النبي وهو واقف على ناقته في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه، فما سئل عن شيء قدِّم ولا أخِّر إلا قال: «افعل ولا حرج»[1].

والرسول -ﷺ- لم يعلم عنه أنه أمر أحدا أن يقوم بأي عمل دعوي وهو ليس فقيها فيه، ولم يرسل دعاة معلمين مفقهين إلا بعد أن تعلموا وتفقهوا في ما يدعون إليه:

في مكة لم يمارس العمل الدعوي فيها ممن أسلموا إلا بعد أن تفقهوا عليه بما أنزل عليه وقاموا هم بتبليغ ذلك، وكان التفقيه يتم في بيته وبيوت من أسلموا وفي دار الأرقم بن أبي الأرقم، وأبرز من مارسوا العمل الدعوي خديجة وأبو بكر وعثمان وعمر وعلي وهم كانوا علماء فقهاء بما علمهم به رسول الله -ﷺ-، وقد سبق لنا بيان ذلك. وأبرز نموذج لما نقول في القيام بالعمل الدعوي خارج مكة، دور جعفر الطيار الذي قام بعرض الدعوة على ملك الحبشة وبطاركته بعد أن اختاره المهاجرون لهذه المهمة.

---

(١) رواه البخاري: ٢١/١.

وفي المدينة: هيأ الرسول -ﷺ- المسجد لتعليم وتفقيه كل من أسلم مع ما كان يقوم به فقهاء الصحابة من التعليم في البيوت، وكان الصحابة يمارسون أعمالهم الدعوية في حدود ما علموه وتعلموه، قال أَبِو عَبْد الرَّحْمَنِ قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -ﷺ-، أَنَّهُمْ كَانُوا « يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ الله -ﷺ- عَشْرَ آيَاتٍ »، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ ﴾(١).

وكان الرسول -ﷺ-لا يرسل دعاة و مفقهين إلا قراء فقهاء فأصحاب الرجيع- عضل والقارة - كانوا قراء فقهاء عَنْ عَاصِمُ بن عُمَرَ بن قَتَادَةَ، قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهَّ -ﷺ- بَعْدَ أُحُدٍ نَفَرٌ مِنْ عَضَلٍ وَالْقَارَةِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ، إِنَّ فِينَا إِسْلامًا فَابْعَثْ مَعَنَا نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِكَ يُفَقِّهُونَا فِي الدِّينِ، وَيُقْرِئُونَا الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمُوننا شَرَائِعَ الإِسْلامِ، «فَبَعَثَ رَسُولُ اللهَّ -ﷺ- نَفَرًا سِتَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ: مَرْثَدَ بن أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ حَلِيفَ حَمْزَةَ بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَذَكَرَ الْقِصَّةَ(٢).

والذين أرسلهم إلى رعل وذكوان كانوا قراء فقهاء، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِىِّ -ﷺ- فَقَالُوا: أَنِ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالاً يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ فِيهِمْ خَالِى حَرَامٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِى الْمَسْجِدِ

---

(١) مسند أحمد: ٤٦٦/٢٨.

(٢) معجم الطبراني الكبير: ٢٥٩/١٥ ومستدرك الحاكم: ٢٢٢/٢.

وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ. فَقَالُوا اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا.. الحديث[1].

والذين أرسلهم إلى اليمن للدعوة والتعليم والتفقيه كانوا كلهم قراء علماء فقهاء مثل علي وخالد وأبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري وغيرهم، والأشخاص الذين أرسلهم إلى الملوك ورؤساء القبائل كلهم كانوا علماء فقهاء خبراء .

كل هذه الوسائل والأساليب كانت معمولا بها في العهد الراشدي ومتداول القيام بها في جميع الأمصار المفتوحة يمارسها علماء الصحابة والتابعين ويتعلم ويتفقه بها من سواهم.

- **ما استجد من الوسائل التعليمية في العهد الراشدي**

أما في العهد الراشدي فقد توسعت الفتوحات وتنقل الصحابة في البلدان المفتوحة وهم يحملون سنة رسول الله القولية والفعلية وقد توزع الفقهاء والمكثرون في الحديث على الأمصار بمكة والكوفة والبصرة وبلدان الشام ومصر وغيرها واستقروا بها للتعليم والتفقيه لتلك الأمصار، وكانت وسائل التعليم هي التي كانت في عهد النبوة، واقتضى التوسع وكثرة الدارسين تطوير وسائل عهد النبوة وإضافة

(١) صحيح مسلم: ٤٥/٦.

الجديد إليها لتلقي العلم والفقه في مختلف المجالات والميادين الدعوية في هذا العهد، لوجود المقتضي لذلك نذكر في هذا المطلب على سبيل المثال:

١ - وسيلة الرحلة وتوسيع دائرة التعليم والتعلم عبرها:

ففي العهد الراشدي نلحظ انقطاع أخبار إرسال البعثات التعليمية التفقيهية في خلافة الصديق -رضي الله عنه- ، وربما يرجع ذلك إلى أحداث حركة الردة الخطيرة حيث لم تعد البوادي آمنة. لكنها نشطت هذه البعثات بعد إعادة توحِيد الجزيرة والتوسع في الفتوح في خلافة عمر -رضي الله عنه-.

حيث بعث عمر -رضي الله عنه- رجلاً يقال له أبو سفيان يستقرئ أهل البوادي القرآن فمن لم يقرأ ضربه بالسوط[1] .

وقد اعتبر عمر -رضي الله عنه- التعليم من المسؤوليات المنوطة بالولاة في الأمصار فقد ورد في إحدى خطبه: « اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار، فإني بعثتهم يعلمون الناس دينهم وسنة نبيهم»[2]، وقد أكد هذا المعنى في مناسبة أخرى[3].

وكان عمال عمر -رضي الله عنه- على الأمصار يدركون هذه المسؤولية، فقد صرح بها أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه- حين قدم البصرة واليا فقال: « بعثني إليكم عمر بن الخطاب أعلمكم كتاب ربكم وسنة نبيكم »[1].

---

(١) ابن حجر: الاصابة ١: ١٥١.

(٢) أحمد: المسند ١: ٤٨، وابن سعد: الطبقات ٣: ١، ١٤٩.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٣: ٢٨١.

(١) الدارمي: سنن ١: ١٣٥.

ولم يكتف الخليفة عمر -رضي الله عنه- بجهود ولاة الأمصار في نشر التعليم، بل دعمها بالعلماء الذين كان يرسلهم مرتحلين من المدينة، محملين بوصاياه.. فقد بعث عشرة من الصحابة رضي الله عنهم وكان فيهم عبد الله بن مغفل المزني ليفقهوا الناس بالبصرة[١].

كذلك بعث عمران بن حصين الخزاعي -رضي الله عنه- إلى البصرة ليفقه أهلها وكان من فقهاء الصحابة[٢].

ويروي قرظة بن كعب أنه لما أراد الذهاب مع عدد من أصحابه إلى الكوفة شيعهم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وقال: « إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جردوا القرآن، وأقلوا الرواية عن رسول الله»[٣]، وقد سير عمر عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما إلى الكوفة ليعلم أهلها أمور دينهم[١]، وكان نصيب الكوفة من الصحابة كبيراً إذ هبط فيها ثلاثمائة من أصحاب الحديبية وسبعون من أهل بدر[٢].

وبوب البخاري في صحيحه باب الرحلة في طلب العلم وذكر أن جابر بن عبد الله رحل الى عبد الله بن أنيس مسيرة شهر في حديث واحد. وعن ابن عباس في

(١) ابن حجر: الإصابة ٤: ٢٤٣.
(٢) ابن حجر: الإصابة ٤: ٧٠٥، ٧٠٦.
(٣) ابن سعد: الطبقات ٦: ٧.
(١) ابن حجر: الإصابة ٤: ٢٣٥.
(٢) ابن سعد: الطبقات ٦: ٩

قوله تعالى السائحون هم طلبة العلم وقال ابن مسعود لو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني لرحلت اليه»[1].

٢ – الانتشار في الآفاق وظهور المدارس الفقهية ومؤسسيها من الصحابة:

لقوة اهتمام الخلفاء الراشدين بتفقيه الأمة وحرصهم على ذلك، فقد وكلوا أمر التفقيه إلى الأمراء في الأمصار، مع قيامهم به في دار الخلافة مع من بقوا من الصحابة فيها، وقد تفرق الصحابة في الأمصار لاشتراكهم في الفتح الإسلامي ولإرسال المعلمين والمفقهين من قبل الخليفة عمر إليها لتعليم المسلمين وتفقيههم وقد استقر بعض الصحابة المرسلين بها. ومثل هؤلاء الصحابة مرجعيات للمدارس العلمية الحديثية والفقهية واللغوية بحسب تخصصهم للعهود التي تلي هذا العهد.

حيث حمل الصحابة -رضي الله عنهم- لواء العلم بعد الرسول ﷺ في هذه البلدان، كل واحدٍ منهم في مجاله وفي تخصصه الذي تفوق فيه، فنبغ عبد الله بن عمر في الفقه، وكان زيد بن ثابت أعلم الصحابة بالمواريث، وكان معاذ أفقه بالأحكام الشرعية، وكان علي أعلم بالفقه والقضاء، وأسس كل منهم ما يسمى بالمدرسة الفقهية في مصره الذي هو فيه:

أ – في مدرسة المدينة: اشتهر عدد من الصحابة المقيمين بها بالإفتاء مثل أبي بكر وعمر وعثمان بن عفان وعلي وزيد بن ثابت، ومن النساء عائشة وأم سلمة، وأخذ عن هؤلاء الصحابة عدد من التابعين عُرفوا في المدينة بالفقهاء السبعة، وهم:

---

(١) التراتيب الإدارية: ٢/٣٣٤.

عروة بن الزبير (ت ٩٤ هـ) الذي أخذ الفقه عن خالته عائشة زوج النبي -ﷺ-، وسعيد بن المسيِّب (ت ٩٤ هـ) وكان زوج ابنة أبي هريرة، وكان يحفظ فتاوى عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان -رضي الله عنهما-، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (ت ٩٨هـ) وكان ثقة فقيهًا، كثير الحديث والعلم، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث (ت ٩٤ هـ) وكان فقيهًا كثير العبادة، وسليمان بن يسار (ت ١٠٧ هـ). وكان خادم ميمونة بنت الحارث زوج النبي -ﷺ-، والقاسم بن محمد بن أبي بكر (ت ١٠٨ هـ) وكانت عمته السيدة عائشة، وكان من الفقهاء الكبار الصالحين الأتقياء، وخارجة بن زيد بن ثابت، وهو ابن الصحابي الجليل زيد بن ثابت الذي جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق-رضي الله عنه-.

ب - وفي مكة كان زعيم مدرسة الفقه والفتوى الصحابي الجليل عبد الله بن عباس، الذي دعا له الرسول -ﷺ- بأن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل، ومن تلاميذ هذه المدرسة مجاهد وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء وطاووس وغيرهم.

ج - وفي الكوفة برز من الصحابة عبد الله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وعمار بن ياسر وغيرهم -رضي الله عنهم-، ومن تلاميذ هؤلاء الصحابة:

علقمة بن قيس النخعي (ت ٦٢ هـ)، والأسود بن يزيد النخعي (ت ٧٥ هـ)، وشريح بن الحارث القاضي (ت ٨٢ هـ).

د - وفي البصرة، عاش الصحابي أنس بن مالك مدة من الزمن، وتتلمذ فيها على يده عدد من التابعين مثل الحسن البصري ومحمد بن سيرين مولى أنس بن مالك وغيرهما.

وفي الشام، كان أبو إدريس الخولاني (ت٨٠ هـ)، ومن تلاميذه عمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة وغيرهما.

ه - وأما مصر، فتمتعت بوجود صحابيين جليلين هما عمرو بن العاص، وعقبة بن عامر، وعلى أيديهما تخرج يزيد بن حبيب (ت ١٢٨ هـ)، وهو أول من تكلم عن الحلال والحرام في مصر بصورة علمية، كذلك ظهر في مصر الفقيه الجليل الليث بن سعد، الذي قيل عنه: كان الليث أفقه من مالك لولا أن أصحابه ضيعوه. يعنى لم يحفظوا فقهه وينشروه كما فعل تلاميذ الأئمة الآخرين[١].

٣ - ضوابط وآداب التعلم واحترام مجالسه في العمل الدعوي:

١- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[١]، قال سيد قطب: قال قتادة: نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضنوا بمجالسهم عند رسول الله -ﷺ- فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض[٢]،

---

(١) الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل:١/١٩٦.

(١) سورة المجادلة: الآية (١١).

(٢) الحديث مقطوع- روته كتب التفسير من كلام مقاتل بن حيان. انظر: ((أسباب النزول)) للواحدي (ص٤٧٥) ، ((لباب النقول)) (ص٢٠٧) كما في تخريج أحاديث وآثار في ظلال القرآن: ١/ ٤٣٧.

وذكر حديثا عن عمر بن الخطاب ثم قال: ونزلت هذه الآية يوم الجمعة. وإذا صحت هذه الرواية فإنها لا تتنافى مع الأحاديث الأخرى التي تنهى عن أن يقيم الرجل الرجل من مكانه ليجلس فيه . كما جاء في الصحيحين: « لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا »، وما ورد كذلك من ضرورة استقرار القادم حيث انتهى به المجلس . فلا يتخطى رقاب الناس ليأخذ مكاناً في الصدر! فالآية تحض على الإفساح للقادم ليجلس، كما تحض على إطاعة الأمر إذا قيل لجالس أن يرفع فيرفع . وهذا الأمر يجيء من القائد المسئول عن تنظيم الجماعة[1] .

١ – أن تكون النية خالصة لله مقصودا بها رضى الله تعالى والدار الآخرة وإزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال وإحياء الدين وإبقاء الإسلام فإن بقاء الإسلام بالعلم ولا يصح الزهد والتقوى مع الجهل.

٢- دوام مراقبة الله تعالى في السر والعلن والمحافظة على خوفه في جميع حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله والنصح في إعطاء العلم لمن يستحقه، والاستيثاق مما يعلمه الناس ويبلغه، فإنه أمين على ما أودع من العلوم وما منح من الحواس والفهوم، قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[1]، عن ابن عباس -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «تناصحوا في

(١) في ظلال القرآن:٧/١٥٠-١٥٢.

(١) سورة الأنفال: الآية (٢٧).

العلم فإن خيانة أحدكم في علمه أشد من خيانته في ماله، وإن الله سائلكم يوم القيامة»[1].

٣- التحلي حين إلقاء العلم ومخاطبة المستهدفين به بالتواضع والسكينة والوقار، والحلم قال الخليفة الراشد عمر -رضي الله عنه-: تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والوقار. وقال الشافعي: ليس العلم ما حُفِظَ، العلم ما نَفَعَ. ومن ذلك دوام السكينة، والوقار والخشوع والتواضع لله والخضوع.

٥- أن يتخلق بالزهد في الدنيا وعدم التعلق بها والانشغال بها عن أداء دوره الدعوي التعليمي منها وانشغال الداعية العالم بها في ما يرضي الله ولا يؤثر على نقص في الطاعة أو تقصير في الواجب وعلى الوجه المعتدل من القناعة لا يُعَدُّ من الدنيا ولا يتعارض مع الزهد فيه. قال يحيى بن معاذ: لو كانت الدنيا تِبْرًا يفنى والآخرة خَزَفًا يبقى لكان ينبغي للعاقل إيثار الخزف الباقي على التبر الفاني فكيف والدنيا خزفٌ فان والآخرة تِبْرٌ باقٍ.

٦- أن ينزه علمه عن جعله سلمًا يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية من جاه أو مال أو سمعة أو شهرة أو خدمة أو تقدم على أقرانه. قال الإمام الشافعي -رضي الله عنه-: وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم على أن لا ينسب إليَّ حرف منه.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو سعد البقال قال أبو زرعة: لين الحديث مدلس، قيل: هو صدوق؟ قال: نعم، كان لا يكذب. وقال أبو هشام الرفاعي: حدثنا أبو أسامة قال: حدثنا أبو سعد البقال وكان ثقة. وضعفه شعبة لتدليسه والبخاري ويحيى بن معين وبقية رجاله موثقون.

٧- أن يحقق في نفسه القدوة في كل شيء ما استطاع ليكون أسوة لمن يتوجه إليهم بالتعليم لأن العالم الداعية هو الوارث لرسول الله -ﷺ- والله خاطب الأمة عن نبيه فقال: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾.

٨- أن لا يستنكف أن يستفيد ما لا يعلمه ممن هو دونه في ما يظن، بل يكون حريصًا على الفائدة حيث كانت والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها.

وقد صح قراءة رسول الله -ﷺ- على أبيّ، وقال: أمرني الله أن أقرأ عليك ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[١]، وقالوا: من فوائده أن لا يمتنع الفاضل من الأخذ عن المفضول.

٩- أن يحسن الاختيار للمادة التعليمية التي يريد إبلاغها للمستهدفين المطلوب إيصالها إليهم بحيث تكون مناسبة لعقولهم وفهمهم وحاجتهم إليها مراعيا الظرف والوقت والحال المناسب لهم. فأنه أجدر أن يسرع إلى تفهمه والقيام به، عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: «حَدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحِبُّونَ أن يُكذَّبَ الله ورسولهُ ؟»[١]، وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: «ما أنت بمُحَدِّث قوماً حديثاً لا تَبلُغُه عقُولهم إلا كان لبعضهم فِتْنة»[٢].

---

(١) سورة البينة: الآية (١).

(١) أخرجه البخاري: ١ / ١٩٩ ، في العلم ، باب من خص قوماً دون قوم في العلم ، ذكره البخاري تعليقاً في أول الباب ثم عقبه بالإسناد .

(٢) رواه مسلم ١ / ١١ في المقدمة ، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

١٠- تجنب أوقات وأزمنة الملل وعدم الرغبة في الاستفادة العلمية: لقد أدرك عبد الله بن مسعود أثر الأحوال النفسية والجسمية في عملية تلقي العلم، وأوصى بمراعاة ذلك فقال: «إن للقلوب شهوة وإقبالا، وإن للقلوب فترة و إدباراً، فاغتنموها عند شهوتها، ودعوها عند فترتها و إدبارها » (١)، وقال: « حدّث القوم ما أقبلت عليك قلوبهم، فإذا انصرفت قلوبهم فلا تحدثهم، قيل له: ما علامة ذلك؟ قال: إذا حدقوك بأبصارهم. فإذا تثاءبوا واتكأ بعضهم على بعض فقد انصرفت قلوبهم فلا تحدثهم »(٢).

١١- الرفق بمن قصدوا بالتعليم واستهدفوا به والصبر على ما يصدر عنهم وحسن التعامل معهم مع اللين لهم في القول. وفي حديث:أَبِى أُمَامَةَ -رضي الله عنه- السابق ما يؤكد ذلك.

١٢- سلوك سبيل التيسير والتسهيل وعدم التعقيد والتكريه لأخذ العلم والإقبال عليه: عن طَاوُسٍ يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عَلِّمُوا وَيَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا وبشروا ولا تنفروا...» .

١٣- إظهار البشاشة والسرور والتبسم في وجوه من حضروا لأخذ العلم: عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لا يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ إِلاَّ تَبَسَّمَ.

١٤- تنظيم مجالس العلم وحلقه وأماكن إلقائه وإشاعة أدب حضورها من ذلك:

(١) الخطيب: الجامع ١: ٣٣١.

(٢) المصدر نفسه ١: ٣٣٠.

أ- فقد نهى الرسول -ﷺ- عن الجلوس وسط الحلقة[1].

ب- وأن لا يجلس المتعلم بين رجلين إلا بإذنهما[2] .

ج- ويسمح للرجل بالجلوس في المكان اذا فسح له فيه فقال: « إذا أخذ القوم مجالسهم، فإن دعا رجل أخاه، فأوسع له في مجلسه فليأته، فإنما هي كرامة أكرمه فليجلس فيه»[3].

د. وأمر بحفظ حق الرجل في مجلسه فقال: « إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه، فهو أحق به »[4].

ه- ومن السنة احترام مجلس العلم وعدم رفع الصوت أو اللغط فيه والتزام السكينة.قال أسامة بن شريك: «أتيت النبي -ﷺ-وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير»[1].

وقد وصف أبو اسحق السبيعي تنظيم الحلقة العلمية في مجلس الصحابي البراء بن عازب فقال: « كنا نجلس عند البراء بعضنا خلف بعض »[2].

وقد رسم الرسول، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، تفاصيل آداب التعليم والتعلّم، من توقير وإجلال للمعلّم، وعطف على المتعلّم، وتشجيع

(١) الخطيب: الجامع لأخلاق الراوي و آداب السامع ١: ١٨٨.

(٢) أخرجه أبو داود: السنن ٤: ٢٥٨، و الترمذي: الجامع حديث رقم ٢٧٥٣ وقال: هذا حديث

(٣) أخرجه أبو داود: السنن حديث رقم ٤٨٤٤، و الخطيب: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١: ١٧٨..

(٤) أورده الهيثمي: مجمع الزوائد ٨: ٥٩ وقال: "رواه الطبراني وإسناده حسن" ، و أخرجه الخطيب: الجامع ١: ١٧٨. خرجه أبو داود: السنن حديث رقم ٤٨٥٣.

(١) أخرجه أبو داود: السنن حديث رقم ٣٨٥٥، و الخطيب: الجامع ١: ١٩٢.

(٢) الخطيب: الجامع ١: ١٧٤. وهو نص يشير أيضا إلى سعة الحلقة.

للمصيب، ورفق بالمخطئ، وتكرار للشرح، وضرب للأمثال، واستعمال لوسائل الإيضاح، وأسلوب الحوار. وفي هذا كله حديث يطول[1]، وقد أوصى رسول الله-ﷺ- بالترحيب بالمتعلم والبشاشة له، وإكرامه . ولذلك كان العلماء من التابعين يرحبون بمن يقصدهم للعلم قائلين: مرحبًا بوصية رسول الله، -ﷺ-!.

٤- فوائد وثمار العلم وتعلمه وتعليمه في العمل الدعوي

للعلم وتعليمه وتعلمه فوائد وثمار كثيرة نذكر بعضها:

(١) به يعرف اللهّ ويعبد ويوحّد.

(٢) هو أساس صحّة الاعتقادات والعبادات.

(٣) طلب العلم عبادة.

(٤) هو طريق الوصول إلى الجنّة.

(٥) يكسب صاحبه الخشية للهّ.

(٦) يكسب صاحبه التّواضع للخلق.

(٧) ينتفع به صاحبه وينتفع به غيره ممّن علّمه

(٨) يبقى أجره بعد انقطاع أجل صاحبه.

(٩) يورث صاحبه أعلى المراتب بعد الأنبياء.

(١٠) يرفع الوضيع ويعزّ الذّليل ويجبر الكسير.

---

(١) (انظر، يوسف القرضاوي ، ١٩٨٥)

(١١) هو دليل حبّ الخير للاخرين لحرص صاحبه على إخراج النّاس من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

(١٢) به توصل الأرحام وتؤدّى الحقوق[١].

فائدة: طلب العلم أفضل من قيام الليل؛ لأن طلب العلم كما قال الإمام أحمد لا يعدله شيء لمن صحت نيته، بأن ينوي به رفع الجهل عن نفسه وعن غيره، فإذا كان الإنسان يسهر في أول الليل لطلب العلم ابتغاء وجه الله سواءً كان يدرسه أو كان يدرسه ويعلمه الناس فإنه خير من قيام الليل، وإن أمكنه أن يجمع بين الأمرين فهو أولى(ابن عثيمين رحمه الله تعالى).

(١) نضرة النعيم: ٢٩٨٢/٧.



المبحث الثالث:

وسائل وأساليب وأنشطة الأعمال المجتمعية في العمل الدعوي وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: وسيلة الإنفاق في العمل الدعوي وأساليبه وأنشطته.

المطلب الثاني: وسيلة التعاون في العمل الدعوي وأساليبه وأنشطته.

المطلب الثالث: وسيلة العمل الخيري في العمل الدعوي وأساليبه وأنشطته.

المطلب الرابع: وسيلة السفر والارتحال في العمل الدعوي وأساليبه وأنشطته.

المطلب الأول:

وسيلة إنفاق المال في العمل الدعوي وأساليبه وأنشطته

١- مفهوم إنفاق المال في العمل الدعوي

أ- إنفاق المال لغة:

الإنفاق مصدر أنفق، ومادة (نفق) النون والفاء والقاف، أصلانِ صحيحان، يدوران حول معنيين: يدلُّ أحدُهما على انقطاعِ شيءٍ وذَهابه، والآخر على إخفاءِ شيءٍ وإغماضِه، ومَتَى حُصِّل الكلامُ فيهما تقارَبا. وصفة الإنفاق إنّما هي من المعنى الأوّل.

و(النفقة) اسم من الإنفاق وما ينفق من الدراهم ونحوها والزاد (ج) نفقات ونفاق. ورجل مِنْفاقٌ أي كثير النَّفَقة.

(والإنفاق) مرادف للإعطاء مع وجود فرق بينهما: أن الانفاق هو إخراج المال من الملك، والاعطاء لا يقتضي إخراج المعطى من الملك[1].

ب- إنفاق المال في الاصطلاح:

هو بَذْلُ المالِ ونحوه في وجهٍ من وجوه الخير.. وقيل إخراج المال الطّيّب في الطّاعات والمباحات[2].

---

(١) مقاييس اللغة:٤٥٥/٥ و اللسان:٣٥٧/١٠ والعامي والفصيح: ١٢/٢٤ والفروق اللغوية:٨٢/١

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٢/ ٥١٤).

ج- الإنفاق في العمل الدعوي:

هو الإنفاق في سبيل الله: والمقصود به الإنفاق في كل طاعة ومأمور به شرعا سواء كان واجبا أو مندوبا أو مباحا، وعلى كل ما يتطلبه المجتمع من مصالح ضرورية: كالدفاع عن البلاد، وتزويد الجيش العامل بالمؤن والسلاح، وبناء المؤسسات الخيرية العامة التي لا غنى لأي بلد متحضر عنها وغير ذلك. ويؤيد هذا الشمول لمعنى الإنفاق في العمل الدعوي معاني الإنفاق في القرآن، إذ وردت النّفقة في القرآن على وجوه منها:

(١) بمعنى فرض الزّكاة: ﴿**وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾[١]،أي: يزكّون ويتصدّقون.

(٢) بمعنى التّطوّع بالصّدقات: ﴿ **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ** ﴾[٢]، أي يتطوّعون بالصّدقة وشبهها: ﴿ **وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً** ﴾[٣].

(٣) بمعنى الإنفاق في الجهاد: ﴿ **وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾[٤].

(٤) بمعنى الإنفاق على العيال والأهل: ﴿**وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ**﴾[٥]، وكذلك: ﴿**لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ**﴾[١].

---

(١) سورة البقرة: الآية (٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٣٤).

(٣) سورة الرعد: الآية (٢٢).

(٤) سورة البقرة: الآية (١٩٥).

(٥) سورة الطلاق: الآية (٦).

(١) سورة الطلاق: الآية (٧).

(٥) بمعنى الفقر والإملاق. كقوله تعالى:﴿**إذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفاقِ**﴾[١])[٢]، ومن الإنفاق القرض الحسن: قال ابن القيّم- رحمه اللهّ تعالى- في معنى قول اللهّ تعالى:﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون**﴾[٣]، والمعنى: هل أحد يبذل هذا القرض الحسن، فيجازى عليه أضعافا مضاعفة؟.

والإنفاق في الإسلام أخذ وجهتين هما:

الوجهة الأولى: الإنفاق الاستهلاكي، وهو إنفاق الفرد على نفسه وعلى أهله لإشباع الحاجات وفق الشريعة . قال تعالى :﴿ **لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً**﴾ [٤].

الوجهة الثانية: الإنفاق في سبيل الله، قال تعالى: ﴿ **وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [٥].

والإنفاق في سبيل الله منه ما هو واجب، كما تدلُّ عليه آيات الأمر أو الإنكار أو الوعيد، ومنه ما هو مستحب ... ويدخل في أعظم القربات إلى الله تعالى»، قال

---

(١) سورة الإسراء: الآية (١٠٠).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٥/ ١٠٤- ١٠٧) باختصار.

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٤٥).

(٤) سورة الطلاق: الآية (٧).

(٥) سورة البقرة: الآية (١٩٥).

تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ ﴾[1].

هذه الآيات توضح أنَّ المسلم يقسِّم دخله الذي يحصل عليه سواء على النحو الآتي:

الأول: هو الإنفاق على نفسه وعلى من يعوله، سواء كانوا هم: والديه، أو أولاده، أو إخوانه، أو مَنْ في كفالته. وهذا هو الاستهلاك.

الثاني: وهو الإنفاق في سبيل الله، وهذا باب عريض يسع الاستهلاك والاستثمار في الدنيا والآخرة.

الثالث: وهو الادخار، ومباح للمسلم أنْ يدخر قوت عامه. وكل ذلك يشمله مفهوم العمل الدعوي.

٢- عرض مفهوم وسيلة وأسلوب وأنشطة الإنفاق في العمل الدعوي (التأصيل):

إنفاق المال في سبيل الله وفي جميع أوجه العمل الدعوي لتحقيق أهدافه عده القرآن من أولويات الوسائل التي يقتضيها العمل الدعوي، لذلك أمر به، ورغب فيه، وحث عليه، وبين جزاء المنفقين في هذا السبيل، وجعله بابا مفتوحا في جميع أوجه الخير، كما أنه عرض لنا إنفاق الرسل وأتباعهم في هذا المجال الممثل في إيتاء

(١) سورة ابراهيم: الآية (٣١).

الزكاة، لذلك نعرض أيات قرآنية وبيان نبوي مؤصلين ما نحن بصدده من أن الإنفاق من وسائل العمل الدعوي.

وفي من قبلنا كثيرا ما يذكر عنهم إيتاء الزكاة باعتبار أنها الفريضة المالية للإنفاق الذي كانوا يخرجونه ولم يذكر لفظ الإنفاق في حقهم إلا في آية واحدة سنذكرها في هذا العرض.

- **ذرية إبراهيم عليه السلام ممن أوحي إليهم فعل الخيرات وإيتاء الزكاة:**

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [(١)].

- **إسماعيل عليه السلام كان يأمر أهله بالزكاة:**

قال تعال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَّبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾[(٢)].

- **أمر بني إسرائيل بأخراج الزكاة:**

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[(٣)].

ورحمة الله لهم مكفولة بالتقوى وإيتاء الزكاة: قال تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٧٣).

(٢) سورة مريم: الآيتان (٥٤-٥٥).

(٣) سورة البقرة: الآية (٤٣).

يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

- **وصية الله لعيسى عليه السلام بأيتاء الزكاة مادام حيا:**

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[2].

الإنفاق في سبيل الله وفي وجوه أنواع العمل الدعوي مما أمرت به أمة محمد صلى الله عليه وسلم:

من خلال استعراض الآيات القرآنية تلحظ أن الإنفاق في سبيل الله في مختلف وجوه الخير وفي مقدمتها الجهاد والعمل لد ينه والتر كيز القرآني في ذلك على هذه الأمة المحمدية يوحي أن إنفاق المال في ذلك مما يجب الاهتمام به من قبل هذه الأمة للتمكين للدين، بل من أولى واجباتها لإعلاء كلمته وأنه وسيلة هامة يتحقق بها كثير من أهداف هذا الدين وهذا ما ستلحظه في هذا العرض:

١- قال تعالى: ﴿قُلْ لِعِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ﴾[3]، قال ابن كثير: يقول تعالى آمرًا العباد بطاعته والقيام بحقه، والإحسان إلى خلقه، بأن يقيموا الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وأن ينفقوا مما رزقهم الله بأداء الزكوات،

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٥٦).

(٢) سورة مريم: الآية (٣١).

(٣) سورة ابراهيم: الآية (٣١).

والنفقة على القرابات والإحسان إلى الأجانب[١].

٢- وقال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[٢]، وقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[٣]، في هذه الآيات أمر بالإنفاق في سبيل الله ولإعلاء كلمته بالدعوة إليه.

- **الإنفاق في سبيل الله صفة المتقين المؤمنين من هذه الأمة:**

١- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[٤]، قال ابن كثير: والإنفاق مما رزقهم الله يشمل خراج الزكاة، وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحب، والخلق كلهم عيال الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لخلقه.

٢- وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٥].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤/٥١٠.

(٢) سورة الحديدة: الآية (٧).

(٣) سورة الحديدة: الآية (١٠-١١).

(٤) سورة الأنفال: الآيتان (٢-٣).

(٥) سورة الحشر: الآية (٩).

- **من صفات الصابرين المتذكرين الإنفاق سرا وعلانية:**

قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾(١)، يقول الطبري: وتصدقوا بما أعطيناهم من الأموال سرًّا في خفاء وعلانية جهارًا، وإنما معنى ذلك أنهم يؤدون الزكاة المفروضة، ويتطوعون أيضًا بالصدقة منه بعد أداء الفرض الواجب عليهم فيه(٢).

- **من صفات المخبتين الإنفاق سرا وعلانية:**

قال تعالى: ﴿ **فَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلى ما أَصابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾(٣)، قال الطبري: (وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ) من الأموال(يُنْفِقُونَ) في الواجب عليهم إنفاقها فيه، في زكاه ونفقة عيال ومن وجبت عليه نفقته وفي سبيل الله(٤).

- **جزاء المنفقين سرا وعلانية:**

١- قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ** ﴾(١).

---

(١) سورة الرعد: الآية (٢٢).

(٢) تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٠.

(٣) سورة الحج: الآيتان (٣٤-٣٥).

(٤) تفسير الطبري: ٦٢٩/١٨.

(١) سورة فاطر: الآيتان (٢٩-٣٠).

• **الإنفاق يكون بما يزيد عن حاجة الإنسان:**

قال تعالى: ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ ماذا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] .

• **الإنفاق لا يكون إلا بالطيب الحلال:**

قال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[2].

• **عموم الإنفاق في وجوه الخير المختلفة وميادين الجهاد المتنوعة:**

قال تعالى: ﴿ وَما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ (٢٧٠) إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوها وَتُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئاتِكُمْ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١) لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ وَلكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَما تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ (٢٧٢) لِلْفُقَراءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً وَما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢١٩).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٦٧).

(١) سورة البقرة: الآيات (٢٧٠-٢٧٤).

- **من البر الإنفاق مما تحب:**

قال تعالى: ﴿لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[1].

***لا يقبل من النفقة إلا ما كانت خالصة لله:** قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرابِ مَنْ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوائِرَ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرُباتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَواتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّها قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ التوبة﴾[2].

- **الاعتدال في الإنفاق وعدم الإسراف والقتير صفة عباد الرحمن:**

وقال تعالى: ﴿وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِياماً ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً ﴿٦٥﴾ إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً﴾[1].

- **الإنفاق موعود صاحبه بالخلف:**

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمـــا

(١) سورة آل عمران: الآية (٩٢).

(٢) سورة التوبة: الآيتان (٩٨-٩٩).

(١) سورة الفرقان: الآيات (٦٣-٦٧).

أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾[1].

• **الأمر بالإنفاق في سبيل الله (الجهاد بجميع أنواعه):**

قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

• **الإنفاق في الجهاد مضاعف الأجر إذا لم يتبعه المن والأذى:**

١- قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا وَلا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أَذىً وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذى كَالَّذِي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ (٢٦٤) وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصابَها وابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَها ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]، عن ابن عمر قال: لما نزلت: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع

(١) سورة سبأ: الآية (٣٩).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٩٥).

(١) سورة البقرة: الآيات (٢٦١-٢٦٥).

عليم﴾ قال رسول الله -ﷺ-: (رب زد أمتي) فنزلت: **﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة﴾** قال رسول الله -ﷺ-: (رب زد أمتي) فنزلت: **﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾**)[1].

٢- وقال تعالى: **﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ (٥٩) وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾**[2].

- **ذم البخل وعدم الإنفاق في سبيل الله والوعيد في ذلك:**

١- قال تعالى: **﴿ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّما يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَراءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ ﴾**[3].

٢- قال تعالى: **﴿وَما لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقاتَلَ أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**[1].

ومما جاء في بيان السنة في وسيلة الإنفاق في سبيل الله بوجه عام:

١ – عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: من أنفق زوجين في شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير وللجنة

(١) صحيح ابن حبان: ١٠/٥٠٥. ٤٦٤٨.

(٢) سورة الأنفال: الآيتان (٥٩-٦٠).

(٣) سورة محمد: الآية (٣٨).

(١) سورة الحديد: الآية (١٠).

أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام باب الريان قال أبو بكر ما على من يدعى من تلك الأبواب من ضرورة وقال يا رسول الله هل يدعى منها كلها أحد فقال نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر»[١].

٢ – عن غضيف بن الحارث قال سمعت أبا عبيدة -رضي الله عنه- يقول سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: من أنفق نفقة في سبيل الله فاضلة فسبعمائة ومن أنفق على نفسه أو قال على أهله أو عاد مريضا أوأماط أذى فالحسنة بعشر أمثالها والصوم جنة ما لم يخرقها ومن ابتلاه الله ببلاء في جسده فله حطة»[٢].

٣ – عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ-رضي الله عنه- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: « مَنْ أَظَلَّ رَأْسَ غَازٍ، أَظَلَّهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ جَهَّزَ غَازِيًا حَتَّى يَسْتَقِلَّ، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ حَتَّى يَمُوتَ – قَالَ: يُونُسُ: أَوْ يَرْجِعَ – وَمَنْ بَنَى للهِ مَسْجِدًا يُذْكَرُ فِيهِ اسْمُ الله تَعَالَى، بَنَى اللهُ لَهُ بِهِ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ »[١] .

٤ – عن ثوبان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله . ودينار على فرس في سبيل الله . ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل الله »[٢] .

(١) رواه البخاري: ٣٢/٣ ومسلم:٢٤١٨/٩١/٣.

(٢) مسند أحمد:٢٢٠/٢ رقم.١٦٩٠..

(١) مسند أحمد:٢٧٧/٢رقم:١٢٦.

(٢) قال الشيخ الألباني : صحيح ابن ماجة قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

هذا هو العرض القرآني وبيان السنة لوسيلة الإنفاق في العمل الدعوي في سبيل الله وإعلاء كلمته وما اشتمل عليه من أساليب ونشاط وفي بيان السنة الكثير يرجع إليه في مصادرها.

٣- ضوابط وآداب الإنفاق في العمل الدعوي:

للإنفاق في سبيل الله والعمل الدعوي ضوابط وآداب ينبغي مراعاته عند بذل المال وإعطائه وهي كثيرة أهمها:

أولاً: لا منٌّ ولا أذى في ما تقدمه في هذا السبيل وإنما الانشراح وانبساط الوجه والكلمة الحسنة والتواضع هو المطلوب في هذا الوجه: قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴿٢٦٤﴾ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً** ﴾[1] .

ثانياً: لا رياء ولا سمعة إن أظهرت الصدقة، وإنما تظهرها للقدوة الحسنة والسنة الحسنة، وإن أخفيتها، فالأصل هو الإخفاء، قال الله تعالى: ﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ [1].

ثالثاً: أن تكون خالصة لوجه الله عز وجل، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ**﴾[2]، وفي الصحيح في أول من يقضى عليه من الناس يوم

---

(١) سورة البقرة: الآيتان (٢٦٤-٢٦٥).

(١) سورة البقرة: الآية (٢٧١).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٧٢).

القيامة، ومنهم: (رجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار) .

رابعاً: أن يكون المال طيبا حلالا: ﴿ **فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً** ﴾ كما قال النبي ﷺ، وقال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾[1].

خامسا: أن يكون المال المخرج من المال الذي هو أحب إليك قال تعالى: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[2].

سادساً: لا تعد ما أخرجته – من مال في هذا السبيل - مغرماً، بل هو مغنمٌ لك، قال الله تعالى: ﴿ **وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَماً** ﴾[1]، قال ابن قتيبة: أي غُرماً وخسارة.

سابعا: أن يخرج المال طيبةً به نفسه، ليس كارهاً له، ولهذا وصف الله تعالى المنافقين، فقال: ﴿ **وَلا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ** ﴾[2]، وأثنى على المؤمنين أنهم إن

(١) سورة البقرة: الآية (٢٦٧).

(٢) سورة آل عمران: الآية (٩٢).

(١) سورة التوبة: الآية (٩٨).

(٢) سورة التوبة: الآية (٥٤).

وجدوا مالاً تصدقوا، وإن لم يجدوا ﴿**تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون**﴾.

ثامنا: أن تعطي المال في وقت صحتك وعافيتك وشبابك وحاجتك وخوفك من الفقر، كما قال عليه الصلاة والسلام: « أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تخاف الفقر وترجو الغنى». وهذا المعنى موجود في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿**وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[1].

تاسعا: أن تتحرى في الإنفاق في سبيل الله (وجوه الخير) بما فيه مصلحة المجتمع قال تعالى: ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون**﴾[2].

عاشرا: تجنيب الإقراض (القرض الحسن) الفوائد الربوية، قال تعالى: ﴿**مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً**﴾[1].

الحادي عشر: عدم التبذير في الإنفاق وإنما الالتزام بالاقتصاد والوسطية، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا**﴾[2]، والاعتدال في النفقة صفة من صفات عباد الرحمن، حيث قال فيهم جل شأنه: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾[3].

---

(١) سورة المنافقون: الآية (١٠).

(٢) سورة البقرة: الآية (٣).

(١) سورة البقرة: الآية (٢٤٥).

(٢) سورة الإسراء: الآية (٢٩).

(٣) سورة الفرقان: الآية (٦٧).

الثاني عشر: التحرِّي والتدقيق في الإنفاق وفي ميادينه ومن يستحق ومراعاة الأولوية والأقربون أولى بالمعروف فتنفق على نفسك وزوجك وولدك ثم أدناك فأدناك كما دلت على ذلك الأحاديث الكثيرة الواردة في هذا المقام.

٤- فوائد وثمار الإنفاق في سبيل الله والعمل الدعوي:

للإنفاق في سبيل الله ووجوه الخير المختلفة والمتنوعة فوائد وثمار جلية وعظيمة يحصل عليها المنفق في الدنيا والآخرة وهي كثيرة من أهمها:

١- ثقل الميزان ورجحان كفة الحسنات.

٢- رفع الدرجات في الدنيا، فقد صح عن النبي -ﷺ- أنه قال: (اليد العليا خير من اليد السفلى)، فالمنفق خير من المنفَق عليه.

٣- مدعاة للغنى، وقد صح عن النبي -ﷺ- أنه قال: (يقول الله تعالى: يا ابن آدم! أنفق أُنفق عليك).

٤- يرد الله به البلاء، فإن الصدقة تصطرع مع البلاء في السماء، وترده عن أهل البيت؛ ولهذا رتب الله على ابن آدم ثلاثمائة وستين صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، مقابل ما فيه من المفاصل، كما قال النبي -ﷺ-: (كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس) .

٥- تضمن للإنسان الزيادة؛ فالصدقة لا تنقص المال كما قال النبي -ﷺ-: (ما نقصت صدقة من مال).

٦ - الإنفاق من كمال الإيمان وحسن الإسلام .

٧ – دليل حسن الظن بالله والثقة به .

٨ – أداء شكر نعمة الله - عز وجل - بالمال إذ إن المالك على الحقيقة هو الله - عز وجل -.

٩ – سبب نيل حب الله – عز وجل – وحب الخلق .

١٠ – تقوية العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأمة .

١١ – مواساة الفقراء والمحتاجين وسد حاجة المعوزين .

١٢ – الإسهام في حل مشكلة الفقر التي أعجزت العالم المعاصر.

١٣ – إشاعة التراحم والتّوادّ في المجتمع بدلاً من الشحناء والبغضاء .

١٤ – تزكية النفس وتطهيرها بإخراج الشح منها .

١٥ – الإنفاق سبب بركة المال ونمائه ووقاية للإنسان من المصائب والبلايا .

١٦ – الإنفاق طريق موصل إلى الجنة .

١٧ – الإنفاق يجعل لصاحبه مكانه اجتماعية مرموقة .

١٨ – الإنفاق يدعم الروابط الأسرية ويقوي الصلات بين أفراد المجتمع .

١٩ – الإنفاق يكفر فتنة الرجل في أهله وجاره .

٢٠ – المنفق يستظل بظل الله – عز وجل – يوم لا ظل إلا ظله.

٢١ – الإنفاق دليل الطبع السليم والأريحية الكريمة ومدعاة لنصرة الله عز وجل[١] .

---

(١) انظر نضرة النعيم ٣ / ٦٢٨.

المطلب الثاني

وسيلة التعاون وأساليبه وأنشطته

١- مفهوم التعاون في العمل الدعوي

أ- التعاون في اللغة:

مصدر تعاون وهو مأخوذ من «العون» الّذي يراد به المظاهرة على الشّيء، والعون الظهير على الأمر، والعرب تقول: إذا جاءت السنة: جاء معها أعوانها، واستعنته و استعنت به فأعانني إعانة . وتعاونوا واعتونوا: أعان بعضهم بعضا . وتعاونّا أعان بعضنا بعضا. والمعوان: الحسن المعونة للناس، أو كثيرها[1].

ومن مرادفات لفظة التعاون: الوزير، والأزر، والردء[1] .

ب- التعاون في الاصطلاح:

لا يختلف المعنى اللّغويّ للفظ التّعاون عن معناه الّذي تقرّر له في اصطلاح علماء الاجتماع، بل وفي عرف الشّرع، لذلك يعرف ابن حميد صفة التّعاون على البرّ والتّقوى بأنّها: أن يظاهر المسلم أخاه ويعينه في فعل الخيرات، وعلى طاعة اللهّ- عزّ وجلّ- وتجنّب معصيته. وعرفه الشيخ السعدي بقوله: الإتيان بكل خصلة من

---

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم:٣٣٤/١ ولسان العرب ج (٥) ص (٢٨٢ ، ٢٨٣) و تاج العروس: ٣٢٩/٣٥-٣٣١

(١) لسان العرب ٢٩٨/١٢.

خصال الخير المأمور بفعلها، والامتناع عن كل خصلة من خصال الشر المأمور بتركها[1].

ج- التعاون في العمل الدعوي:

سنة الله في عمارة هذه الحياة، وتحقيق الخلافة فيها قائم من أول يوم فيها على التعاون والمظاهرة والمؤازرة فيها، ولا يمكن أن يتحقق للبشرية في هذه الحياة شيء إلا بذلك، فالإنسان تتحقق له الحياة على وجهها، ويهنأ له العيش، ويتمكن من القيام بمهمة الاستخلاف وعمارة الأرض المناطة به إلا بالتعاون قال تعالى: ﴿**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا**﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ**﴾[2]، بل هو الواجب الشرعي في مختلف مجالات العمل الدعوي قال القرطبي رحمه الله: « فواجب على الناس التعاون، فالعالم يعين بعلمه، والغني بماله، والشجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة، فالمؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم »[3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٢٣٨/٢ .

(٢) سورة هود: الآية (٦١).

(١) سورة الزخرف: الآية (٣٢).

(٢) سورة الأنعام: الآية (١٦٥).

(٣) تفسير القرطبي ٤٧/٦ .

ودعوة الله وتبليغها ونشرها وإقناع الناس بها وتطبيقها في حياة الناس وواقعهم مما اقتضت سنته جل وعلا أن لا يتحقق ذلك إلا بتعاون تام بين حامليها، والملتزمين القيام بها. ولا تتحقق أهدافه إلا بتعاضد وتآزر من قبل العاملين في تحقيق ذلك. وفي العرض القرآني والبيان النبوي ستتجلى هذه الحقيقة.

٢ - عرض مفهوم وسيلة وأسلوب وأنشطة التعاون في العمل الدعوي (التأصيل):

الأصل في التعاون في المفهوم الدعوي الشامل قوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾[١]، فلفظة ﴿البر والتقوى﴾ توحيان بعموم مجال التعاون في كل عمل فيه خير شرعه الإسلام، إذ أن:﴿البر والتقوى﴾ كلمتان جامعتان تجمعان خصال الخير بالكلية، بل تفسر إحداهما الأخرى .

فالبر هو الكمال المطلوب من الشيء والمنافع التي فيه والخير الذي يتضمنه[١]، والتقوى في حقيقتها العمل بطاعة الله إيمانا واحتسابا، أمرا ونهيا . يقول طلق بن حبيب: إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى . قالوا: وما التقوى؟ قال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله .

(١) سورة المائدة: الآية (٢).

(١) بدائع التفسير ج (٢) ص (٩٣ ، ٩٤) بتصرف ..

ويكفي العامل الدعوي تفسيرا وتوضيحا هذه الآية الموضحة لمعنى البر والتقوى العام قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[1]، فالبر كما ترى شمل الدين كله، بعقائده وأحكامه، وأصوله وفروعه، وسلوكياته وعباداته، حقائق وشرائع، وقلوبا وجوارح. فمن حقق ذلك على وجهه فهو الصادق المتقي. ولكنه لا يتحقق على وجهه إلا بالتعاون ؛ ذلك أن التعاون عليهما – البر والتقوى – يكسب محبة تحصيلهما، ومن ثم يصير تحصيلهما رغبة للجميع. وفي التعاون تيسير العمل، وتحقيق المصالح وتوفيرها، وإظهار الاتحاد والتناصر، حتى يصبح ذلك خلقا للأمة[1].

لقد أقام الإسلام التعاون بين المسلمين على أساس محكم، ومد له في كل ناحية من نواحي الحياة بسبب. فالتمثيل القرآني لأهل الإيمان أنهم كالبنيان المرصوص، وفي التمثيل النبوي كالجسد الواحد .

فأمور الإسلام ومطلوباته لا تتحقق على وجهها إلا بالتعاون . ودين الله بنيان شامخ لا يقوم ولا يثبت إلا حين تتراص لبناته وتتضامن مبانيه لتسد كل لبنة ثغرتها .

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٧٧).

(١) التحرير والتنوير ج (٦) ص (٨٧ ، ٨٨).

ونذكر لذلك نموذجا من تعاليم الإسلام وصورا من أحكامه المبنية أساسا على العمل الجماعي الذي لا يتحقق إلا بالتعاون ضرورة وإلزاما شرعيا:

فالصلوات الخمس جماعة وجمعة، وصلاة العيدين وآدابهما، والحج بشعائره، وعقد النكاح بوليمته وآدابه، وعقيقة المولود ووليمة العرس، وإجابة الدعوة حتى للصائم، كلها مناشط عبادية اجتماعية تعاونية، ولا تكون صورتها الشرعية إلا كذلك.

وينضم إلى اجتماع الأعياد اجتماع الشدائد والكرب في صلوات الاستسقاء والكسوف والجنازة .

إنه انتظام عجيب بين أهل الإسلام في مواطن السرور والحزن، ناهيك بصورة الأخوة، ومبدأ الشورى، وحقوق المسلمين فيما بينهم ؛ في القربى والجوار والضيف وابن السبيل واليتامى والمساكين، مع ما يحيط بذلك من سياج الآداب الاجتماعية؛ من إفشاء السلام، وفسح المجالس، وخفض الجناح، مما بسطه قانون الأخلاق في الإسلام.

أما أنواع المعاملات والتعاملات فذلك جلي في عقود المضاربة والعارية والهبة والمهاداة وفرض الدية على العاقلة .

وثمة صور من المعاونات في كف الظلم، ونصرة المظلوم، ودفع الصائل بسلاح أو مال. بل هل يقوم الجهاد، وتقام الحدود، وتستوفى الحقوق، ويقوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالتعاون والتآزر[1].

---

(١) تفسير القاسمي ٦/٢٥ .

وهناك التعاون بالرأي، بما يدل على الحق، ويخرج من الحيرة، وينقذ من المأزق والهلكة، في النصيحة والمشاورة، وقد يكون تعاونا بالجاه ؛ من الشفاعة لذي الحاجة عند من يملك قضاءها[1] .

فإذا وضع المسلمون أيديهم على هذه الأسباب الوثيقة، يتقدمهم أولو الأمر والعلماء والدعاة بلغوا المكانة المحفوفة بالعزة المشار إليها بقوله سبحانه: ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[2].

وقد عرض لنا القرآن الكريم دعوات الرسل وتبليغهم لأممهم وذكر لنا وسائلهم وأساليبهم الدعوية ومناشطهم العملية كما وضحت السنة الكثير من ذلك ليهتدي الدعاة من بعدهم بذلك ويقتدون بهم، كما قال تعالى لنبيه بعد أن عرض سير الأنبياء السابقين له ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ** ﴾[1].

وقال لنبيه وأمته ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ**

---

(١) رسائل الإصلاح ج (١) ص (١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٧١) بتصرف.

(٢) سورة المنافقون: الآية (٨).

(١) سورة الأنعام: الآية (٩٠).

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾(١).

وقال لأمة محمد في اتخاذ نبيها أسوة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾(٢).

وهذا العرض سنتناوله كما هو المعتاد بما ذكر عن الأنبياء السابقين وتحقيقهم لوسيلة التعاون في أمر دعوتهم وقيامهم بذلك ثم بما ذكره القرآن في حق نبينا وأمته ونفصل في ذلك من بيان السنة:

- **إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وأمر الله لهما متعاونين بتطهير البيت الحرام:**

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلّىً وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾(١)، قال ابن كثير أي: أوحينا إليهما، وأمرناهما بتطهير بيت الله من الشرك، والكفر والمعاصي، ومن الرجس والنجاسات والأقذار، ليكون ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ فيه ﴿وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ أي: المصلين.

- **إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يتعاونان على بناء البيت الحرام:**

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٢)، روى البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما،

---

(١) سورة الممتحنة: الآيات (٤-٦).

(٢) سورة الأحزاب: الآية (٢١).

(١) سورة البقرة: الآية (١٢٥).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٢٧).

عن رسول الله ﷺ وفيه:. ثم جاء بعد ذلك - أي إبراهيم- وإسماعيل يَبْرِي نَبْلا له تحت دوحة قريبًا من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الولد بالوالد، والوالد بالولد. ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك، عز وجل. قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتًا -وأشار إلى أكَمَةٍ مرتفعة على ما حولها - قال: فعند ذلك رَفَعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ » قال: «فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت، وهما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾» [(١)].

- **لوط عليه السلام يرجو أن يكون له معين قوي ينصره ويقف بجانبه:**

قال تعالى: ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[(١)].

قوله: (لو أن لي بكم قوة)، بأنصار تنصرني عليكم وأعوان تعينني، (أو آوى إلى ركن شديد)، يقول: أو أنضم إلى عشيرة مانعة تمنعني منكم، لحالت بينكم وبين ما جئتم تريدونه منِّي في أضيافي. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: رحمة الله على لوط، إن كان ليأوي إلى ركن شديد، إذ قال لقومه:(لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد)، ما بعث الله بعدَه من نبيّ إلا في ثَرْوة من قومه، قال محمد: و«الثروة»،

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٣٦٤).. [ورواه عبد بن حميد عن عبد الرزاق به مطولا].

(١) سورة هود: الآيتان (٧٩-٨٠).

الكثرة والمنعة[١].

- **ما من نبي إلا ومعه أعوان وأنصار يقاتلون معه لتحقيق أهداف دعوته:**

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١]، قال سيد قطب: وكم من نبي قاتلت معه جماعات كثيرة، فما ضعفت نفوسهم لما أصابهم من البلاء والكرب والشدة والجراح، وما ضعفت قواهم عن الاستمرار في الكفاح، وما استسلموا للجزع ولا للأعداء. فهذا هو شأن المؤمنين المنافحين عن عقيدة ودين﴿والله يحب الصابرين﴾ الذين لا تضعف نفوسهم ولا تتضعضع قواهم ولا تلين عزائمهم ولا يستكينون أو يستسلمون[٢] .

- **موسى عليه السلام يطلب من ربه المعين المؤازر له في دعوته فاستجاب له:**

١- قال تعالى:﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾

---

(١) انظر تفسير الطبري: ٤/٤١٨- ٤٢٠ والأثر: ١٨٣٩٧ - حديث محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، رواه من أربع طرق ، من رقم : ١٨٣٩٧ - ١٨٣٩٩ ، ثم رقم : ١٨٤٠٢ ." ومحمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي " ، روى له الجماعة ، مضى مرارًا ." وأبو سلمة بن عبد الرحمن " ، روى له الجماعة ، مضى مرارًا . وهذا حديث صحيح ، وخرجه الحاكم في المستدرك ٢ : ٥٦١ ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه بهذه الزيادة ، وإنما اتفق على حديث الزهري عن سعيد ، وأبي عبيدة ، عن أبي هريرة مختصرًا " .

(١) سورة آل عمران: الآيات (١٤٦- ١٤٨).

(٢) في ظلال القرآن: ١/٤٦٢.

وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾[١].

٢- ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾[٢]، قال أبو السعود: ردءا أي معينا[٣]، أورد ابن أبي حاتم بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: أنها خرجت فيما كانت تعتمر، فنزلت ببعض الأعراب فسمعت رجلا يقول: أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه؟ قالوا: لا ندري . قال: أنا والله أدري . قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت في نفسي في حلفه لا يستثني: إنه يعلم أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه. قال الأعرابي: موسى حين سأل لأخيه النبوة . فقلت صدق والله.

قال بعض السلف: ليس لأحد أعظم منة على أخيه من موسى عليه السلام على أخيه هارون عليهما السلام، فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبيا ورسولا معه إلى فرعون وملئه، ولهذا قال ربه في حقه: ﴿ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾[١]، وقال في مقام آخر: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾[٢].

---

(١) سورة طه: الآيات (٢٤-٣٦).

(٢) سورة القصص: الآيتان (٣٤-٣٥).

(٣) تفسير أبو السعود: ١٣/٧.

(١) سورة الأحزاب: الآية (٦٩).

(٢) سورة مريم: الآية (٥٣).

• **أخذ الله الميثاق على بني إسرائيل على التعاون مع رسلهم ونصرتهم:**

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[1]، قال الطبري: كان أبو عبيدة يقول: معنى ذلك نصرتموهم وأعنتموهم ووقّرتموهم وعظمتوهم وأيّدتموهم، وأنشد في ذلك:

وَكَمْ مِنْ مَاجِدٍ لَهُمُ كَرِيمٍ... وَمِنْ لَيْثٍ يُعَزَّرُ فِي النَّدِيِّ[2] .

• **ذا القرنين يطلب العون والمعاونين في تنفيذ مهمته في بناء السد:**

قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾[1]، يقول تعالى ذكره: قال ذو القرنين: الذي مكنني في عمل ما سألتموني من السدّ بينكم وبين هؤلاء القوم ربي، ووطأه لي، وقوّاني عليه، خير من جُعلكم، والأجرة التي تعرضونها عليّ لبناء ذلك،

---

(١) سورة المائدة: الآية (١٢).

(٢) تفسير الطبري ١٢٠/١٠ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ١٥٧.

(١) سورة الكهف: الآيات (٩٤-٩٧).

وأكثر وأطيب، ولكن أعينوني منكم بقوة، أعينوني بفَعَلة وصناع يُحسنون البناء والعمل[1].

- **عيسى عليه السلام يطلب عون الأنصار في دعوته إلى الله:**

قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴾[2]، قال ابن كثير: الظاهر أنه أراد من أنصاري في الدعوة إلى الله؟ كما كان النبي ﷺ يقول في مواسم الحج، قبل أن يهاجر: «مَنْ رَجُل يُؤْوِيني عَلى أن أبلغ كلامَ رَبِّي، فإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلامَ رَبِّي» حتى وجد الأنصار فآووه ونصروه، وهاجر إليهم فآسوه ومنعوه من الأسود والأحمر. وهكذا عيسى ابن مريم، انْتدَبَ له طائفة من بني إسرائيل فآمنوا به وآزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه. ولهذا قال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿ **قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ . رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴾)[1].

وَطلب النَّصْر لإِظْهَار الدَّعْوَةِ للهِ، مَوْقِفٌ مِنْ مَوَاقِفِ الرُّسُلِ، فَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَنْ نُوحٍ «فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ» وَقَالَ مُوسَى: ﴿ **وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ**

(١) تفسير الطبري: ١١٢/١٨.

(٢) سورة آل عمران: الآيتان (٥٢-٥٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٣٧١٩) وصحيح مسلم برقم (٢٤١٥) من حديث جابر رضي الله عنه. انظر تفسير ان كثير: ٤٥/٢-٤٦ بتصرف

أَهْلِي﴾[1]، وَقَدْ عَرَضَ النَّبِيءُ ﷺ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ لِيَنْصُرُوهُ حَتَّى يُبَلِّغَ دَعْوَةَ رَبِّهِ. وَقَوْلُهُ: **﴿قالَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ﴾** لَعَلَّهُ قَالَهُ فِي مَلَإٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِبْلَاغًا لِلدَّعْوَةِ، وَقَطْعًا لِلْمَعْذِرَةِ. وَالنَّصْرُ يَشْمَلُ إِعْلَانَ الدِّينِ وَالدَّعْوَةَ إِلَيْهِ[2].

*** أمر الله المؤمنين من أمة محمد ﷺ أن يكونوا أنصارا لله عونا لنبيه في دعوته:**

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾**[3].

- **كل الأنبياء مأخوذ عليهم الميثاق على الإيمان بالرسول محمد وعونه ونصرته:**

قال تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾**[1]، قال علي بن أبي طالب وابن عمه عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما: ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بَعَث

(١) سورة طه: الآية (٢٩).

(٢) التحرير والتنوير:٣/٢٥٥.

(٣) سورة الصف: الآية (١٤).

(١) سورة آل عمران: الآيتان (٨١-٨٢).

محمدًا وهو حَيّ ليؤمنن به ولينصرنه، وأمَرَه أن يأخذ الميثاق على أمته: لئن بعث محمد ﷺ وهم أحياء ليؤمِنُنَّ به ولينصرُنَّه[1].

- **أهل الكتاب الذين آمنوا بالرسول وعاونوه ونصروه استحقوا الفلاح:**

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

- **الأمر من الله لإمة محمد أن يكون منهم أمة متعاونة في دعوتها إلى الله:**

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] .

قال السعدي: هذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه، ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين، والوعاظ الذين يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة، والمجاهدون في سبيل الله، والمتصدون لتفقد أحوال الناس وإلزامهم بالشرع كالصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من شرائع الإسلام،

---

(١) تفسير ابن كثير:٢/٥٧ .

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٥٧).

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٤).

وكتفقد المكاييل والموازين وتفقد أهل الأسواق ومنعهم من الغش والمعاملات الباطلة، وكل هذه الأمور من فروض الكفايات كما تدل عليه الآية الكريمة في قوله ﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ إلخ أي: لتكن منكم جماعة يحصل المقصود بهم في هذه الأشياء المذكورة. إلى أن قال: وهذه الطائفة المستعدة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم خواص المؤمنين، ولهذا قال تعالى عنهم: ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ الفائزون بالمطلوب، الناجون من المرهوب[١].

- **الثناء على أمة محمد وجعلها من خير الأمم لتعاونها وتناصرها:**

قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١].

- **من مقتضيات ولاء المؤمنين لبعضهم التعاون في العمل الدعوي:**

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢]، جاء في الصحيح: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا« وشبك بين أصابعه»[٣]، وفي الصحيح

---

(١) تفسير السعدي: ١٤٢.

(١) سورة آل عمران: الآية (١١٠).

(٢) سورة التوبة: الآية (٧١).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٨١) وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

أيضا: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»[1].

- **الأمر لهذه الأمة بأقامة التعاون في كل ما هو بر وتقوى:**

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2]، قال الماوردي: ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له، لان في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته.

ولقد كان لأهل العلم رحمهم الله وقفات جميلة عند هذه الآيات ومما قرروا فيما قرروا أن التعاون ركن من أركان الهداية الاجتماعية، فالله سبحانه يوجب على الناس إيجابا دينيا أن يعين بعضهم بعضا في كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفرادا وأقواما في دينهم ودنياهم وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم .

- **حتى الجن دعوتهم للإسلام جماعية متعاونين متناصرين:**

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٠١١) وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) سورة المائدة: الآية (٢).

مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ [١].

هذا بعض ما ورد في القرآن وبعض ما جاء في بيان السنة من الآيات والأحاديث المتعلقة بوسيلة التعاون الدعوي وقيام الرسل بها، وما أمرت به هذه الأمة من العمل بذلك في المجالات الدعوية المختلفة والمتنوعة وغيرها، حتى في ما يتعلق بالولاية والسلطان كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « من ولاه الله عز وجل من أمر المسلمين شيئا فأراد به خيرا جعل له وزير صدق فإن نسي ذكره وإن ذكر أعانه»[١]، ومما فيه الحث على الخير والدلالة عليه والحث على قضاء الحوائج، وبخاصة إذا أدرك المتأمل أن الحاجة في نصوص الشرع ذات مفهوم واسع مما هو مدلول عليه في عموم قوله ﷺ: « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه »، وقوله عليه الصلاة والسلام: « أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور يدخله على مسلم أو يكشف عنه كربة أو يقضي عنه دينا أو يطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد – يعني مسجد المدينة – شهرا .. ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام »، وهذه رواية ابن عمر رضي

(١) سورة الأحقاف: الآيات (٢٩-٣٢).

(١) سنن النسائي البيعة (٤٢٠٤)،سنن أبو داود الخراج والإمارة والفيء (٢٩٣٢)،مسند أحمد بن حنبل (٦/٧٠).

الله عنهما. ويتأكد هذا المعنى بالنظر في نصوص النهي عن خذلان المسلم وإسلامه للأعداء والنوائب، على حد قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1].

٣- ضوابط وآداب وسيلة وأساليب وأنشطة التعاون في العمل الدعوي:

التعاون في العمل الدعوي بابه واسع، وميدانه كبير، ونتائجه في تحقيق أهداف العمل الدعوي عظيمة وجليلة. لذلك كان له هذا الاهتمام في القرآن الكريم وفي عمل الأنبياء والرسل وأتباعهم إلا أنه يتطلب للحصول على هذه النتائج في تحقيق أهداف العمل الدعوي والمردود الإيجابي في الدنيا والآخرة على المتعاون مراعات الضوابط والآداب حين القيام بذلك والتي من أهمها:

١- يجب أن يعي رجل الدعوة، وهو وارث النبوة، والآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، والموجه والمربي، يجب أن يعي أن تكون علاقته بالناس - كل الناس - علاقة يحكمها الحب لهم، والحرص على إرشادهم وتوجيههم، وبذل النصح لهم، ورسم سبل الهداية لهم، والغيرة عليهم .

٢- إن من تمام الوعي للمسؤولية وحب التعاون والمعاونة أن يدرك أن الناس فئات وطبقات ؛ فيتعامل مع كل فئة حسب طبيعتها ووظيفتها .

٣- استشعار عقد الأخوة في الله، الأخوة الإيمانية، الأخوة من أجل نصرة دين الله، إنه العقد الذي يشعر فيه المسلم بعامة ورجل الدعوة بخاصة أنه ليس وحيدا ولا فردا. وعليه فإن من أولى واجبات الداعية تجنب ما يعكر هذا الصفو، من هنات

(١) سورة المائدة: الآية (٢).

تورث نفرة القلوب ووحشة النفوس، ويتجنب كثرة العتاب والمراء والجدل، وبخاصة إذا شابه رائحة استعلاء وحب تميز وظهور. وقال في مقام آخر: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾[1].

٤- الإخلاص في تعاونه الدعوي بأن يجعله لله وحده دون أن يقرنه بحظ من حظوظ الدنيا، ومن مظاهر هذا الإخلاص إن لا يضيق الداعية ذرعا بمساعدة إخوانه ومبادراتهم ومناصحتهم وتوجيههم وفتح الميادين الواسعة أمامهم، إن كان يضيق بذلك فليتهم نفسه وليراجع إخلاصه. ويكفي نبراسا وقدوة للمخلصين تضرع موسى عليه السلام إلى ربه في أخيه هارون عليه السلام: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾[1].

إن رجل الدعوة المخلص سوف يكون مسرورا ممتنا إذا ما ظفر بمسلم ذي مقدرة وكفاءة وأمانة يسهم معه في ميدانه ويعينه في شأنه .

٥- البعد عن التعصب من أي نوع كان إلا للحق وأهله والموالين له، لأنه ليس أضر على الدعوة بعامة والتعاون بين الدعاة بخاصة من التعصب أيا كان، بل لا يكدر صفو الأخوة الإيمانية، ولا يضعف الرابطة الإسلامية أعظم من التعصب المقيت والتعنصر البغيض .

---

(١) سورة مريم: الآية (٥٣).

(١) سورة طه: الآية (٣٢).

٦- إحسان الاختلاط بالناس؛ لكسب مودتهم، وتوثيق الروابط بهم، اختلاط يخبر به أحوال الناس، ويميز طبقاتهم، من أجل حسن التعامل معهم، ومعالجة أخطائهم، وتقدير ظروفهم، من غير تجريح أو تقريع . اختلاط ينبئ عن اهتمام بهم، ومراعاة لمشاعرهم وأحاسيسهم، أدب في الخطاب والنداء، ودعوة بأحب الأسماء، مصحوبا بتبسم وتخير للكلمات الطيبات.

٧- أن يتصف المعين بعد الإيمان والصلاح والتقوى والإخلاص وحسن الأدب والخلق، با التصديق والموافقة: لقد قال موسى عليه السلام في مناشدته ربه مبينا نوع الحاجة إلى أخيه: ﴿ **رِدْءًا يُصَدِّقُنِي** ﴾[1]، فالردء هو المعين والوزير والظهير، والتصديق: ليس المقصود منه أن يقول هارون عليه السلام: هو صادق بمجرد لسانه؛ لأن ذلك يستوي فيه الفصيح وذو الفهاهة[2]، وإنما يكون مصدقا بما عرف عن هذا الردء والمعين من العقل والرزانة وقوة الحجة والبيان كما في قوله: ﴿ **هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا** ﴾[3]، وفي خبر الصديق أبي بكر -رضي الله عنه- في حادثة الإسراء، المعين المخلص « إني لأصدقه في خبر السماء بكرة وعشية أفلا أصدقه في بيت المقدس ».

(١) سورة طه: الآية (٣٢).

(٢) سورة طه: الآية (٣٢).

(٣) سورة القصص: الآية (٣٤).

٤- فوائد وثمار التعاون في العمل الدعوي:

التعايش والتفاهم والتعاون بين الأمم المختلفة أمر تحتاجه الإنسانية حاجة ماسة، والتعاون بين بني الإنسان لا غنى عنه وفيه فوائد وثمار كثيرة ولكننا نشير في هذه الفقرة إلى بعض ذلك خاصة ما تعلق بالدعوة والعمل لها. ومن أهم ذلك: منها

١- التناوب في العمل وتقاسم الحمل في التعاون الصحيح يكون التفرغ الأكثر لأداء رسالة الدعوة ونشرها، وتوزيع أعباء الحياة ومشاغلها، فالمتعاونون يمكن أن يوزعوا الوقت بينهم ليقوم كل واحد بالضروري في حياته، ومن ثم تتوفر الأوقات لعمل الدعوة والإصلاح .

٢- الحماية: قد يتعرض الداعية لعوائق بل لأنواع من الأذى؛ فيتخذ من إخوانه وأعوانه ما يعينه على تخفيف الأذى ويرفع العدوان . ولقد كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل يدعوهم إلى أن يمعنوه ويحموه؛ ليبلغ دعوة الله، ويبين للناس ما نزل إليهم. وفي بيعة العقبة الكبرى قال عليه الصلاة والسلام: « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون عنه نساءكم وأبناءكم »[١].

٣- إمكان إنجاز الأعمال الكبيرة الّتي لا يقدر عليها الأفراد.

٤- شعور الفرد بالقوّة ونزع شعور العجز من نفسه.

٦- مواجهة الأخطار المحدقة بالإنسان ممّن حوله من الإنسان والحيوان.

٧- ثمرة من ثمرات الإيمان فضلا عن كونه حاجة ملحّة للإنسان.

٨- أساس التّقدّم والإنتاج والنّجاح والتّفوّق.

---

(١) سورة يوسف: الآية (١٠٨). مسند أحمد بن حنبل (٤٦٢/٣). وانظر: مجلة البحوث الإسلامية:١٩٥/٥١

٩- من ثمرات الأخوّة الإسلاميّة.

١٠- الشّعور بالمساواة في الإنسانيّة يدفع إليه ويحضّ عليه.

١١- ينزع الحقد من القلوب الضّعيفة ويزيل أسباب الحسد.

١٢- طريق موصّل إلى محبّة اللهّ ورضاه وجنّته. ودليل حبّ الخير للآخرين.

١٣- سبب من أسباب الألفة والمحبّة بين النّاس.

١٤- يحقّق سنّة اللهّ في خلقه ويوافق طبيعة الأشياء وفي هذا يقول الشّاعر:

النّاس للنّاس من بدو وحاضرة ... بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

١٥-انتشار المبادئ والأخلاق الأكثر إقناعا وجاذبية.

١٦- استفادة كل فريق من خبرات وتجارب الفريق الثاني في كل مناحي الحياة: سياسية، اقتصادية، اجتماعية، وإعلامية .

١٧- تنمية وتعزيز القواسم المشتركة بين الفرقاء جميعا لأن مركبا واحدا يجمعهم.

١٨- ازدهار العلوم والفنون المختلفة بتلاقح الحضارات وإثراء بعضها للبعض الآخر

١٩- سرعة التطور العلمي والتكنولوجي لما فيه مصلحة الإنسانية .

٢٠- تكامل الموارد الاقتصادية بتبادل السلع والخدمات بشكل منصف يكفل للكل العيش الكريم للفرقاء جميعا .

٢١- حرية التنقل والتملك .

٢٢- الشعور بالأمان والسلام .

المطلب الثالث

وسيلة العمل الخيري وأساليبه وأنشطته في العمل الدعوي

١- مفهوم العمل الخيري في العمل الدعوي:

أـ العمل لغة:

المهنة والفعل. والجمع أعمال. يقال: عمل الرجل - عملا: فعل فعلا عن قصد. وفي القرآن الكريم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[١]، [٢].

ب ـ الخيري لغة:

مادة خير في قواميس اللغة تعني أي معروف، وهو ضد الشر، كما في الصحاح. والخير: ما يرغب فيه الكل، (ج خيور) وخيار بالكسر.

(و) الخير: الرجل ذو الخير والكثير الخير. والخِيرُ: بالكسر الكرم والجود. والنسبة إليه «خِيرِيٌّ» على لفظه. وفلان «ذُو خَيْرٍ» أي ذو كرم[٣].

جـ العمل الخيري في الاصطلاح :

هو كل عمل مأذون به من الله ورسوله يقوم به المكلف بنفسه أو عبر مؤسسات ومنظمات خيرية تؤدي دورها الخدمي والإغاثي والدعوي وفق رؤى عقدية ومقاصد هادفة تجاه الأفراد والأسر والمجتمع.

---

(١) سورة النحل: الآية (٩٧).

(٢) انظر: المحكم المحيط الأعظم: ٢٦٣/١-٢٦٤.

(٣) المصباح المنير: ٩٨ وتاج العروس:٢٣٨/١١ والمعجم الوسيط:٢٦٤/١.

أو هو تجمُّع لجهود مجتمعية تضم متطوعين مؤمنين بمجتمعاتهم المسلمة وبالقضايا الإنسانية، عكفوا على درس احتياجات المجتمع، ووجّهوا جهودهم وأموالهم للعمل الخيري[1].

ج ـ العمل الخيري في العمل الدعوي:

إن العمل الخيري في الإسلام ولدى المؤمنين بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ينطلق من منطلقات إيمانية ويتدفق من ينابيع إسلامية صافية ويهدف إلى مرضاة الله – سبحانه وتعالى – أولاً وأخيراً، كونه فريضة فرضها الله في أموال الأغنياء للفقراء والمساكين والمحتاجين والأرامل وبقية مصارف الزكاة المعروفة.

ويسهم في بناء الأمة ويحافظ على بنيانها بإعانة الفقير وإغاثة الملهوف ونجدة الرازحين تحت طواحين الكوارث والمحن.

وهو يمثل إحدى الأدوات الإيمانية الفعالة لإشاعة فضيلة التكافل والتكاتف بين أبناء الأمة حتى يظلوا جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

فالعمل الخيري جزء من رسالة الإسلام العالمية، و«الخيرية» جزء من عقيدة الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم، وهي «خيرية» يسعى المسلمون لإيصالها للبشرية جمعاء[1].

---

(١) مجلة البيان – إدارة العمل الخيري-:٥/٢٣٦.

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة: ٢/ ١١٣.

٢- العرض القرآني لوسيلة العمل الخيري في العمل الدعوي:

أنّ العمل الخيري في العمل الدعوي يقوم على التنوّع والتعدّد في الوسائل والغايات، كما يقوم على إشراك وتجييش كلّ الأمّة صغيرها وكبيرها ذَكَرها وأُنْثاها، بل تقوم على مشاركة الفقراء ليس من خلال احتياجهم ولكن من خلال عطائهم الماديّ اليسير ومشاركتهم المعنويّة، ـ كما في حديث (سبق درهم مائةَ ألفِ درهم!) قالوا يا رسول الله: وكيف؟! قال: (رجل له درهمان فأخذ أحدهما فتصدّق به، ورجل له مالٌ كثيرٌ، فأخذ من عُرض ماله مائة ألف، فتصدّق بها[1] وغيره.حيث هنا تتأكّد أهميّة المشاركة بالدّرهم وأنّه يسبق أحياناً مائة ألف درهم. وهو أفضل الصدقة كما في حديث: وورد في: قوله ﷺ: « أفضل الصّدقة جُهْدُ المُقِل، وابدأ بمن تَعُول»[2] كما أنّ الذي لا يجد من الخير الماديّ شيئاً فإنّ عليه أن يُشارك في الدّلالة عليه: «من دلّ على خير فله مثلُ أجر فاعله أو قال عامله»[3] وإذا كان هذا هو الحال فإنّ هذا له متطلباته في المجتمع المسلم من ميلاد كل أنواع المؤسّسات والجمعّيات الخيريّة التي تُعنى حتى بإدخال السّرور على كل مسلم ومسلمة.

ولا يؤجر عليه صاحبه إلا بالإخلاص في النية وبذل الوسع من الوقوع في الخلل وتحري الحلال في التمويل .

---

(١) سُنَن النّسائي.

(٢) سُنَن أبي داود.

(٣) سنن الترمذي.

وهي دعوة إلى إيجاد كل ما يحقّق الخيريّة لأمّة محمد -ﷺ- من مراكز التّدريب والتّطوير والإسعافات، بل ومراكز التّرفيه النّظيف والمُؤسّسات المتخصّصة في معالجة كل جوانب الفقر، وليس فقط فقر الغذاء والدواء، بل فقر العلم والمعرفة وفقر الصّناعة والتّقنية الذي هو من القوّة المطلوبة للأمّة الإسلاميّة. وكل ذلك يعد عملا دعويا.

إذا وظائف العمل الخيري متسعة النطاق تكاد لا يخلو ميدان اجتماعي إلا وله فيه الحظ النصيب الأكبر ومن ذلك المناشط التي تتكفل إدارتها -في العادة- مؤسسات المجتمع المدني، وتختلف أنماط هذه المناشط بحسب طبيعة المجتمع وثقافته، لكنها على الأغلب تشمل برامج ثقافية وتربوية ودعوية وإغاثية بحتة وغيرها..

والقطاع الخيري بمؤسساته هو الآلية المعاصرة لإدارة المال الخيري وتوزيعه على المناشط التي تخدم حركة المجتمع وأفراده.

وهو مستمد من الحضارة الإسلامية التي يعبر الوقف الإسلامي فيها عن أقدم تجربة ناضجة في ممارسة المجتمع المدني لمهام خاصة بعيدًا عن تغوّل الدولة وهيمنتها، وذلك قبل أن تعرف الحضارة الغربية مثل هذا النسق من الأداء الاجتماعي.

وسيلة العمل الخيري الإسلامي ينطلق من مبادئ وقيم وأخلاقيات واضحة؛ فهو إغاثة وتربية وتعليم لا تحده حدود جغرافية أو سياسية؛ لأنه عقيدة ودين وعبادة لله بعيداً عن جوانب التسييس والاستغلال، وهو التزام بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا** ﴾[1].

---

(١) سورة الإنسان: الآية (٩).

كما أن العمل الإغاثي على وجه الخصوص مقصد إسلامي أصيل وعمل إنساني نبيل... فهو من فعل الخير الذي حث عليه الإسلام في كتاب الله تعالى وعلى لسان رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[1]، وقد حث النبي ﷺ على أعمال الخير عموماً وعلى إغاثة الملهوف خاصة في أحاديث كثيرة، فمن ذلك قوله: على كل مسلم صدقة، قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال: يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، قال: قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قال: قيل له: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يأمر بالمعروف أو الخير، قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: يمسك عن الشر فإنها صدقة[2] .

والعمل الخيري والإغاثي لا يقتصر على المسلم أو الإنسان فقط بل يشمل كل ذي روح من إنسان وحيوان، ففي حديث أبي هريرة المتفق عليه: في كل كبد رطبة أجر .

جاءت آيات كثيرة تبين دور من سبق من الرسل وأتباعهم في العمل الخيري والتأسي بذلك، وأخرى تحث على وسيلة العمل الخيري وترغب فيه وتأمر به وتبين ثماره وفوائده، وتذكر عائداته على القائم به في الدنيا والآخرة، ومدى ضرورته لدعوة الإسلام في تحقيق أهدافها لذا نستعر ض هذه الآيات في هذا العرض:

---

(١) سورة الحج: الآية (٧٧).

(٢) متفق عليه.

- **إبراهيم وذريته من الأنبياء أمروا بالوحي أن يعملوا ويفعلوا الخيرات:**

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[1]. قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾. يقول تعالى: وأوحينا فيما أوحينا أن افعلوا الخيرات، وأقيموا الصلاة بأمرنا بذلك.

- **الثناء على زكريا وذريته عليهم السلام لمسارعتهم إلى فعل الخيرات:**

قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[2]. قال الإمام الطبري: وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾. يقول الله: إن الذين سميناهم، يعني زكريا وزوجه ويحيى، كانوا يسارعون في الخيرات في طاعتنا، والعمل بما يقرّبهم إلينا[3].

- **من أهل الكتاب من يسارع في الخيرات:**

قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٧٣).

(٢) سورة النحل: الآيتان (٨٩-٩٠).

(٣) تفسير الطبري:١٨ /٥٢١.

عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾[1]. قال السعدي: ﴿و﴾أنهم ﴿يسارعون في الخيرات﴾ أي: يبادرون إليها فينتهزون الفرصة فيها، ويفعلونها في أول وقت إمكانها، وذلك من شدة رغبتهم في الخير ومعرفتهم بفوائده وحسن عوائده[2].

ومن الناحية الدعوية و التربوية يقول سيد قطب: وهي صورة وضيئة للمؤمنين من أهل الكتاب . فقد آمنوا إيماناً صادقاً عميقاً، وكاملاً شاملاً، وانضموا للصف المسلم، وقاموا على حراسة هذا الدين . . آمنوا بالله واليوم الآخر . . وقد نهضوا بتكاليف الإيمان، وحققوا سمة الأمة المسلمة التي انضموا إليها – خير أمة أخرجت للناس – فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . . وقد رغبت نفوسهم في الخير جملة، فجعلوه الهدف الذي يسابقون فيه، فسارعوا في الخيرات، ومن ثم هذه الشهادة العلوية لهم أنهم من الصالحين. وهذا الوعد الصادق لهم أنهم لن يُبخسوا حقاً، ولن يُكفروا أجراً[3].

- **وعد الله الرسول والمؤمنين المجاهدين معه بالخيرات والفلاح:**

قال تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران: الآيات (١١٣-١١٥).

(٢) تفسير السعدي: ١٤٣.

(٣) في ظلال القرآن: ١/٤٢٠.

(٤) سورة التوبة: الآية (٨٩).

قال سيد قطب: وهم طراز آخر غير ذلك الطراز﴿جاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ فنهضوا بتكاليف العقيدة، وأدوا واجب الإيمان وعملوا للعزة التي لا تنال بالقعود ﴿وأولئك لهم الخيرات﴾ خيرات الدنيا والآخرة، في الدنيا لهم العزة ولهم الكرامة ولهم المغنم ولهم الكلمة العالية . وفي الآخرة لهم الجزاء الأوفى، ولهم رضوان الله الكريم ﴿ وأولئك هم المفلحون﴾ الفلاح في الدنيا بالعيش الكريم القويم والفلاح في الآخرة بالأجر العظيم: ﴿أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ ﴿ ذلك الفوز العظيم ﴾[1].

- **حث الأمة المحمدية على الاستباق إلى الخيرات مع الأمر لهم بفعلها:**

١- قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]. قال السعدي: والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها، يتضمن فعلها، وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الخلق درجة، والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل، من صلاة، وصيام، وزكوات وحج، وعمرة، وجهاد، ونفع متعد وقاصر[3].قال ابن كثير: وهذه الآية شبيهة:

---

(١) في ظلال القرآن: ٥٩/٤.

(٢) سورة البقرة: الآية (١٤٨).

(٣) تفسير السعدي: ٧٢ .

٢- بقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[1].[2]

- **ومن الآيات التي فيها الأمر الإلزامي للمسلم بفعل الخير المرتب عليه الفلاح:**

٣- قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3].

- **صفات المسارعين إلى الخيرات والسباقين إليها:**

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة المائدة: الآية (٤٨).

(٢) تفسير ابن كثير:١٣٠/٣.

(٣) سورة الحج: الآية (٧٧).

(٤) سورة المؤمنون: الآيات (٥٧-٦١).

* **فعل الخير من العبد محل نظر الله ويجازي عليه:**

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾[1]. قال سيد رحمه الله: ويكفي في حس المؤمن أن يتذكر أن الله يعلم ما يفعله من خير ويطلع عليه ليكون هذا حافزا على فعل الخير، ليراه الله منه ويعلمه وهذا وحده جزاء قبل الجزاء[2].

* **إنفاق الأموال من الخير المأمور به إذا أعطي لمستحقيه:**

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[3].

* **ليكن من هذه الأمة من يدعو إلى الخير الجامع الشامل:**

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4]. قال ابن عاشور: قِيلَ: أُرِيدَ بِالْخَيْرِ مَا يَشْمَلُ جَمِيعَ الْخَيْرَاتِ، وَمِنْهَا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيَكُونُ الْعَطْفُ مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ لِلِاهْتِمَامِ بِهِ[5].

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٩٧).

(٢) في ظلال القرآن:١٧٢/١.

(٣) سورة البقرة: الآية (٢١٥).

(٤) سورة آل عمران: الآية (١٠٤).

(٥) التحرير والتنوير: ٤٠/٤.

- **التهييج على فعل الخير وعمله:**

قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيما ﴾[١]. قال ابن كثير: تهييجًا على فعل الخيرات وامتثال الأمر وأن الله عز وجل عالم بجميع ذلك، وسيجزي عليه أوفر الجزاء وأتمه[٢].

- **عمل الخير يكون قولا وفعلا وظاهرا وباطنا:**

قال تعالى: ﴿ لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً (١٤٨) إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً ﴾[٣]، ثم قال تعالى: ﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ ﴾، وهذا يشمل كل خير قوليّ وفعليّ، ظاهر وباطن، من واجب ومستحب[٤].

- **المنافقون ليسوا ممن يعمل الخير ويسابق فيه:**

قال تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

---

(١) سورة النساء: الآية (١٢٧).

(٢) تفسير ابن كثير:٢/ ٤٢٥.

(٣) سورة النساء: الآيتان (١٤٨-١٤٩).

(٤) تفسير السعدي:٢١٢/١.

يَسِيراً﴾[1]، وقوله: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾، أي بخلاء على مشاريع الخير وما ينفق في سبيل الله فلا ينفقون لأنهم لا يؤمنون بالخلف ولا بالثواب والأجر وذلك لكفرهم بالله ولقائه. ولذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ فسجل عليهم وصف الكفر ورتب عليه نتائجه[2].

هذا بعض ما جاء في القرآن الكريم عن العمل الخيري وصلته بالعمل الدعوي على مستوى الأفراد والجماعة عرضناها على سبيل التأصيل لهذا العمل كوسيلة دعوية بجانب كونه هدف وغاية .

---

(١) سورة الأحزاب: الآية (١٩).

(٢) تفسير الجزائري: ٢/٢٥٥.

المطلب الرابع

وسيلة السفر والرحلة والسياحة في العمل الدعوي وأساليبه وأنشطته

١- مفهوم السفر والرحلة في العمل الدعوي

أـ السفر والرحلة والسياحة لغة:

١ - (السَّفَرُ) بفتحتين وهو قطع المسافة، يقال ذلك إذا خرج للارتحال، أو لقصد موضع فوق مسافة العدوى، لأن العرب لا يسمون مسافة العدوى سفرا. ويجمع على (أَسْفَارٌ). وقيل: سمي السفر سفرا ؛ لأنه يسفر عن وجوه المسافرين وأخلاقهم فيظهر ما كان خافيا فيها . والمِسْفَرُ الكثير الأَسفار القويُّ عليها، والأُنثى مِسْفَرَةٌ[١].

٢ - ومن السفر الرحلة بكسر أوله وسكون ثانيه مصدر رحل، من الارتحال. وفي التنزيل العزيز﴿رحلة الشتاء والصيف﴾. و(المَرْحَلَةُ) المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم، والجمع (المَرَاحِلُ) .

والرحلة بالضم: الشيء الذي يرتحل إليه، وعالم رحلة، يرتحل إليه من الآفاق، ويعبر ذو رحلة قوة على السير. و(الرَّحْلُ) كلّ شيء يعد للرحيل من وعاء للمتاع ومركب للبعير وحلس و رسن.

---

(١) انظر: لسان العرب: ٣٦٧/٤ المصباح المنير: ٢٧٨ تاج العروس: ٣٨/١٢.

٣- ومن السفر السياحة وهي الذهاب في الأَرض للعبادة والتَّرَهُّب، وساح في الأَرض يَسِيح سِياحةً وسُيُوحاً وسَيْحاً وسَيَحاناً أَي ذهب، وفي الحديث «لا سِياحة في الإِسلام» أَراد بالسِّياحة مفارقةَ الأَمصار والذَّهابَ في الأَرض وأَصله من سَيْح الماء الجاري[1]، هذا هو معنى ومدلول لفظ كل من: السفر والرحلة والسياحة لغة فالجامع بينها الانتقال والارتحال وقطع المسافات فترادف في معانيها وتتقارب في مدلولاتها لغة وإن اختلفت في المقاصد و التطبيق في كثير من الأحوال كما سنبينه[2].

أ ـ السفر والرحلة والسياحة اصطلاحا:

١- **السفر**: هناك تعريفات كثيرة للسفر، أجمعها: أنه الخروج من موضع الإقامة بقصد السير إلى موضع بينه وبين موضع الإقامة مسافة يطلق عليها عرفاً سفرا .

٢- **أما السياحة** فهي لدى الكثيرين أنها: التنقل من بلد إلى بلد، أو داخل البلد الواحد، للترفيه، واللهو، والمتعة، والتنزه.

أما عند المشتغلين بدراسة ظاهرة السياحة فقد تعددت تعريفاتها «تبعاً لتعدد اهتماماتهم حتى خلصت بعض الدراسات إلى ثمانين تعريفاً مختلفاً للسياحة».

إلا أن مفهومها عند أهل التربية في الإسلام: عبارة عن سير القلب عند أخذه في التوجه إلى الحق بالذكر. وقد وردت السياحة في مواضع من السنة النبوية بمعان متعددة ومن المعاني التي وردت بها ما يلي:

---

(١) انظر: المخصص لابن سيدة:٢١١/١ و٦٢/٤ ولسان العرب:٤٩٢/٢المعجم الوسيط:٤٦٧/١.

(٢) انظر: لسان العرب: ٢٦٥/١١و المصباح المنير:٢٢٣/١ والمعجم الوسيط: ٢٢٤.

١- الصيام: عن عائشةَ -رضي الله عنها- مرفوعاً: «سِيَاحَةُ هَذِهِ الأَمَةُ الصِيَامُ»[١].

٢- الجهاد: عن أبي أمامة -رضي الله عنه- أن رجلاً قال: يا رسول الله أئذن لي في السياحة فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله»[٢].

٣- طلب العلم ودوام الطاعة وتحصيل القربات: يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله -: «فسرت السياحة بالصيام، أو السياحة في طلب العلم، وفسرت بسياحة القلب في معرفة الله ومحبته والإنابة إليه على الدوام، والصحيح أن المراد بالسياحة السفر في القربات، كالحج، والعمرة، والجهاد، وطلب العلم، وصلة الأقارب، ونحو ذلك»[٣] .

وبهذا يتبين أنه لا علاقة لمعنى السياحة في الإسلام بما ارتبط في أذهان الناس من أن السياحة تعني السفر للخارج أو التنقل في الداخل للترفيه واللهو والمتعة فقط، والتي قد لا تنضبط في كثير من مجالاتها وقنواتها ووسائلها مع أحكام الإسلام وآدابه، فهذه سياحة مذمومة ينبغي للعاقل الابتعاد عنها، وعدم القرب منها، والاستسلام لمغرياتها.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٢/٣٩٢).

(٢) سنن أبو داود كتاب الجهاد: (٢٤٧٨).

(٣) تيسسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (٥/٢٩٠).

٢- عرض لمفهوم وسائل السفر والرحلة والسياحة وأساليبها وأنشطتها في العمل الدعوي (التأصيل):

إن السفر والترحال والسياحة أمر ذو بال في واقع كل امرئ حي، فالإنسان مجبول على حب التنقل والضرب في الأرض، والناس لهم في السفر والترحال والسياحة مقاصد شتى، ومآرب متنوعة، فهذا يريد أن يعلل ويرفه جسده، وذاك يريد أن يمتع عينيه بالمناظر الخلابة، وآخرون بدعوى الدراسة والعمل والتجارة، وهذا للدعوة إلى الله، وهذا لزيارة الأقارب والأرحام، وهكذا دواليك في تعدد المقاصد من السفر والسياحة والرحلات، وهذه الأمة في جاهليتها وإسلامها موطنة على الرحلة، ومولعة بالسفر والسياحة، فكانت في جاهليتها تسافر وتسيح في الأرض، إما سداً للفاقة، أو طلباً للراحة، أو للقتال والغارة أو غير ذلك مما هو متعلق بالدنيا.

فجاء الإسلام العظيم مشرقاً بنوره الوضاء مقررا لحاجة الإنسان للسفر، ونظم أمر السير في الأرض، ووجه أهدافه الإنسانية، ومقاصده الدينية، وذكر وسائله وقومها متعرضا لأساليبه وأنشطته، وأرشد إلى ذلك كله وزكى ما كان هدفه الهداية للإنسان، وتربية للعباد جسدا وروحا وعقلا بالسياحة، واعتبر السير في الأرض للتفكر والاعتبار، وجعل فيه الحصول على العلم وتحقيق أهداف الجهاد، بل وأمر وأرشد إليه، وجعله وسيلة هامة لتبليغ دينه ونشر تعاليمه وبيان أحكامه، كما أنه وسيلة للحصول على الرزق الحلال ممتنا بذلك ومذكرا به العباد في أمة قريش

الواقعة في قلب الأرض منطلق دعوة الاسلام إلى العالم برحلة إلى اليمن تارةً، وإلى الشام تارة أخرى فقال سبحانه: ﴿ **لِإِيلاَفِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ** ﴾[(١)]، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

كما جعله سياحةً وسفراً ورحلةً تعتبر بملكوت الله – جل وعلا –، وتنظر في آياته الباهرة ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾، وقال تعالى: ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾، وهذا كله هو حقيقة الدعوة والعمل لهذا الدين الذي جعل من أهم وسائل تبليغه ونشره القيام بالأسفار والسياحة والترحال.

والقرآن الكريم عرض أسفارا ورحلات وسياحات الأنبياء والرسل السابقين عليهم السلام في تبليغهم ودعوتهم، كما ذكر ذلك في حق نبينا محمد ﷺ وأمته خاصة فيما يتعلق بأداء بعض العبادات وشعائر الإسلام والأعمال الدعوية وها أنا أستعرض بعض هذه الآيات مع البيان والتطبيق النبوي لذلك .

- **رحلة آدم عليه السلام من السماء إلى الأرض لتلقي الهداية ونشرها:**

قال تعالى: ﴿ **قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾[(١)]، ذكر الإمام الطبري: أن الخطاب موجه إلى آدم

(١) سورة قريش: الآيتان (١-٢).

(١) سورة البقرة: الآيتان (٣٨-٣٩).

وحواء والحية وإبليس. وأن الهدى: الأنبياءُ والرسل والبيان[1].

- **رحلة نوح عليه السلام البحرية وصناعة الفلك لينجو هو ومن معه:**

قال تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩) حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

- **أسفار إبراهيم عليه السلام ورحلاته لتنفيذ مهام دعوية أمر بها:**

أ- هجرته من العراق إلى بلاد الشام طالبا للهداية ية:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[2]، قال القرطبي: هذه

---

(١) تفسير الطبري:١/٥٥٠.

(١) سورة هود: الآيات (٣٦-٤٤).

(٢) سورة الصافات: الآية (٩٩).

الآية أصل في الهجرة والعزلة. وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه السلام، وذلك حين خلصه الله من النار « قال إني ذاهب إلى ربي » أي مهاجر من بلد قومي ومولدي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي فإنه « سيهدين » فيما نويت إلى الصواب. قال مقاتل: هو أول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة، إلى الأرض المقدسة وهي أرض الشام[1]..

ب- رحلته بهاجر وولده إسماعيل إلى بيت الله المحرم ورحلات التعهد لهما:

قال تعالى: ﴿**رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾[2]، ذكر ابن كثير في هذا حديثا في صحيح البخاري تضمن أسفار نبي الله إبراهيم عليه السلام لإسكان هاجر وولده إسماعيل بأمر الله مكة، عند بيته المحرم، ومرة ثانية وثالثة لتعهد حاله، وخامسة لبناء بيت الله الحرام، ومرة لذبح ولده إسماعيل، وكل ذلك بأمر الله عز وجل قال بعد أن ذكر سند البخاري إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال:

الرحلة الأولى: «أول ما اتخذ النساء المِنْطَق من قبَل أم إسماعيل، عليهما السلام اتخذت منطقًا ليعفي أثرها على سارة. ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل عليهما السلام، وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زَمْزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسِقَاء فيه ماء، ثم قَفَّى إبراهيم، عليه السلام، منطلقًا. فتبعته أم

(١) تفسير القرطبي:١٥/٩٧٢.
(٢) سورة ابراهيم: الآية (٣٧).

إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذًا لا يضيعنا. ثم رجعت. فانطلق إبراهيم، عليه السلام، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات، ورفع يديه، قال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[1]....

الرحلة الثانية: فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيلُ ليطالع تَرْكَتَه. فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا. ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بشَرّ، نحن في ضيق وشدة. وشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له: يغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل، عليه السلام، كأنه أنس شيئًا. فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسأل عنك، فأخبرته، وسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنا في جَهْد وشدَّة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول غَيِّرْ عتبة بابك. قال: ذاك أبي. وقد أمرني أن أفارقك، فالحقي بأهلك. فَطَلَّقَها وتزوج منهم بأخرى.

الرحلة الثالثة: فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده. فدخل على امرأته، فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن

---

(١) سورة ابراهيم: الآية (٣٧).

عيشهم وَهَيْئَتهم. فقالت: نحن بخير وسعة. وأثنت على الله، عز وجل. فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء». قال النبي ﷺ: «ولم يكن لهم يومئذ حَب، ولو كان لهم، لدعا لهم فيه. قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه». قال: «فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، ومُريه يُثَبِّت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل، عليه السلام، قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه فسألني عنك، فأخبرته، فسألني: كيف عيشنا؟ فأخبرته أنا بخير. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك.

الرحلة الرابعة: رحلته من بلاد الشام إلى بلاد الحجاز لبناء البيت بمعاونة ولده إسماعيل: الحديث السابق تناول هذه الرحلة وأنها كانت تهدف لبناء البيت بمعاونة ولده إسماعيل كما نصت على ذلك هذه الآية، قال تعالى:﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1]، قال ابن عباس: ثم لَبثَ (إبراهيم) عنهم (إسماعيل وأهله) ما شاء الله، عز وجل، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يَبْرِي نَبْلا له تحت دوحة قريبًا من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الولد بالوالد، والوالد بالولد. ثم

(١) سورة البقرة: الآيتان (١٢٧-١٢٨).

قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك عز وجل. قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتًا - وأشار إلى أكَمَةٍ مرتفعة على ما حولها -قال: فعند ذلك رَفَعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ قال: «فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت، وهما يقولان:﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾»[١].

د- الأمر للناس كافة السفر إلى الحج لبيت الله الحرام بعد نداء إبراهيم عليه السلام:

١- قال تعالى: **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾**[١].

٢- وقال تعالى:**﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾**[٢].

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٣٦٤). [ورواه عبد بن حميد عن عبد الرزاق به مطولا] (٥) . ورواه ابن أبي حاتم، عن أبي عبد الله محمد بن حمَّاد الظهراني. وابن جرير، عن أحمد بن ثابت الرازي، كلاهما عن عبد الرزاق به مختصرًا تفسير ابن أبي حاتم (٣٨١/١).وقد رواه البخاري كما ترى، من حديث إبراهيم بن نافع، كأن فيه اقتصارًا، فإنه لم يذكر فيه [شأن] الذبح. وقد جاء في الصحيح، أن قرني الكبش كانا معلقين بالكعبة، وقد جاء أن إبراهيم، عليه السلام، كان يزور أهله بمكة على البراق سريعًا ثم يعود إلى أهله بالبلاد المقدسة، والله أعلم. انظر: تفسير ابن كثير:٤٢٧/١ بتصرف.

(١) سورة آل عمران: الآيتان (٩٦-٩٧).

(٢) سورة الحج: الآية (٢٦-٢٧).

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ أي: أعلمهم به، وادعهم إليه، وبلغ دانيهم وقاصيهم، فرضه وفضيلته، فإنك إذا دعوتهم، أتوك حجاجا وعمارا، رجالا أي: مشاة على أرجلهم من الشوق، ﴿ وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ أي: ناقة ضامر، تقطع المهامه والمفاوز، وتواصل السير، حتى تأتي إلى أشرف الأماكن، ﴿ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ أي: من كل بلد بعيد، وقد فعل الخليل عليه السلام، ثم من بعده ابنه محمد -ﷺ-، فدعيا الناس إلى حج هذا البيت، وأبديا في ذلك وأعادا، وقد حصل ما وعد الله به، أتاه الناس رجالا وركبانا من مشارق الأرض ومغاربها.

- **سفر نبي الله لوط عليه السلام مهاجرا بأمر الله:**

قال تعالى: ﴿ **فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ** ﴾[1]، قال شيخنا الجزائري: وقوله ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ أي يأمركم ربكم وقد أمروا بالذهاب إلى الشام[1]، قال ابن عباس: يعنى الشام. وقال مقاتل: يعنى صفد، قرية من قرى لوط[2].

- **رحلة موسى عليه السلام للعلم والتربية وصحبته لمعلمه ومربيه في السفر:**

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ**

(١) سورة الحجر: الآية (٦٥).

(١) تفسير الجزائري:٧٧/٣.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٨/١٠.

سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[1]، الآيات وضحت هذا السفر وما تم فيه من مقاصده وأهدافه ونتائجه وثماره والسنة ببيانها فصلت أكثر في قضايا هذه الرحلة انظر هذا

(١) سورة الكهف: الآية (٦٠-٧٨).

التفصيل في صحيح البخاري من حديث بن عباس[1].

- **سفر طالوت ملك بني إسرائيل ومعه نبي الله داوود للجهاد:**

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إلا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إلا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[2]، في تفسير الطبري: قيل: إن طالوت فصل بالجنود يومئذ من بيت المقدس وهم ثمانون ألف مقاتل، لم يتخلف من بني إسرائيل عن الفصول معه إلا ذو علة لعلته، أو كبير لهرمه، أو معذور لا طاقة له بالنهوض معه[3].

- **رحلة العبد الصالح ذي القرنين العالمية ليقوم بأعمال دعوية كبيرة متنوعة:**

قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى

(١) صحيح البخاري برقم (٤٧٢٥).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٤٩).

(٣) تفسير الطبري:٥/٣٣٩.

وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[١].

قال القرطبي: قال ابن إسحق: وكان من خبر ذي القرنين أنه أوتي ما لم يؤت غيره، فمدت له الاسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها، لا يطأ أرضا إلا سلط على أهلها، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شيء من الخلق[٢].

وقال سيد قطب: وقد سجل السياق القرآني لذي القرنين ثلاث رحلات:

---

(١) سورة الكهف: الآية (٨٣-١٠١).

(٢) تفسير القرطبي: ٤٥/١١.

واحدة إلى المغرب، وواحدة إلى المشرق، وواحدة إلى مكان بين السدين[1] .

- **هدهد سليمان ورحلاته الاستكشافية الدعوية:**

قال تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[1]، قال ابن كثير: ولما كان الهدهد داعيا إلى الخير، وعبادة الله وحده والسجود له، نهي عن قتله، كما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه، عن أبي هريرة -رضي الله عنه-[2].

- **رحلة ملكة سبأ إلى نبي الله سليمان:**

قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ

---

(١) في ظلال القرآن:٥ / ٧٦ وتفسير ابن كثير:

(١) سورة النمل: الآية (٢٠-٣١).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد (٣٣٢/١) وسنن أبي داود برقم (٥٢٦٧) ابن ماجه برقم (٣٢٢٤) . تفسير ابن كثير: ١٨٨/٦

تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

- **رحلة نبينا محمد ﷺ الكونية للتسلية والترويح والاطلاع على آيات الله:**

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2]، ورجح شيخنا الشنقيطي رحمه الله أنها كانت بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ -ﷺ- يَقَظَةً لَا مَنَامًا[3]، وهذه الرحلة تم فيها ربطه -ﷺ- بالدعاة من الأنبياء والرسل، وتلقيه لأعظم شعيرة

(١) سورة النمل: الآيات (٣٥-٤٤).

(٢) سورة الإسراء: الآية (٢).

(٣) أضواء البيان: ٣/٣-٨ وانظر تفسير ابن كثير: ٥/٥ وما بعدها.

في الإسلام، وأراه من الآيات الكونية ما تقوي معنويته بما أرسل به. وكانت الرحلة من المسجد الحرام إلى بيت المقدس بإيلياء الشام كما هو تعبير القرآن ومن ثم عروجه إلى السماء كما بينته السنة الصحيحة إلى حيث شاء الله تعالى.

ولرسول الله ﷺ أسفار ورحلات كثيرة قام بها بنفسه أو أمر بها، في مكة، وهي رحلات تهدف إلى تبليغ الدعوة وطلب العون عليها والدفاع عنها كرحلة الطائف، والأمر بالهجرة إلى الحبشة.

وأسفار ورحلات المدينة المتنوعة وهي الكثيرة، منها ما كانت للجهاد وقد مثلتها السرايا والغزوات، وأخرى لتبليغ الدعوة والتي مثلتها البعوث والوفود، وثالثة كانت لأداء الشعائر كرحلات الحج والعمرة. وهذه الأسفار والرحلات كان البيان فيها للسنة. نجملها في الآتي:

- **الأمر بالسفر والارتحال للتفقه في الدين والإنذار به:**

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1]، ومن أعظم ما يوضح أهمية الرحلة لطلب العلم وتعليمه ونشر دعوة الإسلام به في الآفاق ما جاء في السير عن بعوث رسول الله ﷺ والوافدين عليه وعودتهم إلى أهاليهم بالتبليغ به، والذي ينبغي معرفته أن السفر وبعث البعوث للقيام بمهمة الدعوة إلى الله هي مسؤولية المسلمين في كل عصر، وهي إحدى الوسائل المساعدة

(١) سورة التوبة: الآية (١٢٢).

على القيام بهذا الواجب العظيم[1].

***الأمر بالسير في الأرض والسياحة للاستدلال والتفكر والاعتبار وإقامة الحجة:** نقتصر على سرد بعض الآيات دون تعليق أو تفسير لوضوحها فيما نحن بصدده.

١- قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2].

٢- وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

٣- قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[2].

٦- قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[3].

---

(١) انظر: د. محمد سعيد البوطي، فقه السيرة النبوية، ص ٤٧٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية (١١).

(١) سورة العنكبوت: الآية (٢٠).

(٢) سورة الحج: الآية (٤٦).

(٣) سورة الروم: الآية (٩).

• **الإذن بالسياحة في الأرض عموما:**

٢- قال تعالى في أهل سبأ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ﴾[1]، في هذه الآيات إشارة إلى السياحة القديمة، أما السياحة في الإسلام فقد أشير إليها في:

٣- قوله تعالى في وصف عباده المؤمنين: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، قال عكرمة السائحون: هم طلبة العلم، وقال عطاء: السائحون: هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله. فهم يسيحون لأجل رفع راية الدين، وإعلاء كلمة المسلمين، وإزالة الذل والهوان عن عباد الله المستضعفين ..إنهم يسيحون لبلوغ ذروة سنام الإسلام. والحق أن السياحة في مفهوم الإسلام ما يقوله السعدي من شمولها لذلك كله ولغيرها من القربات والطاعات[1].

• **الإذن بالهجرة وشد الرحال لمن فتن في دينه ولم يقدر الدفاع عن نفسه ودينه:**

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2]، قال قتادة: هم أصحاب النبي -ﷺ- ظلمهم أهل مكة وأخرجوهم من

---

(١) سورة سبأ: الآية (١٨).

(٢) سورة التوبة: الآية (١١٢).

(١) تفسير السعدي: ٣٥٣/١.

(٢) سورة النحل: الآيتان (٤١-٤٢).

ديارهم حتى لحق منهم طائفة بالحبشة ثم بوأ اللهّ لهم المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة، وجعل لهم أنصارا من المؤمنين. لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً، وهو أنه أنزلهم المدينة(١).

الحث على الهجرة والترغيب فيها عند وجود المقتضي وأثرها الإيجابي:

١- قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رّحِيماً﴾(١)، من التطبيقات العملية على طريق (نصر الدين وإظهاره على الدين كله) الهجرة في سبيل الله . قال الحافظ بن حجر في الفتح: وقد وقعت في الإسلام على وجهين :

الأول: الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن، كما في هجرتي الحبشة، وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة .

الثاني: الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان، وذلك بعد أن استقرّ النبي ﷺ بالمدينة، وهاجر إليه من أمكنه ذلك من المسلمين(٢)، وفي معنى هذه الآية ومدلولها:

٢- قوله تعالى: ﴿وَالّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوّئَنّهُمْ فِي الدّنْيَا حَسَنَةً وَلأجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾(٣).

---

(١) تفسير البغوي: ٣/٨٠.

(١) سورة النساء: الآية (١٠٠).

(٢) ابن حجر. فتح الباري. ١٦/١ .

(٣) سورة النحل: الآية (٤١).

- **ثناء الله ومدحه للمهاجرين التاركين ديارهم من أجل دينه والمجاهدين في سبيله:**

١- قال تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّن عِندِ الله وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾[1].

٢- وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ الله بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ الله وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً إِنَّ الله عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

هذا بعض ما جاء في القرآن الكريم من أنواع الأسفار والارتحال والسير في الأرض وفي بيان السنة خاصة في أسفار الدعوة إلى الله والعمل لدينه وتفسير أهل العلم لهذه الآيات. ومن تطبيقات السنة في أسفار الدعوة إلى الله البعوث التي بعثها الرسول -ﷺ- في السنة العاشرة من الهجرة حيث بعث عددًا من فقهاء أصحابه إلى شتى الجهات، وخاصة جنوب الجزيرة، للقيام بمهمة تعليم الناس أمور دينهم، حيث أصبحت الحاجة ماسة إلى معلمين ودعاة[2]، من هؤلاء الدعاة أبو عبيدة بن الجراح، فقد بعثه -ﷺ- مع وفد أهل نجران كما روى ذلك البخاري، عن حذيفة -رضي الله عنه- قال: « جاء أهل نجران إلى النبي -ﷺ-، فقالوا: ابعث لنا رجلًا أمينًا، فقال: « لأبعثن

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٩٥).

(١) سورة التوبة: الآيات (٢٠-٢٢).

(٢) انظر: د. محمد سعيد البوطي، فقه السيرة النبوية، ص ٤٧١.

إليكم رجلًا أمينًا حق أمين » فاستشرف له الناس فبعث أبا عبيدة بن الجراح »[1]، فبعثه -ﷺ- مبلِّغًا ومعلمًا، يقول ابن حجر « وفيه بعث الإمام الرجل الأمين إلى أهل الهدنة في مصلحة الإسلام »[2].

وروى البخاري أيضا، عن أبي بردة قال: « بعث رسول الله -ﷺ- أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على مخلاف، قال: واليمن مخلافان، ثم قال: يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا » . . . الحديث[1]، فكانت مهمة كل واحد منهما تعليمية قضائية، وكذلك كانت مهمة معاذ بن جبل -رضي الله عنه- حين بعثه النبي -ﷺ-إلى اليمن للدعوة والتعليم، فقد أوصاه -ﷺ- بقوله: « إنّك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم أن يوحدوا الله تعالى . . . . »[2]، فكانت وصيته -ﷺ- أن يبدأهم بالدعوة إلى الإسلام فإن أسلموا علّمهم الإسلام، واقتصرت بعثته على التعليم والهداية. فدلّت هذه النصوص على أنه -ﷺ-اختار طائفة من فقهاء صحابته، وبعثهم ليكونوا وسيلة دعوية تقوم بمهمة تعليم الناس أمور دينهم.

والذي ينبغي معرفته أن السفر وبعث البعوث للقيام بمهمة الدعوة إلى الله هي مسؤولية المسلمين في كل عصر، وهي إحدى الوسائل المساعدة على القيام بهذا الواجب العظيم.

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب قصة أهل نجران (ك ٦٧ ح ٤١١٩) ٤ / ١٥٩٢ .

(٢) ابن حجر ، فتح الباري ٨ / ٤٢٩ .

(١) البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (ك١٠٠ ص٦٩٣٧) ، ٦ / ٢٦٨٥

(٢) انظر: الشيخ محمد أبو زهرة ، خاتم النبيين ٢ / ١٤٠٥ .

كما أنها وسيلة هامة وأسلوب مؤثر وناشط نافع ومفيد على ما اشتمل عليه السفر من مشقة وتعب، المبين بقوله ﷺ: «السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه، فإذا قضى أحدكم نهمته من وجهه فليعجل إلى أهله»(١).

ولكن لا تتحقق فوائد السفر والبلوغ فيه للأهداف على وجه الكمال إلا إذا انضبط المسافرون بالضوابط والآداب المطلوبة فيه وهذا بيانها.

- ضوابط وسيلة (الأسفار) والترحال والسياحة وآدابها في العمل الدعوي:

لنعلم أن السفر- رغم أنه قطعة من العذاب كما يقول الرسول ﷺ- في ذاته نعمة من الله على عباده امتن به عليهم وبين لهم فيه بعض فوائده وثماره قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾(١)، وجعل له من الضوبط والآداب ما تعين هذا المسافر على مقاصده وتحقيق أهدافه وهي كثيرة نذكر منها الآتي:

١- صدق النية وسلامة الإخلاص فيها وحسن العمل وتحري الصواب فيه عن عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ: « الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج ، باب السفر قطعة من العذاب ، فتح الباري٣/٦٢٣ ، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارات ، باب السفر قطعة من العذاب . صحيح مسلم بشرح النووي١٣/٧٠.(٥) إعلام الموقعين ٢/١٠٠.

(١) سورة الملك: الآية (١٥).

هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[1].

٢- أن يكون الضرب في الأرض (السفر) مشروعا، ولا يكون مقصودا به معصية، والتحلي بالتقوى فيه فإنه وصية رسول الله -ﷺ- للمسافرين حتى تنالك دعوات رسول الله -ﷺ-. فقد روى الترمذي أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله: أريد أن أسافر فأوصني فقال -ﷺ-: «عليك بتقوى الله والتكبيرِ على كل شَرَفٍ (أي مرتفع) فلما وَلّى الرجل قال: اللهم أطوله البعد وهوِّن عليه السفر.

٣- عليك برد المظالم وقضاءِ الديون وكتابة الوصية وجميع مالك أو عليك. وتحرص أن لا يكون في سفرك ظلما لأحد. قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً** ﴾[1].

٤- كتابة حقوق الآخرين والوصية بها وبما يجب أن ينفذ في سفره أو عند وفاته إذا مات في هذا السفر. قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴾[2].

---

(١) صحيح البخاري:٦/١.

(١) سورة النساء: الآية (٩٤).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٨٣).

وقال تعالى:﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الآثِمِينَ ﴾[1].

٥- المحافظة على أداء فرائض الله وعدم التقصير والتهاون بها مع الأخذ باليسر والرخص التي يحب الله الأخذ بها في الأسفار كقصر الصلاة والجمع بين الصلاتين والفطر من الصوم وغير ذلك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾ [2].

٦- على المسافر عندما يريد أداء الصلاة أن يؤذن وإن كان وحده، و يجوز للمسافر أن يصلي النافلة وهو راكبٌ ولو إلى غير القبلة قال أبن عمر رضي الله عنهما:

---

(١) سورة المائدة: الآية (١٠٦).

(١) سورة البقرة: الآية (١٨٥).

(٢) سورة آل عمران: الآية (٤٣).

كان رسول الله -ﷺ- يصلي وهو مقبلٌ من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهُهُ قال: وفيه نزلت ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾، وقال «كان رسول الله -ﷺ- يوتر على البعير» (رواهما مسلم).

٧- من الأدب مع الله استخارته في سفرك فحينما يخطر ببالك السفر فعليك بصلاة الاستخارة، ثبت في صحيح البخاري عن جابر بن عبدالله قال كان رسول الله -ﷺ- يعلمُنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمُنا السورةَ في القرآن يقول: إذا هَمَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير فريضة ثم ليقل: «اللهمَّ إِني أستخيرك بعلمك واستقدرُك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدرُ ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلمُ أنَّ هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويَسّره لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شَرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: عاجل أمري وآجله فأصرفه عني وأصرفني عنه وأقدر لي الخيرَ حيث كان ثم أرضني قال ويسمي حاجته».

٨. اختيار الرفقة الصالحة التي تعينك على أمور دينك ودنياك وإياك أن تسافر وحدك ولا سيما بالليل روى البخاري والترمذي من حديث ابن عمر أنه-ﷺ- قال: «لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكبٌ بليلٍ وحده » .

٩. عليك أيها المسافر تفقد وسيلة سفرك وإصلاحها وتموينها فإن هذا من الأخذ بالأسباب لئلا تلقي بنفسك وبمن معك إلى التهلكة وكلُّ شيءٍ بقضاءٍ وقدر.

١٠- الدعاء عند ركوب وسيلة السفر والتوكل على الله والاستعانة به في أهدافك السفرية، وتذكر نعمة الله عليك وكبرِّ ثلاثاً، قال تعالى:﴿ **وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ** ﴾[١]، وقد كان النبي -ﷺ- يفعله. ثم تقول: «اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى .. اللهم هون علينا سفرنا هذا، وأطو عنا بُعده، اللهم أنت الصاحبُ في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك مَنْ وعثاءِ السفر وكآبة المنظر، وسوءِ المنقلب في المال والأهل».

١١- مما يؤمر به المسافرون أن يؤمّروا عليهم أحَدَ هُم لأن الآراءَ تختلفُ في تعيين المنازلِ والطرق ومصالحِ السفر فبَالتأمير ينتظم أمر التدبير، ويأمنون من الفُرقة والتنازع وقد روى أبو داود عن نافعٍ عن أبي سلمه عن أبي هريرة أن رسول الله -ﷺ- قال: (إذا كان ثلاثةُ في سفر فيؤمرا أحدهم) قال نافع فقلنا لأبي سلمة فأنت أميرنا.

١٢- على المسافرين إذا نزلوا منزلاً أن يقولوا ما أرشدهم إليه النبي -ﷺ- بقوله: «مَنْ نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلماتِ اللّه التامات من شر ما خلق لم يضَرهُ شيءٌ حتى يرتحل من منزله ذلك»[٢]، وعليهم ألاَّ يتفرّقوا في الأودية والشعاب لما روى أبو داود عن ابي ثعلبه الخشني -رضي الله عنه- قال كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الشعاب والأودية فقال رسول الله -ﷺ-: «إِن تفرقكم في هذه الشعابِ

---

(١) سورة الزخرف: الآية (١٢-١٤).

(٢) رواه مسلم.

والأوديةِ إنما ذلك من الشيطان فلم ينزل بعد ذلك منزلاً إلا أنضمَّ بعضهم إلى بعض».

١٣ . أن النبي-ﷺ- كان إذا أشرف على مدينه أو قريةٍ يُريد دخولها يقول « اللهم رَبَّ المساوات السبع وما أظلَلْنَ، ورَبَّ الأرضين السبعِ وما أقللن، ورَبَّ الشياطين وما أضللن، وَرَبَّ الرياح وما ذرينَ أسألك خيرَ هذه القريةِ وخيرَ أهْلِهاَ، وأعوذ بك مِنْ شَرّها وشَرِّ ما فيها»[١]، وإذا أرتفع المسافر أو علا جبلاً فليكبرّ وإذا هبط وادياً أو منخفضاَ فعليه أن يسبح قال جابر-رضي الله عنه-: (كنا إذا صعدِنا كبرنا وإذا تصوبنا سبحنا) [٢]، ومعنى تصوبنا: أي نزلنا .

فإذا قدم بلدَه أستحُبَّ له أن يبدأ بالمسجد فيصلي فيه ركعتين اقتداءً برسول الله -ﷺ- فقد كان يفعله وأمر به جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهماـ حين قدم من سفر قال: (أدخل فصل ركعتين) [٣] .

٤- فوائد وثمار السفر والترحال والسياحة والهجرة في العمل الدعوي:

على الرغم مما قيل في السفر وأنه قطعة من العذاب، لما يلقاه المسافر من مشاق ومتاعب، حتى وإن تطوّرت وسائلَ النقل، وتيسرتِ السبل إلا أنه لا بد منه للناس إما لحجٍ أو عمرة أو جهادٍ أو دعوة إلى الله أو طلبِ علمٍ أو رزق أو صلةِ رحم أو غير ذلك من المنافع والفوائد والثمار الكثيرة ونذكر إضافة إلى ذلك الآتي:

---

(١) أخرجه أبن السيني وأبن حبان والحاكم وسنده حسن (وحسنه الحافظ ابن حجر) ..

(٢) رواه البخاري

(٣) رواه مسلم.

١- التعرف على آيات الله في أرض الله الواسعة واختلاف تكوينها، وحرها وبردها، وبحارها، وأنهارها، وفوارق ليلها، ونهارها. ولما يرى من عجائبِ الأمصار، ومن بدائع الأقطار ومحاسن الآثار، وما يزيده علماً بقدرة الله ـ تعالى ويدعوه إلى أن يشكرَ نِعَمَهُ .

٢- التعرف على آيات الله في أجناس الناس، واختلاف ألسنتهم وألوانهم، قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِين** ﴾ [١] .

٣- التعرف على ما لدى الآخرين من علوم ومبتكرات والاقتباس منها .قال رسول الله -ﷺ- «الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها»[٢].

٤- طلب الرزق الحلال. قال تعالى: ﴿ **فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُور** ﴾[٣] .

٥- الترويح عن النفس. فقد ورد عن الرسول -ﷺ- أنه قال: «روحوا على القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلَّت عميت»[٤] ، ويشهد له ما في مسلم من قوله -ﷺ-:« يا حنظلة ساعة وساعة »[٥].

---

(١) سورة الروم: الآية (٢٢).

(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

(٣) سورة الملك: الآية (١٥).

(٤) أخرجه الهندي في منتخب كنز العمال في الاقتصاد والرفق في الأعمال انظر منتخب كنز العمال ١٦٩/١ والسيوطي في الجامع الصغير١٩/٢ ،

(٥) أخرجه مسلم (٨ / ٩٤ - ٩٥) والترمذي (٢ / ٨٣ - ٨٤) وابن ماجة (٢ / ٥٥٩)، وأحمد (٤ / ١٧٨ و٣٤٦) من طريق أبي عثمان النهدي

٦- ذكر الأمام الشافعي رحمة الله تعالى بعضا من فوائد السفر في بيتين من الشعر فقال :

تغرب عن الأوطان في طلب العلا　　　تفرج هم واكتساب معيشة .

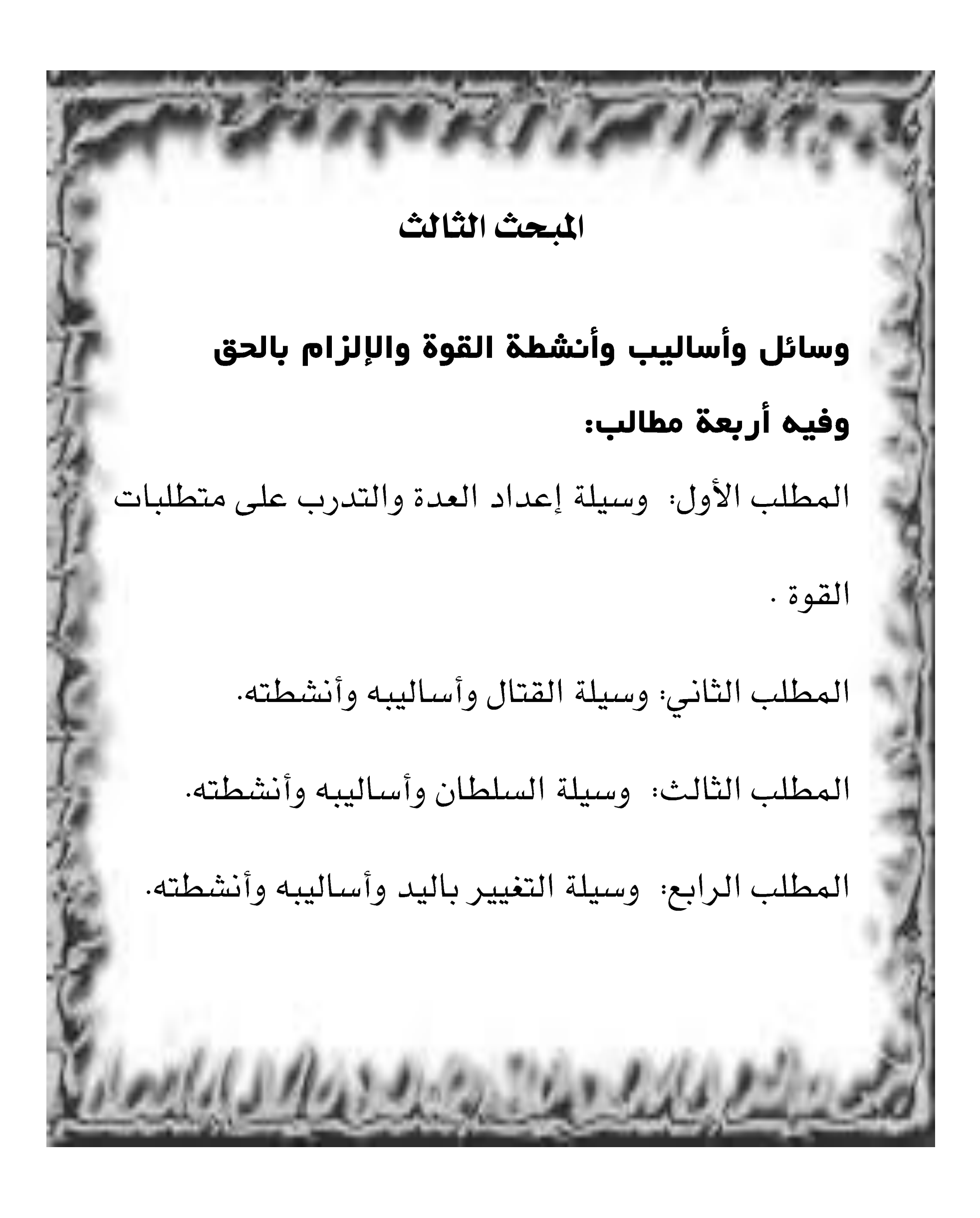
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد　　　وعلم وآداب وصحبة ماجد

٧ – ومن فوائد السفر: استجابة الدعاء روى أبو داود والترمذي عنه ﷺ قال:« ثلاثُ دعواتٍ مستجاباتٍ لا شك فيهنَ، دعوةُ المظلوم ودعوةُ الوالد ودعوةُ المسافر» وعند سفر المسلم أو المسلمة يكتب له ما كان يعمل من الصالحات قبل السفر روى البخاري عن أبي موسى ـ الله عنه ـ قال قال رسول الله ﷺ« إذا مرضَ العبد أو سافر كتب له ما كان يعمله مقيماً صحيحاً ».

٨ – من فوائد السفر أن صاحبه يرى من عجائبِ الأمصار، ومن بدائع الأقطار ومحاسن الآثار، وما يزيده علماً بقدرة الله ـ تعالى ويدعوه إلى أن يشكرَ نِعَمَهُ .

٩ – ومن فوائد السفر: استجابة الدعاء روى أبو داود والترمذي عنه ﷺ قال :« ثلاثُ دعواتٍ مستجاباتٍ لا شك فيهنَ، دعوةُ المظلوم ودعوةُ الوالد ودعوةُ المسافر».

١٠ – وعند سفر المسلم أو المسلمة يكتب له ما كان يعمل من الصالحات قبل السفر روى البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ« إذا مرضَ العبد أو سافر كتب له ما كان يعمله مقيماً صحيحاً » .



المبحث الثالث

وسائل وأساليب وأنشطة القوة والإلزام بالحق

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: وسيلة إعداد العدة والتدرب على متطلبات القوة .

المطلب الثاني: وسيلة القتال وأساليبه وأنشطته.

المطلب الثالث: وسيلة السلطان وأساليبه وأنشطته.

المطلب الرابع: وسيلة التغيير باليد وأساليبه وأنشطته.

المطلب الأول

وسيلة إعداد العدة والتدرب على متطلبات القوة

١ – مفهوم إعداد العدة والاستعداد لغة واصطلاحا:

أ – العدة لغة:

العُدّة – بالضّمّ – في اللّغة: الاستعداد والتّأهّب، وما أعددته من مال أو سلاح، أو غير ذلك و الجمع (عُدَدٌ) و(أَعْدَدْتُهُ) (إِعْدَادًا) هيأته وأحضرته[١].

ب ـ العدة اصطلاحا:

هي: جميع ما يتقوّى به في الحرب على العدوّ .

ج ـ ما تكون به العدّة في العمل الدعوي:

بيّن القرآن العدّة: بأنّها القوّة، ورباط الخيل، قال تعالى:﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ** ﴾[٢].

واختلف المفسّرون في المراد من القوّة: وذكروا فيه عدة أقوال أظهرها ما ذكره صاحب تفسير الخازن بقوله: إنّ المراد بالقوّة جميع ما يتقوّى به في الحرب على العدوّ، فكلّ ما هو آلة يستعان بها في الجهاد فهو من جملة القوّة المأمور بإعدادها.

وقوله ﷺ: « ألا إنّ القوّة الرّمي » لا ينفي كون غير الرّمي من القوّة المأمور بإعدادها فهو كقوله ﷺ: « الحجّ عرفة » وكقوله: « النّدم توبة » فهذا لا ينفي

(١) المصباح المنير:٢/٣٩٦.

(٢) سورة الأنفال: الآية (٦٠).

اعتبار غيره، بل يدلّ على أنّ المذكور هو من أجلّ المقصود، ولأنّ الرّمي كان من أنجع وسائل الحرب نكايةً في العدوّ في زمنه ﷺ فهكذا هنا يحمل معنى الآية على الاستعداد للقتال في الجهاد بجميع ما يمكن من الآلات. كالرّمي بالنّبل، والنّشاب، والسّيف، وتعلّم الفروسيّة ،- هذا ما كان قديما وفي عصرنا كل ما استحدث وصنع من عتاد الحرب وعدته، والتّصافي، واتّفاق الكلمة، والثّقة باللهّ وكلّ ذلك مأمور به، وخصّ رباط الخيل بالذّكر لأنّها الأداة الّتي كانت بارزةً عند من كان يخاطبهم القرآن أوّل مرّة[1]..

٢ – عرض وسيلة الإعداد والاستعداد في العمل الدعوي:

الإعداد والاستعداد الذي يتطلبه ميادين العمل الدعوي وفي مقدمته قتال أعداء الدعوة الإسلامية والمحاربين لها والواقفين في وجه انتشارها وبلوغها أقصى أهدافها، يعد من أهم الوسائله التي ارتبطت بالأسباب المحققة لأهدافها بمقتضى سنة الله في المدافعة والدفاع المذكورة في قوله تعالى ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾[2].

وقوله: ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾[3].

---

(١) انظر الموسوعة الفقهية ١-٤٢ - (١ / ١٢٣٥٨)

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٥١).

(٣) سورة الحج: الآية (٤٠).

هذه الوسيلة الهامة نلحظ اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بتحقيقها من أول يوم كلف بتبليغ ما أنزل عليه في مرحلتي ميدان عمله التبليغي الدعوي: المكية والمدنية، كل مرحلة بما يتناسب معها ويتطلبها، واستمرت كوسيلة هامة في العهد الراشدي، بما نالها من التطوير والتجديد مما اقتضاه توسع الميادين الدعوية والجهادية القتالية، وقبل أن نتناول البيان والتوضيح عن هذه الوسيلة في العهدين النبوي والراشدي نعرج على مدلول هذه الوسيلة كما تعودنا ذلك:

أولا: حكمها: إعداد العدة التي تعني الاستعداد للحرب، فريضة تلازم فريضة الجهاد، فالحرب بلا عدّة إلقاء للنّفس إلى التّهلكة، والعدّة للحرب في سبيل إعلاء كلمة اللهّ بأنواعها فرض على المسلمين، قال تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ**﴾[1]، والخطاب لكافّة المسلمين، وقال سبحانه: ﴿ **وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ أي بترك الإنفاق في سبيل اللهّ، والخطاب أيضاً لكافّتهم، وعدّ سبحانه وتعالى: ترك الإنفاق في سبيل اللهّ وعدم الاستعداد للحرب باتّخاذ العدّة اللازمة للنّصر تهلكةً للنّفس، وتهلكةً للجماعة، فالدّعوة إلى الجهاد في التّوجيهات القرآنيّة والنّبويّة تلازمها في الأغلب الأعمّ دعوة إلى الإنفاق .

(١) سورة الأنفال: الآية (٦٠).

والعدّة بما في الطّوق كما يقول سيد قطب: من فروض الكفاية على المسلمين، فإن تركوها أثموا جميعاً، وهي من الأمور المنوطة بالإمام وتلزم عليه.

وعدّ القرآن ترك العدّة للحرب إعلاءً لكلمة اللهّ من علامات النّفاق، فقال تعالى: في شأن المنافقين الّذين استأذنوا النّبيّ صلى الله عليه وسلم لأعذار واهية في عدم الخروج معه في الجهاد: ﴿ وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً ﴾[1].

ويحسن أن نعرف حدود التكليف بإعداد القوة . فالنص يقول: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ . فهي حدود الطاقة إلى أقصاها . بحيث لا تقعد العصبة المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتها، لذلك كان الأخذ بأسباب القوة فريضة على المسلمين على اختلاف صنوفها وألوانها، وأسبابها، مادّيةً كانت أو معنويةً، وتشمل كل ما يطيقونه مما يفيد في الحرب من الوسائل مادّيّاً كان كالسّلاح والإنفاق وتدريب المجاهدين في فنون الحرب، وإتقان استعمال أنواع السّلاح المختلفة، لقوله: « مَّا اسْتَطَعْتُم » أو معنويّاً: كالتصافي، واتّفاق الكلمة، والثّقة بالله، وعدم خوض الحرب بغير إذن السلطان، والاختيار لإمارة الجيش من كان ثقةً في دينه، والتوصية بتقوى الله، وأخذ البيعة عليهم بالثبات على الجهاد وعدم الفرار، وغير ذلك مما يؤدّي إلى القوة البدنية والمعنوية [1].

---

(١) سورة التوبة: الآية (٤٥-٤٦).

(١) هل تخلى الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم:١/٨٥-٨٦.

ولما كان إعداد العدة يقتضي أموالا، وكان النظام الإسلامي كله يقوم على أساس التكافل، فقد اقترنت الدعوة إلى الجهاد بالدعوة إلى إنفاق المال في سبيل الله: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[1].

وهكذا يجرد الإسلام الجهاد والنفقة في سبيله، من كل غاية أرضية، ومن كل دافع شخصي ؛ ومن كل شعور قومي أو طبقي، ليتمحض خالصا لله «في سبيل الله» لتحقيق كلمة الله، ابتغاء رضوان الله.

ثانيا: أنواع الإعداد الجهادي: والإعداد الجهادي إما معنوي إيماني، أو جسمي بدني، أو مادي، وكل نوع لا يستقيم إلا بالآخر في ميزان الإسلام. وهذا نوع بيان وتوضيح لذلك:

أ — الإعداد المعنوي الإيماني:

فالإعداد المعنوي الإيماني للجهاد في سبيل الله عز وجل يشير إليه ما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «من لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من شعب النفاق»[1]، وذلك أن الجهاد في سبيل الله عز وجل عبادة عظيمة تحتاج إلى تهيئة نفسية عظيمة؛ لأن فيها من المشاق والتضحيات ما لا يوجد في عبادة غيرها، لكنها خفيفة ولذيذة على من اصطفاهم الله لنصرة دينه وإعلاء كلمته.

ولما كان الجهاد فيه ما فيه من المشاق وبذل المال والنفس في سبيل الله تعالى أصبح الاستعداد له بالإيمان والإخلاص والعزم على القيام به والصبر وقوة الصلة

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٦٠).

(١) سنن أبي داود: ٢/٣١٨.

بالله عز وجل أمرٌ لا بد منه وإلا خارت القوى وانحلت العزائم. ومن ذلك الاعداد ما أَمَرَ الله تعالى به نبيه -ﷺ- من قيام الليل الطويل استعدادًا لتحمل القول الثقيل وتبليغه للناس وتحمل أعباء الرسالة؛ قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً** ﴾[1].

كما أن الإعداد الإيماني قبل الجهاد ضروري لتحقيق النصر على الأعداء عند ملاقاتهم والثبات عند قتالهم؛ قال الله عز وجل: ﴿ **وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً ﴿٦٦﴾وَإِذاً لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً** ﴾[1].

والأصل في الإعداد الإيماني للمجاهدين ما ذكره سبحانه في سورة التوبة من صفات المؤمنين المجاهدين الذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة؛ قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداًعَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[2]، ثم عقب على هذه البيعة بصفات المؤهلين للجهاد الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله تعالى فقال سبحانه: ﴿ **التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ**

---

(١) سورة المزمل: الآيات (١-٤).

(١) سورة النساء: الآيتان (٦٦-٦٧).

(٢) سورة التوبة: الآية (١١١).

الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وقد اشتملت هذه الآية على أصول الأعمال الباطنة والظاهرة التي يحبها الله عز وجل التي يتحقق بها الاعداد المعنوي؛ يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآيات: «وإذا أردت أن تعرف قدر الصفقة، فانظر إلى المشتري من هو؟ وهو الله جل جلاله. وإلى العوض، وهو أكبر الأعواض وأجلها؛ جنات النعيم. وإلى الثمن المبذول فيها، وهو: النفس، والمال، الذي هو أحب الأشياء للإنسان. وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبايع، وهو أشرف الرسل .وبأي الكتب رقم، في كتب الله الكبار المنزلة على أفضل الخلق[1].

فالنصر على الأعداء في معارك القتال مرهون بالانتصار على النفس والشيطان في معركة الجهاد معهما.

والإعداد الإيماني علمًا وعملاً وحالاً يباعد بين المجاهدين وبين المعاصي والذنوب أو الميل إلى الدنيا والتي هي من أسباب الخذلان والهزيمة، كما قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لسعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- في مسيره إلى غزو الفرس: «فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو..إلى قوله: فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم؛ وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة».

---

(١) سورة التوبة: الآية (١١٢).

(١) تفسير السعدي: (٢/٢٩٠).

ب- الإعداد الجسمي:

المطلوب من المسلم أن يعتني بجسمه في جميع الأحوال؛ فيعتني بصحته وكل ما من شأنه تقوية الجسد وشدته وتحمله للمشاق وشظف العيش؛ (فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) [1]، والقوة هنا تشمل قوة الإيمان والنفس والجسم، وقد تعوذ الرسول صلى الله عليه وسلم من العجز والكسل، فإذا كان هذا في الأحوال العادية، فكيف بمن يعد نفسه للجهاد؟ بل فكيف بمن غزاه الكفار في عقر داره أو حاموا حول دياره؟! كما هو الحال اليوم في أكثر بلدان المسلمين. إن الأمر في حقه يكون آكد وأوجب.

ووسائل تقوية الأجسام كثيرة ينبغي أن يهتم بها المربون والمهتمون بالإعداد للجهاد، منها:

(أ) تجنب فضول الطعام والشراب والنوم لما في ذلك من الترفه، ولما فيه من الأدواء والأمراض للأجساد والقلوب.

(ب) تقوية الجسم بأنواع الرياضة المشروعة؛ كالمشي الطويل وصعود الجبال، والسباق، والسباحة، وركوب الخيل، والدفاع عن النفس، وغير ذلك مما فيه تقوية الجسم وتعويده على تحمل الشدائد.

(جـ) تعويد النفس على صوم النفل؛ فهو في المقام الأول عبادة عظيمة محبوبة لله عز وجل، وفيها من المصالح والحكم ما ذكره الله عز وجل في كتابه من أنه يورث تقوى الله عز وجل، كما أن فيه تعويد النفس على الصبر والتغلب على شهواتها وتقوية

(١) انظر نص الحديث في صحيح مسلم: (٢٦٦٤).

إرادتها.

ووسائل تقوية الأجسام كثيرة، لكن هذا هو الحد الأدنى الذي ينبغي لمن يعد نفسه للجهاد أن يأخذ به في حال الأمن والسلام.

أما في حال الحرب والتهديد فلا بد من الأخذ بالفقرة التالية:

الإعداد بالتدريب على الرماية بأنواعها: حيث قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم «ألا إن القوة الرمي – ثلاثًا»[1]، ويكون التدريب على الرماية واجبًا وفرض عين في حال ما يكون الجهاد عينيًا بأن يُهاجَم المسلمون في عقر دارهم. وأما الإعداد لجهاد الطلب فيبقى كفائيًا تبعًا لحكم الجهاد، الطلبي.

ج- الاعداد المادي:

أما الإعداد المادي فإنه يتحقق في وقت يسير إذا قيس بالإعداد الإيماني.

ونظرًا لما تعيشه بلدان المسلمين اليوم من تسلط الأعداء وتهديداتهم مما يجعل الاعداد المادي للجهاد المتمثل في العتاد واللجستي والمال والإعلام أمرًا مفروضًا على المسلمين للدفاع عن الدين والمال والعرض؛ وذلك في البلدان التي يحتلها العدو الكافر، أو أنه قريب الحدوث في البلدان التي يهددها العدو الكافر ويلمح بغزوها واحتلالها.

إنه نظراً لذلك فلا بد من الإشارة إلى الإعداد المادي بأن يكون له حظ من الاهتمام؛ وذلك في خط موازي للإعداد الإيماني والمعنوي؛ يسيران جنبًا إلى جنب دون أن يقطع أحدهم الآخر أو يؤخره.

---

(١) رواه مسلم (٩١٧) في الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه.

والأصل في الإعداد المادي قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾[1]، فالآية نصت على ثلاثة أنواع تعد جامعة لما يتطلبه الجهاد القتالي والدعوي وهي:

١ – القوة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، فهي تعني كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، كوسائل الإعلام المؤثرة على معنويات الأعداء ونفسياتهم وعقولهم في إلحاق الهزيمة بهم وإرهابهم وإضعاف قوتهم.

٢- الإعداد المالي:

المال من أعظم ما يعين على متطلبات الإعداد لقتال الأعداء في جوانبه المادية المختلفة، والتفوق عليهم؛ فهو عصب الدعوة والجهاد، ولا تكاد تخلو آية من الآيات التي تحض على الجهاد إلا ويذكر الجهاد بالمال مع الجهاد بالنفس بل يقدم عليها. وإذا تأملنا آية الإعداد الآنفة الذكر وجدنا في خاتمتها ذكر النفقة، مما يدل على أهمية المال في الإعداد المادي للجهاد.

والتفريط في توفير المال للجهاد في سبيل الله تفريط في الأخذ بأسباب النصر. قال تعالى مرغبا في ذلك: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قليلا كان أو كثيرا ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أجره يوم القيامة مضاعفا أضعافا كثيرة، حتى إن النفقة في سبيل

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٦٠).

اللهّ، تضاعف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.﴿وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ أي: لا تنقصون من أجرها وثوابها شيئا. ولذا وجب السعي في توفير مصادر مالية ثابتة لدعم الجهاد والإعداد له؛ وذلك بإقامة المؤسسات الاقتصادية، وبث روح البذل في الأمة وبخاصة الموسرون فيها، وإقامة المؤسسات الخيرية التي تعلم وتدعو وتدعم المحتاجين من المسلمين المهاجرين والمستضعفين.

٣ - **الإعداد بالعدة والعتاد العسكري**: التي كانت قديما تمثل الخيل ورباطها، وأدوات الأسلحة من سيوف ورماح ونبال ودروق ومنجنيقات ودبابات وغير ذلك، وفي عصرنا يشمل جميع أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، وتَعَلُّم الرَّمْيِ، والشجاعة والتدبير. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ ألا إن القوة الرَّمْيُ ﴾ ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته. فإذا كان شيء موجود أكثر إرهابا منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأمورا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلُّم الصناعة، وجب ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب وقوله: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ ممن تعلمون أنهم أعداؤكم. ﴿وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ ممن

سيقاتلونكم بعد هذا الوقت الذي يخاطبهم الله به ﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ فلذلك أمرهم بالاستعداد لهم.

٤- الإعداد الإعلامي:

حيث لا يخفى على أحد ما للإعلام من أثر كبير في التعريف بالإسلام الحق والتعريف بأهله، وكذلك ما له من الأثر في فضح الباطل والتحذير منه ومن أهله؛ بحيث تستبين للناس سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين، كما لا يخفى ما للإعلام من دور في التعريف بالجهاد والمجاهدين، ونقل أنباء انتصارات المسلمين وهزائم الكافرين، والاستفادة من الإعلام في الحرب النفسية ضد الكفار، ورفع معنويات المجاهدين والمسلمين بعامة؛ حيث إن أسلوب الحرب النفسية عن طريق الإعلام أصبح من الوسائل المهمة في تحطيم معنويات ونفسيات الأعداء وهزيمتهم.

فإذا لم يكن للمسلمين - سواء في إعدادهم للجهاد بالدعوة والبيان أو أثناء قتالهم الكفار - وسائل إعلامية قوية ومؤثرة فإن تفريطًا كبيرًا قد حصل في الأخذ بأسباب العدة للجهاد والانتصار على الأعداء.

٥ – القوة البشرية وترتيبها وتأهيلها (القاعدة الصلبة):

المرحلة المكية: الإسلام من أول يوم بلغ به الرسول صلى الله عليه وسلم وأعلن تعاليمه أعلنت كل القوى أنذاك العداء له، ولكل من استجاب لدعوته وانتمى إليه، لذلك أمر الرسول ﷺ ومن اتبعه أن يستعدوا لمواجهة المناوئين والمعادين بالعدة المناسبة أشخاصا ومكان وزمانا ومرحلة وضعفا وقوة، وتربية،

حيث كان الإعداد والاستعداد لذلك من المرحلة المكية، حيث كان يبحث فيها الرسول ﷺ عن الناصر والمعين والمُئوِي، والممول من جانب، والحرص على تكثير السواد من المستجيبين وإعدادهم وتأهيلهم للقيام بمهامهم الدعوية والدفاعية التي تنتظرهم حين يحين الوقت وتتهيأ الظروف والأسباب وقبل ذلك إذن الله وإرادته.

ولذا نستطيع القول: أن المرحلة المكية تعد مرحلة إعداد للقاعدة الصلبة، وبناء الرجال للقيام بالعمل الدعوي الجهادي، وتأمينهم وحمايتهم وتأهيلهم لمواجهة المخاطر والتغلب عليها، ونستطيع تحديد أهم وسائل الاعداد لها والاستعداد بها في هذه المرحلة في الأمور الآتية:

أولا: التربية الجادة لكل من استجاب لدعوة الإسلام وتفقيههم:

وقد مثل ذلك ما كان يقوم به الرسول من التربية في الشعاب في أول أمره ثم بيته بيت خديجة وبيوت بعض أصحابه، وفي دار الأرقم بن أبي الأرقام. وهذه أمثلة لذلك:

أ – في الشعاب:

قال ابن إسحاق: « إن رسول الله ﷺ خرج إلى شِعاب مكة وخرج معه عليٌّ بن أبي طالب وفي رواية زوجه خديجة مستخفيًا من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه، وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها »[1]، فهذه جماعة من جماعات الدعوة المنتشرة وقتها، تضم قائد الدعوة، وابن عمه، وزوجه لتأدية شعيرة الصلاة.

(١) في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية: ٢٨.

وقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: «وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِّ -ﷺ- إذَا صَلّوْا، ذَهَبُوا فِي الشّعَابِ فَاسْتَخْفَوْا بِصَلَاتِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ فَبَيْنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِّ -ﷺ- فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ مَكّةَ، إذْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ نَفَرٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ - وَهُمْ يُصَلّونَ - فَنَاكَرُوهُمْ وَعَابُوا عَلَيْهِمْ مَا يَصْنَعُونَ حَتّى قَاتَلُوهُمْ فَضَرَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ يَوْمَئِذٍ رَجُلًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ بِلَحْيِ بَعِيرٍ فَشَجّهُ فَكَانَ أَوّلَ دَمٍ هُرِيقَ فِي الْإِسْلَامِ»[1] .

ب – البيوت:

وكان من معالم هذه المرحلة، الكتمان والسرية حتى عن أقرب الناس، وكانت الأوامر النبوية على وجوب المحافظة على السرية واضحة وصارمة، وكان -ﷺ- يكوّن من بعض المسلمين أُسرًا (مجموعات) وكانت هذه الأسر تختفي اختفاء استعداد وتدريب، لا اختفاء جبن وهروب حسب ما تقتضيه التدبيرات، فبدأ الرسول عليه الصلاة والسلام ينظم أصحابه من أسر ومجموعات صغيرة، فكان الرجل يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوة وسعة من المال، فيكونان معه ويصيبان منه فضل طعامه، ويجعل منهم حلقات، فمن حفظ شيئًا من القرآن علم من لم يحفظ، فيكون من هذه الجماعات أسر أخوة، وحلقات تعليم.

ومن نماذج ذلك بيت فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد، وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، كانوا في أسرة واحدة مع نعيم بن عبد الله

(١) الروض الأنف: ٣/٢.

النحام بن عدي، وكان معلمهم خباب بن الأرت، وكان اشتغالهم بالقرآن لا يقتصرون منه على تجويد تلاوته، وضبط مخارج حروفه، ولا على الاستكثار من سرده، والإسراع في قراءته، بل كان همهم دراسته وفهمه، ومعرفة أمره ونهيه والعمل به[١].

ج - دار الأرقم بن أبي الأرقم:

كانت هذه الدار في أصل الصفا، بعيدة عن أعين الطغاة ومجالسهم، فاختارها رسول الله ﷺ ليجتمع فيها بالمسلمين سرًا، فيتلو عليهم آيات الله ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة؛ وليؤدي المسلمون عبادتهم وأعمالهم، ويتلقوا ما أنزل الله على رسوله وهم في أمن وسلام، وليدخل من يدخل في الإسلام ولا يعلم به الطغاة من أصحاب السطوة والنقمة. وليتدربوا فيها على المهام المناطة بهم في قضايا العمل الدعوي المتنوعة.

ولما كانت هذه المرحلة لها شدتها وقوتها، فحاجة الجماعة المؤمنة المنظمة تقتضي أن يلتقي الرسول المربي مع أصحابه، فكان لا بد من مقر لهذا الاجتماع، فقد أصبح بيت خديجة رضي الله عنها لا يتسع لكثرة الأتباع، فوقع اختيار النبي وصحبه على دار الأرقم بن أبي الأرقم، إذ أدرك الرسول عليه الصلاة والسلام أن الأمر يحتاج إلى الدقة المتناهية في السرية والتنظيم، ووجوب التقاء القائد المربي بأتباعه في مكان آمن بعيد عن الأنظار، ذلك أن استمرار اللقاءات الدورية المنظمة بين القائد وجنوده، خير وسيلة للتربية العملية والنظرية، وبناء الشخصية القيادية الدعوية[٢].

---

(١) انظر: الغرباء الأولون، سلمان العودة.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، د. عبد الغفار محمد عبد العزيز ص٩٦.

وكان النبي -ﷺ- في هذه المرحلة وفي هذه الدار يعد أصحابه ويربيهم تربية شاملة في العقائد والعبادات والأخلاق والحس الأمني وغيرها؛ ولذلك نجد في القرآن الكريم آيات كريمة تحدثت عن الأخذ بالحس الأمني؛ لأن من أهم عوامل نهوض الأمة أن ينشأ الحس الأمني في جميع أفرادها، وخصوصا في الصف المنظم الذي يدافع عن الإسلام، ويسعى لتمكينه في دنيا الناس، ولذلك نجد النواة الأولى للتربية الأمنية كانت في مكة، وتوسعت مع توسع الدعوة ووصولها إلى دولة.

فلابد من السرية التامة في التنظيم، وفي المكان الذي يلتقي فيه مع أصحابه، وفي الطريقة التي يحضرون بها إلى مكان اللقاء[1].

لقد استطاع الرسول المربي الأعظم صلى الله عليه وسلم أن يربي في تلك المرحلة، وفي هذه الدار أفذاذ الرجال الذين حملوا راية التوحيد، والجهاد والدعوة فدانت لهم الجزيرة، وقاموا بالفتوحات العظيمة في نصف قرن.

ثانيا: الاستعداد بالبحث عن أرض الانطلاق والمُئوِي المناصر المعين :

وقد مثل ذلك بحثه -ﷺ- وهو في مكة عن أرض مأوى تكون منطلقا لعمليات الدعوة وانطلاقا للجهاد منها، وحماة يدافعون عن رجالها، وأنصارا ينصرون الداعي والدعوة والدعاة بأموالهم وأنفسهم، وهذا ما سعى له الرسول -ﷺ- من أول ما شعر أن أهل مكة خاذلين له معادين، يريدون قتاله والمؤمنين، وها هو ابن القيم يعرض بإيجاز ذلك في الزاد – وهو وإن كان دعوة لِلْقَبَائِلَ ولكنه تضمن طلبا للإيواء

(١) انظر: دولة الرسول من التكوين إلى التمكين ص٢١٨.

والانتقال اليهم والنصرة -، قال: وَقَالَ أَبُو الزّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ إنّ النّبِيّ -ﷺ- لَبِث بِمَكّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَتّبعُ النّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوَاسِمِ وَمَجَنّةَ وَعُكَاظَ يَقُولُ مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي؟ حَتَى أُبَلّغَ رِسَالَاتِ رَبّي وَلَهُ الْجَنّةُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَنْصُرُهُ وَلَا يُؤْوِيهِ حَتّى إنّ الرّجُلَ لَيَرْحَلُ مِنْ مُضَرَ أَوْ الْيَمَنِ إلَى ذِي رَحِمِهِ فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ فَيَقُولُونَ لَهُ احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنْك وَيَمْشِي بَيْنَ رِجَالِهِمْ يَدْعُوهُمْ إلَى اللهِّ عَزّ وَجَلّ وَهُمْ يُشِيرُونَ إلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ حَتّى بَعَثَنَا اللهُّ مِنْ يَثْرِبَ فَيَأْتِيهِ الرّجُلُ مِنّا فَيُؤْمِنُ بِهِ وَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ فَيَنْقَلِبُ إلَى أَهْلِهِ فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ حَتّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إلّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ وَبَعَثَنَا اللهُّ إلَيْهِ فَائْتَمَرْنَا وَاجْتَمَعْنَا وَقُلْنَا: حَتّى مَتَى رَسُولُ اللهِّ -ﷺ- يُطَرّدُ فِي جِبَالِ مَكّةَ وَيَخَافُ فَرَحَلْنَا حَتّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ فَوَاعَدَنَا بَيْعَةَ الْعُقْبَةِ فَقَالَ لَهُ عَمّهُ الْعَبّاسُ يَا ابْنَ أَخِي مَا أَدْرِي مَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الّذِينَ جَاءُوك إنّي ذُو مَعْرِفَةٍ بِأَهْلِ يَثْرِبَ فَاجْتَمَعْنَا عَنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ فَلَمّا نَظَرَ الْعَبّاسُ فِي وُجُوهِنَا قَالَ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا نَعْرِفُهُمْ هَؤُلَاءِ أَحْدَاثٌ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِّ عَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «تُبَايِعُونِي عَلَى السّمْعِ وَالطّاعَةِ فِي النّشَاطِ وَالْكَسَلِ وَعَلَى النّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللهِّ لَا تَأْخُذْكُمْ لَوْمَةُ لَائِمٍ وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ وَتَمْنَعُونِي مِمّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمْ الْجَنّةُ فَقُمْنَا نُبَايِعُهُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ وَهُوَ أَصْغَرُ السّبْعِينَ فَقَالَ رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ إنّا لَمْ نَضْرِبْ إلَيْهِ أَكْبَادَ الْمَطِيّ إلّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنّهُ رَسُولُ اللهِّ وَإِنّ إخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافّةً وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ وَأَنْ تَعَضّكُمْ السّيُوفُ فَإِمّا أَنْتُمْ

تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ فَخُذُوهُ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللهِ وَإِمّا أَنْتُمْ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خِيفَةً فَذَرُوهُ فَهُوَ أَعْذَرُ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ فَقَالُوا: يَا أَسْعَدُ أَمِطْ عَنّا يَدَك فَوَاللهِ لَا نَذَرُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ وَلَا نَسْتَقِيلُهَا فقُمْنَا إلَيْهِ رَجُلًا رَجُلًا فَأَخَذَ عَلَيْنَا وَشَرَطَ يُعْطِينَا بِذَلِكَ الْجَنّةَ ثُمّ انْصَرَفُوا إلَى الْمَدِينَةِ. وَبَعَثَ مَعَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَمْرَو بْنَ أُمّ مَكْتُومٍ وَمُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ يُعَلّمَانِ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْقُرْآنَ وَيَدْعُوَانِ إلَى اللهِ عَزّ وَجَلّ[1]، وقد ذكر عدد القبائل الذين دعاهم فقال: وَكَانَ مِمّنْ يُسَمّى لَنَا مِنْ الْقَبَائِلِ الّذِينَ أَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدَعَاهُمْ وَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ بَنُو عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَة، وَمُحَارِبُ بْنُ حصفة، وَفَزَارَةُ، وَغَسّانُ، وَمُرّةُ، وَحَنِيفَةُ، وَسُلَيْمٌ، وَعَبْسُ، وَبَنُو النّضْر، وَبَنُو الْبَكّاءِ، وَكِنْدَةُ، وَكَلْبٌ، وَالْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ، وَعُذْرَةُ، وَالْحَضَارِمَةُ، فَلَمْ يَسْتَجِبْ مِنْهُمْ أَحَدٌ[2].

ومما يؤكد حرص الرسول على الاستعداد بإيجاد أرض للانطلاق في الجهاد القتالي بحثه عن أرض هجرة، بطلبه ذلك من القبائل الوافدة في المواسم حين دعاهم إلى الله، ويقول لهم: « من يؤويني وينصرني حتى أبلغ رسالات ربي وله الجنة فلم يجد أحدا يؤويه وينصره»، وبمباشرته لذلك حين هاجر إلى الطائف وقصة ذلك مشهورة في كتب السنن والسير، ومنها أمره أصحابه بالهجرة إلى الحبشة لوجود الملك الصالح بها، ثم جاءته البشرى بذلك في رؤيا منامية - ورؤيا الأنبياء حق- حين قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَدْ أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ رَأَيْتُ سَبْخَةً ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ وَهُمَا الْحَرَّتَانِ

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد: ٤٦.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد: ٤٢.

فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ حِينَ ذَكَرَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-، وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْضُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ، قَالَ: نَعَمْ. فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ -ﷺ- لِيَصْحَبَهُ وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ»[1].

ثالثا: الاستعداد بالاحتفاظ بالقوة العددية وسلامتها حين الضعف: قال ابن كثير: كان المؤمنون في ابتداء الإسلام – وهم بمكة – مأمورين بالصلاة والزكاة وإن لم تكن ذات النُّصُب، لكن كانوا مأمورين بمواساة الفقراء منهم، وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين، وكانوا يتحرقون ويودون لو أمروا بالقتال ليشتفوا من أعدائهم، ولم يكن الحال إذ ذاك مناسبا لأسباب كثيرة، منها: قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم، ومنها كونهم كانوا في بلدهم وهو بلد حرام وأشرف بقاع الأرض، فلم يكن الأمر بالقتال فيه ابتداء لائقا. فلهذا لم يؤمر بالجهاد إلا بالمدينة، لما صارت لهم دار ومنعة وأنصار[2]، لذلك كانت المرحلة مرحلة ﴿كفوا أيديكم﴾، وفي الوقت نفسه مرحلة إعداد واستعداد، وكان الصحابة رضي الله عنهم يأتون إليه ما بين مضروب ومشجوج فيقول لهم: «اصبروا فإني لم أومر بقتالهم»، وقال جماعة من الصحابة منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الأسود وقدامة بن

(١) صحيح البخاري: ١٢٨/٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣٥٩/٢

مظعون – وهو أخو عثمان بن مظعون – وسعد بن أبي وقاص: يا رسول الله كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة فأذن لنا في قتال هؤلاء، فقال: «كفوا أيديكم عنهم فإني لم أومر بقتالهم». جاء النهي في قوله ﴿ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ﴾ والأمر بالإعداد والاستعداد المعنوي والأدبي واللوازم المطلوبة لذلك في قوله تعالى﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾)[1].

ومع ذلك كان الرسول -ﷺ- في هذه المرحلة رغم شدتها كان يعاودهم بالتربية ويهيؤهم نفسيا على ما هم قادمون عليه من موعود الله، من الفرج والنصر والتمكين، ويبين لهم أن الأمر الآن يتطلب صبرا ويقينا بوعد الله وهو قادم قريب. روى البخاري عن خباب بن الأرت قال: أتيت النبي -ﷺ- وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة – وقد لقينا من المشركين شدة – فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو محمرّ وجهه فقال: «لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد، ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه. وليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله(زاد بيان) والذئب على غنمه»[2].

وكانوا يؤمرون بالاستعانة على تحمّل الأذى والتعذيب بالصلاة التي هي عنوان الصلة الدائمة بالله تعالى، وبالصبر ذي العاقبة المحمودة قال

(١) سنن النسائي الكبرى برقم (١١١١٢) والمستدرك (٣٠٧/٢).

(٢) صحيح البخاري: ٢٦/٩.

تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾[2]، فقام الرسول -ﷺ- وأصحابه قريباً من سنة، فنزل التخفيف. يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3].

المرحلة المدنية والإعداد البشري:

تبدأ المرحلة المدنية بهجرة الرسول -ﷺ- إلى المدينة المنورة، ومن أول ما وضع قدميه -ﷺ- في المدينة، واصل عملية الإعداد والاستعداد لما تتطلبه المرحلة لتحقيق أهداف دعوة الإسلام الشاملة، المرسل بها من الله عز وجل. والتي افتتحها بتهيئة وسائط الإعداد المعنوي كبناء المسجد، وتنشيط البيوت والدور لتستمر في التربية

---

(١) سورة البقرة: الآية (٤٥).

(٢) سورة المزمل: الآيات (١-٦).

(٣) سورة المزمل: الآية (٢٠).

والتفقيه والإعداد والتهيئة المجتمعية، لتكون وسيطا هاما لذلك من خلال إجراء المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار على الحب في الله، وإصدار الوثيقة أو الدستور الإسلامي في المدينة الذي ينظم العلاقات بين المسلمين واليهود ومشركي المدينة، وإعداد جيش لحماية الدولة، والسعي لتحقيق أهدافها، والعمل على حل مشاكل المجتمع الجديد، وتربيته على المنهج الرباني في كافة شئون الحياة.

ووسائل الاعداد البشري الجهادي بجميع أنواعه في المرحلة المدنية اختلفت عنها في المرحلة المكية التي لم يكن الرسول يملك فيها مقومات الإعداد والاستعداد للقيام بالعمل الدعوي والجهادي بالقوة، وإنما كان يقوم بذلك سلميا ويسعى للحصول على هذه المقومات حتى حصل عليها في المدينة.

ووسائل الإعداد والاستعداد في المرحلة المدنية تنوعت وتعددت حيث شملت ما هو متاح ومتوفر، وتطورت بتطور العمليات الدعوية والجهادية، وأهم وسائل الاعداد والاستعداد نجملها في الآتي:

أولا: الإعداد المعنوي:

المرحلة المدنية مرحلة تشريع وتطبيق ومحاسبة مالم تكن في مكة، وقد تمثل هذا الإعداد في التوعية والتربية والتزكية والتفقيه بكل ما ينزل من القرآن مصحوبا ببيان السنة بكل الوسائل الممكنة والمتاحة من خطابة، ومواعظ ودروس وقصص وتشريع (أحكام) وذكر وتذكير وأمر بمعروف ونهي عن منكر وأسوة حسنة وغير ذلك، في المسجد والحلقات والمنابر وفي البيوت والدور والمناسبات الاجتماعية، والتجمعات

العبادية والمجتمعية وغير ذلك مما سبق الحديث عنه ما من شأنه يوجد القوة المنصوص عليها في قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ التي في مقدمتها القوة الإيمانية الربانية. وقد سبق لنا الحديث عن الربانية، إلا أن الربانية تقتضي مجاهدة النفس بإعدادها وتهيئتها حتى تستقيم عليها. لذلك كان صلى الله عليه وسلم يسعى إلى رفع معنويات المجاهدين، يمنحهم أملا يقينيا بالنصر أو الجنة، ومنذ تلك اللحظات وفيما بعد ظل هذا (الأمل) يحدو الجندي المسلم في ساحات القتال ويدفعه إلى بذل كل طاقته النفسية والجسدية والفنية من أجل كسب المعارك أو الموت تحت ظلال السيوف[1].

فمن أقواله -ﷺ- في حث أصحابه على الجهاد: «والذي نفسي بيده، لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أُقتل ثم أُحيا، ثم أقتل ثم أُحيا، ثم أقتل»[2].

ثانيا: [إعداد النفس للجهاد القتالي]

ومن موضوع مجاهدة النفس الذي يعني: محاربة النّفس الأمّارة بالسّوء بتحميلها ما يشقّ عليها بما هو مطلوب في الشّرع[3]، وقد سبق لنا البيان بتوسع في هذا النوع من التربيه الجهادية في المطالب السابقة فليرجع إليها.

---

(١) انظر: دراسة في السيرة، ص١٦١.

(٢) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب تمني الشهادة (٣/٢٦٨) رقم ٢٧٩٧.

(٣) كتاب التعريفات (٢٠٤).

والأصل في جهاد النفس وإعدادها قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها ۝٧ فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها﴾[2].

ومن السنة: حديث فضالة بن عبيد يقول: سمعت رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم يقول: «المجاهد من جاهد نفسه»[3].

وفي مجال التطبيق نذكر نموذجا لهذه التربية في هذه المرحلة حديث أنس -رضي الله عنه- قال: غاب عمّي أنس بن النّضر عن قتال بدر فقال: يا رسول اللهّ! غبت عن أوّل قتال قاتلت المشركين، لئن اللهّ أشهدني قتال المشركين ليرينّ اللهّ ما أصنع. فلمّا كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللّهمّ إنّي أعتذر إليك ممّا صنع هؤلاء، يعني أصحابه، وأبرأ إليك ممّا صنع هؤلاء، يعني المشركين. ثمّ تقدّم فاستقبله سعد ابن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنّة وربّ النّضر، إنّي أجد ريحها من دون أحد. قال سعد: فما استطعت يا رسول اللهّ ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسّيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثّل به المشركون، فما عرفه أحد إلّا أخته ببنانه، قال أنس: كنّا نرى- أو نظنّ- أنّ هذه الاية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[4]، إلى آخر الآية[5].

---

(١) سورة النازعات: الآيتان (٤٠-٤١).

(٢) سورة الشمس: الآيات (٧-٩).

(٣) أحمد في المسند (٦/ ٢٠- ٢٢)، والترمذي (١٦٢١) واللفظ له. وقال: حديث حسن صحيح. وقال محقق جامع الأصول (١١/ ٢١): إسناده حسن.

(٤) سورة الأحزاب: الآية (٢٣).

(٥) البخاري- الفتح ٦ (٢٨٠٥) واللفظ له ومسلم برقم (١٩٠٣).

• **من وسايل الإعداد النفسي للجهاد القتالي:**

بالتأمل في الآيات القرآنية المدنية والسنة النبوية التي ذكر فيها الجهاد القتالي نجد أن الكثير منها تخاطب النفس وتعدها لتقبل هذا التكليف الشاق بما اشتمل عليه من الترغيب والتشويق والمدح والثناء وبيان الفضل والأجر إلى غير ذلك، مما يجعل القارئ أو المستمع لهذه الآيات والأحاديث في غاية من الشوق والمسارعة والسباق إلى ميدان المعركة وخوض وقائعها، والقيام بالقتال بمعنوية عالية تبلغ إلى طلب الشهادة والبحث عنها وهذا هو قمة ما يحقق الاعداد النفسي للجهاد القتالي وهذه نماذج من ذلك:

أ ـ آيات قرآنية متضمنة وسيلة الإعداد النفسي للجهاد القتالي:

١ - **وسيلة التحريض** والأمر بها وتطبيقها قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ**﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا**﴾[(٢)].

التحريض من أهم وسائل الاعداد النفسي للجهاد وقد أمر الرسول -ﷺ- أن يقوم به في المؤمنين قال ابن كثير: أي: حثهم وذمر عليه، ولهذا كان رسول الله -ﷺ- يحرض على القتال عند صفهم ومواجهة العدو، كما قال لأصحابه يوم بدر، حين

(١) سورة الأنفال: الآية (٦٥).

(٢) سورة النساء: الآية (٨٤).

أقبل المشركون في عَدَدهم وعُدَدهم: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» .

فقال عمير بن الحُمام: عرضها السموات والأرض؟! فقال رسول الله -ﷺ-: «نعم» فقال: بخ بخ، فقال: «ما يحملك على قولك بخ بخ؟ » قال: رجاء أن أكون من أهلها! قال: «فإنك من أهلها» فتقدم الرجل فكسر جفن سيفه، وأخرج تمرات فجعل يأكل منهن، ثم ألقى بقيتهن من يده، وقال: لئن أنا حييت حتى آكلهن إنها لحياة طويلة! ثم تقدم فقاتل حتى قتل -رضي الله عنه-[1].

٢ - **وسيلة الحض والحث على القتال**: وذلك بعرض مسبباته ونتائج القيام به، يقول تعالى: ﴿**أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[2]، قال ابن كثير: هذا تهييج وتحضيض وإغراء على قتال المشركين الناكثين لأيمانهم، الذين هموا بإخراج الرسول من مكة[3]، وهذا يعد من أهم وسائل الإعداد النفسي للقتال.

٣ – **وسيلة الاستعطاف للنفس للنجدة**: وذلك بذكر ما فعله العدو بالضعفاء واستضعافه لهم واستنجادهم بهم وأن قتال الفريقين ليس سواء قال تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ**

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٩٠١) من حديث أنس، رضي الله عنه

(٢) سورة التوبة: الآيتان (١٣-١٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم:١١٧/٤.

يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (١).

٤ – وسيلة الدلالة المتضمنة الترغيب والتشويق: وذلك بذكر الجزاء الذي سيحصل عليه المقاتل في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (٢) .

وصيغة التعبير بما فيها من فصل ووصل، واستفهام وجواب، وتقديم وتأخير، صيغة ظاهر فيها القصد إلى إقرار هذا الهتاف في القلوب بكل وسائل التأثير التعبيرية.

هذه أمثلة وضحنا بها كيفية الإعداد النفسي للجهاد من خلال القرآن الكريم وكل القرآن يحقق هذا الإعداد.

ب – أحاديث نبوية تحدثت عن أثر الاعداد النفسي القتالي:

---

(١) سورة النساء: الأيتان (٧٥-٧٦).

(٢) سورة الصف: الآيات (١٠-١٣).

١ – عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِّ -ﷺ- : «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ». قَالَ ابْنُ سَهْمٍ قَالَ عَبْدُ اللهِّ بْنُ الْمُبَارَكِ فَنُرَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِّ -ﷺ-(١).

ومن الصعب تقديم النماذج الكثيرة التي توضح أثر هذه التوجيهات النبوية على نفسية المقاتل المسلم، ولكن يمكن اختيار نموذجين لمقاتلين من عامة الجند، فقد قال رسول اللهّ -ﷺ- للمسلمين أثناء القتال في غزوة أحد: «قوموا إلى جنة عرضها السّماوات والأرض»، فسمعه عمير بن الحمام الأنصاري فقال: يا رسول اللهّ جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم». قال: بخ بخ- كلمة تقال لتعظيم الأمر في الخير- فقال رسول اللهّ -ﷺ-: «ما يحملك على قولك بخ بخ؟»، قال: لا واللهّ يا رسول اللهّ إلّا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «فإنّك من أهلها». فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة. قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل»(٢)، فهذا النموذج الأول.

وأما الثاني: فقد صح أن أعرابيّا شهد فتح خيبر أراد النبي -ﷺ- أثناء المعركة أن يقسم له قسما وكان غائبا، فلما حضر أعطوه ما قسم له، فجاء به إلى النبي -ﷺ- فقال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى ههنا- أشار إلى حلقه- بسهم فأدخل الجنة. قال: «إن تصدق اللهّ يصدقك». قال: فلبثوا قليلا، ثم نهضوا في قتال

(١) صحيح مسلم: ٤٩/٦.
(٢) مسلم- الصحيح ٣/ ١٥٠٩- ١٥١٠ (ح ١٩٠١).

العدو فأتي به يُحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فكفنه النبي -ﷺ- بجبته وصلى عليه ودعا له، فكان مما قال: «اللّهمّ هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك فقتل شهيدا، وأنا عليه شهيد»[1]، إن هذه الرواية شاهد قوي على ما يبلغه الإيمان من نفس أعرابي ألف حياة الغزو والسلب والنهب في الجاهلية فإذا به لا يقبل ثمنا لجهاده إلّا الجنة، فكيف يبلغ الإيمان إذا من نفوس الصفوة من أصحاب رسول الله -ﷺ-؟.

ثالثا: الإعداد الجسمي:

الإعداد الجسمي العضلي وتدريب الجسم على استخدام الأسلحة وأساليب القتال للقيام بالمهام القتالية من أهم الوسائل المحققة لأهداف العمل الدعوي -في مقدمتها الجهاد القتالي- يقرر ذلك قول الله جل وعلا: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾[2].

وقد سبق لنا الإشارة إلى ذلك في المرحلة المكية، وإن كان هذا الإعداد الجسمي للتدريب على القتال غير منصوص على القيام به في المرحلة المكية – لأنهم لم يكونوا في حاجة إلى ذلك – فطبيعة نشأتهم وبيئتهم وحياتهم كانت في الأصل طبيعة قتالية مدربة جاهزة، وأجسامهم صحيحة تتحمل كل أنواع القتال وتمارس استخدام أنواع السلاح المتاح دون مشقة.

---

(١) عبد الرزاق الصنعاني- المصنف ٥/ ٢٧٦.

(٢) سورة الأنفال: الآية (٦٠).

إلا أن المرحلة المدنية وهي التي أذن فيها بالقتال، كان لابد من التأهل الجسمي بالتدرب على ممارسة أنواع العتاد الحربي وأساليب القتال وسياسات الجهاد حتى تتحقق القوة ما يجعلهم قادرين على تحقيق أهدافه وغايته. يقول الله جل وعلا ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾[1]، هكذا جاء لفظ (قوة) نكرة لتفيد العموم ويدخل في عمومها قوة الجسم الذي يتحقق به هدف أداء المأمور وتحقيق المقصود. وهنا أولوية لقوة الجسم لأنه لا يمكن أن يتحقق جهاد في حالة وجود ضعف في الجسم، ولذا القرآن عذر الضعفاء من القيام بالقتال، بل جعل من أهداف القتال الدفاع عن الضعفاء ﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً ﴾[2].

ونجد الإشارة إلى قوة الجسم مطلوبة لبقية العبادات، قالت عائشة رضي الله عنها خرجنا مع رسول اللهّ -ﷺ- في أشهر الحجّ وليالي الحجّ، وحرم الحجّ، فنزلنا بسرف، قالت: فخرج إلى أصحابه، فقال: «من لم يكن منكم معه هدي فأحبّ أن يجعلها عمرة فليفعل، ومن كان معه الهدي فلا». قالت: فالآخذ بها والتّارك لها من أصحابه. قالت: فأمّا رسول اللهّ -ﷺ- ورجال من أصحابه فكانوا أهل قوّة وكان

(١) سورة الأنفال: الآية (٦).

(٢) سورة النساء: الآية (٧٥).

معهم الهدي فلم يقدروا على العمرة. قالت: فدخل عليّ رسول اللهّ -ﷺ- وأنا أبكي ... الحديث) [1].

وعن جابر بن عبد اللهّ- رضي اللهّ عنهما- قال: قال رسول اللهّ -ﷺ- لأبي بكر: «أيّ حين توتر؟». قال: أوّل اللّيل، بعد العتمة. قال: «فأنت يا عمر؟». فقال: آخر اللّيل. فقال النّبيّ -ﷺ-: «أمّا أنت يا أبا بكر، فأخذت بالوثقى. وأمّا أنت يا عمر، فأخذت بالقوّة»[2]، وكان من دعاء الرسول «ومتّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوّتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منّا»[3].

فهذا مما يدل على أهمية القوة في العبادات فكيف بالقتال، ولذا قال الرسول -ﷺ- في الحديث الذي يرويه أبو هريرة-رضي الله عنه-: «المؤمن القويّ خير وأحبّ إلى اللهّ من المؤمن الضّعيف، وفي كلّ خير»[4].

بل جاء النص عليها في القتال في قوة الرمي وتسديده فإن ذلك يقتضي الجسم القوي الصحيح. عن عقبة بن عامر-رضي الله عنه- قال: سمعت رسول اللهّ -ﷺ-، وهو على المنبر يقول: «وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة. ألا إنّ القوّة الرّمي ألا إنّ القوّة الرّمي. ألا إنّ القوّة الرّمي»)[5].

---

(١) البخاري- الفتح ٣ (١٥٦٠).

(٢) ابن ماجه (١٢٠٢). وفي الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) الترمذي (٣٥٠٢). وحسنه الألباني: صحيح الترمذي (٢٧٨٣). والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ١٧٤) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٤٨).

(٤) مسلم (٢٦٦٤).

(٥) مسلم (١٩١٧).

وسائل الاعداد الجسمي في المرحلة المدنية:

ووسائل الاعداد الجسمي في المرحلة المدنية تمثلت في:

١ - رعاية الجانب الصحي للجسم من تنظيم الغذاء قال تعالى: ﴿**كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾[(١)]، وقوله تعالى:﴿**وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾[(٢)]، هاتان الآيتان الكريمتان أصل من أصول الدواء، إذ أمرت بالأكل والشرب وهما قوام الحياة وحرمت الإسراف فيهما وهو سبب كافة الأمراض قال بعض السلف: جمع الله الطب كله في نصف آية: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا**﴾. قال البخاري: قال ابن عباس: كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان: سرَف ومَخِيلة. وعنه قال: أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن سرَفًا أو مَخِيلة[(٣)].

٢ – اللياقة البدنية: المتمثلة في الأنشطة التي تمارس لتقوية الجسم كالجري والمصارعة والسباق والألعاب المقوية للجسم وغير ذلك:

أ – الجري وسرعة العدو: وكان -ﷺ- يشجع على الجري وسرعة العدو ويكافئ عليه ويكرم صاحبه، عن سلمة بن الأكوع -رضي الله عنه-قال: قدمنا الحديبية مع رسول اللهّ -ﷺ- ونحن أربع عشرة مائة، وعليها خمسون شاة لا ترويها. قال: فقعد رسول اللهّ -ﷺ- على جبا الرّكيّة، فإمّا دعا وإمّا بسق فيها ... الحديث وفيه: فلمّا كشفوا

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٤١).

(٢) سورة الأعراف: الآية (٣١).

(٣) صحيح البخاري: ٧١٨٢.

جلدها رأوها غبارا. فقالوا: أتاكم القوم. فخرجوا هاربين. فلمّا أصبحنا قال رسول الله -ﷺ-: «كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة. وخير رجّالتنا سلمة». قال: ثمّ أعطاني رسول الله -ﷺ- سهمين: سهم الفارس وسهم الرّاجل. فجمعهما لي جميعا. ثمّ أردفني رسول الله -ﷺ- وراءه على العضباء. راجعين إلى المدينة. قال: فبينما نحن نسير. قال: وكان رجل من الأنصار لا يسبق شدّا قال: فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك. قال: فلمّا سمعت كلامه قلت: أما تكرم كريما، ولا تهاب شريفا؟ قال: لا. إلّا أن يكون رسول الله -ﷺ-. قال: قلت: يا رسول الله بأبي وأمّي ذرني فلأسابق الرّجل. قال: «إن شئت». قال: قلت: أذهب إليه، وثنيت رجليّ فطفرت فعدوت. قال: فربطت عليه شرفا أو شرفين أستبقي نفسي ثمّ عدوت في إثره. فربطت عليه شرفا أو شرفين. ثمّ إنّي رفعت حتّى ألحقه . قال: فأصكّه بين كتفيه. قال قلت: قد سبقت والله. قال: أنا أظنّ قال: فسبقته إلى المدينة... الحديث»[1].

وفي معجم الطبراني: أَنَّ أَبَا دُجَانَةَ يَوْمَ أُحُدٍ أَعْلَمَ بِعِصَابَةٍ حَمْرَاءَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهَّ ﷺ، وَهُوَ مُخْتَالٌ فِي مِشْيَتِهِ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهَا مِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ إِلا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ»[2].

(١) مسلم (١٨٠٧).

(٢) معجم الطبراني الكبير: ٦/٢١٨.

وعرض قوة الأجسام على الأعداء بوسيلة السعي مستحسن ولذلك فعله الرسول -ﷺ- عن ابن عبّاس- رضي اللهّ عنهما- قال: إنّما سعى رسول اللهّ -ﷺ- بالبيت وبين الصّفا والمروة، ليري المشركين قوّته) [(١)].

ومما جاء في المشي والجري للتدريب حَدِيثُ عُمَرَ: « عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ الرَّمْيَ وَالْمَشْيَ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ»، وَفِي ابْنِ حِبَّانَ وَالْبَيْهَقِيِّ مِنْ طَرِيقِ شُعْبَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ: أَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ، وَنَحْنُ مَعَ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ بِأَذْرَبِيجَانَ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ: «وَارْمُوا الْأَغْرَاضَ، وَامْشُوا بَيْنَ الْهَدَفَيْنِ»[(٢)].

ب - المسابقة في الجري: والسباق في الجري من رياضة الجسم القوي من الوسائل التي مارسها الرسول ورغب فيه فقد كان رسول الله -ﷺ- يسابق بالجري ويشجع على السباق فيه من ذلك حَدِيثُ: «عَائِشَةَ قَالَتْ: سَابَقْت رَسُولَ اللهَّ -ﷺ- فَسَبَقْته، فَلَمَّا حَمَلْت اللَّحْمَ سَابَقْته، فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: هَذِهِ بِتِلْكَ» [(٣)]، وعنها قالت: سابقني النبي -ﷺ- فسبقته فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحم سابقني فسبقني فقال النبي -ﷺ-: (هذه بتلك) [(٤)].

وعن أنس بن مالك، قال: كانت ناقة رسول الله -ﷺ- تسمى العضباء فكانت لا تسبق، فجاء أعرابي على قعود له فسابقها فسبقها فاشتد ذلك على المسلمين، فلما

---

(١) البخاري- الفتح ٣ (١٦٤٩).

(٢) وحَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ مِنْ طَرِيقِ مُجَاهِدٍ قَالَ: رَأَيْت ابْنَ عُمَرَ يَشْتَدُّ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ وَيَقُولُ: أَنَا بِهَا. وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ..

(٣) صحيح ابن حبان: ٥٤٣/١٠ قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح.

(٤) رواه الشَّافِعِيُّ وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ وَابْنُ حِبَّانَ وَالْبَيْهَقِيُّ، مِنْ حَدِيثِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عائشة.

رأى رسول الله -ﷺ- ما في وجوههم قالوا: يا رسول الله سبقت العضباء فقال رسول الله -ﷺ-: « حق على الله عز وجل أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه »[1].

ج – المصارعة: وفي المصارعة لياقة للجسم واختبار لقوته وقد مارسه الرسول وأشرف على المتصارعين رَوَى أَبُو دَاوُد فِي الْمَرَاسِيلِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بِالْبَطْحَاءِ، فَأَتَى عَلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ رُكَانَةَ، أَوْ رُكَانَةُ بْنُ يَزِيدَ، وَمَعَهُ أَعْنُزٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ لَك أَنْ تُصَارِعَنِي؟ قَالَ: مَا تَسْبِقُنِي؟ قَالَ: شَاةٌ مِنْ غَنَمِي، فَصَارَعَهُ فَصَرَعَهُ، فَأَخَذَ شَاةً، فَقَالَ رُكَانَةُ: هَلْ لَك فِي الْعَوْدِ؟ فَفَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ وَاَللَّهِ مَا وَضَعَ جَنْبِي أَحَدٌ إلَى الْأَرْضِ وَمَا أَنْتَ بِالَّذِي تَصْرَعُنِي، يَعْنِي فَأَسْلَمَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ -ﷺ- غَنَمَهُ» [2]، قَالَ الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ سَعِيدٍ: حَدِيثُ رُكَانَةَ أَمْثَلُ مَا رُوِيَ فِي مُصَارِعَةِ النَّبِيِّ -ﷺ-.

والمصارعة برهان على لياقة البدن للقتال، عن سمرة بن جندب -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله -ﷺ- يعرض غلمان الأنصار في كل عام فيلحق من أدرك منهم، قال: وعرضت عاما فألحق غلاما وردني، فقلت: يا رسول الله لقد ألحقته ورددتني ولو صارعته لصرعته، قال: «فصارعه» فصارعته فصرعته فألحقني[3].

د – السباحة: وفي السباحة والتدرب عليها لياقة للبدن وهي متطلب من متطلبات الغزو في البحر، رَوَى النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ: رَأَيْت جَابِرَ

(١) السنن المأثورة للشافعي:١٦١/٢.

(٢) رواه أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: غَرِيبٌ، وَلَيْسَ إسْنَادُهُ بِالْقَائِمِ.

(٣) السنن الكبرى:١٨/١٠.

بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، وَجَابِرَ بْنَ عُمَيْرٍ الْأَنْصَارِيَّ يَرْمِيَانِ، فَمَلَّ أَحَدُهُمَا فَجَلَسَ، فَقَالَ الْآخَرُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ- يَقُولُ: «كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فَهُوَ لَغْوٌ وَسَهْوٌ إِلَّا أَرْبَعُ خِصَالٍ: مَشْيُ الرَّجُلِ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ، وَتَأْدِيبُ فَرَسِهِ، وَمُلَاعَبَتُهُ أَهْلَهُ، وَتَعْلِيمُ السِّبَاحَةِ» (1).

ه – وفي البرنامج العبادي اليومي لياقة بدنية:

فالمتتبع للحياة اليومية التي كان يعيشها جند الإسلام الأوائل، يستطيع أن يعرف لماذا كانوا يتمتعون بتلك اللياقة العالية على الرغم من أنهم لم يكونوا جنودًا نظاميين يخضعون بتدريبات عنيفة، وينتظمون في معسكرات إلزامية في مؤسسات عسكرية نظامية كما هو الحال في عالمنا المعاصر. ولكن بالنظر في حياتهم وتحركاتهم خلال الأربع والعشرين ساعة اليومية يرى أنها كانت عبارة عن تدريب مستمر، فالبرنامج اليومي المنتظم يبدأ مبكرًا مع صلاة الفجر تؤدى جماعة مع قائدهم الأعلى رسول الله-ﷺ- الذي كان دائمًا ما يحثهم على أداء هذه الصلاة جماعة وفي وقتها موضحًا لهم ولأمته أنها المفتاح العجيب ليوم مليء بالنشاط والحيوية «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلَّت عقدة، فإن توضأ انحلَّت عقدة، فإن صلَّى انحلَّت عقده

---

(1) أخرجه النسائي في "الكبير" [٥/ ٣٠٢، - ٣٠٣] حديث [٨٩٣٨- ٨٩٤٠]، والطبراني في "الكبير" [٢/ ١٩٣]، برقم [١٧٨٥]، وفي "الأوسط" كما في "مجمع البحرين" [٥/ ٤٦]، برقم [٢٦٧٧]، والبزار [٢/ ٢٨٠]، حديث [١٧٠٤]. قال الهيثمي في "المجمع" [٥/ ٢٧٢]: ورجال الطبراني رجال "الصحيح" عند عبد الوهاب بن بخت وهو ثقة.

كلها، فأصبح نشيطًا طيِّب النفس، وإلاَّ أصبح خبيث النفس كسلان»[1]، ثم ينطلق كل منهم إلى عمله الذي تتخلله فترات الصلوات الباقية، حتى إذا ما صلَّوا الصلاة الآخرة (صلاة العشاء) ناموا تطبيقًا لأمر القائد الأعلى، حتى إذا ما أخذوا قسطًا وافرًا من النوم أوَّل الليل إلى الثلث الأخير منه، قام معظمهم لأداء صلاة التهجد التي تملأ قلوبهم روحانية وتكسبهم مزيدًا من النشاط لأدائها في وقت يكون الجسم فيه مرتاحًا. فبالإضافة إلى أن حركات الصلاة حركات تدريبية رياضية لكل أعضاء الجسم، فإن في الروحانية المتمثلة في اتصال العبد مع خالقه عزَّ وجلَّ في خشوع وطمأنينة، رياضة إضافية للنفس تملؤها إيمانًا ويقينًا، هذا بالإضافة إلى الاستعداد الدائم واليقظة التامَّة امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾[2].

ثالثا: - وسائل التدرب على السلاح بجميع أنواع عدد الحرب وعتاده:

أما التدرب على أنواع السلاح وعدد الحرب وعتاده فالأصل فيها ما نزل في المدينة من القرآن من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾، ووسائل هذا الإعداد في المرحلة المدنية كانت كثيرة ومتنوعة، أمر بها الرسول ونشط جانب التدريب وطبق الكثير منها هو وأصحابه على العدد الحربية المتوفرة في عهده ﷺ، فصناعة السلاح والرماية به مع حسن الاستعمال له، وجودة

---

(١) أخرجه مسلم، انظر الألباني، مختصر صحيح مسلم (١٠٦).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٦٠).

الركوب وحسن استعمال العتاد، مما دعا إليه الرسول ورغب فيه وبين ما في ذلك من الأجر والثواب جمع ذلك في هذا الحديث، عَنْ عقبة بن عامر -ﷺ- قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ -ﷺ- يَقُولُ: «إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلاَثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِى صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ، وَالرَّامِىَ بِهِ، وَمُنْبِلَهُ، وَارْمُوا، وَارْكَبُوا، وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا، لَيْسَ مِنَ اللَّهْوِ إِلاَّ ثَلاَثٌ: تَأْدِيبُ الرَّجُلِ فَرَسَهُ وَمُلاَعَبَتُهُ أَهْلَهُ وَرَمْيُهُ بِقَوْسِهِ وَنَبْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ الرَّمْي بَعْدَ مَا عَلِمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا » أَوْ قَالَ: « كَفَرَهَا »[1].

أ – صناعة الأسلحة: وهي من أعظم العدة والعتاد المطلوبة للحرب ولذلك نجد اهتمام الرسول بذلك وترغيبه فيه، يدل على ذلك ما جاء في حديث عقبة بن عامر السابق وفيه « صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِى صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ»، و حديث حُذَيْفَةَ عن عمر بن الخطاب قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ -ﷺ- يَقُولُ: « إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ الْجَنَّةَ مَنْ عَمِلَهُ فِي سَبِيلِهِ، وَمَنْ قَوَّى بِهِ فِي سَبِيلِ اللهِّ عَزَّ وَجَلَّ، وَاقْطَعُوا الرَّكْبَ، وَارْكَبُوهَا عُرَاةً».

ب – التدرب على الرماية وإتقانها: وفي التدرب على الرماية لأنواع الأسلحة ومعرفة المستوى الذي وصل إليه المقاتلون في إصابة الهدف - القنص-: حَدِيثُ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ: روى البخاري وأحمد من حديث سلمة بن الأكوع -ﷺ- قال: مر النبي -ﷺ- على نفر من أسلم ينتضلون، فقال النبي -ﷺ-: «ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم

(١) سنن أبى داود (٢٥١٥) وفي سنن الترمذى (١٧٣٧) وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وله شواهد منها : ما أخرجه الكبير للطبراني - في (ج ٢٠ / ص ٤٤) (١٣٠٩ و١٣١٠) فلينظر

كان راميا، ارموا وأنا مع بني فلان». قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله -ﷺ-: «ما لكم لا ترمون». قالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال النَّبِيَّ -ﷺ-: «ارموا فأنا معكم كلكم» وهذا لفظ البخاري . وَفِي رِوَايَةٍ لِلْحَاكِمِ وَالْبَيْهَقِيِّ: «وَلَقَدْ رَمَوْا عَامَّةَ يَوْمِهِمْ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا عَلَى السَّوَاءِ، مَا نَضَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[1].

هـ – المسابقة في عتاد الحرب والتدريب عليه:

وفي المسابقة دربة على أساليب الحرب والقتال، لذلك كان الاهتمام به في كل عتاد الحرب المتاحة في المرحلة المدنية سواء المسابقة في الرماية وأدواتها أو المركوبات القتالية أو حاملات الجند وعتادهم الحربي وهذه نماذج تدل على ذلك:

ففي سباق الخيل والتدرب على ركوبها واختبار قدراتها القتالية: حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- سَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي قَدْ ضُمِّرَتْ، مِنْ الْحَفْيَاءِ إِلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ، وَسَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضَمَّرْ، مِنْ الثَّنِيَّةِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ»[2]، زَادَ اَلْبُخَارِيُّ، قَالَ سُفْيَانُ: مِنْ الْحَفْيَاءِ إِلَى ثَنِيَّةِ اَلْوَدَاعُ خَمْسَةِ أَمْيَالٍ، أَوْ سِتَّةَ، وَمِنْ اَلثَّنِيَّةِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ مِيل[3].

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ- رواه البخاري (٤٢٠)، ومسلم (١٨٧٠).

(٣) البخاري برقم (٢٨٦٨).

وروى أنس أَنَّ «الْعَضْبَاءَ نَاقَةَ رَسُولِ اللهَّ كَانَتْ لَا تُسْبَقُ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَسَبَقَهَا، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ حَقًّا عَلَى اللهَّ أَلَّا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنْ الدُّنْيَا إلَّا وَضَعَهُ»[1].

وحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ: «لَا سَبَقَ إلَّا فِي خُفٍّ، أَوْ نَصْلٍ، أَوْ حَافِرٍ »[2].

(١) الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ.

(٢) أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ وَالشَّافِعِيُّ وَالْحَاكِمُ مِنْ طُرُقٍ... وَصَحَّحَهُ ابْنُ الْقَطَّانِ وَابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ، وَأَعَلَّ الدَّارَقُطْنِيُّ بَعْضَهَا بِالْوَقْفِ، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَأَبُو الشَّيْخِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

المطلب الثاني

وسيلة القتال وأساليبه وأنشطته

١- مفهوم القتال في العمل الدعوي:

أ- القتال لغة:

« قَاتَلَهُ » « مُقَاتَلَةً »، و« قِتَالًا » حاربه ودافعه، فهو « مُقَاتِلٌ » بالكسر اسم فاعل والجمع « مُقاتِلُونَ»، و« مُقَاتِلَةٌ » وبالفتح اسم مفعول، و«الْمُقَاتِلَةُ» الذين يأخذون في القتال بالفتح والكسر من ذلك[1].

ب- القتال اصطلاحا:

القتال: يتضمن قصد القتل، سواء وجد هذا المقصود أو لم يوجد، وليس بعيداً من هذا ما في أحكام القرآن للجصاص، إذ يقول: القتال هو الصد عن الشيء بما يؤدي إلى القتل . ويطلق القتال على الحرب التي تتوجه على الأعداء.

ج- القتال في مفهوم العمل الدعوي:

القتال المعني به (الحرب) وضح مفهومه في العمل الدعوي الإسلامي سيد قطب رحمه الله تحت مسمى الجهاد في هذه المقاطع من تفسيره، ذاكرا أن الجهاد المعني به القتال لم يكن في الإسلام للعدوان وإنما شرع ليحقق الأهداف المشروعة الآتية:

أولا: ليدفع عن المؤمنين الأذى والفتنة التي كانوا يسامونها ؛ وليكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم. وقرر ذلك المبدأ العظيم (والفتنة أشد من

(١) المصباح المنير:٢٥٣/١ المعجم الوسيط:٧١٥/٢.

القتل). . فاعتبر الاعتداء على العقيدة والإيذاء بسببها ، وفتنة أهلها عنها أشد من الاعتداء على الحياة ذاتها. فالعقيدة أعظم قيمة من الحياة وفق هذا المبدأ العظيم. وإذا كان المؤمن مأذونا في القتال ليدفع عن حياته وعن ماله ، فهو من باب أولى مأذون في القتال ليدفع عن عقيدته ودينه. .

ثانيا: لتقرير حرية الدعوة - بعد تقرير حرية العقيدة - فقد جاء الإسلام بأكمل تصور للوجود والحياة ، وبأرقى نظام لتطوير الحياة. جاء بهذا الخير ليهديه إلى البشرية كلها ؛ ويبلغه إلى أسماعها وإلى قلوبها. فمن شاء بعد البيان والبلاغ فليؤمن ومن شاء فليكفر. ولا إكراه في الدين. ولكن ينبغي قبل ذلك أن تزول العقبات من طريق إبلاغ هذا الخير للناس كافة؛ كما جاء من عند الله للناس كافة. وأن تزول الحواجز التي تمنع الناس أن يسمعوا وأن يقتنعوا وأن ينضموا إلى موكب الهدى إذا أرادوا. ومن هذه الحواجز أن تكون هناك نظم طاغية في الأرض تصد الناس عن الاستماع إلى الهدى وتفتن المهتدين أيضا. فجاهد الإسلام ليحطم هذه النظم الطاغية؛ وليقيم مكانها نظاما عادلا يكفل حرية الدعوة إلى الحق في كل مكان وحرية الدعاة. .وما يزال هذا الهدف قائما ، وما يزال الجهاد مفروضا على المسلمين ليبلغوه إن كانوا مسلمين!

ثالثا: ليقيم في الأرض نظامه الخاص ويقرره ويحميه. . وهو وحده النظام الذي يحقق حرية الإنسان تجاه أخيه الإنسان ؛ حينما يقرر أن هناك عبودية واحدة لله الكبير المتعال ؛ ويلغي من الأرض عبودية البشر للبشر في جميع أشكالها وصورها.

فليس هنالك فرد ولا طبقة ولا أمة تشرع الأحكام للناس، وتستذلهم عن طريق التشريع. إنما هنالك رب واحد للناس جميعا هو الذي يشرع لهم على السواء ، وإليه وحده يتجهون بالطاعة والخضوع ، كما يتجهون إليه وحده بالإيمان والعبادة سواء. فلا طاعة في هذا النظام لبشر إلا أن يكون منفذا لشريعة الله ، موكلا عن الجماعة للقيام بهذا التنفيذ. حيث لا يملك أن يشرع هو ابتداء، لأن التشريع من شأن الألوهية وحدها، وهو مظهر الألوهية في حياة البشر، فلا يجوز أن يزاوله إنسان فيدعي لنفسه مقام الألوهية وهو واحد من العبيد! هذه هي قاعدة النظام الرباني الذي جاء به الإسلام.

وما يزال هذا الجهاد لإقامة هذا النظام الرفيع مفروضا على المسلمين: ﴿ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ ﴾. . فلا تكون هناك ألوهية للعبيد في الأرض ، ولا دينونة لغير الله. . لم يحمل الإسلام السيف إذن ليكره الناس على اعتناقه عقيدة ؛ ولم ينتشر السيف على هذا المعنى كما يريد بعض أعدائه أن يتهموه! إنما جاهد ليقيم نظاما آمنا يأمن في ظله أصحاب العقائد جميعا ، ويعيشون في إطاره خاضعين له وإن لم يعتنقوا عقيدته..

لا بد للإسلام من نظام ولا بد للإسلام من قوة ، ولا بد للإسلام من جهاد أي (قتال) .

﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ نعم ولكن:﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ**

يَعْلَمُهُمْ﴾[1].

إن من حق الإسلام أن يتحرك ابتداء. فالإسلام ليس نحلة قوم، ولا نظام وطن، ولكنه منهج إله، ونظام عالم .. ومن حقه أن يتحرك ليحطم الحواجز من الأنظمة والأوضاع التي تغل من حرية «الإنسان» في الاختيار. وحسبه أنه لا يهاجم الأفراد ليكرههم على اعتناق عقيدته، إنما يهاجم الأنظمة والأوضاع ليحرر الأفراد من التأثيرات الفاسدة، المفسدة للفطرة، المقيدة لحرية الاختيار.

من حق الإسلام أن يُخرج «الناس» من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده .. ليحقق إعلانه العام بربوبية الله للعالمين، وتحرير الناس أجمعين، وعبادة الله وحده لا تتحقق - في التصور الإسلامي وفي الواقع العملي - إلا في ظل النظام الإسلامي، فهو وحده النظام الذي يشرع الله فيه للعباد كلهم، حاكمهم ومحكومهم، أسودهم وأبيضهم، قاصيهم ودانيهم، فقيرهم وغنيهم، تشريعاً واحداً يخضع له الجميع على السواء[2].

ومن هذه الأغراض ندرك أن القتال في الإسلام لو لم يُشرع لطغى الباطل على الحق، وتضرّرت البلاد، وطمست معالم الدعوة.. ولولم يُشرع القتال في الإسلام.. لبقي العالم من أقصاه إلى أقصاه، يئنّ ويرزح تحت وطأة الجهل والظلم والاستعباد..

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٦٠).

(٢) في ظلال القرآن:١/٢٧٣-٢٧٥.

٢- عرض مفهوم وسيلة القتال وأسلوبه ونشاطه في العمل الدعوي:

أ- القتال في الأمم السابقة ودور الأنبياء وأتباعهم في القيام به في دعواتهم:

١- قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَما ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَما كانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَإِسْرافَنا فِي أَمْرِنا وَثَبِّتْ أَقْدامَنا وَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتاهُمُ اللَّهُ ثَوابَ الدُّنْيا وَحُسْنَ ثَوابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

ب- القتال لإعلاء كلمة الله مشروع في الرسالات السابقة: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى إِذْ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ أَلَّا تُقاتِلُوا قالُوا وَما لَنا أَلَّا نُقاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وَأَبْنائِنا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[2].

ج- أمر الرسول محمد -ﷺ- بالقتال وتحريض المؤمنين عليه:

١- قال تعالى: ﴿فَقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾[3].

قال ابن عاشور: فَالْآيَةُ أَوْجَبَتْ عَلَى الرَّسُولِ -ﷺ- الْقِتَالَ، وَأَوْجَبَتْ عَلَيْهِ تَبْلِيغَ

---

(١) سورة آل عمران: الآيات (١٤٦-١٤٨).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٤٦).

(٣) سورة النساء: الآية (٨٤).

الْمُؤْمِنِينَ الْأَمْرَ بِالْقِتَالِ وَتَحْرِيضَهُمْ عَلَيْهِ، فَعَبَّرَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، [2].

د- القتال وسيلة من وسائل العمل الدعوي:

١- الأمر به ليكون مقصودا به وجه الله ولإعلاء كلمته: قال تعالى: ﴿وَقاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3]، قال ابن كثير: ثم أمر تعالى بالقتال في سبيله، وهو قتال الأعداء الكفار لإعلاء كلمة الله ونصر دينه[4].

وقال تعالى: ﴿فَلْيُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[5].

٢- فرض القتال على العبد رغم إنه مما تكرهه النفوس:

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[6].

٣- الأمر به للدفاع عن المستضعفين:

قال تعالى: ﴿وَما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُها وَاجْعَلْ

---

(١) سورة النساء: الآية (٨٤).

(٢) التحرير والتنوير:١٤٣/٥.

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٤٤).

(٤) تفسير ابن كثير:١٠٦/١.

(٥) سورة النساء: الآية (٧٤).

(٦) سورة البقرة: الآية (٢١٦).

لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً ﴾[1].

٣- مشروعية القتال لمن أوذي أو أخرج من داره أو هجر من وطنه: قال تعالى:

﴿ فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ ﴾[2] .

٣- الأمر بالقتال لمن بدأ بالقتال ولو عند المسجد الحرام مع الانضباط بالعدل:

قال تعالى: ﴿ وَقاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ حَتَّى يُقاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذلِكَ جَزاءُ الْكافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[3].

٤- الأمر بالقتال لدفع الفتنة عموما ولتكون الدينونة الكاملة لله رب العالمين:

قال تعالى: ﴿ وَقاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَقاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[2].

---

(١) سورة النساء: الآية (٧٥).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٩٥).

(٣) سورة البقرة: الآيات (١٩٠-١٩٢).

(١) سورة البقرة: الآية (١٩٣).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٣٩).

٥- الأمر بقتال من لا يدين بدين الله الحق وأهل الكتاب حتى يقبلوا نظام الإسلام:

قال تعالى: ﴿ قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صاغِرُونَ ﴾(١).

٦- الأمر بقتال المشركين كافة حتى يكفوا عن الاعتداء:

قال تعالى: ﴿ وَقاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَما يُقاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾(٣).

٧- التحذير من عدم الطاعة في القتال: قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرابِ سَتُدْعَوْنَ إِلى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَما تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَلِيماً ﴾(٤).

٨- منزلة المطيعين للأمر بالقتال: وقال تعالى: ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

---

(١) سورة التوبة: الآية (٢٩).

(٢) سورة التوبة: الآية (٣٦).

(٣) سورة التوبة: الآية (١٢٣).

(٤) سورة محمد: الآية (٣١).

(١) سورة آل عمران: الآيات (١٦٩-١٧١).

٩- **دلالة الله لعباده على القتال باعتباره تجارة رابحة والترغيب فيه:** قال تعالى:

﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴿١٢﴾ وَأُخْرى تُحِبُّونَها نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)].

١٠- **الكف عن القتال عند تحقق السلام:**

١- قال تعالى: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾[(٢)].

٢- وقال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[(٣)].

هذا بعض ما جاء في القرآن عرضناه لنؤصل لما نحن فيه، وفي البيان النبوي مزيد تفصيل وإيضاح وهو كثير نذكر نماذج من ذلك:

ا- عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالَ يَا رَسُولَ الله مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ الله فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ- قَالَ وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا - فَقَالَ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله عَزَّ

---

(١) سورة الصف: الآيات (١٠-١٣).

(٢) سورة النساء: الآية (٩٠).

(٣) سورة الأنفال: الآية (٦١).

وَجَلَّ [(١)].

ب – عن مَالِكِ بْنِ يُخَامِرَ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ حَدَّثَهُمْ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ: « مَنْ قَاتَلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْقَتْلَ مِنْ نَفْسِهِ صَادِقًا ثُمَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ فَإِنَّ لَهُ أَجْرَ شَهِيدٍ ». زَادَ ابْنُ الْمُصَفَّى مِنْ هُنَا: « وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغْزَرِ مَا كَانَتْ لَوْنُهَا لَوْنُ الزَّعْفَرَانِ وَرِيحُهَا رِيحُ الْمِسْكِ وَمَنْ خَرَجَ بِهِ خُرَاجٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ طَابَعَ الشُّهَدَاءِ »[(٢)].

٤– عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِى سُلَيْمَانَ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ »[(٣)].

٥– عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله -ﷺ-: من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد [(١)].

عن أبي جعفر قال كنت جالسا عند سويد بن مقرن فقال قال رسول الله -ﷺ-: «من قتل دون مظلمته فهو شهيد» [(٢)].

---

(١) صحيح البخاري:٤٣/١

(٢) سنن أبي داوود:٣٢٧/٢.

(٣) سنن أبي داود: ٤٩٤/٤.

(١) سنن النسائي:١١٦٦/٧- قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) سنن النسائي:١١٦/٧قال الشيخ الألباني : صحيح

٣- ضوابط وداب القتال في العمل الدعوي:

القتال في الإسلام المقصود منه تحقق إهداف العمل الدعوي له ضوابط وآداب يجب مراعاتها وهي كثيرة نذكر أهمها:

١- النبل والوضوح في الوسيلة والهدف.

٢- لا قتال إلا مع المقاتلين ولا عدوان على المدنيين.

٣- إذا جنحوا للسلم وانتهوا عن القتال فلا عدوان إلا على الظالمين.

٤- المحافظة على الأسرى ومعاملتهم المعاملة الحسنة التي تليق بالإنسان.

٥-المحافظة على البيئة ويدخل في ذلك النهى عن قتل الحيوان لغير مصلحة وتحريق الأشجار، وإفساد الزروع والثمار، والمياه، وتلويث الآبار، وهدم البيوت.

٦- المحافظة على الحرية الدينية لأصحاب الصوامع والرهبان وعدم التعرض لهم.

٧- عدم الاعتداء وتجاوز الحد في قتال العدو قال تعالى: ﴿ **وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾[1].

٨-ومن ضوابط القتال في الإسلام الالتزام بهذه التعاليم النبوية، في حديث بريدة الثابت في صحيح مسلم: قال: كان رسول الله إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا

(١) سورة البقرة: الآية (١٩٠).

وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.

٩-عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: « وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله -ﷺ- فنهى رسول الله -ﷺ- عن قتل النساء والصبيان »[(١)].

١٠- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: « إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه »[(١)] .

١١- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-قال: « بعثنا رسول الله -ﷺ- فقال: إن وجدتم فلاناً وفلاناً (رجلين من قريش) فأحرقوهما بالنار فلما أردنا الخروج قال: كنت أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً، وإن النار لا يعذب بها إلا الله تعالى فإن وجدتموهما فاقتلوهما»[(٢)].

---

(١) أخرجه مالك والشيخان وأبو داود والترمذي.

(١) أخرجه الشيخان

(٢) أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي.

١٢- وعن عبد الله بن يزيد الأنصاري -رضي الله عنه- قال: « نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن النُّهْبَى والمثلة »[1] .

١٣- وعن ابن يعلى قال غزونا مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فأتى بأربعة أعلاج من العدو، فأمر بهم فقتلوا صبراً بالنبل . فبلغ ذلك أبا أيوب الأنصاري -رضي الله عنه-فقال: « سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ينهى عن قتل الصبر . فوالذي نفسي بيده، لو كانت دجاجة ما صَبَرْتُهَا . فبلغ ذلك عبد الرحمن، فأعتق أربع رقاب »[2] .

١٤- وروى مالك عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- أنه قال في وصيته لجنده: «ستجدون قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له، ولا تقتلن امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً » . .

٤- فوائد وثمار وسيلة القتال في العمل الدعوي:

يتضح لنا مما سبق أن القتال فى الإسلام قد اتسم بنبل الغاية والوسيلة معا، فلا غرو أن تكون الآثار والثمار المتولدة عن هذا القتال متناسقة تماما في هذا السياق من النبل والوضوح ؛ لأن النتائج فرع عن المقدمات، ونلخص هذه الآثار في النقاط الآتية :

١- تربية النفس على الشهامة والنجدة والفروسية.

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه أبو داود.

٢- إزالة الطواغيت الجاثمة فوق صدور الناس، وهو الشر الذى يؤدى إلى الإفساد فى الأرض بعد إصلاحها.

٣- إقرار العدل والحرية لجميع الناس مهما كانت عقائدهم.

٤- تقديم القضايا العامة على المصلحة الشخصية.

٥- تحقيق قوة ردع مناسبة لتأمين الناس فى أوطانهم. يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الحج: ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيز**﴾[1].

(١) سورة الحج: الآية (٤٠).

المطلب الثالث

وسيلة السلطان(ولي الأمر) وأساليبه وأنشطته في العمل الدعوي

١- مفهوم السلطان في العمل الدعوي

أ- السلطان لغة:

(السلطان) الملك أو الوالي (ج) سلاطين وهي سلطانة والقوة والقهر والحجة والبرهان. وفي تاج العروس: ومنه قوله تعالى: ﴿**لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ**﴾[1]، وقد يراد به المعجزة، كقوله تعالى: ﴿**وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**﴾[2]، والسلطان: قدرة من جعل ذلك له، وإن لم يكن ملكا. وإنما قيل للخليفة: سلطان لأنه ذو السلطان، أي ذو الحجة. وقيل: لأنه به تقام الحجج والحقوق.وفي الحديث: «السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم».

(السلطنة) مملكة السلطان[1] .

ب- السلطان اصطلاحا:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي من حيث المدلول فهو لا يخرج عن كونه الحجة والبرهان، وأصحابه العلماء، أو الملك، والإمرة والقيادة.

---

(١) سورة الرحمن: الآية (٣٣).

(٢) سورة الذاريات: الآية (٣٨).

(١) انظر تاج العروس:٣٧٤/١٩ المصباح المنير:٢٨٥/١المعجم الوسيط:٤٤٣/١.

ج- السلطان في العمل الدعوي:

معنى تحقيق السلطان في العمل الدعوي: إيجاد القوة التي يتحقق بها أهدافها ولا يتحقق ذلك إلا إذا توفرت لها هذه الصفات المبينة في القرآن التي تشير إلى الدور المنوط بالسلطان وهي المشمولة في هذه المعاني السبعة الآتية:

١ _ معنى العلم: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[1]، قال النسفي: (سلطان) حجة له فيها عذر ظاهر على غيبته.

٢ _معنى الإرادة و القصد: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝٩٨ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [1]، قال النسفي: (سلطان) تسلط وولاية، وفي ذلك إشارة إلى أن السلطان هنا بمعنى التقصد والاستهداف فلهذا كان الأمر بالاستعاذة لكي ينصرف الشيطان. والسلطان يأتي بمعنى الإرادة.﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ۝٣٣ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٤ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنْتَصِرَانِ﴾[2].

---

(١) سورة النمل: الآية (٢٠-٢١).

(١) سورة النحل: الآيات (٩٨-١٠٠).

(٢) سورة الرحمن: الآيات (٣٣-٣٥).

٣ _معنى القوة: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً﴾[١]، قال السيوطي: (سلطاناً نصيرا) قوة تنصرني بها.

٤ _ معنى العمل: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾[٢]، السلطان هنا بمعنى العمل ومن أشكاله الضرر و النفع .

٥ _معنى نظام المخلوقات: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾[٣]، السلطان هنا بمعنى التسلط أي التفوق في نظام الخلق على جنس الإنسان.

٦ _معنى نظام التشريع / الكتاب السماوي: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ (١٥٦) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[١]، السلطان هنا بمعنى الوحي السماوي أو الرسالة بدليل قوله (فأتوا بكتابكم) ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾[٢]، قال السيوطي: (سلطاناً) حجة و كتاباً.

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٨٠).

(٢) سورة الحج: الآية (٧١).

(٣) سورة الإسراء: الآية (٦٥).

(١) سورة الصافات: الآيتان (١٥٦-١٥٧).

(٢) سورة الروم: الآية (٣٥).

٧ _معنى الجزاء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً﴾[1]، قال ابن كثير: (سلطاناً مبيناً) أي حجة بينة في عقوبته إياكم .

فأي سلطان لا يكون مشمولا: بالعلم، والقصد والإرادة، والقوة، والعمل، والنظام، والتشريع، والجزاء، فهذا لا يعد في العمل الدعوي سلطانا . وفي العرض القرآني مزيد بيان.

٢- العرض القرآني والبيان النبوي لوسيلة السلطان في العمل الدعوي:

أ- الخلافة في الأرض سلطان الله الذي يحقق بها إقامة الدين من تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه:

- **آدم عليه السلام خليفة الله في أرضه:**

فهذا آدم عليه السلام استخلفه الله في أرضه ليقوم فيها بأمره ويحقق هو وذريته العبادة الخالصة له، وعمارتها وفق إرادته:

١- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[1]، المعنى بالخليفة هنا – في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل – آدم عليه السلام، وهو خليفة الله في إمضاء أحكامه

(١) سورة النساء: الآية (١٤٤).

(١) سورة البقرة: الآية (٣٠).

وأوامره، لأنه أول رسول إلى الارض، كما في حديث أبي ذر، قال قلت: يا رسول الله أنبيا كان مرسلا؟ قال: (نعم) الحديث[1].

٢- قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[2].

- **هود عليه السلام والتذكير بالخلافة ودورها الدعوي:**

هود عليه السلام قال لقومه، وهو يدعوهم إلى اللهّ ويذكرهم بنعمة الخلافة وما هو مطلوب منهم تجاهها: قال تعالى: ﴿ وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَ زَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3]، قال شيخنا الجزائري: ثم ذكرهم(يعني هود) بنعم الله تعالى عليهم لعلّها تُحْدثُ لهم ذكراً في نفوسهم فيتراجعون بعد عنادهم وإصرارهم.[1].

- **صالح عليه السلام والتذكير بالخلافة والتحذير من فعل ما يتعارض معها:**

وهذا صالح يقول لقومه وهو يدعوهم إلى الله ويذكرهم بالخلافة وواجبهم تجاهها وتحذيرهم عن ما يناقض ذلك:

(١) تفسيرالقرطبي:١/١٦٣-١٦٤.
(٢) سورة الأنعام: الآية (١٦٥).
(٣) سورة الأعراف: الآية (٦٩).
(١) تفسير الجزائري:٢/١٨

قال تعالى: ﴿ واذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ عادٍ وَ بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِها قُصُوراً وَ تَنْحِتُونَ الْجِبالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[1]، فهذه النعم التي يلبسها الخلف، بعد النقم التي حلّت بالسلف، هى حجّة بين يدى الرسول، يذكرّ بها قومه، ليذكروا ما كان للهّ عليهم من فضل، وأنه لم يأخذهم بما جنى آباؤهم ..

٢- الإمامة سلطان:

- **إبراهيم وذريته الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعطاهم الله سلطان الإمامة ليقيموا بها الهداية إلى أمر الله:**

١ - قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[2]، قال شيخنا الشنقيطي: الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: جَعَلْنَاهُمْ يَشْمَلُ كُلَّ الْمَذْكُورِينَ إِبْرَاهِيمَ، وَلُوطًا، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ، كَمَا جَزَمَ بِهِ أَبُو حَيَّانَ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ، وَهُوَ الظَّاهِرُ .

وَقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى أَنَّ اللهَّ جَعَلَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مِنَ الْأَئِمَّةِ، أَيْ جَعَلَهُمْ رُؤَسَاءَ فِي الدِّينِ يُقْتَدَى بِهِمْ فِي الْخَيْرَاتِ وَأَعْمَالِ الطَّاعَاتِ . وَقَوْلِهِ بِأَمْرِنَا أَيْ: بِمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْوَحْيِ، وَالْأَمْرِ، وَالنَّهْيِ، أَوْ يَهْدُونَ النَّاسَ إِلَى دِينِنَا بِأَمْرِنَا إِيَّاهُمْ، بِإِرْشَادِ الْخَلْقِ وَدُعَائِهِمْ إِلَى التَّوْحِيدِ .

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٧٤).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٧٣).

٢ - قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [1]، فَقَوْلُهُ: وَمِنْ ذُرِّيَّتِي أَيْ: وَاجْعَلْ مِنْ ذُرِّيَّتِي أَئِمَّةً يُقْتَدَى بِهِمْ فِي الْخَيْرِ. فَأَجَابَهُ اللهُ بِقَوْلِهِ: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ أَيْ: لَا يَنَالُ الظَّالِمِينَ عَهْدِي بِالْإِمَامَةِ، عَلَى الْأَصْوَبِ[2] .

- **موسى عليه السلام وقومه:**

ويأتي دور موسى عليه السلام وقومه بعد أن استضعفوا من فرعون وقومه أعطاهم الله سلطان الخلافة والتمكين لينظر ماذا هم فاعلون في دينه.

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[3]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ مُوسَى - عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[1]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ الْآيَةَ [2]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٢٤).

(٢) أضواء البيان: ١٦٦/٤- ١٦٧.

(٣) سورة القصص: الآيتان (٥-٦).

(١) سورة الأعراف: الآية (١٢٩).

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٣٧).

٢- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[1].

- **داود عليه السلام وقيامه بالخلافة بتنفيذ أحكامها:**

ويأتي دور داود عليه السلام الذي أعطاه الله سلطان الخلافة وأدواتها ليدعو إلى الله بهذا السلطان وينفذ أحكامه ويبسط العدل ويحذره من الهوى فيقول تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[2].

- **سليمان عليه السلام وتسخير سلطان ملكه في الدعوة وتبليغ الإسلام:**

وسليمان عليه السلام يستخدم سلطان ملكه في سبيل الدعوة والبلاغ والإلزام بالدخول في الإسلام والدينونة لله الواحد القهار وها أنا أعرض ذلك من سورة النمل دون تعليق لما فيها من البيان:

قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

---

(١) سورة السجدة: الأيتان (٢٣-٢٤).

(٢) سورة ص: الآية (٢٦).

﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ

الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

- **أمة محمد صلى الله عليه وسلم:**

وعد الله المؤمنين العاملين الصالحات من هذه الأمة سلطان الخلافة والتمكين ليحققوا العبودية الخالصة لله:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

---

(١) سورة النمل: الآية (١٦-٤٤).

(١) سورة النور: الآية (٥٥).

• **التمكين هو السلطان فمن رزقه الله إياه عليه أن يقوم بحقه الذي هو إقامة الدين:**

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾(١).

• **أولو الأمر سلطان منوط بهم العمل لدين الله:**

يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾(٢).

بعد هذا العرض القرآني نذكر نماذج من البيان والتطبيق النبوي في الدور المنوط باستعمال السلطان في العمل الدعوي:

١ - عن أم الحصين الأحمسية - رضي الله عنها - قالت: حَجَجْتُ مَعَ رسولِ الله ﷺ حَجَّةَ الوداعِ، فَرأيتُهُ حِينَ رَمَى جَمْرَةَ العَقَبَةِ وانصَرَفَ، وهو على راحِلَتِهِ، ومعه بلالٌ وأُسَامَةُ: أَحَدُهُما يقودُ بِهِ رَاحِلَتَهُ، والآخرُ رافعٌ ثَوبَهُ على رأسِ رسولِ الله ﷺ يُظِلُّهُ من الشمس، قالت: فقال رسولُ الله ﷺ قَولاً كثيراً لم أفْهمهُ، ثُمَّ سَمِعتُهُ يقولُ: «إِنْ أُمِّرَ عليكم عَبْدٌ مُجَدَّعٌ - حَسِبْتها قالت: أسودُ - يَقُودُكمْ بِكِتابِ الله فَاسمعوا [لَهُ] وَأَطِيعوا» .

---

(١) سورة الحج: الآية (٤١).

(٢) سورة النساء: الآية (٥٩).

وفي رواية: نحوه في الإمارة فقط، وقال: «عَبْداً حَبَشياً مُجَدَّعاً» . وقال: إنَّها سَمِعَتْ رسولَ الله -ﷺ- بِمنى، أو بعرَفَاتٍ . هذه رواية مسلم .

وفي رواية الترمذي قالت: سمعتُ رسولَ الله -ﷺ- يَخْطُبُ في حَجَّةِ الودَاعِ، وعليه بُرْدٌ قد التَفَعَ به من تَحْتِ إِبْطِهِ، قالت: فَأنا أنْظُرُ إلى عَضَلَةِ عَضُدِهِ تَرْتَجُّ، سَمعتُه يقول: «يَا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ، وإن أُمِّرَ عليكم عَبدٌ حَبَشيٌّ مُجَدَّعٌ، فَاسْمَعوا وأَطِيعوا ما أقام فيكم كتابَ الله» . وفي رواية النسائي نحو من رواية الترمذي، إلا أنه لم يذكر الْبُرْدَ والتَّلفعَ به(١).

٢- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «مَنْ أطاعني فقد أطاعَ الله، ومَنْ عصاني فقد عَصى اللهَ، ومَنْ يُطعِ الأمِيرَ فَقَدْ أطَاعَني، ومَنْ يَعصِ الأمِيرَ فَقد عَصَانِي» . وفي رواية مثله، وفيه: «وَإِنَّمَا الإمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ ورَائِهِ، وَيُتَّقَى به، فإنْ أمَرَ بِتَقْوى اللهِ وعَدَلَ، فإنَّ له بذلك أَجراً، وإن قال بِغيرِهِ، كان عليه منه وِزْراً»(١).

---

(١) مسلم رقم (١٨٣٣) في الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، والترمذي رقم (١٧٠٦) في الجهاد ، باب ما جاء في طاعة الإمام ، والنسائي ٧ / ١٥٤ في البيعة ، باب الحرص على طاعة الإمام.

(١) البخاري ١٣ / ٩٩ في الأحكام ، باب قوله تعالى : {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم} ، ومسلم رقم (١٨٣٥) في الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، والنسائي ٧ / ١٥٤ في البيعة ، باب الترغيب في طاعة الإمام.

المطلب الرابع

وسيلة التغيير ومراتبه وأساليبه وأنشطته

١- مفهوم وسيلة التغيير باليد في العمل الدعوي:

أ- التغيير لغة:

«تغير الشيء عن حاله تحول. وغَيَّره: حوله وبدله، كأنه جعله غير ما كان، وفي التنزيل العزيز: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]، قال ثعلب: معناه حتى يبدلوا ما أمرهم الله. إذا فالتغيير في اللغة هو إحداث شيء لم يكن قبله، أو هو انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى[2].

ب- التغيير في الاصطلاح:

هو إحداث شيء لم يكن قبله . وإذا كان التغيير اجتماعيا أمكننا أن نعرفه بأنه: إحداث شيء في المجتمع لم يكن موجودا من قبل.

ج- التغيير في العمل الدعوي:

أما في العمل الدعوي فالمراد به: إحداث انقلاب شامل في المفاهيم والأساليب والسُّلوك لتحقيق نتائج مغايرة.

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٥٣).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة ٤٠٤/٤، وانظر: العين ٤٤١/٨ والصحاح ٧٧٦/٢.ولسان العرب ٤٠/٥.والتوقيف على مهمات التعريف:١٩١/١و التعريفات: ٨٧

والتغيير المقصود في العمل الدعوي هو التغيير الإيجابي، أي ذلك التحوُّل من مجمل أقوال وأفعال مجانبة للحق والصواب وتصرفات نابية وأوضاع سيِّئة إلى أقوال وأفعال وتصرفات وأوضاع حميدة وصحيحة وحقة، سواء كان ذلك عقديا أو فكريًّا أو سياسيًّا أو اقتصاديًّا أو اجتماعيًّا أو ثقافيًّا أو إداريًّا.

وهدف التغيير وغايته في العمل الدعوي هو الإنسان بمفرده ومجموعه ومجتمعه وإيجاد التغيير في الفرد أو الجماعة أو الشعوب لا يتحقق عفواً، وإنما بتربية أصيلة حقة وتغيير نفسي عميق الجذور، يحول الهمود فيها إلى حركة، والغفوة إلى صحوة، والركود إلى يقظة، والفتور إلى عزيمة. تغيير يحول الوجهة والأخلاق والميول والعادات. سنة قائمة من سنن الله تعالى في الكون وردت في القرآن الكريم في عبارة وجيزة بليغة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

٢- عرض مفهوم وسيلة التغيير وأساليبه وأنشطته في العمل الدعوي (التأصيل):

التغيير سنة كونية وإرادة ربانية وهدف رسالي ومقتضى دعوي من يوم خلق الله هذه الحياة وجعل فيها خليفة وخلائف أممية وأناط العمارة لها بهذا الإنسان المكلف واستعمره إياها﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2]، ولذلك الله سبحانه أرسل الرسل ليحققوا التغيير

(١) سورة الرعد: الآية (١١).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٣٧).

الإيجابي الذي يريده الله وأمر به في مقابل التغيير السلبي الذي يقع فيه هذا الإنسان المكلف حين يبتعد عن هداية السماء ودلالة الرسل قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إلا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1]، والقرآن يعرض لنا الدعوات التغييرية الإيجابية على أيدي الرسل الذين تضمنت دعواتهم وتبليغهم هذه العمليات التغييرية في مقابل عمليات التغيير السلبي الواقعة في الأفراد والأسر والجماعات والأمم الذي يستحقون عليه العقوبة من الله عندما لا يستجيبون للتغيير الحق الإيجابي النعمة المسداة عليهم من الله قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً (١٦٣) وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً (١٦٤) رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[1].

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢١٣).

(١) سورة النساء: الآية (١٦٣-١٦٥).

والله لا يغير على عباده نعمة الهداية والتوفيق والصلاح إلا بعد أن يكونوا هم السبب في ذلك قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾[1].

والعقوبة لاتحل بمن يستحقها ممن غيروا ما بأنفسهم سلبا إلا بإرادة الله وقضائه الذي لا يستطيع أحد رده قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ** ﴾[2].

وتكاد تكون آيات القرآن العارضة دعوات الرسل متضمنة معنى التغيير الشامل المنشود وعلى وجه الخصوص دعوات أولي العزم من الرسل ولكثرتها أعرض نماذج مواقف تغييرية في دعوات أربعة من الرسل من أولي العزم وهم نوح وإبراهيم وموسى ومحمد ﷺ كنموذج لدعوات جميع الرسل وأتباعهم بإحسان وتأصيلا لمانحن فيه. معززين ذلك ببيان السنة وتطبيقاتها:

- **نوح عليه السلام دعوته تغييرية إيجابية بعد دعوة أبي البشر آدم عليه السلام:**

نوح عليه السلام مارس جميع مراتب التغيير في قومه بوسائل وأساليب متنوعة واستعرض القرآن ذلك في أكثر من سورة لكن اقتصر في العرض على سورة نوح نموذجا لما جلت هذه السورة وأبانت لنا من دعوة نوح عليه السلام من خلال

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٥٣).

(٢) سورة الرعد: الآية (١١).

دلالاتها أنها دعوة تغييرية بمضمونها وطريقتها ووسائلها وأساليبها والتضحيات التي بذلت فيها من قبل الرسول نوح عليه السلام وإن كان قومه لم يرد الله التغيير فيهم إلا من حملتهم السفينة.

١ – هدف الدعوة التغييرية:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ هذه هي فحوى رسالة نوح (التغييرية) وهدفها في اختصار وهي الإنذار والدعوة إلى عبودية الله وحده. ﴿ **أن اعبدوا الله، واتقوه وأطيعون** ﴾ وهذه هي وسيلتها ترهيب متمثل في: الإنذار بعذاب أليم، في الدنيا أو في الآخرة، أو فيهما جميعاً، وترغيب إطماع في المغفرة على ما وقع من الخطايا والذنوب؛ وتأجيل الحساب إلى الأجل المضروب في الآخرة للحساب لمن استجاب. وهذه هي خلاصة دعوة الله في كل جيل بعد نوح.

٢ – عرض الإعمال والأساليب التغييرة ترغيبا وترهيبا:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[1]، وهكذا راح نوح عليه السلام يواصل جهوده النبيلة الخالصة الكريمة لهداية قومه (وإحداث التغيير فيهم بما يسعدهم)، بلا مصلحة له، ولا منفعة؛ ويحتمل في سبيل هذه الغاية النبيلة ما يحتمل من إعراض واستكبار واستهزاء . . ألف سنة إلا خمسين عاماً . . وعدد المستجيبين له لا يكاد يزيد؛ ودرجة الإعراض والإصرار على الضلال ترتفع وتزداد! ثم عاد في نهاية المطاف يقدم حسابه لربه الذي كلفه هذا الواجب النبيل وذلك الجهد الثقيل!.

٣– عرض الحجج والدلائل المشاهدة:

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ

(١) سورة نوح: الآيات (٥-١٤).

فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾[1].

ونمضي مع نوح في جهاده النبيل الطويل(ودعوته التغييرية). فنجده: أخذ بقومه بالحجج والبراهين عبر آيات الله في أنفسهم وفي الكون من حولهم والأطوار التي يخاطب بها قوم نوح في ذلك الزمان لا بد أن تكون أمراً يدركونه، أو أن يكون أحد مدلولاتها مما يملك أولئك القوم في ذلك الزمان أن يدركوه، ليرجو من وراء تذكيرهم به أن يكون له في نفوسهم وقع مؤثر، يقودهم إلى الاستجابة .

٤ – رفض التغيير والتمرد عليه والصد عنه وعن دعوة التغيير:

﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾[2]، رب إنهم عصوني! بعد كل هذا الجهاد، وبعد كل هذا العناء . وبعد كل هذا التوجيه . وبعد كل هذا التنوير . وبعد الإنذار والاطماع والوعد بالمال والبنين والرخاء. . بعد هذا كله كان العصيان . وكان السير وراء القيادات الضالة المضللة، التي تخدع الأتباع بما تملك من المال والأولاد، ومظاهر الجاه والسلطان ممن ﴿ **لم يزده** ماله وولده إلا خساراً . هؤلاء القادة لم يكتفوا بالضلال ﴿ **ومكروا مكراً كباراً** ﴾ . مكراً متناهياً

---

(١) سورة نوح: الآيات (١٥-٢٠).

(٢) سورة نوح: الآيات (٢١-٢٤).

في الكبر . مكروا لإبطال الدعوة وإغلاق الطريق في وجهها إلى قلوب الناس (وإحداث التغيير السلبي الشامل).﴿ **وقالوا: لا تذرن آلهتكم** ﴾ بهذه الإضافة: ﴿**آلهتكم** ﴾ لإثارة النخوة الكاذبة والحمية الآثمة في قلوبهم. وخصصوا من هذه الأصنام أكبرها شأناً فخصوها بالذكر ليهيج ذكرها في قلوب العامة المضللين الحمية والاعتزاز . . ﴿ **ولا تذرن وداً، ولا سواعاً، ولا يغوث، ويعوق، ونسراً** ﴾ . . وهي أكبر آلهتهم التي ظلت تعبد في الجاهليات بعدهم إلى عهد الرسالة المحمدية﴿ **وقد أضلوا كثيراً** ﴾ ككل قيادة ضالة تجمع الناس حول الأصنام . . أصنام الأحجار . وأصنام الأشخاص . وأصنام الأفكار. . سواء**!!** للصد عن دعوة الله، وتوجيه القلوب بعيداً عن الدعاة، بالمكر الكبّار، والكيد والإصرار**!** ثم يكمل دعاء نوح الأخير؛ وابتهاله إلى ربه في نهاية المطاف قوله: ﴿ **ولا تزد الظالمين إلا تباراً** ﴾ أي هلاكاً ودماراً. واستجاب الله دعوته، فغسل وجه الأرض من ذلك الشر؛ وجرف العواثير التي لا تجرفها إلا قوة الجبار القدير. كما ينص عليه الآتي:

٥ – أنزال العقوبة بهم استجابة لدعائه:

وقبل أن يعرض السياق بقية دعاء نوح عليه السلام يعرض ما صار إليه الظالمون الخاطئون في الدنيا والآخرة جميعاً**!** فأمر الآخرة كأمر الدنيا حاضر بالقياس إلى علم الله، وبالقياس إلى الوقوع الثابت الذي لا تغيير فيه:

قال تعالى: ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [(١)].

وفي آيتين اثنتين قصيرتين ينتهي أمر هؤلاء العصاة العتاة، ويطوى ذكرهم من الحياة! وذلك قبل أن يذكر السياق دعاء نوح عليهم بالهلاك والفناء.

ومن عظم جرمهم إنهم يوجدون بيئة وجواً يولد فيها الكفار، وتوحي بالكفر من الناشئة الصغار، بما يطبعهم به الوسط الذي ينشئه الظالمون، فلا توجد فرصة لترى الناشئة النور، من خلال ما تغمرهم به البيئة الضالة التي صنعوها . وهي الحقيقة التي أشار إليها قول النبي الكريم نوح عليه السلام، وحكاها عنه القرآن: ﴿ ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾ .

٥ - محصلة التغيير الإيجابي وما يستحقونه من جزاء:

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾[(٢)]، ودعاء نوح النبي لربه أن يغفر له . هو الأدب النبوي الكريم في حضرة الله العلي العظيم . أدب العبد في حضرة الرب . العبد الذي لا ينسى أنه بشر، وأنه يخطئ، وأنه يقصر، مهما يطيع ويعبد، وأنه لا يدخل الجنة بعمله

(١) سورة نوح: الآيات (٢٥-٢٧).

(٢) سورة نوح: الآية (٢٨).

إلا أن يتغمده الله بفضله، كما قال أخوه النبي الكريم محمد -ﷺ- وهذا هو الاستغفار الذي دعا قومه العصاة الخاطئين إليه، فاستكبروا عليه[1].

- **إبراهيم عليه السلام ودعوته التغييرية قولا وعملا:**

دعوة إبراهيم عليه السلام جاءت لتغير واقع ما كانت عليه البشرية من شرك، وخروج عن ما يريده الله من عباده في هذه الحياة وما استخلفهم عليه تمثل ذلك في :

١- جعله الله إماما ليكون قدوة في دعوته التغييرية، قال تعالى: ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَات فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾ [2].

٢- إسلام الوجه لله هو وذريته، قال تعالى ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ [3].

٣- بناء بيت الله العتيق وتأهيله لعبادة الله وحده: قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ **وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴾[1].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن:٣٤٣/٧- ٣٥٢ وارجع إليه لمزيد الفائدة.

(٢) سورة البقرة: الآية (١٢٤).

(٣) سورة البقرة: الآيتان (١٣١-١٣٢).

(٤) سورة البقرة: الآية (١٢٧).

(١) سورة البقرة: الآية (١٢٥).

٤- الأمر بعبادة الحج لله: قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[1].

٥- تغيير المعتقدات الفاسدة في الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2].

٦- دعوة إبراهيم أباه وقومه لترك عبادة الأصنام: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[1].

٧- تكسير الأصنام وتحمل تبعات هذا التغيير: قال تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى

---

(١) سورة الحج: الآيات (١٠٨).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٥٨).

(١) سورة الأنبياء: الآيات (٥١-٥٦).

يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاء يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (١)، جاء ذكر هذا في أكثر من سورة في: الشعراء، والصافات.

٨-الهجرة من الأرض والقوم الميؤس من التغيير فيهم:، قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٢).

٩- ذبح إسماعيل والفدا الإلهي: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ

(١) سورة الأنبياء: الآيات (٥٧-٧١).

(٢) سورة العنبكوت: الآية (٢٦).

الْبَلاءُ الْمُبِينُ(١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ(١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ(١٠٨) سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ(١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ﴾ [1].

١٠- وصيته لأبنائه بالتمسك بدين الإسلام، قال تعالى:﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ(١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[2].

١١- وبالجملة: فقد نهض إبراهيم بكل ما عاهد عليه ربه بالقيام به من الشرائع، فلذا أكرمه بالإمامة وشرفه بها. وجعلها وذريته لمن بعده أسوة في عمليات التغيير وبذل الجهد لتحقيقها، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ(٤) رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(٥) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [1].

---

(١) سورة الصافات: الآيات (٩٩-١١١).

(٢) سورة البقرة: الآيتان (١٣١-١٣٢).

(١) سورة الممتحنة: الآيات (٤-٦).

- **موسى عليه السلام ودعوته التغييرية:**

إن المسيرة الدعوية لموسى عليه السلام طويلة ومتنوعة ومتعددة الميادين، والجانب التغييري فيها كبير نذكر عل سبيل المثال نماذج نتبين به هذا الموضوع :

أ- طلب موسى عليه السلام من ربه أن يعطيه وسائل التغير في دعوته لفرعون وقومه: ﴿**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى**﴾ (١).

ب- التكليف بالذهاب إلى فرعون لدعوته والقيام بذلك في مجلسه دون تواني، وبذل كل جهد في سبيل ذلك قال تعالى: ﴿**اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولا لَهُ قَوْلا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤) قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى (٤٥) قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى**﴾ (١).

---

(١) سورة طه: الآيات (٢٤-٣٦).

(١) سورة طه: الآيات (٤٢-٤٨).

ج- يوم الزينة والموقف التغييري في السحرة قال الله تعالى: ﴿ **قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَاذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِى الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُواْ مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَونَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ** ﴾ [1].

نرى كيف تغيرت شخصياتهم؟ وكيف انقلبت موازينهم؟ كيف تحولت أفكارهم وقلوبهم؟ كانت هممهم مشدودة إلى المال ﴿إِنَّ لَنَا لاجْرًا﴾[2]، وكانت آمالهم منوطة بفرعون حين أقسموا بعزته ﴿ **وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَونَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ** ﴾ [1]، كان هذا منطقهم قبل أن يؤمنوا. فلما ذاقوا حلاوة الإيمان كان جوابهم بالرغم من التهديد والوعيد في بساطة ويقين ﴿ **لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ** ﴾ [2]، بعد أن كان همهم الدنيا صار همهم الآخرة﴿ **لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا** ﴾ [3]،

(١) سورة الشعراء: الآيات (٣٤-٤٨).

(٢) سورة الأعراف: الآية (١١٣).

(١) سورة الشعراء: الآية (٤٤).

(٢) سورة طه: الآية (٧٢).

(٣) سورة طه: الآية (٧٣).

وبعد أن كانوا يحلفون بعزة فرعون صاروا يحلفون بالله رب العالمين الذي فطرهم وَالَّذِى فَطَرَنَا تغير الاتجاه... تغير المنطق ... تغير السلوك... تغيرت الألفاظ، في لحظات أصبح القوم غير القوم. فمن أي شيء كان هذا التحول السريع والتغير الفظيع؟! إنه الإيمان الذي وصل إلى الأعماق.

د- التغيير للمنكر باليد: قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ إلى أن قال: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[1] .

- **محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته التغييرية الشاملة في جميع مناحي الحياة:**

إن دعوة الإسلام قائمة على أساس التغيير كما سبق بيانه، والتغيير فيها يتم بالقول والفعل والقلب المتمثل في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

(١) سورة طه: الآيات (٨٥-٩٨).

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]، ومن أبرز وسائله التغييرية المسهب فيها في القرآن:

١- القتال سواء في مواجهة الكفار بمختلف أصنا فهم بعد دعوتهم إلى الإسلام أو في مواجهة العصاة الخارجين على الجماعة وسلطانها:

أ- القتال لتغيير الكفر إلى الإسلام: قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ ﴿٣٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَوْلاَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، وكل ما جاء في القرآن من عرض لغزوات الرسول ما هو إلا لهدف التغيير.

ب- الخارجين على طاعة الجماعة وسلطانها قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٤).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٩٣).

(٣) سورة الأنفال: الآيات (٣٨-٤٠).

(١) سورة البقرة: الآية (٢٤٤).

تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[1].

ج- المفسدون في الأرض المحاربون لله ورسوله والمؤمنين قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[2].

٢- إقامة الحدود على العصاة من مرتكبي الكبائر من المعاصي والذنوب المستوجبة لذلك قال تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]، وقال تعالى:﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1]، هذه الآيات ما هي إلا نموذج من نماذج التغيير باليد أحد مراتب التغيير الثلاث المذكورة في حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «من رأى منكم منكرا

(١) سورة الحجرات: الآية (٩).

(٢) سورة المائدة: الآية (٣٤).

(٣) سورة النور: الآية (٢).

(١) سورة المائدة: الآيتان (٣٨-٣٩).

فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[1]، وما مبدأ الحسبة في الإسلام إلا من هذ القبيل.

وأما التغيير بالقول والقلب فقد عرضها القرآن في كثير من السور وهي كثيرة معلومة مشهورة عرضناها في ما مضى من الموضوعات.

الضوابط والآداب والفوائد والثمار هي نفس ما سبق في وسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليرجع إليها.

(١) رواه مسلم: ٦٩/١.

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز لأهم الوسائل الدعوية القولية والعملية التي تعامل بها الأنبياء والرسل في دعواتهم، وتبليغهم لدين الله الذي أرسلوا به إلى أممهم، وقام بها خاتم الرسل محمد ﷺ الوارث اقتداء بمن خاطبه ربه فيهم بقوله جل وعلا ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[1]، وهي وسائل وأساليب وأنشطة عرضها القرآن الكريم، وفصلت في الكثير منها السنة النبوية، كما تناولنا فيها الجديد من الوسائل والأساليب والأنشطة التي مورست في العهد النبوي والراشدي، وقد وفانا مجمل ما تناولته الدراسة ثمانية عشر وسيلة قولية وسبعة عشر وسيلة عملية رئيسة، وقد تناولنا في العرض لكل وسيلة عددا من الوسائل المتفرعة منها خاصة ما عرض في العهد النبوي، وما ذاك إلا ليجد العامل لدين الله عددا من الوسائل الدعوية المتنوعة الصالحة للعمل في كل زمان ومكان، ومستمدة من الهدي النبوي المتعبد به لله عز وجل التي يجد فيها الداعية القدوة برسول الله محمد ﷺ في القيام بها، والبركة في أدائها، والتأثير بها في ميدان الدعوة وتحقيق أهدافها، ونيل مقام المتأسين بإمام الدعاة وسيدهم محمد ﷺ التزاما بقوله جل وعلا ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية (٩٠).

(٢) سورة الأحزاب: الآية (٢١).

ومما تميز به العرض وضع جملة من الضوابط والآداب وعرض كثير من الفوائد والثمار لمعظم الوسائل التي خصصت بمطالب لمزيد الفائدة.

وبما ورد في بعضها من ترغيب وتشويق وذكر للجزاء والثواب في الدار الأخرى ما يزيد العامل بهذه الوسائل والأساليب والأنشطة قوة دافع للقيام بها وأمل في تحقيق النجاح بها للوصول إلى الأهدف المنشودة المرسومة. وهذا فضل من الله عز وجل وتوفيق منه جل وعلا فالحمد لله على توفيقه وعونه وأسأله المزيد من فضله ويجعله خالصا لوجهه، وأن ينفع بها كل عامل للإسلام استعان بها في دعوته، وأرجو ممن يقف على هفوة أن يسترها أو خطأ فيصلحه والله المستعان والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

فهرس الكتاب